المملكة العربيّة السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
-١٠٨، ١٠٩-

التَّفْسِيرُ البَسِيْط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمَّد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة النحل إلى آخر سورة الإسراء

تحقيق
د. عبدالرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوي

من أول سورة الكهف إلى آية (٣١)

تحقيق
د. عبد العزيز بن محمد اليحيى

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبدالعزيز بن سطام آل سعود   أ.د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثالث عشر

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

[١٢]

ح جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الواحدي، علي بن أحمد

التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)./ عبدالرحمن بن عبدالجبار بن صالح هوساوي؛ عبدالعزيز بن محمد اليحيى، الرياض ١٤٣٠هـ.

٢٥مج. (سلسلة الرسائل الجامعية)

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٣- ٨٧٠- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج١٣)

١. القرآن تفسير ٢. الواحدي، علي بن أحمد

أ. العنوان ب. السلسلة

ديوي ٢٢٧.٣ ١٤٣٠/٨٦٨

رقم الإيداع: ١٤٣٠/٨٦٨هـ

ردمك: ٤- ٨٥٧- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (مجموعة)

٣- ٨٧٠- ٠٤- ٩٩٦٠- ٩٧٨ (ج١٣)

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة البحث العلمي

سلسلة الرسائل الجامعية
-١٠٨، ١٠٩-

التفسير البسيط

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي
(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة النحل إلى آخر سورة الإسراء

تحقيق
د. عبدالرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوي

من أول سورة الكهف إلى آية (٣١)

تحقيق
د. عبد العزيز بن محمد اليحيى

أشرف على طباعته وإخراجه

د. عبد العزيز بن سطام آل سعود أ. د. تركي بن سهو العتيبي

الجزء الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

التَّفْسِيرُ البَسِيطُ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة النحل إلى آخر سورة الإسراء

تحقيق

د. عبدالرحمن بن عبد الجبار بن صالح هوساوي

تفسير سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد أتى عذابُ الله(١)، وقال الحسن وابن جريج: أي عقابُه لمن أقام على الإشراك به والتكذيب لرسوله(٢)، وهذا القول في معنى ﴿أَمۡرَ ٱللَّهُ﴾ هاهنا هو اختيار الزجاج؛ قال: ﴿أَمۡرَ ٱللَّهُ﴾: ما وعدهم الله من المجازاة على كفرهم من أصناف العذاب، واحتج بقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود: ٤٠]، أي: جاء ما وعدناهم به، وبقوله: ﴿أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارًا﴾(٣) [يونس: ٢٤]. وفسّر آخرون هذا العذاب؛ فقال: هو الأمر بالسيف، وقالوا: هذا جواب النضر بن الحارث حين قال: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةً﴾ الآية [الأنفال: ٣٢]، فأنزل الله: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾(٤)، أي: لا تطلبوه قبل حينه، وهذا كما تقول لمن يطلب أمرًا يستعجل فيه، أتاك الأمر فلا تستعجل.

---

(١) ورد في «تفسير السمرقندي» ٧/ ٢٢٧، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٥٣ب، بمعناه، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٣٦٥، «تنوير المقباس» ص٢٨٢.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٧٥ بمعناه عن ابن جريج، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٥٨، عنهما، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٨، عن ابن جريج، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٦٥، عنهما.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨٩، بنصه.

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٣ب، بنحوه، وذكره المؤلف في «أسباب النزول» له ص٢٨٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٧-٨.

وقال جماعة من المفسرين: ﴿أَمۡرَ ٱللَّهِ﴾ هاهنا الساعة[(١)]؛ وذلك أن المكذبين بها استعجلوها، فقيل لهم: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾. قال أبو إسحاق: استبطاؤا[(٢)] أمْرَ الله، فأعلم اللهُ أن ذلك عنده في القرب بمنزلة ما قد أتى، كما قال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وكما قال: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾[(٣)] [النحل: ٧٧]؛ وعلى هذا، إنما قال لِمَا لَم يأت بعد أتى؛ لأنه آت لا محالة، والعربُ إذا ذكرت شيئًا قَرُبَ وقوعه أخرجته مخرج الواجب، كقوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقد مر.

وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ قال ابن عباس: نَزَّه نفسه[(٤)]، وقال الزجاج: تنزيه له وبراءة من السوء[(٥)]، ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ أي: ارتفع وتعاظم بأعلى صفات المدح عن أن يكون له شريك، و(ما) في قوله: ﴿عَمَّا﴾ يجوز أن تكون (ما) المصدر، والتقدير: عن إشراكهم، والمعنى عن إشراكهم به غيره، فحُذف للعلم، ويجوز أن تكون بمعنى الذي؛ أي:

---

(١) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٢٧، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٥٣ب، بلفظه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٨، عن الكلبي، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٧، عن الكلبي وغيره، وابن عطية ٨/ ٣٦٥، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٦٦، والخازن ٣/ ١٠٥، وأبي حيان ٥/ ٤٧٢، وقال: هو قول الجمهور.

(٢) في (أ)، (د): (استبطلوا)، والمثبت من (ش)، وهو موافق للمصدر.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٨٩، بنصه تقريباً.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٢، وورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠أ، وهود الهواري ٢/ ٣٥٩، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٨.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٠، بنحوه.

ارتفع عن الذين أشركوا به[١]؛ لأنهم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾.

٢- قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ روى عطاء عن ابن عباس قال: يريد جبريل وحده[٢]، وذكرنا فيما تقدم جوازَ تَسْمِيةِ الواحد باسم الجمع إذا كان ذلك الواحدُ رئيسًا مقدمًا؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾[٣] الآية [آل عمران: ١٧٣].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ قال ابن عباس: بالوحي[٤]، وهو كلام الله، هذا قول الربيع والحسن[٥]، وهو الاختيار في معنى الروح

---

(١) في جميع النسخ: (أشركهم به)، ولا يستقيم بها المعنى، فلعلها تصحفت عن المثبت، أو التبست على النساخ بما قبلها.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٢٨، والفخر الرازي ١٩/ ٢١٩، وورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠أ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨، وفي «تنوير المقباس» ص٢٨٢، قال: «جبريل ومن معه من الملائكة».

(٣) قال الفراء: الناس في هذا الموضع واحد؛ وهو نُعيم بن مسعود الأشجعيّ، بعثه أبو سفيان وأصحابُه فقالوا: ثبط محمدًا ﷺ أو خوفه حتى لا يلقانا ببدر الصغرى، وكان معياد بينهم يوم أحد. «معاني القرآن» للفراء ١/ ٢٤٧، وهو اختيار الزجاج في معانيه ١/ ٤٨٩، وانظر: «تفسير الزمخشري» ١/ ٢٣١.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٧٧ بلفظه، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد بلفظه في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٨، والطوسي ٦/ ٣٥٩، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٣٦٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٦٧، وأبي حيان ٥/ ٤٧١، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٠٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٥) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٥٣، عن الحسن بلفظ: بالنبوَّة، وورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٨، عن الربيع بن أنس قال: هو القرآن، وعن الحسن أيضاً قال: الرحمة، والطوسي ٦/ ٣٥٩، عن الربيع قال: كلام الله، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٣٦٨، عن الربيع، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٨، عن الحسن، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٦٧، عن الحسن، وأبي حيان ٥/ ٤٧١، عن الحسن، =

هاهنا، قال الزجاج: الروح ما كان فيه من أمر الله حياةً للنفوس بالإرشاد إلى أمر الله[(١)].

وقال أبو العباس في هذه الآية وفي قوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافر: ١٥]، ولقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] هذا كله معناه الوحي[(٢)]؛ سُمّي روحًا لأنه حياةٌ من موت الكفرِ، فصار يحيا به الناس؛ كالروح الذي يحيا[(٣)] به الجسد.

وقال أبو عبيدة: الروح هاهنا جبريل[(٤)]، وعلى هذا الباء في بالروح بمعنى (مع) كقولهم: خرج بثيابه، أي: ومعه ثيابه، وركب الأمير بسلاحه، والأول الوجه، ومعنى ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾، أي: من فعله في الوحي[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ يريد النَّبيّين الذين يختصهم من عباده بالرسالة والوحي بقوله: ﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾، قال الزجاج: ﴿أَنْ﴾ بدل

= وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٠٥، ونسبه إلى ابن أبي حاتم عن الحسن قال: بالنبوة.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٠، بنصه.

(٢) «تهذيب اللغة» (روح) ٣/ ١٧٦٨، بنصه.

(٣) في جميع النسخ: (يحي)، ويستقيم السياق بالمثبت، وهو موافق لما في المصدر.

(٤) ليس في مجازه، وورد منسوباً إليه في: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤أ، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨، الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٠، «تفسير القرطبي» ١٠/ ٦٧، وهو قول ضعيف جدًّا، والصحيح هو الأول كما ذكر.

(٥) قال القاسمي: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ بيان للروح، أو حال منه، أو صفة، أو متعلق بـ﴿يُنَزِّلُ﴾، وقال الفخر الرازي: وقوله: ﴿مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ إن ذلك التنزيل، والنزول لا يكون إلا بأمر الله تعالى، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤] ونحوها، فكل هذه الآيات دالة على أنهم لا يقدمون على عمل من الأعمال إلا بأمر الله تعالى وإذنه. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٢٠، والقاسمي ١٠/ ٧٨.

من الروح، المعنى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ بأن أنذروا[١].

والمعنى: أنذروا أهل الكفر بأنه لا إله إلا أنا، أي مروهم بتوحيدي وأن لا يشركوا بي شيئًا[٢]، والخطاب للنَّبيّين المعنيين بقوله: ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾، وهذا يدل أن معنى الروح هاهنا الوحي، إذا بُدِّل منه الإنذار، ومعنى إنذارِهم بأنه لا إله إلا هو إعلامهم بذلك مع تخويفهم لو لم يقروا، ثم ذكر ما يدل على توحيده، فقال:

٣- ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ ومعنى هذا مذكور في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ذكرنا معناه آنفًا[٣].

٤- وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾، قال أبو إسحاق: اختصر هاهنا، وذكر تقلبَ أحوال الإنسان في غير مكان من القرآن[٤].

قال ابن عباس: يريد إني خلقت، قال المفسرون: نزلت هذه الآية والتي في آخر سورة يس: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [يس: ٧٧] في قصة أُبي بن خلف وإنكاره البعث[٥].

---

(١) هذا المقطع ليس في معانيه، فلعله ساقط من النسخة المتداولة، بدليل أن النحاس قد نسبه إليه في إعرابه ٢/ ٣٩١، وقال بهذا مكي في «مشكل الإعراب» ٢/ ١٢، والزمخشري في «تفسيره» ٢/ ٣٢١، وابن الأنباري في «البيان في غريب الإعراب» ٢/ ٧٥، و«المنتجب في الفريد» ٣/ ٢١٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٠، بنصه.

(٣) في سورة الأعراف: الآية [١٩٠].

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٠، بنصه.

(٥) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠أ، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨، والثعلبي ٢/ ١٥٤أ، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٩، عن الكلبي، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» =

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، الخصيم بمعنى المخاصم، ذكرنا ذلك عند قوله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥]، هذا قول أهل اللغة.

قالوا: خصيمك الذي يخاصمك، وفعيل بمعنى مُفَاعل معروف؛ كالنسيب بمعنى المناسب، والعشير بمعنى المعاشر، والأكيل والشريب، ويجوز أن يكون خصيم فاعلًا من خَصِم يَخْصِم بمعنى اختصم، وبه قرأ حمزة[1] قوله: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[2] [يس: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿مُبِينٌ﴾ أي ظاهر، ومعناه: ظاهر الخصومة، ويجوز أن يكون مبين؛ أي يُبيِّن عن نفسه الخصومة بالباطل، وذكر أهل المعاني لهذه الآية معنيين؛ أحدهما: أنه عرّفنا قدرته في إخراجه من النطفة ما هذه

= ص٢٨٥، بلا سند، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩، والزمخشري ٢/ ٣٢١، وابن عطية ٨/ ٣٧٠، وابن الجوزي ٤/ ٤٢٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٦٨، و«تفسير الخازن» ٣/ ١٠٦.

ولا خلاف أن آية (يس) لها سبب نزول ثابت، وإن اختلف فيمن نزلت؛ أبي بن خلف، أم العاص بن وائل؛ وهو الصحيح [انظر: «المستدرك» للحاكم (٢/ ٤٢٩) وصححه]. لكن هذه الآية ليس لها سبب نزول مسند، وهو شرط في إثبات أسباب النزول، ويكفي لرد هذه الدعوى أنه ورد من طريق الكلبي وحاله معروف، وتشابه الآيتين لا يسوغ إثبات نزول إحداهما للأخرى، إلا إذا لم يُقصد بإطلاق لفظ نزلت هذه الآية.. المعنى الاصطلاحي لأسباب النزول، وأريد التوسع في اللفظ كما فعلوا في النسخ.

(١) قرأ حمزة: ﴿يَخْصِمون﴾ ساكنة الخاء خفيفة الصاد. انظر: «السبعة» ص٥٤١، و«المبسوط في القراءات» ص٣١٢، و«تلخيص العبارات» ص١٤١، وقال في «شرح الهداية» ٢/ ٤٨٦، ومن قرأ ﴿يَخْصِمون﴾ فالمعنى: يخصم بعضهم بعضاً.

(٢) نقل الفخر الرازي هذا المقطع بنصه ونسبه للواحدي. «تفسير الرازي» ١٩/ ٢٢٦.

حاله وصفته، والثاني: أنه ذَكر فاحشَ ما ارتكب من تضييع حق نعمة الله بالخصومة في الكفر به[١].

٥- قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ﴾، يعني الإبل والبقر والغنم، وتم الكلام ثم ابتدأ فقال: ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾، ويجوز أن يكون تمام الكلام عند قوله: ﴿لَكُمۡ﴾ ثم يبتدئ فيقول: ﴿فِيهَا دِفۡءٞ﴾.

قال صاحب النظم: أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله: ﴿خَلَقَهَاۖ﴾؛ لقوله في النسق على ما قبلها: ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾[٢].

وأما الدفء، فقال الفراء وجميع أهل اللغة: هو ما انتفع به من أوبارها وأشعارها وأصوافها، أراد ما يلبسون منها ويبتنون[٣]، فالدفء عند أهل اللغة: ما يُستدفأ به من الأكسية والأبنية[٤]، قال الأصمعي: ويكون الدفء السخونة، يقال: اقعد في دفء هذا الحائط، أي في كنّه[٥]، وقال الفراء في المصادر: يقال للرجل: دَفِيْت فأنت تدفأ دَفْأً، ساكنة الفاء مفتوحة الدال، ودِفْآء بالكسر والمد، وزاد غيرُه دَفاءةً ودَفاءً.

---

(١) ورد بنحوه في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٩، عن الحسن، والطوسي ٦/ ٣٦١.

(٢) أي أنه نسق ﴿وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ﴾ على ﴿لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ﴾، ولو وقف على ﴿خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ﴾ لتعذر هذا العطف. وقد نقل الفخر الرازي ١٩/ ٢٢٧، والخازن ٣/ ١٠٦، قول صاحب النظم، وعزياه للواحدي -رحمه الله-.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٦، مختصراً، وورد بنصه في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٠٣ (دفأ)، وهذا يؤكد نقله من التهذيب لا المعاني، وانظر: (دفأ) في «مقاييس اللغة» ٢/ ٢٨٧، و«الصحاح» ١/ ٥٠، و«اللسان» ٣/ ١٣٩٣.

(٤) انظر: (دفأ) في «المحيط في اللغة» ٩/ ٣٦٩، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٢٨٧، و«الصحاح» ١/ ٥٠، و«اللسان»٣/ ١٣٩٣، و«عمدة الحفاظ» ٢/ ١٣.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (دفأ) ٣/ ١٢٠ بنصه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٢٧.

وروى الحرَّاني عن ابن السِّكِّيت: يقال: هذا رجل دَفْآنُ وامرأة دَفْأى، ويوم دَفِيءٌ وليلة دفيئةٌ، وكذلك بيت دَفِيء، وغرفة دَفيئةٌ، على فَعيل وفعيلة، وما كان الرجل دَفْآن، ولقد دَفِئَ، وما كان البيت دَفِئًا، ولقد دَفُؤَ[1]. الفَراء: دَفُؤَتْ ليلَتُنا ويومُنا دفأةً، ويقال: أدفأه فَدَفِئَ[2]، وإبل مُدْفِئة: كثيرة؛ لأن بعضَها يُدْفِئُ بعضًا بأنفاسها[3]، وإبل مُدْفأةٌ ومدفآت: كثيرات الأوبار[4]، قال الشماخ:

وكيفَ يضيعُ صاحِبُ مُدْفَآتٍ على أثْباجِهِنَّ مِنَ الصَّقِيعِ[5]

ونحو هذا قال عامة المفسرين في الدفء[6]، إلا ما روي عن ابن

---

(١) لم أجده في الإصلاح، وورد في «تهذيب اللغة» (دفأ) ٢/ ١٢٠٣، بنصه. وانظر: «اللسان» (دفأ) ٣/ ١٣٩٣.

(٢) لم أجده في معانيه.

(٣) ورد في «الإصلاح» ص٣٧٩، بنحوه، و«التهذيب» (دفأ) ٢/ ١٢٠٣، بنصه، وانظر: (دفأ) في «مقاييس اللغة» ٢/ ٢٨٧، و«اللسان» ٣/ ١٣٩٣.

(٤) وهو قول الأصمعي كما في «التهذيب» (دفأ) ٢/ ١٢٠٣، وقال نحوه ابن السِّكِّيت في «الإصلاح» ص٣٧٩، وانظر: (دفأ) في «المحيط في اللغة» ٩/ ٣٦٩، و«اللسان» ٣/ ١٣٩٣، و«التاج» ١/ ١٥٣.

(٥) «ديوان الشماخ» ص٢٢٠، وفيه: (مُدْفِئَات)، وورد في «إصلاح المنطق» ص٣٧٩، و«المعاني الكبير» ١/ ٤٢٩، و«جمهرة اللغة» ٣/ ١٣١٣، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٦٦، و«أمالي القالي» ١/ ١٠٦، و«تهذيب إصلاح المنطق» ص٧٨١، و«أساس البلاغة» ١/ ٢٧٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٦٩، و«اللسان» (دفأ) ٣/ ١٣٩٣، (ثبج) ١/ ٤٦٨، (ضيع) ٥/ ٢٦٢٥، و«التاج» (دفأ) ١/ ١٥٣. (أثباجهن) جمع ثبج؛ وهو الوسط، قال الأصمعي: ثبج كل شيء: وسطه. (الصقيع) البرد والنَّدى، ويقال: الجليد. والشاعر يمدح إبله أنها لن تهلك من البرد؛ لأن أوساطها مغطاة بوبر كثير يقيها البرد .

(٦) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠ب، والطبري ١٤/ ٧٨- ٧٩، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨، وهود الهواري ٢/ ٣٦٠، والثعلبي ٢/ ١٥٤أ، والماوردي ٣/ ١٧٨، والطوسي ٦/ ٣٦١.

عباس من طريق عكرمة، ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ﴾ قال: النسل[١]، وروى الأزهري عن ابن هاجك[٢] باسناده عن ابن عباس، ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ قال: نسل كل دابة[٣].

قال[٤] الأزهري: وهذا يوافق قول الأموي[٥]، روى أبوعبيد عنه: الدفء[٦] عند العرب: نتاج الإبل وألبانها والانتفاع بها[٧]، قال الفراء:

(١) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٥٤، و «تفسير الماوردي» ٣/ ١٧٩، وقد روي عن ابن عباس تفسيرها بتفسير العامة، أخرجه الطبري ١٤/ ٧٩ بعدة روايات، وانظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٢، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٠٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، ولذلك حمل النحاس تفسير ابن عباس: بالنسل، على المنافع لا الدفء، مع أن قوله التالي الذي رواه عنه ابن هاجك يؤكد تفسيره لـ﴿دِفْءٌ﴾ بالنسل.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه في التهذيب، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٣) بنصه، والطبري ١٤/ ٧٩، بنصه من طريق عكرمة جيدة، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٢٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٧٠، وانظر: «اللسان» (دفأ) ٣/ ١٣٩٣، و«عمدة الحفاظ» ٢/ ١٣، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٠٦، وزاد نسبته إلى الفريابي وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) (قال) ساقط من (ش)، (ع).

(٥) أبو محمد، عبد الله بن سعيد الأموي اللغوي، لقي العلماء، ودخل البادية، وأخذ عن فصحاء الأعراب، وأخذ عنه العلماء كأبي عبيد، وأكثروا في كتبهم، كان حافظاً للأخبار والشعر وأيام العرب، وكان ثقة في نقله، من كتبه: (النوادر)، (رحل البيت). انظر: «طبقات النحويين والبلاغيين» ص١٩٣، و«إنباه الرواة» ٢/ ١٢٠، و«البلغة» ص٣٠٩، و«البغية» ٢/ ٤٣.

(٦) في جميع النسخ: (الدفؤ)، والمثبت موافق لجميع المصادر.

(٧) لم أجده في غريبه، وورد في «تهذيب اللغة» (فاد) ٢/ ١٢٠٣، بنصه، وانظر: =

وكتبت دفء بغير همز؛ لأن الهمزة إذا سَكن ما قبلها حُذفت من الكتاب، وذلك لخفاء الهمزة إذا سُكِتَ[١] عليها، فلما سَكَنَ ما قبلها ولم يَقْدِروا على هَمْزِها في السَّكْت، كان سكوتهم كأنه على الفاء، وكذلك قوله: ﴿يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل: ٢٥] و﴿مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ﴾[٢] [آل عمران: ٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ يعني النسل والدّر والركوب، ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد من لحومها[٣].

٦- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ أي زينة، كما قال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، والمال ليس يخص الورِق والعين، وأكثر مال العرب الإبل، كما أن أكثر أموال أهل البصرة النخل.

وقوله تعالى: ﴿حِينَ تُرِيحُونَ﴾، الإراحة: ردُّ الإبل بالعَشي إلى مُراحِها حيث تأوِي إليه ليلًا[٤]، قال ابن عباس: يريد حِينَ خروج العرب أيام الربيع بالماشية إلى الخِصْب، يعني أن الإراحة أكثر ما تكون أيام

= (دفأ) في «مقاييس اللغة» ٢/ ٢٨٧، و«اللسان» ٣/ ١٣٩٣، و«عمدة الحفاظ» ٢/ ١٣.

(١) في جميع النسخ: (سكنت)، والصحيح المثبت، وهو موافق للمصدر وبه يستقيم الكلام.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٩٦، بنصه.

(٣) ورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠ب، والسمرقندي ٢/ ٢٢٨، والثعلبي ٢/ ١٥٤أ، والبغوي ٥/ ٩.

(٤) «تهذيب اللغة» (راح) ٢/ ١٣٠٩، بنصه، وهو قول الليث، وانظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ٨٠، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٥٥، و«تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٢٨، و«اللسان» (روح) ١/ ١٧٧٠.

الربيع إذا سقط الغيث، وكثر الكلأ، وخرجت العرب للنجعة، وتركت مياهها، وأحسنُ ما تكون النَّعم في ذلك الوقت[١]، ولذلك ستر رسولُ الله ﷺ وجَهه لمّا رأى نَعَمَ بني المصطلق وقد عَبِست في أبوالها، وذكرنا هذا في آخر سورة الحجر.

وقوله تعالى: ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ يقال: سَرَّح القومُ إبِلَهم سَرْحًا إذا أخرجوها بالغداة إلى المَرْعَى، واسم ذلك المال السَّرْحُ، وسَرَح المالُ نفسُه سُرُوحًا: رَعَى بالغَدَاة[٢].

٧- قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ جمع الثقل، وهو متاع المسافر وحَشَمُه، ﴿إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ﴾ قال ابن عباس: يريد من مكة إلى اليمن، وإلى الشام، وإلى مصر[٣]، هذا قوله، والمراد: كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل شق عليكم[٤]، وخص ابن عباس اليمن والشام؛ لأن متاجر أهل مكة كانت إلى هذه الوجوه، وليس قول من خص البلد بمكة بشيء[٥]؛ والشِّقُّ المَشَقَّةُ، والشِّقُّ: نصفُ الشيء، وكِلا المعنيين

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٢٨، والخازن ٣/ ١٠٧، أورداه بنصه غير منسوب، والظاهر أنهما نقلاه عن الواحدي.

(٢) «تهذيب اللغة» (سرح) ٢/ ١٦٦٥، بتصرف، وانظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ٨٠.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٢٨، مع زيادة المدينة، والخازن ٣/ ١٠٧، والألوسي ١٤/ ١٠٠، وورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٢٩، و«الشوكاني» ٣/ ٢١٢.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٠، بنحوه، عن عكرمة، وانظر: «تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٠، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٠.

(٥) وهو ابن عباس والربيع بن أنس وعكرمة، وقد أخرجه الطبري ١٤/ ٨٠ عن عكرمة، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٢٩، عن عكرمة، وابن عطية ٨/ ٣٧٣، =

في الشق سائغ في معنى الآية، ذكرهما الفراء؛ وقال أكثر القراء: على كسر الشين[١]، ومعناه إلا بِجَهْدِ الأنفس، وكأنه الاسم، وكأن الشَّقَّ فعلٌ، قال: ويجوز في قوله: ﴿إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِۚ﴾ أن يذهب إلى أن الجَهْدَ يُنْقِص من قوةِ الرجل ونَفَسِه حتى يجعله قد ذهب بالنصف من بدنه أو قوته، فيكون الكسر على أنه كالنصف، ويقال: المال بيني وبينكم بشَقِّ الشعر؛ وشِقِّ الشَعَر، وهما متقاربان، فإذا قالوا: شَقَقْتُ عليك شقًّا، نصبوا[٢].

وقال في «المصادر»: شققت عليه شقًّا، وشق الصبح، وشق بابه إذا طلع، شقوقًا منهما، وشققت الثوب شقًّا لا غير.

قال ابن شميل: شَقَّ عليَّ ذلك الأمر مشقة، أي: ثقل عليّ[٣]، فجاء من هذا أن الشَّق بالفتح مصدر شَقَّ عليه الأمر، أي: أثقله عليه، ومنه قوله ﷺ: «**لولا أن أَشُقَّ على أمتي**»[٤]؛ شَقَّ الأمْرُ عليه مَشَقَّةً، فهو واقع

= عنهم، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٠ عن عكرمة، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٧١، عن عكرمة، وأبي حيان ٥/ ٤٧٦، عنهم، و«تنوير المقباس» ص٢٨٢، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٠٦، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن المنذر عن ابن عباس، وصديق خان ٧/ ٢١٠، عن ابن عباس، والصحيح حمله على العموم؛ لعدم وجود مخصص، كما أشار الواحدي -رحمه الله-.

(١) قرأ أبو جعفر المدني وحده في العشر بفتح الشين. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ٨١، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه ص٧٦، و«المحتسَب» ٢/ ٧، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٣، و«إعراب القراءات الشاذة» ١/ ٧٥٦ ، و«النشر» ٢/ ٣٠٢.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٧، بتصرف يسير، وورد في «تهذيب اللغة» (شق) ٢/ ١٩٠٦، بنحوه.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (شق) ٢/ ١٩٠٦، بنصه.

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٠، ٢٨٧) بنصه عن أبي هريرة، والبخاري: كتاب: الجمعة، باب: السواك يوم الجمعة، ومسلم: كتاب: الطهارة، باب: السواك ١/ ٢٢٠، =

ومطاوع[(١)]، والشق: الاسم منه، وشَقَّ الشيءَ شقًّا، وشق بنفسه شُقوقًا.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يريد أنه مَنّ عليكم وتفضَّل بإنعامه بالنعم التي لكم فيها هذه المنافع والمرافق[(٢)].

٨- قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ قال الفراء: نُصبت ﴿وَزِينَةً﴾ على: وجعلها زينة، مثل قوله: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا﴾[(٣)] [فصلت: ١٢] المعنى: وحفظناها حفظًا، ولو لم يكن في (الزينة) ولا في ﴿وَحِفْظًا﴾ وَاوٌ لنصبتَها بالفعل الذي قبلها لا بالإضمار، ومثله: أعطيتك درهمًا ورغبة في الأجر، المعنى أعطيتكه[(٤)] رغبةً، فلو ألقيت الواو لم يحتج إلى ضمير؛ لأنه متصل بالفعل الذي قبله[(٥)]، وقال أبو إسحاق: نُصبت ﴿وَزِينَةً﴾ على أنها مفعول لها، المعنى: وخلقها للزينة[(٦)].

قال أصحابنا: والآية لا تدل على تحريم لحوم الخيل، وإن ذكرت

= وأبو داود (٤٦): كتاب: الطهارة، باب: السواك ١/ ١١، والترمذي (٢٢) كتاب: الطهارة، باب: ما جاء في السواك (١/ ٩)، والنسائي: الطهارة/ الرخصة في السواك بالعشي للصائم ١/ ٤، و«معجم الطبراني الكبير» ٥/ ٢٤٣، ٢٤٤، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١/ ٢٢١، وورد في تهذيب اللغة (شق) ٢/ ١٩٠٦.

(١) الوقوع في اصطلاح النحويين: التعدِّي، والمطاوعة: هو الفعل المتعدي الذي يصير لازماً إذا تحوَّل إلى صيغة " انفعل " مثل: كَسَرَ الولدُ الزجاج، تقول: انكسر الزجاج انظر: «المعجم المفصل في النحو العربي» ٢/ ١٠١٢، ١١٨٩.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٣١.

(٣) الآية التي أورد الفراء غير هذه، وهي: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ [الصافات: ٧].

(٤) في جميع النسخ: (أعطيتكه هو) بزيادة ضمير الفصل، وأدى إلى اضطراب المعنى، والتصويب من المصدر.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٧، بتصرف يسير.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٢، بنحوه.

البغال والحمير؛ لأن القصد بهذه الآية بيانُ إباحةِ الركوب وإظهار المنّة بأنْ خَلق لنا من الحيوان ما نقضي عليه حوائجنا ونتجمَّل به، وكيف تدل على تحريمها والسورة مكية؟ ولحوم الحُمُر الأهلية حُرِّمت عام خيبر[١]، فلو دَلَّت على تحريم لحم الخيل لَدَلَّت على تحريم لحم الحُمُر حتى[٢] تُحَرَّم عند نزولها، ولحوم الخيل حلال بالسنة والأخبار فيها كثيرة[٣].

(١) وقد وردت عدة أحايث في ذلك، منها: ما رواه علي بن أبي طالب ﷺ أن رسول الله ﷺ نهى عن المتعة عام خيبر وعن لحوم حُمُرِ الإنسيَّةِ . (أخرجه البخاري (٥٥٢٣) كتاب: الذبائح والصيد، باب: لحوم الحمر الإنسية (٥/ ٢١٠٢)، ومسلم (١٤٠٧) كتاب: الصيد والذبائح، تحريم أكل الحمر الإنسية، وعن ابن عمر ﷺ قال: نهى النبي ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر. رواه البخاري (٥٥٢١)، ومسلم (٥٦١).

(٢) هكذا في جميع النسخ، والعبارة مضطربة، فلعل (حين) تصحفت إلى (حتى)، وبها يستقيم السياق.

(٣) وهو مذهب الشافعية والحنابلة، وقد استدلوا على إباحته بما رواه الشيخان عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: نهى النبيُّ ﷺ يوم خيبر عن لحوم الحمر، ورخص في لحوم الخيل، وفي رواية مسلم: وأذن في لحوم الخيل. (أخرجه البخاري (٥٥٢٠، ٥٥٢٤) : الذبائح، باب: لحوم الخيل، ومسلم (١٩٤١): الصيد والذبائح، باب: في أكل لحوم الخيل، واستدلوا أيضاً بما روته أسماء ﷺ قالت: نحرنا فرساً على عهد رسول الله ﷺ فأكلناه. (أخرجه البخاري (٥٥٢٠، ٥٥١٩) كتاب: الذبائح والصيد، النحر والذبح (١٩٤٢)، ومسلم (١٩٤٢): الصيد والذبائح، في أكل لحوم الخيل (٣/ ١٥٤١)، والمشهور عن الحنفية والمالكية تحريمه، وروي عنهما الكراهة، والقول بالإباحة هو الراجح؛ لصحة أدلته وصراحة دلالتها، ومع أن الشرع يُجوِّز أكله فإن أكله غير مشهور في بلاد المسلمين اليوم، ولعل سبب ذلك استخدامه في المعارك العسكرية في الأجيال السابقة، لذلك لم يألف الناس أكله ولا بيعه ولا تسويقه لذلك الغرض.

انظر: «بداية المجتهد» ١/ ٤٦٩، و«شرح الزرقاني» (٣/ ٩١، و«حاشية الرهوني=

وقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال: لم يسمه فالله أعلم[١]. وروى عطاء عنه، ومقاتل عن الضحاك عنه، قال: يريد أنّ عن يمين العرش نهرًا من نور؛ مثل السموات السبع والأرضين السبع والبحار السبع يدخل جبريل فيه كل سحر فيغتسل فيزاد نورًا إلى نوره وجمالًا إلى جماله، وعِظَمًا إلى عِظَمِه، ثم ينتفض فيخلق الله من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا ألف ملك، يدخل منهم كل يوم سبعون ألفًا البيت المعمور، وفي الكعبة سبعون ألفًا، لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة[٢].

= على عبد الباقي ٣/ ٣٩، و«المبسوط» ١١/ ٢٣٣، و«حاشية ابن عابدين» ٦/ ٣٠٥، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٧٦، و«المجموع» ٩/ ٤، و«المغني والشرح الكبير» ١١/ ٦٩، و«فتح الباري» ٩/ ٥٦٦، و«أضواء البيان» ٢/ ٢٥٤، و«أحكام الأطعمة في الشريعة الإسلامية» ص١٢٦.

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٢، بنحوه.

(٢) ليس في تفسير مقاتل، وأخرجه أبو الشيخ في العظمة ص١٥٤، بنحوه من طريقين؛ مرفوعاً إلى النبي ﷺ من رواية أبي سعيد، وموقوفاً على وهب بن منبه، لكن ليس في الروايتين أنه تفسير لقوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤ب، بنصه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٣١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٨٠، وأبي السعود ٥/ ٩٨، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٠٢، وورد غير منسوب في: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٣٢ مختصراً.
وعلى هذا التفسير مأخذان؛ الأول: أنه حدد وخصص ما أبهم الله خلقه بأمور بعيدة عن سياق الآية. الثاني: أن الحديث الوارد موضوع، فقد أورده السيوطي في «اللالئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» ١/ ٨٤، عن أبي هريرة مرفوعاً. وأغلب الظن أن الأثر من الإسرائيليات، يؤكده أنه ورد عن أحد مصادر الإسرائيليات، وبذلك جزم محقق كتاب «العظمة» ص١٥٤، رقم (٣)، وقد أورده ابن الجوزي بنحوه في كتاب «الموضوعات» ١/ ٢١٨.

وقال آخرون: يعني مما أعد في الجنة لأهلها وما أعد في النار لأهلها(١).

وقال السدي وقتادة: يعني السوس في الثياب، والدود في الفواكه(٢).

٩- قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ القصد: استقامة الطريق، يقال: طريق قصد وقاصد إذا أداك إلى مطلوبك، وقصد بك ما تريد(٣)، واختلفوا في معنى هذه الآية، فأكثر المفسرين على أن المعنى: وعلى الله بيان قصد السبيل بالكتب والرسل والحجج(٤)، وهو قول جابر وقتادة

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ٨٣، والبغوي ٥/ ١١، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٢، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٨٠، والخازن ٣/ ١٠٨، وأبي حيان ٥/ ٤٧٧.

(٢) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٥٧، عن السدي، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤ب، بنصه عن قتادة، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٨٠، وعنهما في الخازن ٣/ ١٠٨، عن قتادة، وأبي حيان ٥/ ٤٧٧، وهو قول غريب وتخصيص عجيب دون داعٍ أو مناسبة، وهذا التفسير لا يليق بهذا المكان؛ لأن السياق في النعم والمنن، وحتى تخصيصه بما أُعد في الجنة غير مناسب للسياق؛ فالحديث في معرض الامتنان على العباد مؤمنهم وكافرهم بالمركوبات، لذلك فالإطلاق أولى من كل هذه التخصيصات البعيدة عن السياق، وإن لزم الأمر إلى تخصيص، فينبغي أن يكون التخصيص بجنس الممتن به؛ لقوة القرينة، فيكون المقصود بـ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، أي: من جنس المركوبات، ويؤيد هذا التخصيص ما ألهم الله البشر من اختراع وسائل النقل المتعددة-لم تكن موجودة بل ولا متصورة يومئذٍ، كالسيارات والقطارات والطائرات والمركبات الفضائية، وقد أشار إلى ذلك جماعة من العلماء المعاصرين. انظر: «تفسير سيد قطب» ٤/ ٢١٦١، و«الطاهر بن عاشور» ١٤/ ١١١، و«الشنقيطي» ٣/ ٢١٨.

(٣) انظر: (قصد) في «المحيط في اللغة» ٥/ ٢٥٦، و«المفردات» ص٦٧٢، و«اللسان» ٣٦٤٢.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠ب، والطبري ١٤/ ٨٤، والسمرقندي ٢/ ٢٢٩، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨١، والبغوي ٥/ ١١، وابن عطية ٨/ ٣٧٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٨١، والخازن ٣/ ١٠٨، وأبي السعود ٥/ ٩٨.

والسدي[١]، ورُوي ذلك عن ابن عباس[٢] واختاره الفراء[٣] والزجاج[٤]، وعلى هذا: الآية من باب حذف المضاف؛ لأن التقدير: وعلى الله بيان قصد السبيل، ثم قال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾، أي: عادل مائل، ومعنى الجور في اللغة: الميل عن الحق[٥]، والكناية في منها تعود على السبيل، وهي مؤنثة في لغة الحجاز، يعني: ومن السبيل ما هو جائر غير قاصد للحق[٦]. قال الكلبي: يعني اليهودية والنصرانية والمجوسية[٧]. وقال ابن المبارك: يعني الأهواء والبدع[٨].

روى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية، قال: من أراد أن يهديه سهل له طريق الإيمان، ومن أراد أن يُضلّه وعَّر عليه طريق الإيمان[٩]، يعني

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٤ بمعناه عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٠٩، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة بمعناه، ولم أقف عليه عن جابر والسدي.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٥ بمعناه، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، ومن طريق العوفي غير مرضية، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٦٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٧، بمعناه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٢، بمعناه.

(٥) انظر: (جور) في «المحيط في اللغة» ٧/ ١٧٢، و«مجمل اللغة» ١/ ٢٠٢، و«الصحاح» ٢/ ٩١٧، و«اللسان» ٢/ ٧٧٢.

(٦) نقله الفخر الرازي بنصه، ونسبه للواحدي ١٩/ ٢٣١.

(٧) روي عن ابن عباس في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٢٠، و«تنوير المقباس» ص٢٨٣، وورد غير منسوب في: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤، دون ذكر المجوسية، والبغوي ٥/ ١١، وابن عطية ٨/ ٣٧٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٨١، والخازن ٣/ ١٠٨.

(٨) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٤ب، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١١، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٣، والخازن ٣/ ١٠٨.

(٩) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٨٢، بنصه.

المنافق والكافر؛ شَدُدَ عليه الغُسْلُ من الجنابة والوُضوءُ للصلاة، ويَثْقُلُ عليه صيام شهر رمضان من اثني عشر شهرًا، ثم بين أن المشيئة إليه، فقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾، يريد: فلو شاء لأرشدكم أجمعين حتى لا يختلف عليك يامحمد أحد، هذا كلامه، والذي ذكرنا في هذه الآية هي طريقة المفسرين. وفي الآية وجه آخر، وهو أن المعنى: أن قصد السبيل الذي هو الحنفية والإسلام على الله؛ أن يؤدي إلى رضا الله وثوابه وجزائه[1]؛ كقوله: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر: ٤١]، أي: أنه يؤدي إلى جزائي وكرامتي، فهو طريق عليّ، وهذا مذهب مجاهد، قال: على الله طريق الحق[2]، وبه قال عبدالله بن المبارك[3]، وهو أقوى القولين؛ لأنه صح من غير إضمار ولا شبهة للقدرية[4]؛ لأنهم يقولون على التفسير الأول: أضاف قصد السبيل إليه.

ثم قال: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾ وهو ضده، فلم يضف إلى نفسه[5]،

---

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٣٧٦.

(٢) تقدم توثيق قوله.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) القدرية هم نفاة القدر؛ يزعمون أن الأمر أنف، كان أول ظهورهم في نهاية جيل الصحابة، عندما ظهر معبد الجهني، وقد تبرأ منهم ابن عمر ﷺ، وخلف الجهمية في هذه البدعة المعتزلة، وأصّلوها، وجعلوها من أصولهم الخمسة. انظر: «الفرق بين الفرق» ص١١٤، و«الفصل في الملل والأهواء» ٣/ ٨٢، و«الملل والنحل» ١/ ٤٣، و«الاستقامة» ١/ ١٧٩، و«التعريفات» ص١٧٤.

(٥) هذه إشارة إلى مذهبهم الفاسد في إخراج أفعال العباد عن قدرة الله وخلقه، والمذهب الحق في هذه القضية هو مذهب أهل السنة والجماعة، وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره، فقال: وأما جمهور أهل السنة، فيقولون: إن =

وجوابهم عن هذا أن الجائر أيضًا منه، وإن لم يضف إلى نفسه، ولكنه ذكر ذلك على الإطلاق[١]، وابن عباس قد بَيَّنَ ذلك كما حكينا، ولا شبهة لهم في الآية على القول الثاني.

١٠- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾، قال أهل اللغة: الشجر أصناف، فأما جِلُّ الشجر فعظامه التي تبقى على الشتاء، وأما دِقُّ الشجر فصنفان: أحدهما يبقى له أُرُومَةٌ[٢] في الشتاء ويَنْبت في الربيع، ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء؛ كالبقول[٣]، وقال أبو إسحاق: كلُ ما يَنْبُت على الأرض فهو شجر:

= فعل العبد فعل له حقيقة، ولكنه مخلوق لله ومفعول لله؛ لا يقولون: هو نفس فعل الله، ويفرقون بين الخلق والمخلوق، والفعل والمفعول. «منهاج السنة النبوية» ٢/ ٢٩٨.

(١) لذلك فإن من كمال الأدب أن لا ينسب إلى الله إلا الخير، وأما الشر فإما أن يذكر مطلقاً غير منسوب إليه، وإما أن ينسب إلى السبب الظاهر، ومن أمثلته في القرآن: ما ورد على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٧٨-٨٠]، وقال على لسان الخضر: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف: ٦٣]؛ في حين نسب الخير إليه في قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ﴾ [الكهف: ٨٢]، وقال على لسان الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]، ومن هنا قال رسول الله ﷺ «**والخير كله بيديك، والشر ليس إليك**» [مسلم (٧٧١) كتاب: المسافرين، الدعاء في صلاة الليل].

(٢) الأُرُومَةُ: أصلُ كلِّ شجرة، والجميعُ الأُرُومُ والأُرُومَات، وأَرَمْتُ الشيءَ: ذهبتُ بأُرُومَته وقَلَعْتُه. انظر: «المحيط في اللغة» (أرم) ١٠/ ٢٩٠.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (شجر) ٢/ ١٨٣٠، بنحوه، وانظر: (شجر) في: «جمهرة اللغة» ١/ ٤٥٨، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٢٤٦، و«اللسان» ٤/ ٢١٩٨.

نُطْعِمُها[1] اللحم إذا عَزَّ الشَّجَرْ[2]

ويعني أنهم يُسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض[3]، وقال ابن قتيبة في هذه الآية: يعني الكلأ[4]، ومعنى الآية: أنه ينبت بالماء الذي أنزل من السماء ما يرعاه الراعيةُ من ورق الشجر وجلّها؛ لأن الإبل يرعى جِلَّ الشجر. قال ابن السِّكِّيت: يقال: شاجرَ المالُ، إذا رعى العُشبَ والبَقْلَ فلم يَبْق منها شيء، فصار إلى الشجر يَرْعاه[5].

وقوله تعالى: ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾، أي: في الشجر تَرْعَون مواشيكم، يقال: أَسِمْت الماشية إذا خليتها ترعى، وسَامَت هي تَسُومُ سَوْمًا إذا رَعَتْ حيثُ شاءت، فهي سَوَامٌ وسَائِمَةٌ[6]، قال الزجاج: أُخِذَ ذلك من السّومة؛

---

(١) في جميع النسخ: (يعظمها) ولا معنى لها، والصحيح أنها تصحيف من (نطعمها) كما في بعض المصادر.

(٢) البيت للنمر بن تَوْلَب [مخضرم (ت١٤هـ)]. وعجزه:

والخَيْلُ في إطْعامِها اللَّحْمَ ضَرَرْ

«ديوانه» ص٣٥٥، وفيه (عَسَرْ) بدل (ضَررْ)، وورد في «الشعر والشعراء» ص١٩١ (الشحم) بدل (اللحم) الأولى، و«الأغاني» ٢٢/ ٢٧٩، و«اللسان» (هشش) ٨/ ٤٦٦٧، وورد غير منسوب في «تهذيب اللغة» (لحم) ٤/ ٣٢٤٨، و«اللسان» (علف) ٥/ ٣٠٧٠، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٠٥، في الأخيرين برواية: (نعلفها) بدل (نطعمها)، وورد صدره في «تفسير الرازي» ١٩/ ٢٣٣، والخازن ٣/ ١٠٨، وأبي حيان ٥/ ٤٧٨، وسمى اللبن لحماً؛ لأنها تسمن على اللبن.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٢، بنحوه.

(٤) «الغريب» لابن قتيبة ص٢٤٣، بلفظه.

(٥) «إصلاح المنطق» ص٣٠٩، بنصه، وانظر: (شجر) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٨٣١ بنصه، و«الصحاح» ٢/ ٦٩٤، بنصه.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (سام) ٢/ ١٦٠٢، بنحوه، وانظر: (سوم) في «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٦٢، و«المحيط في اللغة» ٨/ ٤٠٣، و«الصحاح» ٥/ ١٩٥٥ .

وهي العلامة، وتأويلها أنها تُؤثِّر في الأرض برَعْيِها علامات[١]، وقال غيره: لأنها تُعَلَّمُ الإرسالَ[٢] في المرعى[٣].

١١- قوله تعالى: ﴿يُنۢبِتُ لَكُم﴾ قراءة العامة بالتاء[٤]، وقرأ أبوبكر عن عاصم بالنون[٥] والياء أشكل لما تقدم من الإفراد[٦]، والنون لا يمتنع أيضًا، ويقال: نبت[٧] البقل (وأنبته الله، وقد روي: أنبت البقل)[٨]، والأصمعي يأبى إلا نبت، ويزعم أن قصيدة زهير التي فيها:

حتى إذا أنبت البَقْلُ[٩]

متّهمة[١٠].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٢، بنصه.

(٢) في «تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٣٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٨٢ (للإرسال)، وهو قريب من الأول.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٩/ ٢٣٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٨٢.

(٤) انظر: «السبعة» ص٣٧٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٠١، و«الحجة للقراء» ٥/ ٥٤، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٣٤.

(٥) أي: (نُنْبِتُ)، انظر: المصادر السابقة.

(٦) وقد رجحه الأزهري فقال: والياء أجودهما، وقال ابن خالويه: فالحجة لمن قرأه بالياء: أنه أخبر به عن الله ﷻ لتقدم اسمه أول الكلام، والحجة لمن قرأه بالنون: أنه جعله من إخبار الله ﷻ عن نفسه بنون الملكوت. انظر: «علل القراءات» ١/ ٣٠١، و«الحجة في القراءات» ص٢٠٩، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٣٤.

(٧) في (ش)، (ع): (أنبت)، والصحيح المثبت ليستقيم السياق، وهو موافق للمصدر.

(٨) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٩) البيت كما في الديوان ص٤١:

رأيتُ ذَوِي الحاجاتِ حولَ بُيوتِهم قطيناً لهم حتى إذا أنبت البقْلُ

أي: نبت.

(١٠) ورد في «تهذيب اللغة» (نبت) ٤/ ٣٤٩١، بمعناه، و«الحجة للقراء» ٥/ ٥٤، بنصه.

وقوله تعالى: ﴿ٱلزَّرۡعَ﴾ قال ابن عباس: يريد الحبوب[1]، ﴿وَٱلزَّيۡتُونَ﴾ جمع زيتونة، يقال: الشجرة نفسُها زيتونة، ولثمرها زيتونة، والجميع الزيتون، ﴿وَٱلنَّخِيلَ﴾ يقال: نخلة ونخل ونخيل.

وقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، أي: وينبت من كل الثمرات، فحُذف لأن ما سبق يدل عليه.

١٢- قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾، قراءة العامة بالنصب في هذه المنسوقات كلها[2]، وهو الوجه لاستقامتها في المعنى، وإذا استقامت في معنى واحد استقامت في إعراب واحد، وقد جاء التسخير في الشمس والقمر والنجوم، وهو قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، فكما حملت على التسخير في هاتين كذلك وجب أن يحمل على التسخير في هذه السورة.

وقوله تعالى: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ حال مؤكدة؛ لأن تسخيرها قد عُرف بقوله: ﴿وَسَخَّرَ﴾ فجاءت الحال مؤكدة، ومجيء الحال مؤكدة في التنزيل وغيره كثير؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا﴾ [البقرة: ٩١]. و:

أنا ابنُ دارة معروفًا[3]

---

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٣٣، والخازن ٣/ ١٠٨، بلا نسبة.

(٢) انظر: «السبعة» ص٣٧٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٢، و«الحجة للقراء» ٥/ ٥٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٣، و«التيسير» ص١٣٧.

(٣) جزء من بيت لسالم بن دارة (مخضرم)، وتمامه:

أنا ابن دارة معروفا بها نَسَبي ... وهل بدارة يا للناس من عارِ

وهو من شواهد سيبويه ٢/ ٧٩، وورد في «الخصائص» ٣/ ٦٠، و«أمالي ابن الشجري»، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٣٨٢، و«الخزانة» ٢/ ١٤٥، ٣/ ٢٦٦، =

و:

كَفَى بالنأيِ من أسماءَ كافٍ[1]

وقرأ ابنُ عامر: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ رفعًا[2]؛ كأنه قطعها عن سخر لئلا يجعل الحال مؤكدة، فابتدأ الشمس والقمر والنجوم، وجعل مسخرات خبرًا عنها؛ لأنه لا يقال: ذللت هذا الشيء مُذللا، ووهبت لك هذا موهوبًا، إلا في التأكيد النادر، وروى حفص عن عاصم: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ بالرفع وحدها[3]؛ ووجه ذلك أنه لم يجعلها حالًا مؤكدة، وجعلها خبر ابتداء محذوف؛ كأنه قال بَعدُ: هي مسخراتٌ، فحذف المبتدأ وأضمر لدلالة الخبر عليه، وقد عُلم التسخير بما تقدم، وكون ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾ حالًا مؤكدة أسوغ من كونها خبرَ مبتدأ محذوف؛ لأن الخبر ينبغي أن يكون

= و«دارة»: أمُّه، سميت بذلك لجمالها، تشبيها بدارة القمر.
والشاهد: قوله (معروفًا) حال مؤكِّدة لمضمون الجملة قبلها: (أنا ابن دارةَ).

(١) البيت لبشر بن أبي خازم الأسدي (جاهلي)، وعجزه:

وليس لِحبِّها ما عشتُ شافِ

«ديوانه» ١٤٢، وفيه: (إذا طال شافي) بدل (ما عشت شافي)، وورد في «أمالي ابن الشجري» ١/ ٢٨٢، ٤٣٢، و«الخزانة» ٤/ ٤٣٩، ١٠/ ٤٧٧ (عجز)، وورد غير منسوب في «الكامل» ٢/ ٩١٠، و«المقتضب» ٤/ ٢٢، و«الخصائص» ٢/ ٢٦٨ (صدر)، و«المنصف» ٢/ ١١٥، و«الموضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٣٢ (صدر)، و«شرح المفصل» ٦/ ٥٠، ١٠/ ١٠٣ . (النأي) البعد، (أسماء) امرأة؛ يريد كفى النأي من أسماء كفايةً.
والشاهد قوله: (كافٍ) على أنه حال مؤكدة؛ لأنه إذا كفى فهو كافٍ لا محالة.

(٢) انظر: «السبعة» ص٣٧٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٠١، و«الحجة للقراء» ٥/ ٥٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٣، و«التيسير» ص١٣٧.

(٣) انظر: المراجع السابقة.

مفيدًا، لم يجئ إلا كذلك، والحالُ تجيء مؤكِدة[١]؛ ألا ترى إلى قوله:

إذا كـان يـومٌ ذو كَـواكِـبَ أَشْـنَـعَـا[٢]

حمله على الحال ولم يحمله على الخبر[٣].

١٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ أي لأجلكم، وهو عطف على ما قبله من المسخرات.

وقوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُۥٓ﴾ أي هيأته ومناظره، يعني الدواب والأشجار وغيرها، ونصب مختلفًا على الحال، وذو الحال: ﴿وَمَآ﴾ العامل فيها قوله: ﴿سَخَّرَ﴾.

---

(١) نقل القراءات في الآية وتوجيهها من «الحجة للقراء» ٥/ ٥٥، بتصرف، وانظر: كذلك التوجيه النحوي للقراءات في: «علل القراءات» ١/ ٣٠٢، و«الحجة في القراءات» ص٢٠٩، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٣٥، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٣٢.

(٢) البيت لعمرو بن شَأْس مخضرم (توفي نحو سنة٢٠هـ.) وصدره:

بَـنِـي أسـدٍ هـلْ تـعـلـمـونَ بـلاءَنـا

«شعر عمرو بن شأس» ص٣٦، وورد في «الكتاب» ١/ ٤٧، و«الحجة للقراء» ١/ ١٤٨، و«الأزهية» ص١٨٦، و«الخزانة» ٨/ ٥٢١، ويروى (يوماً ذا كواكب)، أراد إذا كان اليوم يوماً، وأضمر لِعلم المخاطب، ومعناه: إذا كان اليومُ الذي يقع فيه القتال، و(كان) في الوجهين بمعنى وقع. (الشناعة) الفظاعة، والتشنيع: التشمير، وشنَّعَ النجم: ارتفع في السماء، والشاعر يصف حرباً وشدةً، والعرب تقول لليوم الذي تلقى فيه شِدَّة: يومٌ مظلمٌ، حتى إنهم ليقولون: يومٌ ذو كواكب؛ أي اشتدّت ظُلْمته حتى صار كالليل. انظر: (شنع) في: «المحيط في اللغة» ١/ ٢٨٨، و«الصحاح» ٣/ ١٢٣٩، و«اللسان» ٤/ ٢٣٣٩.

(٣) قال أبو علي: فجعل أي سيبويه (أشنعا) حالاً ولم يجعله خبراً؛ لأن فيما تقدم من صفة الاسم ما يدل على الخبر، فيصير الخبر لا يفيد زيادة معنى. «الحجة للقراء» ١/ ١٤٨.

١٤- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ﴾ أي ذَلَّله للركوب والغوص، ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ قال ابن الأعرابي: لحم طري غير مهموز، وقد طرو طرواة.

وقال الفراء في «المصادر»: ماكان طريًّا، ولقد طري يطرى طراءً ممدود وطراوةً، كما يقال: شقي يشقى شقاءً وشقاوةً، قال ابن عباس: يريد السمك والحيتان[١]، ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ قال: يريد الدر واللؤلؤ والمرجان والزبرجد والياقوت، وربما وجدوا فيه الذهب.

قال أبو علي: الحِلْيَة والحُلِي واحد، كما يقال: بِرْكَة للمصدر وبِرَك[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ يجوز أن يكون هذا فصلًا مبتدأً غير معطوف على ما قبله، ويجوز أن يكون معطوفًا على ماقبله.

واختلف ألفاظ المفسرين في تفسير الماخر؛ فروى ابن عباس أنه قال: جواري[٣]، وقال في رواية عطاء: يريد ملججين فيه، وأهل البحر يقولون: مَخَرْنا، يريد لججنا؛ إذا انقطع البر عنهم فلم يروه، وقال قتادة ومقاتل: مقبلة ومدبرة[٤].

---

(١) ورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠ب، والسمرقندي ٢/ ٢٣٠، والثعلبي ٢/ ١٥٥أ، والبغوي ٣/ ٦٤.

(٢) لم أقف على مصدره، وانظر: «اللسان» (حلا) ٢/ ٩٨٥، بنحوه منسوباً إليه.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥أ، بلفظه، وورد غير منسوب في البغوي ٣/ ٦٤.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٤ بلفظه عن قتادة، والطبري ١٤/ ٨٩ بلفظه عن قتادة من طريقين، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥أ. بلفظه عنهما، والماوردي ٣/ ١٨٢، عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢، عن قتادة.

قال الكلبي: يذهب ويجيء[١].

وقال الحسن: مواقر[٢].

وقال أبوعبيدة: صوائح[٣]، ونحو هذا قال الفراء[٤]، وكل هذا معان وليس بتفسير، وتفسير المواخر ما ذكره أهل اللغة.

قال المنذري: سمعت أحمد بن يحيى يقول وسئل عن المواخر، فقال: الماخرةُ السفينةُ التي تَمْخَرُ الماءَ؛ تدفعه وتدفع الموج بصدرها[٥]، قال: وأنشدني الحرَّانيُّ عن ابن السكيت أنه أنشده للراجز في صفة نساء ضرائر:

وصـارَ أمـثـالَ الـفـغـا ضـرائـري   مُـقَـدِّمـاتٍ أَيْـدِيَ الـمَـواخِـرِ[٦]

قال: الماخِرُ: الذي يَشقُّ الماءَ إذا سَبحَ، يصف نساءً تَصْخَبْنَ وتَسْتعِنَّ بأيديهن كأنهن سوابح[٧]، والفغا: ضرب من التمر غليظ[٨]،

---

(١) ورد بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣١، وابن عطية ٨/ ٣٨٦، وورد منسوباً للضحاك في: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٥٩.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ٨٨ بلفظه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥أ، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٢.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٣٥٧ بمعناه، قال: من مخرت الماء، شقَّته بجآجِئها.

(٤) قال: واحدها ماخرة؛ وهو صوت جري الفلك بالرياح. «معاني القرآن» ٢/ ٩٨.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (مخر) ٤/ ٣٣٥٦، بنصه.

(٦) نُسب لابن السِّكِّيت في التهذيب واللسان. ورد في «التهذيب» (مخر) ٤/ ٣٣٥٦ برواية:

يـافِـيَّ مـالِـي عَـلِـقَـتْ ضَـرَائـري   مـقـدمـاتٍ أيـديَ الـمـواخِـرِ

وورد صدره في (فغا) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٠٩، و«اللسان» ٦/ ٣٤٤٢، وورد عجزه في «مقاييس اللغة» ٥/ ٣٠٣، و«مجمل اللغة» ٢/ ٨٢٥، بلا نسبة فيهما، و«اللسان» (مخر) ٧/ ٤١٥٢.

(٧) ورد في «تهذيب اللغة» (مخر) ٤/ ٣٣٥٦، بنحوه.

(٨) وهو قول الليث، ورد في «تهذيب اللغة» (فغا) ٣/ ٣٨٠٩، وقد خطأه الأزهري، =

يقال: ما الذي أفغاك، أي: أغضبك وورّمك.

وقال أبوالهيثم: مَخْرُ السفينةِ: شَقُّها الماءَ بصدرها[١].

وقال الفراء: يقال: مَخَرَتْ تَمْخُرُ وتَمْخَرُ[٢] مَخرًا ومخُورًا.

قال الأزهري: والقول في تفسير المواخر ما قاله ثعلب وأبو الهيثم؛ أنها تشق الماء شقًّا[٣]، وسمعت أعرابيًا يقول: مَخَرَ الذئبُ شاةً، أي شقَّ بطنَها[٤]، وأصل المخر الشق، ومنه الحديث: «إذا أراد أحدكم الخلا فليتمخر الريح»[٥]. قال أبو عبيد: يعني أن ينظر مجراها فلا يستقبلها[٦]، فأما ماذكره المفسرون فإنه يصح في المعنى؛ لأنها لا تشق الماءَ إلا إذا كانت جارية موقرة ويسمع لجريها وشقها الماءَ صوتٌ، وهي تشق الماء مقبلةً ومدبرةً، وذاهبةً وجائيةً.

وقوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني لتركبوا للتجارة فتطلبوا

= فقال: هذا خطأ، والفغا: داءٌ يقع على البُسر مثل الغُبار، ويقال: ما الذي أفغاك، أي أغضبك وأورمك، وقال أبو عبيد: إذا غَلُظت التمرةُ وصار فيها مثل أجنحة الجراد فذلك الفغا مقصور، وقد أفغت النَّخلة.

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (مخر) ٤/ ٣٣٥٦، بنصه.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٨، بنصه، وهو في «تهذيب اللغة» بنصه.

(٣) «تهذيب اللغة» (مخر) ٤/ ٣٣٥٦، وعبارته: قلت: والمخْرُ أصله الشَّقُّ.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» بنحوه.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة»، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥أ، برواية: (البول) بدل (الخلاء)، وأورده الطبري بهذه الرواية ونسبه لواصل مولى ابن عيينة ١٤/ ٨٩، وورد في «تفسير البغوي» ٥/ ١٣، وفي «النهاية» برواية: (إذا بال أحدكم فليتمخر الريح) ٤/ ٣٠٥، وورد بمعناه في «المجروحين» لابن حبان ٣/ ١٠٨، قال: (إذا أراد أحدكم الخلاء فلا يستقبل الريح).

(٦) «الغريب» لأبي عبيد ١/ ٣١٢ بنصه، وانظر: «تهذيب اللغة» (مخر) ٤/ ٣٣٥٦، بنصه.

الربح من فضل الله.

١٥- قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ يريد جبالًا ثابتة، ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ يعني لئلا تميد على قول الكوفيين، وكراهة أن تميد على قول البصريين، وذكرنا هذا عند قوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]، والميد: الحركة والاضطراب يمينًا وشمالًا، ماد يميد ميدًا[١]، قال ابن عباس: يريد أُوَتِّدُها بالجبال لئلا تميد بأهلها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ قال يريد: النِّيل[٢] والفُرات ودِجلة[٣] وسَيْحَان[٤]وجَيْحَان[٥]، ونصب: ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ بتقدير: وجعل، ودَلَّ: ألقى

---

(١) انظر: (ميد) في «جمهرة اللغة» ٢/ ٦٨٥، و«المحيط في اللغة» ٩/ ٣٨٣، و«مجمل اللغة» ٢/ ٨٢٠، و«عمدة الحفاظ» ٤/ ١٥٠.

(٢) النِّيل: بكسر أوله، نهر مشهور بأفريقيا وبمصر خاصة، يعد ثاني أنهار العالم طولاً، يبلغ طوله (٦٥٠٠) كلم، ينبع من بحيرتي فكتوريه وثانا ويصب في المتوسط، ويمر بعدة دول، هي: كينيا وأوغنده وأثيوبيا والسودان ومصر، ويتفرع في عدة جداول فيها. انظر: «الروض المعطار» ص٥٨٦، و«معجم البلدان» ٥/ ٣٣٤، و«أطلس العالم الصحيح» ص١٢١.

(٣) دجِلة والفُرات: من الأنهر المشهورة، ينبعان من هضبة أرمينية، ويمران بعدة دول، هي: أرمينية وتركية والعراق وسورية، ويجتمعان في شط العرب جنوب العراق ويصبان في الخليج العربي. انظر: «الروض المعطار» ص٤٣٩، و«معجم البلدان» ٤/ ٢٤١، و«أطلس تاريخ الإسلام» ص١١٤، و«أطلس العالم الصحيح» ص٦٨.

(٤) سَيْحان: نهر كبير بالثغور من نواحي المصيصة [منطقة جنوب تركيا]، وهو نهر أذنة [أضنة] بين أنطاكية والروم [تركيا]، يمر بأذنة ثم ينفصل عنها نحو ستة أميال فيصب في بحر الروم [البحر المتوسط] وهو غير سيحون، وذكر صاحب الروض المعطار أنه واحد. انظر: «الروض المعطار» ص٣٣٣، و«معجم البلدان» ٣/ ٢٩٣، و«أطلس تاريخ الإسلام» ص١٤٢، و«أطلس العالم» ص٣٩.

(٥) جَيْحَان: نهر عظيم بالمصيصة بالثغر الشامي [جنوب تركيا]، ومخرجه من بلاد =

عليه، قال أبو اسحاق: لأن معنى ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾: جعل فيها رواسي، يدل عليه قوله: ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[1][النبأ: ٧].

وقوله تعالى: ﴿وَسُبُلًا﴾ قال ابن عباس: يريد طُرقًا إلى كل بلاد[2]، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: لكي تهتدوا إلى مقاصدكم من البلاد فلا تضلون.

١٦- قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ منسوقة[3] على ما قبلها، والعلامة صورة يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشارة أو هيئة، وأصلها مشتق من العلم، واختلفوا في معناها؛ فقال الكلبي والقرظي: يعني الجبال[4]، وهي علامات للطرق بالنهار كالنجوم بالليل، وعلى هذا تَمَّ الكلام هاهنا، وبقية الآية ابتداء مع خبره، وهذا قول الأخفش[5]، وقال ابن عباس في رواية

= الروم، ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكَفَرْ بَيّا بإزاء المصيصة [الإسكندرونة]، ويخرج إلى البحر الرومي [البحر المتوسط]. انظر: «الروض المعطار» ص١٨٥، و«معجم البلدان» ٢/ ١٩٦، و«أطلس تاريخ الإسلام» ص١٤٢، و«أطلس العالم» ص٣٩.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٣، بنصه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٣، بنحوه.

(٣) في جميع النسخ: (منسوخة) بالخاء، والصواب المثبت؛ لانسجام المعنى، فالكلام هنا عن العطف لا النسخ.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٤) بلفظه عن الكلبي، والطبري ١٤/ ٩٢ بلفظه عن الكلبي، والسمرقندي ٢/ ٢٣١، بلفظه عن الكلبي، والثعلبي ٢/ ١٥٥ب، بلفظه عنهما، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٣، عنهما، وابن عطية ٨/ ٣٨٩، عن الكلبي، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٦، عن الكلبي، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٩١، عن الكلبي، والخازن ٣/ ١١٠، عنهما، و«الدر المنثور» ٤/ ٢١٢، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن الكلبي.

(٥) ليس في معانيه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠، وصديق خان ٧/ ٢٢٢.

عطاء: يريد نجوم السماء، والوجه هو الأول[١]؛ لأنها[٢] معطوفة على ما خلقت في الأرض، والنجوم لم تخلق في الأرض، ولأنه لو كان المراد بالعلامات النجوم لقال: وبها يهتدون، فلما قال: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ دلَّ أن المراد بالعلامات غيرُ النجم.

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ قال مجاهد وإبراهيم: أراد جميع النجوم[٣]، واختاره الزجاج؛ فقال: النجم والنجوم في معنى واحد، كما يقال: كثر الدِّرهم في أيدي الناس والدَّراهم[٤]، وقال عطاء عن ابن عباس: يعني الجَدْي[٥]، وقال السدي: يعني الثُّريا وبَنات نَعْش[٦]، وقال

---

(١) وقد ورد عن ابن عباس قولاً لم يورده أعمّ وأولى مما رجحه، وهو ما رجحه الطبري، قال: العلامات: معالم الطرق بالنهار. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ٩٢، وورد في «الدر المنثور» ٤/ ٢١٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) في (أ)، (د): (لا)، والمثبت من (ش)، (ع) وهو الصحيح، وبه يستقيم الكلام.

(٣) الذي ورد عن مجاهد وإبراهيم، قالا: منها ما يكون علامة، ومنها ما يهتدى به. أخرجه الطبري (١٤/ ٩١، عنهما من طريقين، لكن هذا تفسير لـ ﴿وَعَلَٰمَٰتٖ﴾، وليس لـ ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ﴾ كما في الطبري، وانظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥ب.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٣، بنصه، وهو الأوْلَى من التخصيص الوارد في الأقوال التالية.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٣، قال: بالفرقدين والجدي. (الجدي): هو الكوكب الذي يتوخى الناس بها القبلة؛ لأنه لا يزول، وتُسَمّيه العرب: جدي بنات نعش. انظر: «الأزمنة والأمكنة» ص٥٤٦.

(٦) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٥ب، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٣، والزمخشري ٢/ ٣٢٥، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٦، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠، والخازن ٣/ ١١٠. (الثريا): من الكواكب، سميت لغزارة نَوْئها [النوء: هو سقوط نجم بالغداة مع طلوع الفجر وطلوع آخر في حياله في تلك الساعة]، وقيل: سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرْآتها، لا يتكلم بها إلا مصغراً، وهو تصغير على =

الكلبي: يعني الفَرْقَدين والجَدْي[١]، وهو اختيار الفراء[٢]، ﴿هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ أي إلى الطريق والقبلة في البر والبحر.

١٧- قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ قال ابن عباس: يريد ما ذكر في هذه السورة، ومن يخلق هو الله عز وجل، ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ يريد الأوثان؛ كقوله: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ﴾ الآية. [لقمان: ١١] وإنما قال: ﴿كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ للوثن لاقترانه في الذكر مع الخالق؛ كقوله: ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ﴾ الآية [النور: ٤٥] قال الفراء: والعرب تقول: اشتَبه عليّ الراكبُ وجمله، فلا أدري مَنْ ذا ومنْ ذا؟ حيثُ جَمَعَها وأحدُهما إنسان؛ صَلحت (مَنْ) فيهما[٣]، وقيل: إنهم لما عبدوها ذُكرت بلفظ (مَنْ)[٤]؛ كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ﴾ الآية [الأعراف: ١٩٥]، وقد مر.

= جهة التكبير. (بنات نعش) سبعة كواكب؛ أربعة منها نَعْش؛ لأنها مُربعة، وثلاثةٌ بناتُ نعشٍ؛ الواحد ابنُ نَعْش؛ لأن الكواكب مذكر فيذكرونه على تذكيره، وإذا قالوا: ثلاث أو أربع، ذهبوا إلى البنات. انظر: «المحيط في اللغة» (نوأ) ١٠/ ٤١٩، و«الأزمنة والأمكنة» ص١٣٩، ٥٤٧، و«اللسان» (نعش) ٧/ ٤٤٧٤، (ثرا) ١/ ٤٨٠.

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٣٦، ورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣١، (الفرقدان) نجمان منيران في بنات نعش، يضرب بهما المثل في طول الصحبة في التساوي والتشاكل، وقيل: نجمان في السماء لا يغربان ولكنهما يطوفان بالجدي، وقيل: كوكبان في بنات نعش الصغرى. انظر: «اللسان» (فرقد) ٦/ ٣٤٠٢، «جنى الجنتين في تمييز نوعي المثنيين» ص٨٦.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٨، بلفظه.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٨، بنصه، وانظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ٩٣.

(٤) ذكر هذين القولين توجيهاً لاستخدام (منْ) وهي للعاقل كما يقول النحويون للتعبير بها عن غير العاقل؛ وهي الأصنام، وحقها (ما) عندهم؛ لأن الأصنام غير عاقلة.

وقوله: ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين، يقول: أفلا تتعظون كما اتعظ المؤمنون[١]، قال أصحابنا: وهذه الآية دليل على أن الخالق واحد، وإنما يتميز الخالق من المخلوق بالقدرة على اختراع الخلق، فمن جعل نفسه خالقًا لأفعاله التي يفعلها فقد نصب نفسه خالقًا شريكًا لله في الخلق[٢]، وقال أهل التأويل: معنى هذه الآية: إنكار تشبيه من يخلق بمن لا يخلق بالتسوية بينهما في العبادة، كما[٣] لا يجوز أن يُسوّى بين من ينعم ومن لا ينعم في الشكر[٤].

١٨- قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ ذكرنا تفسيره في سورة إبراهيم[٥]، وقال ابن عباس في هذه الآية: يريد أنّ نِعمي أكثر مما يُحصي أو يُعرف؛ منها ظاهر ومنها باطن.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ أي لِما منكم من تقصير شكر نعمه، ﴿رَّحِيمٌ﴾: بكم حيث لم يُقصْها عنكم بتقصيركم.

٢٠- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ قراءة العامة بالتاء[٦]؛ لأن ما قبل هذه الآية كلها خطاب للكفار، وقرأ عاصم بالياء في: ﴿يَدْعُونَ﴾[٧] إخبارًا

(١) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٣، بنحوه.

(٢) هذا ردّ على المعتزلة في زعمهم أن العباد خالقون لأفعالهم.

(٣) في جميع النسخ: (كمن)، وبالمثبت يستقيم الكلام.

(٤) ورد بمعناه في: «تفسير الطبري» ١٤/ ٩٢، وهود الهواري ٢/ ٣٦٣، والطوسي ٦/ ٣٦٨.

(٥) عند الآية [٣٤].

(٦) انظر: «السبعة» ص٣٧١، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٢، و«الحجة للقراء» ٥/ ٥٨، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٢٤، و«التيسير» ١٣٧.

(٧) المصادر السابقة.

عن المشركين الذين يعبدون الأصنام من دون الله، ثم وصفها.

٢١- فقال: ﴿أَمْوَٰتٌ﴾، قال الزجاج: أي وهم أموات[١]، وقال الفراء: وإن شئت رددت على أنه خبر للذين، كأنه قال: والذين تدعون من دون الله أموات، والأموات في هذا الموضع يعني بها أنها لاروح فيها[٢].

وقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾ تأكيد[٣]؛ إذ قد يقال للحي هو كالميت في البعد من أن يعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ قال ابن عباس: وذلك أن الله تعالى يبعث الأصنام لها أرواح ومعها شياطينها فيتبرؤون من عابديهم، ثم يؤمر بالشياطين والذين كانوا يعبدونها إلى النار[٤]، وقال أبوإسحاق: أي وما يشعرون متى يبعثون، و﴿أَيَّانَ﴾ في موضع نصب بقوله: ﴿يُبْعَثُونَ﴾، ولكنه مبني غيرُ مُنوَّن[٥] لأنه بمعنى الاستفهام، ولا يُعرب كما لا يُعرب متى وكيف وأين، إلا أن النون فتحت لالتقاء الساكنين[٦]، واختير الفتح على الكسر؛ لأن الفتح أشبه بالألف وأخف معها، وذكرنا معنى أيّان عند قوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقد تضمنت هذه الآية البيان عما تُوْجِبه صفة من ليس بحي من الامتناع أن يكون منه فعل، لاستحالة ذلك، ذكر الله ذلك في الآية الأولى؛ أن أصنامهم مخلوقة غير خالقة،

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٣، بلفظه.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٨، بنحوه.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٣٨، والفخر الرازي ٢٠/ ١٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٩٤.

(٥) في (ش)، (ع): (معرب).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٣، بنصه.

وذكر في هذه الآية أنها مع كونها مخلوقةً مواتٌ غيرُ ذات روح وأنها مبعوثة، وهي لا تعلم متى وقت بعثها، وكل هذا يدل على جهل من عبدها أو أشركها بالله تعالى.

٢٢- قوله تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ مضى الكلام في هذا في سورة البقرة [١٦٢].

وقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ الآية دخلت الفاء للإتباع دون العطف، ذكر الله تعالى دلائل وحدانيته ثم أخبر أنه واحد لا نظير له ولا كفء ولا شريك، ثم أتبع هذا إنكار الكفار وحدانيته، وقال: ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾، أي: جاحدة غير عارفة ولا مُقِرَّة بالحق من توحيد الله، وقال ابن عباس: منكرة لهذا القرآن[1]، وذكرنا معنى الإنكار عند قوله: ﴿نَكِرَهُمْ﴾ في سورة هود [٧٠].

وقوله تعالى: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾، أي: ممتنعون من قبول الحق، والاستكبار: الترفع بترك الإذعان للحق، قال ابن عباس: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾: عن عبادة الله.

٢٣- قوله: (﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ﴾ الآية، ذكرنا معنى لا جرم، والخلاف فيه في سورة هود عند)[2] قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [هود: ٢٢]، وليس يحتمل هاهنا من تلك الأقوال إلا قولًا واحدًا، وهو أن يكون بمعنى: حقًّا، وبهذا فسره ابن عباس[3] واختاره الزجاج، فقال: حقًّا أن

---

(١) ورد غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٦٤.

(٢) في نسخة (أ) ما بين القوسين كتب على الهامش.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٤، وورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٤/ ٩٤، والسمرقندي ٢/ ٢٣٢، والثعلبي ٢/ ١٥٥ب.

الله[١]، ومذهبه في لا جرم في سورة هود غير هذا[٢]؛ فمعنى لا جرم هاهنا: تأكيدٌ وقَسمٌ ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾، وتأكيد ذلك تأكيد جزائهم؛ كأنه قيل: يجازيهم بما يسرون وما يعلنون؛ لأنه يعلم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ﴾، أي: لا يثيبهم ولا يمدحهم ولا يرضى عنهم[٣].

٢٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾، معنى أساطير الأولين ذكرناه في سورة الأنعام [٢٥]، قال ابن عباس: نزلت في النضر بن الحارث وأصحابه؛ كان خرج إلى الحِيرَة فاشترى أحاديث كَليلة ودِمنة وأساطير الأولين، وكان يقول: تعالوا أقرأ عليكم ما يقرأ محمد على أصحابه؛ أساطير الأولين[٤].

وقال أبو إسحاق في هذه الآية: (ما) مبتدأة و(ذا) في موضع الذي،

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٤، بنحوه.

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٤٦.

(٣) هذا من تأويلات الأشاعرة للصفات الفعلية لله تعالى، إذ صرفوا اللفظ عن ظاهره دون دليل أو حجة إلا شبهات واهية، فأولوا صفة المحبة: بالإثابة والمدح والرضى عنهم كما هنا، أو بالإحسان إليهم والتفضل بإعطاء الثواب أو إرادة الإنعام والإحسان. أما مذهب أهل الحق: فيثبتون صفة المحبة لله تعالى إثباتاً حقيقياً على وجه يليق بجلاله وعظمته، كما أنهم يثبتون معه لازم المحبة؛ وهي إرداته سبحانه إكرام من يحبه وإثابته، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له، وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء -عليه السلام-. انظر: «مجموع الفتاوى» ٢/ ٣٥٤، و«مدارج السالكين» ٣/ ١٨، و«أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات» ص٧٧، و«شرح العقيدة الواسطية» للهراس ص٥٣.

(٤) انظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٣٩٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٩٥، ورد فيهما بلا نسبة.

المعنى: ما الذي أنزل ربكم؟ وأساطير مرفوعة على الجواب؛ كأنهم قالوا: الذي أَنْزَلَ أساطيرُ الأولين؛ الذي يذكرون أنه منزلٌ أساطيرُ الأولين، أي أكاذيبهم[١]، وشرح أبو علي هذا فقال: رُفِعَ الأساطيرُ؛ لأن ذا بعد[٢] ما بمنزلة الذي[٣]، ولم يُجعل معها بمنزلة اسم واحد، فكأنه قال: ما الذي أنزل ربكم؟ فقيل: أساطير الأولين، أي الذي أنزله أساطير الأولين، فَيُضَم المبتدأ الذي كان خبرًا في سؤال السائل، على هذا يرتفع الأساطير في قول سيبويه[٤]، قال: وروي عن أبي زيد وغيره من النحويين أنهم قالوا: لم يُقِرُّوا بإنزال الله لذلك، فكأنهم لم يجعلوا أساطير الأولين خبر الذي أنزل، وعلى هذا يرتفع الأساطير بخبر ابتداء محذوف؛ كأنه قيل الذي يعنون والذي يسألون عنه أساطير الأولين، فحذف المبتدأ لدلالة ما في السؤال عليه[٥]، ووجه قول سيبويه: إذا جعلت أساطير الأولين خبر (ذا) الذي هو بمعنى الذي في قوله: ﴿مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ أن يكون المعنى: الذي أنزله ربكم عندكم وفي قولكم أساطير الأولين؛ كما جاء: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، وكما قالوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦]، أي: عنده وعند من تبعه، فيمكن أن يُجعلَ

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٤، بنحوه.

(٢) في (د): (بمعنى).

(٣) انظر: «رصف المباني» ص٢٦٥، و«الجنى الداني» ص٢٣٩.

(٤) «الكتاب» ٢/ ٤١٩، وانظر: «المسائل البغداديات» ص٣٧١-٣٧٢.

(٥) لم أقف على مصدره، وورد نحواً من هذا التوجيه في «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٠٨، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ١٣، و«البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٧٧، و«الإملاء» ٢/ ٧٩، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٢٢.

الأساطيرُ خبر من غير أن يُقِرُّوا بالإنزال على الوجه الذي ذكرنا، وهذا معنى قول أبي إسحاق، أي الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين.

٢٥- قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ الآية، اللام في ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ﴾ لام العاقبة، وهم لم يقولوا للقرآن: أساطير الأولين، ليحملوا الأوزار؛ ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك بهذا القول، جاز أن يقال: فعلوا ذلك له؛ كقوله ﷻ: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ٨]، وهم لم يلتقطوا لذلك، وكما قال النابغة:

جاءت لِتُطعِمَه لحمًا ويَفْجعها بابن فقد أطعمتْ لحمًا وقد فَجعا[١]

يعني بقرًا جاءت مع عجلها للرعي، فوقع الذئب على عجلها فأكله، فزعم أنها جاءت لذلك، وهي لم تجئ له.

قوله تعالى: ﴿كَامِلَةً﴾، قال صاحب النظم: أي أن غيرهم لا يحمل عنهم من أوزارهم شيئًا، ويجوز أن يكون المعنى: أنهم لا يُكفَّر عنهم شيء من ذنوبهم بما يصيبهم في الدنيا من نكبة وبلية كالمؤمنين[٢]؛ لأنهم[٣] كفار، فهم يرِدون الآخرة بما اكتسبوا من الآثام كلها.

---

(١) لم أجده في «ديوان النابغة»؛ لا الجعدي ولا الذبياني، ولم أقف عليه في المصادر.

(٢) في هذا المعنى روى البخاري (٥٦٤١)، (٥٦٤٢) في المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، ومسلم (٢٥٧٣) في البر والصلة والآداب، ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يصيب المؤمن من نصبٍ ولا وصب، ولا همّ ولا حزَن، ولا أذى ولا غمّ، حتى الشوكة يُشاكها، إلا كفَّرَ الله بها من خطاياه**».

(٣) في (د): (فإنهم).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ لأنهم كانوا رؤساء، فلما قالوا في القرآن: إنه أساطير الأولين، اقْتُدي بهم فيه، فحُمل عليهم من أوزارهم، يبين هذا ما روي أن النبيّ ﷺ قال: «**أيّما داعٍ دعا إلى ضلالة فاتُّبع فإن عليه أوزارَ من اتَّبعه، من غير أن يَنقصَ من أوزارهم شيء**»(١).

فهؤلاء لمّا كانوا دعاةَ الضلالة، حُمِّلوا من أوزار من اتبعهم.

و(من) في قوله: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ ليست للتبعيض؛ لأنها لو كانت للتبعيض لخفَّ عن الأَتْبَاعِ بعضُ أوزارهم بحمل الرؤساء ذلك، ولكنها للجنس، أي ليحملوا من جنس أوزار الأتباع، وإنما ذلك لأن النبيّ ﷺ قال: «**من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**»، ولو جعلنا المحمولَ من أوزار الأتباع نقصت أوزارهم، فليس يأتي التابعُ بجنس من الذنب في ضلالته إلا وعلى المتبوع مثلُ ذلك، كما قال ﷺ: «**فإن عليه مثل أوزار من اتبعه**».

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، أي: بجهل، يريد أن هؤلاء المتبوعين

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٠٥) المقدمة، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة بنصه عن أنس، والطبري ١٤/ ٩٦ بنصه، وورد في «تفسير الرازي» ٢٠/ ١٨، و«القرطبي» ١٣/ ٣٣١، و«الدر المنثور» ٤/ ٢١٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، والجامع الصغير للألباني (٢٧١٢)، وقد ورد برواية: «من دعا..، وبرواية: «من سن سنة..» في: مسند أحمد ٢/ ٣٩٧، ٤/ ٣٦١، وصحيح مسلم (٢٦٧٤) في العلم، باب: من سن سنة حسنة وما بعدها، والترمذي (٢٦٧٤) في العلم، باب: ما جاء فيمن دعا إلى الهدى فاتبع أو إلى ضلالة ٥/ ٤٣، والنسائي بالرواية الثانية: الزكاة، التحريض على الصدقة ٥/ ٧٥، وسنن ابن ماجه: المقدمة، من سن سنة (٢٠٦).

يُضِلّون من اتبعهم جهلًا منهم بما يفعلون من احتقاب[(١)] أوزارهم ومثل أوزار من اتبعهم، ثم ذم الله صنيعهم فقال: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾، ومضى تفسير هذا وتفسير الوزر عند قوله: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ الآية [الأنعام: ٣١].

٢٦- قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قال جماعة المفسرين: يعني نمرود بن كنعان، بَنَى صرحًا طويلًا ورام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها[(٢)]. ومعنى المكر هاهنا: التدبيرُ الفاسد؛ روى ثعلب

---

(١) أصلها حقب، يقال: حقب البعير واحتقب حقباً: احتبس بوله وتَعَسَّر عليه، وحَقِب العام: احتبس مطرُه، واحتقبَ الشيءَ: ادَّخره، وكذلك: احتمله، وهو المقصود هناك. انظر: (حقب) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٧٣، و«المحيط في اللغة» ٢/ ٣٦٣، و«اللسان» ٢/ ٩٣٧، و«معجم متن اللغة» ٢/ ١٢٩.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٤٦، و«مقاتل» ١/ ٢٠١ب، وأخرجه الطبري (٧/ ٥٧٦) عن ابن عباس والسدي وزيد بن أسلم، وورد في «تفسير السمرقندي»٢/ ٢٣٣، والثعلبي ٢/ ١٥٥ب، والماوردي (٣/ ١٨٥، والطوسي ٦/ ٣٧٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٦، والزمخشري ٢/ ٣٢٦، وابن عطية ٨/ ٣٩٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٣٩، و«الرازي» ٢٠/ ٢٠، و«القرطبي» ١٠/ ٩٧، والخازن ٣/ ١١٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٢١٨، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وتخصيص الآية على النمرود وأصحابه فيه نظر، لأنه ليس في الآية ما يدل على ذلك، لكنهم اعتبروا أن المشار إليهم في هذه الآية هم المذكورون في سورة إبراهيم في قوله: ﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ﴾، كما ذكر الطبري؛ وحتى بهذا الاعتبار، لا يسلم لهم، فقد عرفنا موقف العلماء من هذه القصة؛ التضعيف والرد والإنكار، وأغلب الظن أنها إسرائيلية، ومما يؤكده رواية كعب لها، وهو من مصادر الإسرائيليات، ولا يقال: إن الرواية هنا ثبتت عن ابن عباس ﵄ وقوله معتبر، وهو كذلك عند ورودها عن الطرق الصحيحة، والرواية التي أوردها الطبري جاءت من طريق العوفي، وهي طريق غير مرضية، فلا يعتد بها، ولا يعتمد عليها، وقد أشار ابن عطية إلى التعميم بقوله: وقالت فرقة أخرى: المراد به جميع من كفر من الأمم المتقدمة ومكر، ونزلت به عقوبةٌ من الله تعالى، وهو ما رجحه الفخر الرازي، والخازن انظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٠٠، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠، والخازن ٣/ ١١٢.

عن ابن الأعرابي في قوله: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرًا﴾ [النمل: ٥٠] قال: دبروا[١]، والمراد في هذه الآية[٢] تدبيره في بناء الصرح لقتال أهل السماء.

وقوله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم﴾، أي: أتى أمرُ الله، وهي الريح التي خربتها وحركتها، وهو ما ذكر المفسرون؛ أن الله تعالى أرسل ريحًا فألقت رأس الصرح في البحر وخرَّ عليهم الباقي[٣]، فأمْرُ الله الذي أتى البنيان يجوز أن يكون الريح، ويجوز أن يكون أمره للبنيان بالانهدام، فالآية من باب حذف المضاف؛ وحذف المضاف هاهنا للتهويل والتعظيم، وقد سبق بيان هذا في قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، والبنيان اسم للبناء.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ﴾ قال أبو إسحاق: أي من أساطين البناء التي تَعْمِده[٤]، وذكرنا معنى القواعد للبناء في سورة البقرة [١٢٧].

وقوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾، أي: سقط عليهم البيوت؛ على أصحاب نمرود[٥]، وذِكْر ﴿مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ ليدل أنهم كانوا تحته، إذ[٦] يقول القائل: تهدمت عليّ المنازل، ولم يكن تحتها، هذا قول

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) في (أ): (الأمة) والمثبت هو الصحيح، كما في باقي النسخ.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٦، عن كعب ومقاتل، والزمخشري ٢/ ٣٢٦، وابن عطية ٨/ ٣٩٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٩٧، والخازن ٣/ ١١٢، فيهما عن كعب ومقاتل.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٥، بنصه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٥ بمعناه عن قتادة، والطبري ١٤/ ٩٧- ٩٨ بمعناه عن قتادة ومجاهد ورجحه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٣، عن مجاهد، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٦أ، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٥.

(٦) في جميع النسخ: (إذا)، والمثبت هو الصحيح المناسب للسياق.

ابن الأنباري، قال: والعرب تقول: تداعت علينا الدار، وخَرِب علينا الحانوت، وإن لم يكونوا تحته[(١)]، ويجوز أن يكون للتأكيد.

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾، أي: من حيث ظنوا أنهم منه في أمان، وقال عطاء عن ابن عباس: يريد بالبعوضة؛ يعني التي أهلك بها نمرود[(٢)].

٢٧- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ﴾، معنى الإخزاء ذكرنا عند قوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ قال الزجاج: شركائي حكاية لقولهم، والله لا شريك له، والمعنى: أين الذين في دعواكم أنهم شركائي[(٣)].

قال أبو علي: سبحانه لم يثبت بهذا الكلام له شريكًا، وإنما أُضيف على حسب ما كانوا يقولونه وينسبونه، وكما أُضيفت هذه الإضافة كذلك أضيفت إليهم في قوله: ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٢]، وفي أخرى: ﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨]، فإنما أُضيفوا هذه الإضافة على حسب ما كانوا يسمونه ويعتقدونه فيهم؛ كقوله: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ﴾ [الحجر: ٦]، وقد تقع الإضافة لبعض الملابسة دون التحقيق،

---

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤١.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٩٨، وهذا تخصيص بلا دليل، فضلاً أن هذه الطريق إلى ابن عباس منقطعة.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٥، بنصه.

كقول الشاعر[١]:

إذا قُلْتُ قَدْني قَال باللهِ حَلْفَةً لَتُغْنيَ عَنِّي ذا إنائِكَ أَجْمَعَا[٢]

فأضاف الإناء إليه لشربه منه، والإناء في الحقيقة لمن سقى به دون من شرب منه، وهذا كما يقول لمن يحمل خشبة ونحوها: خذ طَرَفَكَ وآخذ طَرَفي، فتَنْسِبُ إليه الطرف الذي يليه كما تنسب إلى نفسك الطرف الذي يليك، فعلى هذا تجري الإضافة في قوله: ﴿شُرَكَآءِىَ﴾[٣]، ومعنى: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِىَ﴾ أي: أين هم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾ قال ابن عباس: تخالفون[٤].

قال أهل المعاني: معناه يكونون في أمر الشركاء في جانب والمسلمون في جانب، لا يكونون معهم يدًا واحدة[٥]؛ يخالفونهم فيها

---

(١) هو حُريث بن عَنّاب الطائي، من شعراء الدولة الأموية (ت٨٠هـ).

(٢) ورد في: «شرح شواهد المغني» (٢/ ٥٥٨) برواية:

إذا قال قدني قلت آليت حلفة

وفي «الخزانة» ١١/ ٤٣٤، برواية: (قطني) بدل (قدني)، والمعنى واحد، معناه: حسبي، و«الدر» ٤/ ٢١٧، برواية: (قيل) بدل (قلت)، وورد غير منسوب في «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٥٥٧، و«إيضاح الشعر» ص٢١٤، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٠٢، و«شرح المفصل» ٣/ ٨ برواية: إذا قال، و«المقرب» ٢/ ٧٧ برواية: إذا هو آلى، و«الدر المصون» ٥/ ١١٨، و«مغني اللبيب» ص٢٧٨، و«همع الهوامع» ٤/ ٢٤٢، والمعنى: اشرب جميع ما في الإناء ولا تردّه عليّ.

(٣) «الحجة للقراء» ٥/ ٦١، بتصرف يسير.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ٩٨ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢١٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٥) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٥٩، بنحوه.

فيعبدونها ولا يعبدون الله، وقرأ نافع بكسر النون[١].

ووجهه ما ذكرنا في قوله: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر: ٥٤] المعنى على هذه القراءة ما رواه عطاء عن ابن عباس، قال: يريد تنازعوني فيهم وتتخذونهم أولياء من دوني، وعلى هذا معنى مخالفتهم الله في الشركاء[٢] مخالفتهم أمر الله؛ كما ذكرنا في قوله: ﴿شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ﴾ [الأنفال: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ قال ابن عباس: يريد الملائكة[٣]، وقال آخرون: هم المؤمنون[٤]؛ يقولون حين خزى الكفار في القيامة: ﴿إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ﴾: عليهم لا علينا.

٢٨- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْۖ﴾ ذكرنا معنى هذا في سورة النساء.

---

(١) أي: ﴿تُشاقُّونِ﴾ مع الكسر التخفيف. انظر: «السبعة» ص٣٧١، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٣، و«الحجة للقراء» ٥/ ٥٩، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٤، و«التيسير» ص١٣٧، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٣٤.

(٢) في (أ)، (د): (الشرع)، والمثبت من (ش)، (ع)، وهو المناسب للسياق والمعنى.

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤١، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٩٨، و«تنوير المقباس» ص٢٨٤، وورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٣، والزمخشري ٢/ ٣٢٧، وابن عطية ٨/ ٤٠٢، والخازن ٣/ ١١٢، وهذا التفسير فيه نظر؛ فالملاحظ أن القرآن يصف البشر بالعلم لا الملائكة، كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ١٠٧].

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٦، وابن عطية ٨/ ٤٠٢، وابن الجوزي ٤/ ٤٤١، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠، والقرطبي ١٠/ ٩٨، والخازن ٣/ ١١٢.

وقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ قال ابن عباس: استسلموا وأقروا لله بالربوبية(١)، وقال السدّي: انقادوا واستسلموا عند الموت(٢).

قال الزجاج: ذكر السَّلَمَ، وهو الصلح، بإزاء المشاقة(٣)، يريد أن الله تعالى أخبر عنهم بالمشاقة في الدنيا، فأخبر أنهم عند الموت ينقادون ويتبرؤون من الشرك، كما ذكره ابن عباس.

وقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ أي قالوا: ما كنا نعمل من سوء، قال ابن عباس: يريد الشرك(٤)، فقالت الملائكة ردًّا عليهم وتكذيبًا لهم: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [من التكذيب والشرك، ومعنى (بلى): رد لقولهم ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾، وقد ذكرنا معنى (بلى)](٥) عند قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٨١].

٢٩- وقوله تعالى: ﴿فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد مقام المتكبرين عن التوحيد وعبادة الله ﷻ(٦)، كقوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٠، وورد بنحوه غير منسوب في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٩٩.

(٢) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٤/ ٩٩، والسمرقندي ٢/ ٢٣٣، والثعلبي ٢/ ١٥٦أ، والبغوي ٥/ ١٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٥، بنحوه.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٤، بنحوه، وورد نحوه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٣، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٦، والبغوي ٥/ ١٧، وابن عطية ٨/ ٤٠٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٣، والفخر الرازي ٢٠/ ٢١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٩٩.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (د).

(٦) ورد نحوه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٢أ، والطبري ١٤/ ٩٩ بمعناه غير منسوب، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٠.

٣٠- قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين خافوا الله وصدقوا نَبِيَّه وأيقنوا أنه لا إله غيره، ﴿مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾ قال المفسرون: هذا كان في أيام المواسم، يأتي الرجل مكة فيَسأل المشركين عن محمد وأمره، فيقولون: إنه ساحر وكاهن وكذاب، (فيأتي المؤمنين ويسألهم عن محمد وما أتى به من الكتاب وما أنزل الله عليه، فيقول)[١] المؤمنون خيرًا[٢]، قال ابن عباس: يريد ثوابًا؛ يعني أنهم إذا سُئلوا عن ما أنزل الله على محمد، قالوا: أنزل عليه الخير عن ثواب المحسن، فقالوا: أنزل ثوابًا، أي ذِكْرَه، ولهذا نصب خيرًا؛ لأنه على معنى أنزل خيرًا، ويكون هذا على أن (ما) و(ذا) كالشيء الواحد، والمعنى: أيُّ شيءٍ أنزل؟ ﴿قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾ على جواب ماذا، أي: أنزل خيرًا، ثم فَسَّرَ ذلك الخير؛ فقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ﴾ قال ابن عباس: يريد: قالوا: لا إله إلا الله[٣]، وهذا على أن قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ إخبارًا عن الله تعالى، أخبر أن من أحسن في الدنيا فله جزاء ذلك عند الله حسنة، قال ابن عباس: يريد مضعفة بعشر[٤]، ودلّ بهذا على أن الذي قاله المؤمنون[٥]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٢أ، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٥٦أ، بنحوه، وانظر: الزمخشري ٢/ ٣٢٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٣، والفخر الرازي ٢٠/ ٢٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٠، والخازن ٣/ ١١٣.

(٣) ورد غير منسوب في «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤٣.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٧، بنحوه، وورد غير منسوب في «تفسير الفخر الرازي»٢٠/ ٢٤.

(٥) في جميع النسخ: (للمؤمنين)، وهو خطأ أدى إلى اضطراب المعنى، وبالمثبت يستقيم الكلام، ويؤيده ماورد في المصدر.

اكتسبوا به حسنة، والوجهان ذكرهما أبو إسحاق(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ يعني الجنة، ومضى الكلام في هذا في سورة الأنعام [٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، أي: ولَنِعْمَ دارُ المتقين دار الآخرة، فحذفت لسبق ذكرها، هذا إذا لم تجعل هذه الآية متصلة بما بعدها، [وإن جعلتها متصلة](٢) قلت: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ * جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾، فترفع جنات على أنها اسم لنعم؛ كما تقول: نعم الدار دار ينزلها.

٣١- قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ ذكرنا وجهَ ارتفاعها إن كانت موصولة، وإن كانت مقطوعة، فقال الزجاج: جنات مرفوعة بإضمار هي؛ كأنك لمّا قلت: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾، قيل: أي دار هذه الممدوحة؟ فقلت على جواب السائل: جنات عَدْن، أي هي جناتُ عَدْن(٣)، وإن شئت رفعتها على الاستئناف وجعلت يدخلونها الخبر، هذا قول الفراء(٤)، وعند الزجاج: يجوز أن يكون الخبر نِعم دار المتقين؛ لأنه قال: وإن شئت رفعت على الابتداء، ويكون المعنى: جناتُ عَدْنٍ نِعْمَ دارُ المتقين(٥).

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٦، بتصرف. وذكر الزمخشري قولاً ثالثاً، هو: أن «للذين أحسنوا» وما بعده بدل من خيراً، حكاية لقول الذين اتقوا، أي قالوا هذا القول، فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه. «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٢٧، وعلى القول الأول والثالث تكون ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ من كلام المؤمنين، وعلى الثاني تكون من كلام الله؛ كلاماً مستأنفاً.

(٢) زيادة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٦، بتصرف يسير.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٩، بنحوه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٦، بنصه.

٣٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ الذين في موضع نصب؛ لأنه صفة المتقين في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿طَيِّبِينَ﴾، أي: بأعمالهم الصالحة، خلاف من يتوفاهم خبيثين بأعمالهم القبيحة، قال الكلبي: طيبين من الشرك[1]، وقال مجاهد: زاكية أفعالهم وأقوالهم[2].

٣٣ و٣٤- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ نظير هذه الآية في سورة البقرة [آية: ٢١٠]، وآخر سورة الأنعام [آية: ١٥٨]، وقد مر، والمعنى: هل ينظرون إلا الموت؛ لأن الملائكة إنما تأتيهم لقبض أرواحهم، ﴿أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: يريد القتل وغيره، وقال قتادة ومجاهد: يعني القيامة[3].

وقال الزجاج: ما وعدهم الله به من عذابه[4].

قال صاحب النظم: إنهم لا ينتظرون ذلك على الحقيقة؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالله، كيف ينتظرون أمره؟! ولكن لمّا كان امتناعهم من الدخول في الإيمان موجبًا عليهم إتيان أمر الله والملائكة بما قدّر عليهم من العذاب، وكان عاقبة أمرهم إلى ذلك، أضيف ذلك إليهم على المجاز والسعة، وجعل

---

(١) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير البغوي» ٥/ ١٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠١، والخازن ٣/ ١١٣، و«تنوير المقباس» ص٢٨٥، و«الشوكاني» ٣/ ٢٢٩، والألوسي ١٤/ ١٣٣، وصديق خان ٧/ ٢٣٦.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٦أ، بلفظه، وانظر: البغوي ٥/ ١٧، والخازن ٣/ ١١٣، والألوسي ١٤/ ١٣٣، وورد غير منسوب في «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤٣، و«القرطبي» ١٠/ ١٠١، و«الشوكاني» ٣/ ٢٣٠، وصديق خان ٧/ ٢٣٦.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٢ بلفظه عنهما من طريقين، وورد غير منسوب في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٦أ، والبغوي ٥/ ١٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٢، والخازن ٣/ ١١٣.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٦، بنصه.

مجيء ذلك انتظارًا منهم له؛ فكأنه ﷻ قال: هل يكون مدة إقامتهم على كفرهم إلا مقدار إيقاعي بهم وإنزالي العذاب عليهم، وهذا كما قلنا في لام العاقبة في مواضع، لمّا كانت العاقبة تؤدي إلى ذلك جُعل سببًا له وإن لم يكن في الحقيقة كذلك؛ كقوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا﴾ الآية [القصص: ٨]، وقد مر[١]، وهذا الذي ذكره صاحب النظم وجه جيد في هذه الآية لم يذكره في نظيرها في سورة البقرة والأنعام.

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يريد كفار الأمم الماضية، وفي الآية حذف على قول الزجاج؛ لأنه قال: أي كذلك فعلوا فأتاهم أمرُ الله بالعذاب[٢]، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بتعذيبهم ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾: بإقامتهم على الشرك وكفران ما أنعم الله عليهم، وإن شئت حملت الكلام على التقديم والتأخير فقلت: التقدير: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ الآية، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية، وهو قول ابن عباس: يريد جزاء ما عملوا من الشرك[٣]، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾: من العذاب والنقمة.

٣٥- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ يعني أهل مكة، ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾: من البحيرة[٤] والسائبة[٥] وسائر ما

---

(١) في تفسير الآية [٢٥] من هذه السورة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٧، بنصه.

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤٥، و«تنوير المقباس» ص٢٨٥، بنحوه.

(٤) وردت فيها عدةُ أقوال؛ قال سعيد بن جبير: هي التي يمنح دَرُّها للطواغيت، فلا يحتلبها أحدٌ من الناس، وقيل: هي ناقة كانت إذا نُتجت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً، شقُّوا أذنها وامتنعوا من ركوبها وذبحها، ولا تطرد عن ماءٍ ولا تمنع من مرْعى، وقيل غير ذلك. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣، و«تفسير المُشْكِل» ص١٥٦، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٣٣٥.

(٥) فيها أقوال كذلك، قال سعيد بن المسيب: هي التي كانوا يُسيبونها لآلهتهم، =

حرموا، نظير هذه الآية في سورة الأنعام [آية: ١٤٨]، ومضى الكلام هناك مستقصى، على أن أبا إسحاق قال هاهنا: إن المشركين قالوا هذا على جهة الهزء؛ كما قال قوم شعيب له: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، ولو قالوا هذا معتقدين لكانوا مؤمنين ولكنهم قالوا مستهزئين، وكذلك هؤلاء لو قالوا مُحَقِّقِينَ، ما قيل: إنهم مكذبون، كما كَذَّب الذين من قبلهم[1]، وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾، أي: من تكذيب الرسل وتحريم ما أحل الله، قال ابن عباس: يريد عمرو بنَ لُحَيٍّ وأصحابه[2]، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ قال: يريد: قد بَلَّغْتَ رسالتي وبَلَّغَ مَن قبلك، يعني ليس عليهم إلا التبليغ، فأما الهداية فهو إلى الله تعالى؛ يهدي من يشاء ويضل من يشاء، وقد حَقَّقت هذا فيما بعد، وهو:

٣٦- قوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، يعني كما بعثناك في هؤلاء، ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ تعالى، أي: بعبادة الله تعالى، والتقدير: بأن اعبدوا الله، فحذف الجار، ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾، أي: الشيطانَ وكلَّ من يدعو إلى الضلالة، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾: أرشده، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ

= وقال الزجاج: كان الرجل إذا نذر لقدوم من سفر أو برء من علة أو ما أشبه ذلك، قال: ناقتي هذه سائبة، فكانت كالبحيرة؛ في أن لا ينتفع بها وأن لا تُجْلى عن ماءٍ، ولا تمنع من مرعى. انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٢/ ٢١٣، و«تفسير المُشْكِل» ص١٥٦، و«تفسير القرطبي» ٦/ ٣٣٥.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٧، بتصرف واختصار.

(٢) تخصيص الآية بعمرو بن لحي وأصحابه لا دليل عليه، وحمل الآية على العموم أولى، إلا أن يراد به التمثيل فيكون مقبولاً، وأغلب الظن أنه نُسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما من الطرق الضعيفة.

عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ قال ابن عباس: يريد في سابق علمي[١].

وقال الزجاج: أعلم اللهُ أنه بَعَثَ الرسلَ بالأمر بالعبادة، وهو من وراء الإضلال والهداية، وهذا يدل على أنهم لو قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا﴾ الآية، معتقدين لكانوا صادقين[٢]، ومعنى ﴿حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾: وجب عليهم الكفر، كما قال: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾ [الأعراف: ٣٠]، وكقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ٩٦]، ثم قال: ﴿فَسِيرُوا۟﴾ الآية، أي: فسيروا معتبرين في الأرض بآثار الأمم المكذبة، فتعرفوا أن العذاب بإزائكم كما نزل بهم، ثم أكّد أن من حقَّت عليه الضلالة لا يهتدي.

٣٧- فقال -عز من قائل-: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ﴾ أي إن تطلب بجهدك ذلك، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّۖ﴾، أي: من يُضلُّه، فالراجع إلى الموصول الذي هو (مَنْ) محذوف مقدر[٣]، وهذا كقوله: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥۚ﴾ [الأعراف: ١٨٦]، وكقوله: ﴿فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِۚ﴾ [الجاثية: ٢٣]، أي: من بعد إضلال الله إياه[٤]، وقرأ أهل الكوفة يَهْدِي بفتح الياء[٥]،

(١) انظر: تفسيره «الوسيط»، تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٣، وورد بلا نسبة في «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤٦، وورد بمعناه بلا نسبة في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٤، والخازن ٣/ ١١٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٨، بتصرف يسير.

(٣) وهو الهاء المحذوفة، وتَقْديره: (يضلُّه).

(٤) انظر: «الحجة للقراء» ٥/ ٦٤، بنحوه.

(٥) وهم عاصم وحمزة والكسائي، انظر: «السبعة» ص٣٧٢، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٣، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٤، و«التيسير» ص١٣٧، و«النشر» ص٢/ ٣٠٤، قال الأزهري في «علل =

وهو يحتمل وجهين:[١]

أحدهما: أن المعنى فإن الله لا يُرْشد من أضله، وبهذا فَسَّره ابن عباس[٢].

والثاني: أنّ يَهْدِي بمعنى يَهْتَدي، قال الفراء: والعرب تقول: قد هَدَّى الرجلُ؛ يريدون قد اهتدى، ومثله قوله: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾[٣] [يونس: ٣٥]، قال ابنُ مجاهد[٤]: ولم يختلفوا في ﴿يُضِلُّ﴾ أنه مضمومُ الياء[٥].

= القراءات» وغيره: ومن قرأ (لا يُهْدَى) [وهم: ابن كثير وأبو عمرو ونافع وابن عامر]، فالمعنى: لا يُهْدى أحدٌ يُضله الله، وهذا نظير قوله جل وعز: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ﴾، وقد اختار الطبري هذه القراءة ورجح هذا المعنى، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٠٤، والثعلبي ٢/ ١٥٦ب، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٤.

(١) ذكرهما الثعلبي ٢/ ١٥٦ب، بنحوه، وذكرهما ابن الجوزي ونسبهما إلى ابن الأنباري. «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤٦.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٣٠، وورد غير منسوب في «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٤.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٩٩، بنصه.

(٤) أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس التميمي البغدادي، المشهور بابن مجاهد، شيخ القراءات وأول من سبّع السبعة، ولد سنة (٢٤٥هـ)، قرأ على عبد الرحمن بن قدوس عشرين ختمة، وعلى قُنْبُل المكي، وسمع القراءات من طائفة كبيرة، تصدَّر للإقراء وازدحم عليه أهل الأداء، ورُحِل إليه، قرأ عليه: صالح بن إدريس وأبو الفرج الشَّنَبُوذي، صنَّف كتابه المشهور: «السبعة في القراءات»، مات سنة (٣٢٤هـ). انظر: «الفهرست» ص٥٢، و«معرفة القراء الكبار» ١/ ٢٦٩، و«غاية النهاية» ١/ ١٣٩.

(٥) «السبعة» ص٣٧٢، بنحوه، وزاد: مكسورة الضاد.

٣٨- قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ مضى الكلام في هذا في سورة الأنعام [١٠٩]، قال ابن عباس: أغلظوا في الأيمان تكذيبًا منهم بقدرة الله على البعث بعد الموت[١]، فقال الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾، أي: لَيَبْعَثَنَّهم وعدًا عليه حقًّا، وهو مصدر مؤكد؛ أي وعدَ البعثِ وعدًا حقًّا لا خُلْفَ فيه؛ لأنه إذا قال يبعثهم دَلَّ على وعدٍ بالبعث وعدًا.

٣٩- قوله تعالى: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أمر البعث، واختلافهم فيه: ذهابهم إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون، واللام في قوله: ﴿لِيُبَيِّنَ﴾ متعلقة بالبعث، المعنى: بلى يبعثهم ليبين لهم، قال الزجاج: ويجوز أن تكون متعلقة بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾، (ويكون المعنى: بعثنا في كل أمة رسولًا)[٢]؛ ليبين لهم اختلافهم وأنهم كانوا من قبله على ضلالة[٣]، فعلى هذا لا يعود البيان إلى بيان البعث، وعلى القول الأول: يعود إلى بيان البعث بعد الموت، وهو قول ابن عباس[٤]؛ لأنه قال: ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: بهذا الوعد الذي قال: ﴿وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾: فيما أقسموا فيه.

---

(١) انظر: تفسيره «الوسيط»، تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٤، وورد بلا نسبة في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٢٧.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ش)، (ع).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٨، بنحوه.

(٤) لم أقف عليه، وورد هذا المعنى في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٦، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٦، والثعلبي ٢/ ١٥٦ب.

٤٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ﴾ الآية. قال ابن عباس: أخبر بقدرته وقوته، يريد ليس كما يتكلف المخلوقون من الأعوان والاله أمر الله أوحى من ذلك[١]. وقال الزجاج: أعلمهم الله سهولة خلق الأشياء عليه، فأعلم أنه متى أراد الشيء كان[٢].

قال ابن الأنباري: وقع اسم الشيء على المعلوم عند الله ﷻ قبل الخلق؛ لأنه بمنزلة ما قد عوين وشوهد[٣].

قال الفراء: القول مرفوع بقوله: ﴿أَن نَّقُولَ﴾كما تقول: إنما قولنا الحق، هذا كلامه[٤]، وبيانه ما ذكره الزجاج، فقال: ﴿قَوْلُنَا﴾ رفع بالابتداء وخبره: ﴿أَن نَّقُولَ﴾، المعنى: إنما قولنا لكل مراد قولنا كن، فإن قيل كيف خاطب المعدوم بقوله: ﴿كُن﴾، قلنا: هذا تمثيل لنفس الكلفة والمعاناة، ومخاطبةُ الخلق بما يعقلون ليس أنه يخاطب المعدوم؛ لأن ما أراد الله ﷻ فهو كائن على كل حال، وعلى ما أراده من الإسراع، لو أراد خلق الدنيا والسموات والأرض في قدر لمح البصر لَقَدَر على ذلك، ولكن العباد خُوطبوا بما يعقلون[٥]، وذكرنا في سورة البقرة عند قوله: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آية: ١١٧] أجوبة سوى هذا.

---

(١) لم أدرك مقصوده بهذه العبارة المعترضة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٩، بتصرف يسير.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٦، بنصه، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٧، بلا نسبة.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٠، بنصه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٨، بتصرف.

واختلفوا في قوله: ﴿فَيَكُونُ﴾، فقرأه أكثرُ القراء بالرفع[(١)] على: (فهو يكون)، قال الفراء: الرفع على أن تجعل ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ﴾ كلامًا تامًّا يخبر بأنه سيكون؛ كما تقول للرجل: إنّما يكفيه أن آمره، فيفعلُ بعد ذلك ما يؤمر[(٢)]، برفع فيفعلُ؛ على معنى فهو يفعل وسيفعل، وقرأ ابن عامر والكسائي: ﴿فيكونَ﴾ نصبًا[(٣)]، عطفًا على ﴿أَن نَّقُولَ﴾، المعنى: أن نقول فيكون، هذا قول جميع النحويين[(٤)].

قال الزجاج: ويجوز أن يكون نصبًا على جواب كن[(٥)].

قال أبو علي: هذا الوجه الذي أجازه من النصب في يكون لم يجزه أحد من أصحابنا غيرُه، ولم أعلم لغيره إجازةً له على هذا الوجه، ووجدت الكسائي يقول: إنه سمعه من العرب أكثر من خمسين مرة بالنصب، وما علمته حَمَل ذلك على أنه جواب، ولكن على (أنْ)، وحَمْلُه على الجواب

---

(١) انظر: «السبعة» ص٣٧٣، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٤، و«الحجة للقراء» ٥/ ٦٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٤، و«التيسير» ص١٣٧، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٣٦.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٠، بتصرف يسير.

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٧٣، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٤، و«الحجة للقراء» ٥/ ٦٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٤، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٣٦.

(٤) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٨، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٠٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢١٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ٦٥، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ١٤، وانظر: «الإملاء» ٢/ ٨١، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٢٨.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٩٨، بنصه.

غيرُ سائغ؛ لأن (كُنْ) وإن كان على لفظ الأمر فليس القصد به هاهنا الأمر، إنما هو -والله أعلم- الإخبار عن كون الشيء وحدوثه، وإلى هذا ذهب أبو العباس وغيره(١)، وقد ذكرنا هذا في سورة البقرة(٢).

٤١- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ﴾ الآية. قال الفراء: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ موضعها رفع(٣)؛ يريد أن هذا كلام مستأنفٌ لا تعلق له بما قبله، قال المفسرون: نزلت هذه الآية في قوم آذاهم المشركون وعذبوهم بمكة؛ صهيب وبلال وخَبَّاب(٤)، ومعنى ﴿هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ﴾:

---

(١) «المقتضب» ٢/ ١٨، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٩١٠، و«الحجة للقراء» ٢/ ٢٠٥، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ١٤، و«الإملاء» ١/ ٦٠، و«الدر المصون» ٢/ ٨٩. وبالإضافة إلى كون (كن) هنا للحكاية لا الأمر، يشترط في جواب الأمر أن يخالف الأمر؛ إما في الفعل، أو في الفاعل، أو فيهما، فلما اتفق الفعلان، والفاعلان واحد، لم يحسن أن يكون (فيكون) جواباً للأول. (المصادر السابقة).

(٢) «الإغفال» ٢/ ١٥٣ أ، بنصه.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٠، بلفظه.

(٤) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣أ، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٧، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٦، عن مقاتل والكلبي، والثعلبي ٢/ ١٥٦ب، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٩، عن الكلبي، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» ص٢٨٥، بلا سند، وهذا القول لا يعتد به في أسباب النزول ؛ لوروده بلا إسناد، فضلاً عن كونه من رواية الكلبي، وقد أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ برواية أخرى عن ابن عباس قال: هم قوم هاجروا إلى رسول الله ﷺ من أهل مكة من بعد ظلمهم، وظلمهم المشركون، وهذه كذلك لا يعتد بها في أسباب النزول؛ لكونها من الصيغ غير الصريحة، ولورودها من طريق العوفي، وهي ضعيفة، وخبَّاب هو: ابن الأرتّ، أبو عبدالله ﷺ، سبي في الجاهلية فبيع بمكة، فكان مولى أم أنمار الخزاعية، وقيل غير ذلك، ثم حالف بني زهرة، كان من السابقين في الإسلام، ومن المستضعفين، عذب بمكة عذاباً شديداً حتى اشتكى إلى رسول الله ﷺ، هاجر إلى المدينة وشهد بدراً وما بعدها، ونزل الكوفة ومات بها سنة (٣٧هـ). انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٢١، و«أسد الغابة» ٢/ ١١٤، و«الإصابة» ١/ ٤١٦.

هاجروا في رضا الله وطلب ثوابه.

وقوله تعالى: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال الشعبي وقتادة: بوأهم الله المدينة[(١)]، وعلى هذا يكون التقدير: لَنُبَوِّئَنّهم في الدنيا دارًا حسنة أو بلدة حسنة، يعني المدينة؛ فإن الله تعالى جعلها لهم دار هجرة، وجعل لهم أنصارًا من المؤمنين فيها، وجمعهم فيها مع النبيّ ﷺ، وقال مجاهد: لَنَرْزُقنّهم في الدنيا[(٢)].

وقال الضحاك: يعني بالحسنة: النصر والفتح[(٣)]، وعلى هذا تقدير الآية: لنبوئنهم في الدنيا ولنرزقنهم حسنة أو لنعطينهم حسنة، فحذف ذلك اكتفاءً بالأول كقوله[(٤)]:

علفتها تبنًا وماءً باردًا[(٥)]

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ بلفظه عنهما من طريقين، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٧، عن الشعبي، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧أ، عن قتادة، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٨، عنهما، والطوسي ٦/ ٣٨٣، عنهما، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن الشعبي.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٤٧، بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٠٧ بنصه من طريقين، وورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٨، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢١، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٧، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٨، بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤٨.

(٤) نسبه الفراء لبعض بني أسد.

(٥) وعجزه:

حتى شَتَتْ هَمّالةً عَيْناها

«معاني القرآن» للفراء ١/ ١٤، وورد بلا نسبة في «الخصائص» ٢/ ٤٣١، و«الإنصاف» ٤٨٨، و«اللسان» (علف) ٥/ ٣٠٧٠، و«الدر المصون» ٧/ ١١٢، و«أوضح المسالك» ٢/ ١١٠، و«همع الهوامع» ٥/ ٢٢٨، و«الدرر اللوامع» ٦/ ٧٩، و«الخزانة» ٣/ ١٤٠، وقال: وأورده الشيرازي والفاضلُ اليمني صدراً =

وهذا باب قد مرّ منه كثير، فيكون معنى الآية: أنزلهم المدينة وأطعمهم الغنيمة، وهذا الوجه اختيار الفراء؛ لأنه قال في هذه الآية: نزول المدينة ولنُحَلِّلنَّ لهم الغنائم[١]، وعلى هذا التفسير حذف من الآية شيئان: المفعول الثاني للتَّبوِئة، والفعل الناصب للحسنة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد أن أمر الجنّة أعظم وأكثر[٢] من أن يعلمه أحدٌ ويقدر أحدٌ على وصفه[٣]، وما ظنُّك بما قال الله له: أكبر.

٤٢- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾، في محل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ وجوه: أحدها: أن يكون بدلًا من المضمر في: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾، ويجوز أن يكون على تقدير: هم الذين، قال ابن عباس: أثنى عليهم ومدحهم بالصبر، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ يريد على دينهم وعلى عذاب المشركين إيّاهم، وهم في ذلك واثقون بالله متوكلون عليه.

٤٣- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ قال المفسرون[٤]: إن مشركي مكة أنكروا نبوة محمد ﷺ، قالوا: الله أعظم من

= وبرواية أخرى للصدر:

لما حَطَطْتُ الرحْلَ عنها وارداً ... عَلَفْتُها تبناً وماءً بارداً

(شتت) بمعنى أقامت شتاء، يقال: شتا بالبلد: أقام به شتاءً، (همَّالة عيناها) من هملَت العينُ؛ إذا صبَّت دمعها وفاضت وسالت. والشاهد: حذف وسقيتها ماءً، اكتفاءً بالأول؛ وهو: علفتها.

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٠، بنصه.

(٢) في جميع النسخ: (أكثر)، وفي تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٦، (أكبر).

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٦، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٤٨، مختصراً.

(٤) ساقط من (د).

أن يكون رسوله بشرًا، فهلا بعث إلينا ملكًا[١]، فقال الله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا﴾ أي إلى الأمم الماضية، ﴿إِلَّا رِجَالٗا﴾: آدميين لا ملائكة، أعلمَ اللهُ أن الرسلَ بشر، إلا أنهم يُوحَى إليهم، فقال: ﴿إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾، نظير هذه الآية في أواخر سورة يوسف[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فقال ابن عباس: يريد أهل التوراة الذين آمنوا من قريظة والنضير[٣]، قال: والذكر التوراة[٤]، وتلا قوله: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ﴾ [الأنبياء:

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٩، بنحوه عن ابن عباس، من طريق الضحاك منقطعة، وورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣أ، والسمرقندي ٢/ ٢٣٦، والثعلبي ٢/ ١٥٧أ، بنصه، وانظر: البغوي ٥/ ٢٠، وابن عطية ٤/ ٤٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٩، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٥، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٨، والخازن ٣/ ١١٦، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣، و ابن كثير ٢/ ٦٢٨، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [آية: ١٠٩].

(٣) هما قبيلتان من قبائل اليهود التي سكنت المدينة وخيبر، وكانوا ثلاث قبائل؛ الثالثة هي بنو قينقاع، وقد أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة لمّا خانوا عهده وتآمروا عليه، وآذوا المسلمين. انظر: «سيرة النبي ﷺ» لابن هشام ١/ ١٦، ٢/ ٤٤٢، و«الروض الأنف» ٢/ ٢٨٩، و«زاد المعاد» ٣/ ٦٥، و«البداية والنهاية» ٤/ ٣، ٧٤، ١١٦.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٠٩، وهو جزء من رواية الضحاك عن ابن عباس السابقة؛ وفيها: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ﴾: يعني أهل الكتب الماضية، وورد بنحوه مختصراً في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٩، والطوسي ٦/ ٣٨٤، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٤٩، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٦، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣، و ابن كثير ٢/ ٦٢٨، والقول في كل المصادر ورد مطلقاً دون تقيده بمن آمن من بني قريظة أو النضير.

١٠٥]، ﴿ٱلذِّكۡرِ﴾ يعني التوراة، وهذا قول عامة المفسرين: أن أهل الذكر هم أهل الكتاب؛ يعني المؤمنين منهم في قول الأكثرين(١).

وقال أبو إسحاق: قيل: فاسألوا أهل الكُتب الذين يشهدون بهذا(٢)، لا من أجل أنهم من أهل هذه الملة، ولكن أهل الكتاب يعترفون أن(٣) الأنبياء كلهم بشر، فعلى هذا؛ المراد بأهل الذكر: أهل العلم بأخبار الماضين ومن أُنبِّئهم من الرسل، والذكر المراد به العلم؛ لأنه مقرون بالذكر ومتعلق به، إذ العالم من يذكر الدليل ولا يكون ساهيًا عنه، فحَسُن أن يقع الذكر موقع العلم.

وقال الزجاج: ويجوز -والله أعلم- قيل لهم: سلوا كلَّ من يُذْكَرُ بعلم، وافق هذه الملة أو خالفها(٤).

قال أهل المعاني: وفي هذه الآية دليل على أن الخصم إذا التبس عليه أمر رَدّ إلى أهل العلم بذلك(٥).

٤٤- قوله تعالى: ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ﴾ اختلفوا في الجالب لهذه

(١) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣، و«معاني القرآن» للنحاس ٥/ ٢١، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٦، وهود الهواري ٢/ ٣٧١، والطوسي ٦/ ٣٨٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٠، وابن عطية ٨/ ٤٢٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٨، والخازن ٣/ ١١٦، وأبي حيان ٥/ ٤٩٣.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠١، بنحوه، وهو أحد قولين ذكرهما في الآية.

(٣) (أن) ساقط من (ع).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠١، بنصه، وهذا القول هو الراجح ؛ لأنه موافق لعموم اللفظ، وحمل اللفظ على عمومه أولى ما لم يرد له مخصص، والرواية المخصص بأهل الكتاب عن ابن عباس، هي من طريق الضحاك وهي منقطعة.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٨٤، بنحوه.

الباء[١]؛ فعند الفراء: لا يجوز أن تتعلق بأرسلنا المذكور في الآية الأولى؛ لأن صلة ما قبل إلاَّ لا تتأخر بعد إلاَّ، ولكنّه يقول: تقدير الآية: أرسلناهم بالبينات[٢]، فالباء تتعلق بأرسلناهم المضمر المدلول عليه بأرسلنا المذكور، قال: ومثله قوله: ما ضرب إلا أخوك زيدًا، وما مرّ إلا أخوك بزيد، تريد ما مرّ إلا أخوك، ثم تقول: مرّ بزيد، فهذا إنما يجوز على كلامين، ولا يجوز أن يكون ما بعد إلَّا موصولًا بما قبله، ومن هذا الجنس قول الشاعر:

نُبِّئْتُهُمْ عَذَّبُوا بالنّارِ جارَتَهَمْ ... وهل يُعذِّبُ إلاّ اللهُ بالنّارِ[٣]

وقال الكسائي: (إلاّ) في قوله: ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ بمعنى غير؛ كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، (قال: المعنى لو كان فيهما آلهة غير الله لفسدتا)[٤]، واحتجّ بقول الشاعر[٥]:

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيَدٍ ... إلاّ يَدٍ لَيْسَتْ لَها عَضُدُ[٦]

---

(١) أورد السمين في ذلك ثمانية أقوال، انظر: «الدر المصون» ٧/ ٢٢٢، وما بعدها.

(٢) فيكون تأويل الكلام: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر.

(٣) ورد غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٤/ ١١٠، و«الإملاء» ٢/ ٨١، فيه: (لا) بدل (هل)، والثعلبي ٢/ ١٥٧أ، والطوسي ٦/ ٣٨٥، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٢٨، و«الدر المصون» ٧/ ٢٢٢، و«شرح التصريح» ١/ ٢٨٤، قال الأزهري: فقدم الفاعل المحصور بإلا على المجرور بالباء، وطوى ذكر المفعول، وهل بمعنى ما، وأصل الكلام: ما يعذب أحدٌ أحداً بالنار إلا الله.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٥) هو أوس بن حجر (جاهلي).

(٦) «ديوانه» ص٢١، ووردت اليد الثانية منصوبة (إلا يداً) وليس في هذه الرواية =

فقال: (إلاّ) هاهنا بمعنى غير؛ لأنه لا يمكن إعادة خافض بضمير[(١)]، قال الفراء: وقد ذهب في هذا مذهبًا[(٢)]، ومن قال الذكر في الآية الأولى بمعنى العلم[(٣)]، جعل الباء من صلته؛ كأنه قيل: سَلوا أهل العلم بالبينات والزبر[(٤)]؛ وهي ما أنزل الله على الأنبياء من الحجج الواضحة والكتب، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾ يعني القرآن[(٥)]، ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾: في هذا الكتاب من الحلال والحرام، والوعد والوعيد، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: في ذلك فيعتبرون.

٤٥- قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين؛ أهلَ مكة وما حول المدينة[(٦)].

= الشاهد، وورد في: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠١، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١١٠، والثعلبي ٢/ ١٥٧أ، (لُبَيْنى): اسم امرأة، وبنو لبينى من بني أسد بن واثلة، يعيرهم بأنهم أبناء أَمَة إذ ينسبهم إلى الأم تهجيناً لشأنهم.

(١) يعني أن الذي خفض اليد قبل (إلا) وهي الباء يتعذر إعادته بعد (إلا) لخفض اليد الثانية، ولا إشكال لو كانت بمعنى غير.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٠-١٠١، بتصرف واختصار.

(٣) أشار إلى ذلك الزجاج في «المعاني» ٣/ ٢٠١، بقوله: قيل لهم: اسألوا كلَّ من يذكر بعلم..، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٨، والخازن ٣/ ١١٦.

(٤) وهذا القول هو الأظهر؛ لأنه لا يحتاج إلى تأويل، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما احتاج إلى تأويل.

(٥) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣أ، والطبري ١٤/ ١١١، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣، والسمرقندي ٢/ ٢٣٧، والطوسي ٦/ ٣٨٥، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٠، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٢٥، والخازن ٣/ ١١٦، وابن كثير ٢/ ٥٩٢.

(٦) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٠، وابن عطية ٨/ ٤٢٥، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٠، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٨، والخازن ٣/ ١١٧، وأبي حيان ٥/ ٤٩٤.

وقوله تعالى: ﴿مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ قال الكلبي: عملوا السيئات، يعني عبادة غير الله[١]، وكذلك قال قتادة: يعني الشرك[٢]، وعلى هذا سمى عبادتهم الأوثانَ مكرًا، لأن المكر في أصل اللغة: السعي بالفساد[٣]، وذكرنا هذا فيما تقدم[٤]، وعبادة غير الله من أفسد السعي.

وقوله تعالى: ﴿أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ قال ابن عباس: كما خَسف بقارون[٥]، ومعنى الخسف في اللغة: سُؤُوخُ الأرضِ بما عليها[٦]، قال أبو زيد والأصمعي: خَسَفَ المكانُ يَخْسِفُ، وخَسَفَهُ الله[٧]. ومعنى الاستفهام في قوله: ﴿أَفَأَمِنَ﴾ الإنكار؛ أي: يجب أن لا يأمنوا عقوبة تلحقهم كما لحقت المكذبين من قبلهم.

وقوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ قال الكلبي: من حيث لا يعلمون بهلاكهم[٨]، قال ابن عباس: يريد يوم بدر وما كانوا

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٣٨، وورد غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٢.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١١٢ بلفظه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) والمشهور عند أهل اللغة أن أصل المكر: الاحتيال والخداع، ويكون عادة في خُفْيَة، فكأن الواحدي رحمه الله فسرها باللازم؛ انظر: (مكر) في «تهذيب اللغة» ٣٤٣٤، و«المحيط في اللغة» ٦/ ٢٦٣، و«مجمل اللغة» ٢/ ٨٣٨، و«الصحاح» ٢/ ٨١٩.

(٤) في تفسير الآية [٢٦] من هذه السورة.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٩، والخازن ٣/ ١١٧، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥، وفي الأخيرين بلا نسبة.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (خسف) ١/ ١٠٢٩، بنصه، وهو قول الليث. وانظر: (خسف) في «المحيط في اللغة» ٤/ ٢٦٧، و«اللسان» ٢/ ١١٥٧.

(٧) المصدر السابق نفسه.

(٨) ورد بنصه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٧.

يُقدِّرون ذلك ولا يشعرونه[١].

٤٦- قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: يريد في تجارتهم واختلافهم إلى اليمن وإلى الشام[٢]، وهذا قول قتادة والكلبي، قالا: ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: في أسفارهم[٣]، وقال مقاتل: في ليلهم ونهارهم[٤]، يريد في تقلبهم في كل الأحوال ليلًا ونهارًا، فيدخل في هذا تقلبهم على الفرش يمينًا وشمالًا، ﴿فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي بممتنعين ولا فائتين[٥] الله، قال ابن عباس: يريد أن الله لا يعجزه شيء أراده.

٤٧- قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، التخوف: تَفَعُّل من الخوف، يقال: خفت الشيء وتخوَّفته، قال الزجاج: أي أو يأخذهم بعد

---

(١) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٩، و«الشوكاني» ٣/ ٢٣٦.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١١٢ من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وأخرجه بنحوه من طريق العوفي غير مرضية، وورد في تفسير «تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٠، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢١، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٠ قال: في أسفارهم، والخازن ٣/ ١١٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٢٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وفي جميع المصادر ما عدا ابن الجوزي ورد بلفظ: في اختلافهم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٦ بلفظه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١١٢ بلفظه عن قتادة من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٩، بلفظه عن قتادة، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٠٩، وابن كثير ٤/ ٦٢٩، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٢٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، كلها عن قتادة، وورد غير منسوب في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧أ، وهود الهواري ٢/ ٣٧٢، ونُسب فيه إلى الكلبي تفسيرها بقوله: في البلاد بالليل والنهار.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣أ، بلفظه، وانظر: «تفسير أبي حيان» ٥/ ٤٩٥.

(٥) في جميع النسخ: (قانتين) ولا معنى لها هنا، والصحيح المثبت كما في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٧، و«الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٣٩٨.

أن يخيفهم؛ بأن يهلك فرقة فتخاف التي تليها[١]، وهذا معنى قول الضحاك والكلبي، يعني: (يعذب طائفة ويدع طائفة)[٢]، فيتخوف الذين يَدَعْهم مثل ما أصاب الآخرين[٣]، ونحو هذا قال الحسن[٤]؛ والمعنى يأخذهم على تخوفهم الهلاك لما سبق من هلاك طائفة منهم، وقال ابن عباس وعامة المفسرين: على تَنَقُّص؛ إما[٥] بقتل أو بموت[٦]، يعني: ينقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يُهْلِك جميعَهم[٧]. أخبرني

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠١، بنصه.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٦ عن الكلبي، والطبري ١٤/ ١١٣ عن الضحاك، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٩، عن الضحاك، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧أ، عنهما، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٠، عن الضحاك، والطوسي ٦/ ٣٨٦، عن الضحاك، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢١، عنهما، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٠، عن الضحاك، والخازن ٣/ ١١٧، عنهما، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٢٣، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٠، والطوسي ٦/ ٣٨٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٠.

(٥) في جميع النسخ: (أو، ويستقيم المعنى بـ (إما)، والتصويب من «تفسير الشوكاني» ٢/ ٢٣٦، وصديق خان ٧/ ٢٥٠.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٤٧، بنحوه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١١٣، بنحوه، عن ابن عباس من طريق عطاء الخرساني صحيحة، وأخرجه مختصراً عن مجاهد من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٦٩، مختصراً عن ابن عباس ومجاهد، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥١، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٠، عن ابن عباس ومجاهد، والخازن ٣/ ١١٧، عن ابن عباس ومجاهد، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥، عن ابن عباس ومجاهد والضحاك.

(٧) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧ أ، بنصه.

العروضي عن الأزهري، قال: أخبرني المنذري عن الحرّانيِّ عن ابن السِّكِّيت، قال: يقال: هو يَتَخَوَّفُ المالَ ويَتَحَوَّفُه، أي يتَنَقَّصُهُ ويأخذُ من أطرافه، وأنشد لابن مقبل[(١)]:

تَخَوَّفَ السَّيْرُ منها تَامِكًا قَرِدًا كما تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ[(٢)(٣)]

وروى شمر عن ابن الأعرابي: تَخوَّفْتُ الشيء وتَخيَّفْتُه، وتَخَوَّفْتُهُ وتَخَيَّفْتُهُ إذا تَنَقَّصَتُه[(٤)].

قال أهل المعاني: معنى التنقص: أنه يؤخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد، وتلك حال يُخافُ معها الفناء ويُتخوفُ الهلاكُ[(٥)]، فمعنى

---

(١) نُسب في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧ب، لأبي كبير الهذلي، وهو يصف ناقة، ولم أجده في «ديوان الهذليين». وابن مقبل هو: تميم بن أُبيّ بن مُقبل، من بني عجلان، تقدمت ترجمته.

(٢) لم أجده في الإصلاح، وورد في «تهذيب اللغة» (خاف) ١/ ٩٦٦، بنصه.

(٣) «ديوان ابن مقبل» ص٤٠٥، وورد في «تهذيب اللغة» (خاف) ١/ ٩٦٦، و«اللسان» (خوف) ٣/ ١٢٩٢، ونُسب إلى أبي كبير الهذلي في «تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٠، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٥٣، وصديق خان ٧/ ٢٥٠، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب، لكن برواية:

تخوف الرحل منها تامكاً صلباً

ونسبه الزمخشري لزهير ٢/ ٣٣٠، وورد غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٤/ ١١٣، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٢، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٣٨٦، وابن عطية ٨/ ٤٢٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٩، و«الدر المصون» ٧/ ٢٢٥، وفي بعض المصادر: (الرحل) بدل (السير)، (التامك) السنام، (القرد) الذي تراكم لحمه من السمن، (النبعة) ضرب من الشجر الصلب، (السَّفَن) المِبْرَد، والمعنى: أي ينقص السيرُ سنامَها بعد تموكه، كما يُنحت العُودُ فيدِق بعد غِلَظِه.

(٤) المصدر السابق نفسه وبنصه.

(٥) انظر: «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٨٦، بنصه.

﴿يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾، أي: على حال تنقصهم، يأخذهم الأول فالأول حتى يأتي الأخذ على الجميع.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قال الزجاج: أي من رأفته أمهل وجعل فسحة للتوبة(١)، وهو معنى قول المفسرين: إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة والإهلاك(٢)، وأَخَّر عنهم هذه العقوبات التي ذكرها مع قدرته عليها.

٤٨- قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ قراءة العامة بالياء(٣)؛ لأن ما قبله غيبة، وهو قوله: ﴿أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾، ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ﴾ كذلك: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾، وكان النبيّ ﷺ وأصحابه قد رأوا ذلك وتيقنوه فلا يحسن أن يقال لهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾.

وقرأ حمزة والكسائي: ﴿تَرَوْا﴾ بالتاء(٤)، على الخطاب لجميع الناس(٥).

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٢، بنصه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣أ، والطبري ١٤/ ١١٤ بمعناه، والسمرقندي ٢/ ٢٣٧، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب، والماوردي ٣/ ١٩٠، وابن الجوزي ٤/ ٤٥١، والفخر الرازي ٢٠/ ٣٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١١، والخازن ٣/ ١١٧، وأبي حيان ٥/ ٤٩٥، وابن كثير ٢/ ٦٢٩.

(٣) وهم: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. انظر: «السبعة» ص٣٧٣، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٥، و«الحجة للقراء» ٥/ ٦٦، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٤، و«التيسير» ص١٣٨، و«شرح الهداية» ٢/ ٣٨٠، و«تلخيص العبارات» ص١١١.

(٤) انظر: المصادر السابقة.

(٥) «الحجة للقراء» ٥/ ٦٧، بتصرف يسير.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ قال المفسرون وأهل المعاني: أراد من شيء له ظل من جبل وشجر وبناء وجسم قائم[(١)]، وهذا معنى قول ابن عباس: يريد الشجر والنبات.

وقوله تعالى: (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) إخبار عن قوله: ﴿شَيْءٍ﴾، وليس بوصف له، و(يَتَفَيَّأُ): يتفعل من الفيء، يقال: فاء الظل يفيء فيئًا، إذا رجعَ وعادَ بعد ما كان ضياءُ الشمس نسخَه، وأصلُ الفيء الرجوع[(٢)]، ومنه فَيءُ المولي[(٣)]، وذكرنا ذلك في قوله: ﴿فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦]، وكذلك فيءُ المسلمين؛ لِمَا يعود على المسلمين من مال مَنْ خالف دينهم بلا قتال[(٤)]، وسنذكر ذلك في قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: ٧] إن شاء الله. وأصلُ هذا كله من الرجوع، فإذا عُدِّي (فَاءَ) عُدّي بزيادة الهمزة أو تضعيف العين، فمِمَّا عُدّي بنقل الهمزة قوله: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾، وبالتضعيف فاءَ الظلُّ، وفَيّأه الله فتفيّأ، وتَفيَّأ مطاوع فَيَّأَ[(٥)].

---

(١) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٧٢، بنصه، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١١٤- ١١٦، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب، بنحوه، والطوسي ٦/ ٣٨٧، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢١، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٢، والفخر الرازي ٢٠/ ٤٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١١، ونسبه إلى ابن عباس، والخازن ٣/ ١١٧، وأبي حيان ٥/ ٤٩٦.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (فاء) ٣/ ٢٧١١، و«مجمل اللغة» (في) ٢/ ٧٠١، و«الصحاح» (فيأ) ١/ ٦٣، و«عمدة الحفاظ» ٣/ ٣٠٨.

(٣) هو الذي يحلف أن لا يجامع زوجته، وقد حدد الشارع مدة الإيلاء بأربعة أشهر؛ إما أن يطلق وإما أن يفي. انظر: «تفسير الجصاص» ١/ ٣٥٥، والكيا الهراسي ١/ ٢١٦- ٢١٩، وابن العربي ١/ ١٧٨، و«تفسير القرطبي» ٣/ ١٠٣.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (فيأ) ٣/ ٢٧١١، بنحوه، وانظر: «التعريفات» ص١٧٠، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٤٠.

(٥) «الحجة للقراء» ٥/ ٦٧، بنصه، وانظر: «اللسان» (فيأ) ٦/ ٣٤٩٦، و«معجم الألفاظ المتعدية بحرف» ص٢٨٢.

قال الأزهري: وتفيؤ الظلال رُجوعها بعد انتصاف النهار وانتعال الأشياء[١]، قال: وأخبرني المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال: التفيؤ لا يكون إلا بالعشي؛ ما انصرفت عنه الشمس، وقد بينه الشاعر[٢] فقال:

فلا الظلَّ من بَرْد الضُّحى تستطيعُهُ ولا الفيءَ من بردِ العشيِّ تذَوُق[٣]

وقال أبو علي الفارسي: الظل ما كان قائمًا لم تنسخه الشمس، فإذا نسخته الشمس ثم زال ضياء الشمس الناسخ للظل فاء الظل، أي رجع كما كان أولًا[٤]، فهذا هو الفيء، ويُسمى الظل أيضًا، ولا يسمى الأول فيأً.

قال ثعلب: أخبرت عن أبي عبيدة أن رؤبة قال: كُلُّ ما كانت عليه الشمسُ فزالت عنه فهو فيءٌ وظلٌّ، وما لم تكن عليه الشمس فهو ظِلٌّ[٥]، على أن أبا زيد أنشد للنابغة الجعدي:

---

(١) «تهذيب اللغة» (فاء) ٣/ ٢٧١١، بنصه، وفي المصدر: وانتعال الأشياءِ ظلالَها. قلت ومعناه: صار ظلها تحتها.

(٢) هو حميد بن ثور. تقدمت ترجمته.

(٣) ديوانه ص٧٠، وورد في «إصلاح المنطق» ص٣٢٠، و«الصحاح» (فيأ) ١/ ٦٣، (بعد) بدل (برد) الثانية، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٣٠، و«اللسان» (فيأ) ٦/ ٣٤٩٥، وورد غير منسوب في «الحجة للقراء» ٥/ ٦٨، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٤٠، وأبي حيان ٥/ ٤٩٦، والبيت قاله يصف سَرْحَة شجر عظام طوال وكنَّى بها امرأة. والشاهد: أنه جعل الظلَّ وقت الضحى؛ لأن الشمس لم تنسخْه في ذلك الوقت. وكلام الأزهري في «تهذيب اللغة» (فاء) ٣/ ٢٧١١، بنصه.

(٤) ولخصه ابن السِّكِّيت فقال: الظلُّ: ما نسخته الشمسُ، والفيءُ: ما نسخ الشمسَ. «إصلاح المنطق» ص٣٢٠.

(٥) «الحجة للقراء» ٥/ ٧٠، بنصه، و«الصحاح» (فيأ) ١/ ٦٤، بنصه، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٣٢، والفخر الرازي ٢٠/ ٤٠، و«اللسان» (فيأ) ٦/ ٣٤٩٥. و«تفسير أبي حيان» ٥/ ٤٩٦.

فـسـلامُ الإلـهِ يَـغْـدو[١] عـلـيـهـمْ وفُـيوءُ الـفـرْدَوْسِ ذاتُ الـظِّـلالِ[٢]

فهذا الشعر قد أوقع فيه الفيء على ما لم تنسخه الشمس، وجمعه على فيوء؛ مثل بيت وبيوت؛ لأن ما في الجنة يكون ظلًّا ولا يكون فيئًا؛ لأن ضياء الشمس لم تنسخه، ففاء بعد النسخ، وأكثر ما تقول العرب في جمعٍ[٣] أفياء؛ وهو للعدد القليل، وفيوء؛ للكثير كالبيوت والعيون.

وقوله تعالى: ﴿ظِلَٰلُهُۥ﴾ أضاف الظلال إلى مفرد، ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال؛ لأن الذي يعود إليه الضمير واحدٌ يدل على الكثرة، وهو قوله: ﴿إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ﴾، وهذا مثل: ﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٣]، فأضاف الظهور، وهو جمع، إلى ضمير مفرد؛ لأنه يعود إلى واحدٍ يُرادُ به الكثرة، وهو قوله: ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾[٤] [الزخرف: ١٢].

وأما قول المفسرين في: (يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ) قال ابن عباس: يتميل[٥]، وهو معنى وليس بتفسير؛ لأنه إذا قرن بقوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ﴾ صار المعنى: أنه يتميل عن الجوانب، ومعنى تفيؤ الظلال: أن يعود الظل بعد نسخ الشمس إياه، وأما معنى تفيؤها عن اليمين والشمائل (فهو أن يكون

---

(١) في جميع النسخ: بعد، والصحيح المثبت لموافقته للمصادر وإفادته للمعنى.

(٢) «شعر النابغة» الجعدي ص٢٣١، وورد في «النوادر في اللغة» ص٢٢٠، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٣١، والفخر الرازي ٢٠/ ٤١، و«اللسان» (ظلل) ٥/ ٢٧٥٣.

(٣) الأولى (في الجمع)، أو (في جمع فيء) ولعل (فيء) ساقطة.

(٤) «الحجة للقراء» ٥/ ٦٧-٧٠ نقل طويل تصرف فيه بالحذف والإضافة، والتقديم والتأخير، والتهذيب والاختصار، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٤٠، نقله بطوله عن الواحدي بتصرف يسير مع نسبته.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٨٧، بلفظه.

للأشجار فيء عن اليمين والشمائل)[١]، إذا كانت الشمس يمين الشخص كان الفيء عن شماله، وإذا كانت على شماله كان الفيء عن يمينه، فهذا وجه ذكره بعضُ أهل التأويل[٢]، والذي عليه المفسرون، قال قتادة والضحاك وابن جريج: أما اليمين فأول النهار، وأما الشمال فآخر النهار[٣]، وقد بين الكلبي هذا، فقال: إذا طلعت الشمس وأنت متوجه إلى القبلة كان الظل قدامك، فإذا ارتفعت كان عن يمينك، فإذا كان بعد ذلك كان خلفك، فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان على يسارك، فهذا تفيؤه عن اليمين والشمائل[٤]، ووحد اليمين والمراد الجمع، ولكنه اقتصر فيه على الواحد في اللفظ للإيجاز؛ كقوله: ﴿وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] وقول الفرزدق:

بِفي الشَّامِتِينَ الصَّخْرُ إنْ كانَ هَدَّنِي
رَزِيَّةُ شِبْلَيْ مُخْدِرٍ في الضَّراغِمِ[٥]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من (ش)، (ع).

(٢) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٧٢، بنصه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٦) بنصه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١١٥ بنصه عن قتادة من طريقين، وبمعناه عن الضحاك وابن جريج من طريقين، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧ب، بنصه عن الضحاك وقتادة، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩١، والطوسي ٦/ ٣٨٧، عنهم، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٢، عن قتادة والضحاك، وابن عطية ٨/ ٤٣٣، عن قتادة وابن جريج، والخازن ٣/ ١١٧، عن الضحاك، وأبي حيان ٥/ ٤٩٧، عن قتادة وابن جريج.

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٧ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٢، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٢، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨، ورد في الأخيرين بلا نسبة.

(٥) «ديوانه» ٢/ ٢٠٦، وورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١١٧، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب، والطوسي ٦/ ٣٨٨، و«الأساس» ص١٥٤، وابن عطية ٨/ ٤٣٣، (الشامتين) =

هذا قول الأخفش وجميع أهل المعاني[(١)].

وقال الفراء: كأنه إذا وَحَّد ذهب إلى واحد من ذوات الظلال، وإذا جمع ذهب إلى كلها[(٢)]، وذلك أن قوله: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ لفظه واحد ومعناه الجمع على ما بينا، فيحمل كلا الأمرين.

وقوله تعالى: ﴿سُجَّدًا لِّلَّهِ﴾ قال المفسرون: ميلانها سجودها،[(٣)] وشرح ابن قتيبة هذا شرحًا شافيًا فقال: أصل السجود التّطأْطُؤ والميل، يقال: سجد البعير وأُسجد إذا طأطأ رأسه لِيُرْكَب، وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل، ثم قد يُستعارُ السجودُ فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذل، ومن الأمثال المبتذلة: اسْجُدْ للقرد في زمانه[(٤)]، يراد اخضع للئيم في دولته، ولا يُراد معنى سجود الصلاة، والشمس والظل خَلقان مُسخَّران لأَنْ يُعَاقِبَ كلٌّ واحدٍ منهما صاحِبَه بغير فصْلٍ، فالظلُّ في أول النهار قبل طلوع الشمس يَعُمّ الأرضَ، كما تَعُمُّها ظلمةُ الليل، ثم

= جمع شامت؛ وهو الذي يفرح في بلية الإنسان، (هدني): أوهن أركاني، (المُخدر): الأسد، وكذلك (الضرغام)، يعني أنه يَتَجلَّد ويَتَحمَّل مصيبته في فقد ولديه حتى لا يشمت فيه الشامتون الحاقدون. والشاهد: كما قال الطبري: فقال بفي الشامتين، ولم يقل: بأفواه، وهو الشاهد. والبيت يرثي فيه ابنين له.

(١) لم أقف عليه في معاني الأخفش، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٢، بلا نسبة.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٢، بمعناه.

(٣) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١١٤- ١١٥، بلفظه واختاره، والسمرقندي ٢/ ٢٣٧، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب بلفظه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٢، وابن عطية ٨/ ٤٣٥، و«القرطبي» ١٠/ ١١١، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨، و ابن كثير ٢/ ٦٣٠.

(٤) ذكره الميداني في المجمع، ونصه: اسْجُدْ لقِرْد السُّوء في زمانه. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني ١/ ٣٥٧.

تطلُع الشمسُ فتَعُمُّ الأرضَ إلا بما[١] سترته الشُّخُوصُ، فإذا سَتَرَ الشخصْ شيئًا عاد الظلُّ، فرجوعُ الظلِّ بعد أن كان شمسًا ودورانُه من جانب إلى جانب هو سُجُودُه؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتَّسخير، وهو في ذلك يميل، والميل سجود، وكذلك قوله: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، أي يستسلِمَان لله بالتسخير[٢]، وهذه الآية كقوله: ﴿وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقد مر بيانه وشرحه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾، أي: صاغرون، وهذا لفظ المفسرين[٣]، يقال: دَخَرَ يَدْخَر دُخُورًا، أي صَغُرَ يَصْغُرُ صَغَارًا، وهو الذي يَفعلُ ما تأمره شاء أو (أبى[٤]).

قال الزجاج: هذه الأشياء مجبولة على الطاعة[٥].

وقال الأخفش في قوله: ﴿وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾)[٦] ذَكَّرَ، وهم من غير

---

(١) في المصدر: إلا ما.

(٢) تأويل مشكل القرآن (ص٤١٦-٤١٨)، وهو نقل طويل تصرف فيه واختصر.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣ب، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٦ بلفظه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١١٦ بلفظه عن مجاهد وقتادة من طريقين لكل منهما، وورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٣، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٠، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٧، والثعلبي ٢/ ١٥٧ب، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٠، والطوسي ٦/ ٣٨٨، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٢، وابن عطية ٨/ ٤٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١١، والخازن ٣/ ١١٨، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (دخر) ٢/ ١١٥٨، بنصه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٢، بنصه.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (د).

الإنس؛ لأنه لما وصفهم بالطاعة أشبهوا ما يعقل[(١)].

٤٩- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. قد ذكرنا السجود يكون على نوعين: سجود هو عبادة؛ كسجود المسلمين لله، وسجود هو خضوع واستكانة؛ وهو سجود ما [لا][(٢)] يعقل وسجود الجمادات، فإن هذه الأشياء بما فيها من الدلالة على الحاجة إلى مُدَبِّر وصانع ساجدة؛ أي خاضعة متذللة، وقال: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ لأن (ما) و(من) يتعاقبان، و(ما) أعمّ من (من) ألا ترى أنه قد قال في أخرى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥].

وقوله تعالى: ﴿مِن دَابَّةٍ﴾ قال الفراء: دخل (من) هاهنا؛ لأن (ما) مُبْهم، فلو أسقطت (من) لأشبه أن تكون الدابة حالًا لها، فأدخل (من) ليدُلّ[(٣)] على أنه تفسير لـ(ما)[(٤)]، ومثل هذا كثير في كتاب الله؛ قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ﴾ [النساء: ٧٩]، وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل: ٤٨] لم يقل في شيء منه بطرح (مِنْ)؛ لما ذكرنا من أنّ (ما) و (مِنْ) غير مؤقّتتين[(٥)]، ومثله قول الشاعر:

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٠٦، بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٣.

(٢) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم المعنى، ويؤيده ثبوتها في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٠٠.

(٣) في (أ)، (د): (البدل)، والمثبت من (ش)، (ع)، وهو الصواب، يستقيم به المعنى، ويؤيده المصدر.

(٤) في (ش)، (ع): (لها).

(٥) أي: غير محددتين.

فثبتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ وحيثُ ما يقض أمرًا صالحًا يكن[(١)]

وقال آخر:

عُمْرًا حَييت ومَن يشناك من أحد يَلْق الهوان ويلق الذُلَّ والغِيَرا[(٢)]

فدلّ مجيء (من) على أنه لم يرد أن يكون ما جاء من النكرات حالًا للأسماء التي قبلها، ودلَّ على أنه مُترجِم على معنى (مَن) و(مَا)، ومثل هذا قوله: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ [سبأ: ٣٩]؛ لأن الشيء لا يكون حالًا، ولكنه مترجم، فأمَّا قولهم: لله دَرُّه رجلًا[(٣)]، فالرجلُ مترجِم لما قبله وتفسير وليس بحال، إنّما الحال الذي ينتقل؛ مثل القيام والقعود، وجاز سقوط (مِنْ) في هذا الموضع[(٤)]؛ لأن الذي قبله مؤقت، فجاز أن يُذكرَ بطرح (مِن) كالحال[(٥)]، وقال الأخفش في قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يريد: (من الدواب، واجتزأ بالواحد؛ كما تقول: ما أتاني من رجل مثله[(٦)]، وقال ابن عباس في قوله: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾)[(٧)]:

---

(١) ورد غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٣ بخلاف في رواية الصدر:

حاز لك الله ما آتاك من حَسَنٍ

(٢) ورد غير منسوب في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٣.

(٣) ورد في «جمهرة الأمثال» ٢/ ٢١٠، وانظر: «مجمع الأمثال» ٢/ ١٩٠، و«اللسان» (عجب) ٥/ ٢٨١٢، (درر) ٣/ ١٣٥٦، وورد برواية: (لله درُّك)، والأصل فيه أن الرجل إذا كَثُر خيرُه وعطاؤهُ قيل له ذلك، إشادةً وتعجباً، ثم قيل لكل مُتَعَجبٌ منه.

(٤) أي في المثل؛ لأن أصله أن يقال: لله درُّه من رجل.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٣-١٠٤، نقل طويل تصرف فيه بالتقديم والتأخير، والاختصار والتهذيب، والتمثيل والتوضيح.

(٦) أي: ما أتاني من الرجال مثله، فأفاد الإفراد معنى الجمع. «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٠٦، بنصه.

(٧) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

يريد كلَّ ما(١) دَبَّ على الأرض(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أخرجهم بالذكر تخصيصًا وتفصيلًا؛ كقوله: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾(٣) [الرحمن: ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾(٤) [البقرة: ٩٨] وقال الزجاج: المعنى: ولله يسجد ما في السموات من الملائكة، وما في الأرض من دابة والملائكة؛ أي: وتسجد ملائكة الأرض(٥)، وفي الأرض ملائكة موكلون بالعباد(٦)، وقيل: إنما ذكرهم على التخصيص لخروجهم من صفة الدبيب بما جعل لهم من الأجنحة(٧)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد عن عبادة الله(٨)، وهذا صفة من يسجد لله سجود عبادة، فأما من له سجود الخضوع

---

(١) في جميع النسخ: كلما، وهو تصحيف ظاهر.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٤٤، وأبي حيان ٥/ ٤٩٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٢، بلا نسبة.

(٣) يقصد ذكر الخاص بعد العام؛ فذكر الفاكهة عموماً، ثم فصل في أنواعها وخص من الأنواع النخل والرمان.

(٤) وهنا كذلك، أجمل الملائكة، ثم فصَّلهم وخصّ منهم جبريل وميكال بالذكر.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٢، بنصه.

(٦) لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]، وغيرها من الأدلة.

(٧) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨أ، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٢، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٣.

(٨) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٣، و ابن كثير ٢/ ٦٣٠، وأبي السعود ٥/ ١١٩، و«الشوكاني» ٣/ ٢٣٨، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٥٨، كلها بلا نسبة.

دون سجود العبادة، فمعنى لا يستكبرون في صفتهم أنهم يذعنون للخالق والصانع بالتسخير والتذليل وما فيهم من الضرورة إلى صانع فطرهم وخلقهم وأنشأهم ودبَّرهم، ويجوز أن يكون قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ من صفة الملائكة خاصة[(١)]؛ لأن الآية التي بعد هذا تختص بصفتهم.

٥٠- قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ الآية. ذكر أهل العلم وأصحاب المعاني في هذه الآية، قولين[(٢)]؛ أحدهما: أن الآية من باب حذف المضاف، على تقدير يخافون عقاب ربهم من فوقهم[(٣)]؛ لأن أكثر ما يأتي العقاب المهلك من فوق، سيّمَا والآية في صفة الملائكة، والآخر: أن الله تعالى لما كان موصوفًا بأنه عليٌّ ومتعال علو الرتبة في القدرة، حَسُن أن يقال: ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾ ليدل على أنه في أعلى مراتب القادرين[(٤)]، وهذا

---

(١) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣ب، بنحوه، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣، بمعناه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٤، و«الشوكاني» ٣/ ٢٣٨.

(٢) ورد القولان في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٢، بنحوه، والطوسي ٦/ ٣٨٩ بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣١، وابن عطية ٨/ ٤٣٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٥، وأبي حيان ٥/ ٤٩٩، و«الدر المصون» ٧/ ٢٣٤.

(٣) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣ب، بمعناه، والطبري ١٤/ ١١٧- ١١٨ بمعناه، والثعلبي ٢/ ١٥٨، بنحوه، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٣.

(٤) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٨، بمعناه .

والقولان باطلان ؛ لأن فيهما تعطيلًا وتأويلًا ؛ فالأول تعطيل ظاهر لصفة الفوقية، والثاني تأويل وصرفٌ لظاهر النص من فوقية العلو إلى فوقية القدرة والعظمة، وهو خلاف مذهب أهل الحق؛ يقول ابن القيم: ومما ادعى المعطلة مجازه: الفوقية، وقد ورد به القرآن؛ كقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، وحقيقة الفوقية علو ذات الشيء على غيره، فادعى الجهمي أنها مجاز في فوقية الرتبة والقهر، كما يقال الذهب فوق الفضة، والأمير فوق نائبه، وهذا وإن كان ثابتاً للرب تعالى، لكن =

معنى قول أبي إسحاق: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم﴾: خوف مُجِلِّين[١]، ويدل على صحة هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله إخبارًا عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، وقد روى مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ قال: ذاك مخافة الإجلال[٢]، وذهب بعض الناس إلى أن قوله: ﴿مِّن فَوْقِهِمْ﴾ من صفة الملائكة[٣]، والمعنى: أن الملائكة الذين هم فوق بني آدم وفوق ما في الأرض من دابة يخافون الله مع علو رتبتهم، فلأن يخاف من دونهم أولى[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قال المفسرون: يعني الملائكة[٥]،

= إنكار حقيقة فوقيته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه عديدة، وقد ذكر سبعة عشر وجهاً. انظر: «مختصر الصواعق المرسلة» ص٣٥٥-٣٦٣ ، و«الفتاوى» ٥/ ١٢٦.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٣، بنصه. وقد ردّ الألوسي القول بأن خوفهم ليس إلا خوف إجلال ومهابة لا خوف وعيد وعذاب، بقوله: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَـٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء].

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٥، وعزاه للخطيب في تاريخه [لم أقف عليه]، وانظر: «تفسير الرازي» ٢٠/ ٤٤، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٥٩، وأورداه بصيغة التمريض، وانتصر له الفخر الرازي وردّه الألوسي -كما مرّ في الحاشية السابقة-، وورد بلا نسبة في «تفسير أبي حيان» ٥/ ٤٩٩، وأبي السعود ٥/ ١١٩.

(٣) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣ب، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٣، وأبي حيان ٥/ ٤٩٩.

(٤) وفي هذا المعنى تكلُّف وصَرْفٌ لِلَّفظ عن ظاهره؛ فالفوقية هنا صفة لله وليس للملائكة.

(٥) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣ب، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٢، بمعناه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٣، و«الشوكاني» ٣/ ٢٣٨.

وهذا كقوله في آية أخرى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ الآية [التحريم: ٦].

٥١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ قال الزجاج: ذكر اثنين توكيدًا لقوله: ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[1][التوبة: ٣١]. وقال صاحب النظم: فيه تقديم وتأخير؛ يريد: لا تتخذوا اثنين إلهين[2]، أي: الاثنان لا يكونان ولا واحدٌ منهما إلهًا، ولكن اتخذوا الواحد الذي لا يجوز أن يكون له ثانٍ إلهًا، يدل على هذا قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾، وقوله: ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ من تلوين الخطاب.

٥٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا﴾، الدين: الطاعة هاهنا، والواصب: الدائم، و[هو][3] قول ابن عباس وجميع المفسرين[4]؛ يقال

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٤، بنصه، لكنه استشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ بالآية نفسها.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٤٧، بنصه، والظاهر نقله عن الواحدي، والخازن ٣/ ١١٨، بنحوه.

(٣) ساقطة من جميع النسخ، ولا يستقيم الكلام إلا بها.

(٤) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣ب، بنحوه، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٧ بلفظه عن قتادة، وورد في «الغريب» لابن قتيبة ص٢٤٣، بلفظه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١١٩ بلفظه عن ابن عباس، وعن عكرمة من طريقين، وعن مجاهد من طريقين، وعن الضحاك من طريقين، وعن قتادة، وعن ابن زيد، وأخرجه بلفظ واجباً عن ابن عباس، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٢، بلفظه عن قتادة وعن مجاهد، وعن ابن عباس قال: واجباً، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٨ بلفظه، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣، بلفظه، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ، بنحوه، وفيه عن ابن عباس قال: واجباً، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٣، بلفظه عن الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك، وعن ابن عباس قال: واجباً، والطوسي ٦/ ٣٩٠، بنحوه عن ابن عباس، وقال: وبه قال الحسن ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد.

وصب الشيء يصب وصوبًا إذا دام[(١)]، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات: ٩] ويقال: واظَبَ على الشيء وواصَبَ عليه إذا داوم[(٢)]، قال أبو إسحاق: أي طاعته واجبة أبدًا[(٣)]، وقال عبد الله بن مسلم[(٤)]: ليس من أحد يُدان له ويطاوع إلا انقطع ذلك عنه بزوال أو هلكة، غير الله ﷻ؛ فإن الطاعة تدوم له[(٥)]، ثم قال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾، أي: أفغير الله الذي قد أبان لكم أنه واحدٌ، وأنه خالق كل شيء، وأمر أن لا يُتخذ معه إلهٌ، تتقون.

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد من نعمة الإسلام وصحة الأبدان[(٦)]، أي ما أعطاكم الله من صحة في جسم أو سعة في رزق أو متاع بمال وولد، فكل ذلك من الله، ودخلت الفاء في قوله: ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾؛ لأن الباء في: ﴿بِكُم﴾ متصلة بفعل مضمر، المعنى: ما يكن بكم أو ما حل بكم من نعمة فمن الله[(٧)]، وقد شرحنا هذه المسألة في

---

(١) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٢، بنصه، وانظر: (وصب) في «جمهرة اللغة» ١/ ٣٥١، و«المحيط في اللغة» ٨/ ٢٠٢، و«الصحاح» ١/ ٢٣٣، و«اللسان» ٨/ ٤٨٤٨، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٤٩، بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٥، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (وصب) ٤/ ٣٩٠٠، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٤٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٣، بنصه.

(٤) هو ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ).

(٥) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٤٥، بنصه.

(٦) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١١٩، بنصه غير منسوب.

(٧) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٤، بنحوه، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٢٠-١٢١، بنحوه، وانظر: «تفسير الرازي» ٢٠/ ٥١، و«الإملاء» ٢/ ٨٢، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٣٢.

قوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] وفي قوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٤].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ﴾ قال ابن عباس: يريد الأسقام والأمراض والحاجة[١]، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾، أي: (ترفعون أصواتكم بالاستغاثة، وهو معنى قول المفسرين: يتضرعون بالدعاء[٢]، يقال: جأر ويجأر)[٣] جُؤارًا، وهو الصوت الشديد؛ كصوت البقرة[٤]، قال الأعشى يصف بقرة:

وكـان الـنَّـكـيـرُ أَنْ تُـضِـيـفَ وتَـجْـأَرَا[٥]

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢١ من طريق أبي طلحة صحيحة بلفظ السُّقْم، وكذلك ورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٣، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٧ بنصه، والفخر الرازي ٢٠/ ٥١، والخازن ٣/ ١١٩.

(٢) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٣ب، بلفظه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٢١ بلفظه عن مجاهد من طريقين، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٨، بلفظه، وهود الهواري ٢/ ٣٧٣، بلفظه عن مجاهد، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ، بمعناه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٣، بلفظه، والطوسي ٦/ ٣٩١ بلفظه، قال: وهو قول مجاهد، وانظر: «تفسير البغوي» ١/ ٥١٩، وابن عطية ٨/ ٤٤١، وابن الجوزي ٢٠/ ٥١.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٤) انظر: (جأر) في «تهذيب اللغة» ١/ ٥١٩، و«المحيط في اللغة» ٧/ ١٧٢، و«اللسان» ٢/ ٧٢٢، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ٥١، بنصه.

(٥) لم أجده في ديوانه، وورد منسوباً إليه في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨أ، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٥، برواية:

فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة وكان النكيرُ أن تُضيفَ وتجأرا

والصحيح أن البيت للنابغة الجعدي كما في شعر النابغة الجعدي ص٤١، وصدره:

فجالَتْ على وَحْشيتها مستَتِبَّةً

فهذا[١] في جُؤَار البقرة، وقال عدي بن زيد في جُؤَار الإنسان:

إِنَّني والله فاقْبَلْ حَلْفَتِي بأَبِيل كلما صَلَّى جَأَرْ[٢]

(أي رئيس النصارى)[٣].

٥٤- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ﴾ الآية. قال ابن عباس في قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ﴾ يريد أهل النفاق[٤]، وقال الكلبي: يعني الكفار[٥]،

= ونسب إليه كذلك في «الكتاب» ٣/ ٥٦٣، و«أدب الكاتب» ص٢٧٥، و«الاقتضاب» ص٣٦٧، و«الخزانة» ٧/ ٤٠٧، وبرواية: (أقامت) بدل (فطافت) في «إصلاح المنطق» ص٢٩٨، و«تهذيب إصلاح المنطق» ص٦٤١، و«اللسان» (خمس) ٢/ ١٢٦٢، (ضيف) ٥/ ٢٦٢٧. (مستتبة) واهنة ضعيفة، يقال: استتَبَّني: استضعفني، وأتب الله قوتها، أي: أوهنها. والنابغة يصف بقرة وحشية أكل السبع ولدها، فطافت ثلاثة أيام وثلاث ليال تطلبه ولا إنكار عندها ولا غناء إلا الإضافة؛ وهي: الجزع والإشفاق، و(الجؤار) هو الصياح، و(النكير) الإنكار. وانظر: «المحيط في اللغة» (تب) ٩/ ٤١٦.

(١) في (أ)، (د): (بهذا).

(٢) ورد في «الأغاني» ٢/ ١٠٥، وفيه: (لأبيلٌ)، و«مقاييس اللغة» ١/ ٤٢، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٣٩١، و«اللسان» (أبل) ١/ ١١، وفيه (فاسمع حَلِفي)، و«شعراء النصرانية قبل الإسلام» ص٤٥٣. (الأبيل) الراهب، سمي به لتأبله عن النساء وترك غشيانهنّ، والفعل منه: أبَل يأْبُلُ أبالةً: إذا تنسَّك وترهَّب، وفي اللسان: الأبيل: رئيس النصارى، وقيل: هو الراهب، وقيل: الراهب الرئيس، وقيل: صاحب الناقوس، وكانوا يسمون عيسى -عليه السلام- أبيل الأبيليين، وكانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله.

(٣) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ).

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٧، وأبي حيان ٥/ ٥٠٢.

(٥) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٧، وأبي حيان ٥/ ٥٠٢، وورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٨، والزمخشري ٢/ ٣٣٢، وابن عطية ٨/ ٤٤٣.

وهو اختيار الزجاج؛ قال: هذا خاص فيمن كفر[١]، وقابل كشف الضّر عنه بالجحود والكفر.

٥٥- قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾، أي: ليجحدوا نعمة الله في كشف الضرّ عنهم، واللام هاهنا يحتمل أن تكون لام كي[٢]، ويكون المعنى: أنهم أشركوا بالله غيره ليجحدوا نعمته، فاللام بيان عما هو بمنزلة العلة التي يقع لأجلها الشرك، وهؤلاء أشركوا بالعبادة ليكفروا النعمة[٣]، ويحتمل أن تكون اللام للعاقبة[٤]، ويكون المعنى: أنهم جعلوا ما رزقناهم وأنعمنا به عليهم سببًا إلى الكفر، كما قلنا في قوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ﴾ [يونس: ٨٨] وقد مر، وذكر أبو إسحاق الوجهين أيضًا في اللام هاهنا[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَتَمَتَّعُواْۖ﴾ لفظ أمر لتهدد؛ كقوله: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ﴾ [الإسراء: ١٠٧]، ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: عاقبة أمركم وما ينزل بكم من العذاب.

٥٦- قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني الأوثان؛ لا يعلمون ضرًّا ولا نفعًا، ومفعول العلم هاهنا محذوف، والتقدير: لما لا يعلمون له

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٤، بنصه.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٥٢، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٥، والخازن ٣/ ١١٩، وابن كثير ٢/ ٦٣٠.

(٣) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٩٢، بنحوه.

(٤) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٥٢، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٥، والخازن ٣/ ١١٩، وابن كثير ٢/ ٦٣٠.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٤ باختصار.

حقًّا ولا فيه ضرًّا ونفعًا، قال مجاهد: يعلمون أن الله خلقهم ويضرهم وينفعهم، ثم يجعلون لما لا يعلمون أنه ينفعهم ويضرهم(١)، ونحو هذا قال قتادة وابن زيد: هم مشركو العرب جعلوا لأوثانهم جزءًا من أموالهم(٢)، وقد بينّا(٣) مذهبهم في هذا عند قوله: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ [الأنعام: ١٣٦] جعلوا نصيبًا من الحرث والأنعام يتقربون به إلى الله تعالى، ونصيبًا يتقربون به إلى الأصنام والحجارة على ما يجب أن يتقربوا إلى الله، وعلى هذا: العِلمُ مسند إلى المشركين، وهو قول عامة المفسرين(٤).

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿يَعۡلَمُونَ﴾ هاهنا لازم ليس بمتعَدّ؛ لأنه الأصنام ومضاف إليها، والتأويل لِمَا ليس لها(٥)؛ لأنها موات لا معارف لها ولا حس، وأخرجها في قوله: (ما) مخرج غير الآدميين ومن [لا](٦)

---

(١) ليس في تفسيره، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٢٢ بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٨، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٥، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٦.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٢ بنحوه عن قتادة، وبمعناه عن ابن زيد، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٨، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٦) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) في (أ)، (د): (ساء)، ولا معنى له، والصحيح المثبت كما في (ش)، (ع).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٢٢- ١٢٣، والسمرقندي ٢/ ٢٣٨، وهود الهواري ٢/ ٣٧٤، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ، والطوسي ٦/ ٣٩٢، والزمخشري ٢/ ٣٣٢، وابن عطية ٨/ ٤٤٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٣، وذكر مسوغات ترجيح من رجحه، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٥، والخازن ٣/ ١١٩، وأبي حيان ٥/ ٥٠٣.

(٥) أي لما ليس لها علم ولا فهم.

(٦) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام، ولعلها التبست على النساخ بما بعدها.

يفهم، وفي قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ مخرج من يفهم، ومثله قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾[(١)] الآية [الأعراف: ١٩٨]، وحمله المعنى ﴿وَيَجۡعَلُونَ﴾، أي: المشركون، ﴿لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أي للشركاء الذين لا يعلمون شيئًا ولا معرفة لهم ولا حس، ﴿نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ﴾، هذا كلامه، ولعل هذا القول أقرب؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى تقدير محذوف، قال صاحب النظم: ولو كان هذا العلم مضافًا إلى المشركين لاستحال المعنى؛ لأنه لا يحتمل أن يجعلوا نصيبًا من رزقهم لما لا يعلمونه[(٢)]، ثم خاطبهم بعد الخبر عنهم، فقال: ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ﴾ أي سؤال توبيخ حتى يعترفوا به على أنفسهم؛ لأن سؤال التوبيخ هو الذي لا جواب لصاحبه إلا ما يظهر فيه فضيحته[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ أي تتقولونه على الله من أنه أمركم بذلك.

٥٧- قوله تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِلَّهِ ٱلۡبَنَٰتِ﴾ قال المفسرون: هؤلاء خزاعة[(٤)]

---

(١) قال الواحدي: والأكثرون على أن المراد بالآية الأصنام، وبيان صفات ما هي عليه من النقص.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٥٣، ذكر القولين كمسوغات لترجيح القول الثاني دون نسبته لصاحب النظم أو الواحدي.

(٣) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٩٢، بنحوه.

(٤) خزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية، وهم بنو عمرو بن ربيعة، وهو لُحيُّ بن عامر ابن قَمَعَة بن إلياس، وهو أول من بحّر البحيرة وسيَّب السائبة.. سُمُّوا بذلك لأنهم انخزعوا عن جماعة الأسد أيام سيل العرم لمّا صاروا إلى الحجاز، فافترقوا بالحجاز فصار قومٌ إلى عُمان وآخرون إلى الشام، وبطونهم هي: بنو كعب، وبنو عديّ، وبنو نصر، وبنو مُلَيح، وبنو جفنة، وبنو المُصْطَلِق، وبنو الحياء. انظر: «الاشتقاق» ص٤٦٨، و«جمهرة أنساب العرب» ص٤٦٧، و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ص٢٢٨، و«معجم قبائل العرب» ١/ ٣٣٨.

وكنانة[١] زعموا أن الملائكة بنات الله[٢]، ثم نَزَّه نفسه فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي تنزيهًا عما زعموا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ أجاز الفراء في (ما) وجهين؛ أحدهما: أن يكون في محل النصب على معنى: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون، والثاني: أن يكون رفعًا على الابتداء؛ كأنه تم الكلام عند قوله: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾، ثم ابتدأ فقال: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني البنين، وهذا كقوله: ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾[٣] [الطور: ٣٩]، ثم اختار الوجه الثاني فقال: لو كان نصبًا لقال: ولأنفسهم ما يشتهون؛ لأنك تقول: جعلتَ لنفسِك كذا وكذا، ولا تقول: جَعلتَ لك[٤]، و[٥] الزجاج أجاز[٦] الوجه الأول[٧] وقال: (ما) في موضع رفع لا غير، المعنى: ولهم الشيء الذي يشتهونه،

(١) كنانة: قبيلة عظيمة من العدنانية، وهم بنو كنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس، كانت ديارهم بجهات مكة، وُلِد له: النَّضر، ومَلْك، وملِكان، وعبد مناة، وترجع جميع أنساب كنانة إلى هؤلاء، ويرجع نسب قريش إلى النَّضر بن كنانة، ومنه يتفرع نسب نبينا محمد ﷺ. انظر: «جمهرة أنساب العرب» ص١١، و«نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ص٣٣٦، و«معجم قبائل العرب» ٣/ ٩٩٦.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨أ بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٤، والزمخشري ٢/ ٣٣٢، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٦، و«تفسير البيضاوي» ٣/ ١٨٤، والخازن ٣/ ١٢٠، وأبي حيان ٥/ ٥٠٣.

(٣) حيث تم الكلام على الآية السابقة [٣٨]، وهي: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾، ثم ابتدأ بهذه الآية.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٥، بتصرف.

(٥) ورد في جميع النسخ: (وابن الزجاج)، وهو خطأ، والصواب ما أثبته.

(٦) في جميع النسخ: (أجازه)، والصحيح المثبت.

(٧) الصحيح أنه أجاز الوجه الثاني كذلك.

ولا يجوز النصب؛ لأن العرب تقول: جَعَل لنفْسِه ما يشتهي، ولا تقول جَعَل زيدٌ له ما يَشْتهي، وهو يعني نفسه[(١)].

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ﴾ أي أُخبر بولادة بنت، والتبشير هاهنا بمعنى الإخبار أو بمعنى حقيقة التبشير على ما بينا في قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [البقرة: ٢٥]؛ لأن الحزن يؤثر في البَشَرة كما يؤثر السرور، يدل على هذا قوله: ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ قال الزجاج: أي متغيرًا تَغَيُّرَ مغتم، ويقال لمن لَقِي مكروها: قد اسود وجهه غمًّا وحُزْنًا[(٢)]، وشرح أبو علي هذا فقال: ليس المعنى على السواد الذي هو خلاف البياض، ولكن على ما يلحق من غضاضة عن مذمة[(٣)]، ونَزَّلُوا ولادةَ الأنثى -وإن لم يكن من فِعْلِهم- منزلةَ ما يكونُ من فِعْلِهم مما يلحق من أجله العار، وعلى ضِدِّ هذا يمدحون بالبياض من لم يلحقه عار، من ذلك قوله[(٤)]:

وأَوْجُهُهُمْ بِيضُ المَسَافِرِ غُرَّان[(٥)]

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٦، بتصرف يسير.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٦، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٥.

(٣) لم أقف عليه، وورد نحوه في «تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٦.

(٤) البيت لامرئ القيس.

(٥) وصدره:

ثِيابُ بَني عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيةٌ

«شرح ديوان امرئ القيس» ص١٦٧، وفيه (عند المشاهد) بدل (بيض المسافر)، وورد في «العين» ٤/ ١٩، وفي (غرر) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٦٥٢، و«الصحاح» ٢/ ٧٦٧، و«اللسان» ٦/ ٣٢٣٤، و«التاج» ٧/ ٣٠١، وفيه (المشاهد) بدل (المسافر)، و«مقاييس اللغة» ٣/ ٤٢٨، برواية: (عند المسافر)، «الأساس» ص٢٩٨. (المَسَافر)؛ أصله: سفر؛ أي أشرق، يقال: سفر وجهه حُسناً، وأسفر.

يريد أنهم لا يرتكبون ما يُدَنِّس الوجه، وعلى هذا المعنى وصفهم الرجلَ بالبياض في المدح لا على معنى بياض اللون ونصوعه، قال قتادة في هذه الآية: هذا صنيع مشركي العرب، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي ممتلئ غمًّا[(٢)]، وفسرنا هذا الحرف في سورة يوسف [٨٤].

٥٩- قوله تعالى: ﴿يَتَوَارَىٰ﴾، أي: يختفي ويتغيب، وقد ذكرنا هذا الحرف وتفسيره في قوله: ﴿مَا وُرِىَ عَنْهُمَا﴾ [الأعراف: ٢٠].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية إذا ضرب امرأتَه المخاضُ توارى إلى أن يعلم ما يُولدُ له، فإن كان ذكرًا سُرَّ به وابتهج، وإن كانت أُنثى اكتأب لها وحزن ولم يظهر للناس أيامًا، يُدبِّر كيف يصنع في أمرها[(٣)]، وهو قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ أي أيحبسه، والإمساك هاهنا بمعنى الحبس، كقوله: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، والكناية تعود على ما في قوله: ﴿مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾، والهُون:

= وأسفر: أشرق، ومنه: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾: أي مشرقة، ومَسَافرُ الوجه: ما يظهر منه، (المشاهد) الوقائع والحروب، (غرَّان) جمع أغرّ، ورجلٌ أغرُّ الوجه إذا كان أبيض الوجه.

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٣ بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٦، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨ أ، بنصه.

(٣) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٥، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٤٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٨، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٥، والخازن ٣/ ١٢٠، وأبي حيان ٥/ ٥٠٤.

الهَوَان[١].

قال ابن شميل: إنه لَيَهُون علي هَوْنًا وهَوانًا[٢]، وأهنته هَوْنًا وهوانًا، وذكرنا هذا في سورة الأنعام عند قوله: ﴿عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [آية: ٩٣].

قال المفسرون: كان أحدُهم في الجاهلية إذا وُلِدت له بنتٌ ضاق بها ذرعًا، فلم يدر ما يصنع بها؛ أَيَدُسُّها تحت التراب أو يتهاون بها فيُلْقِيها[٣]، والهَوان على قول أكثرهم يعود إلى المولودة على معنى أنه سيهينها في التعب والعمل، ويمسكها على هوان منه لها.

وقال عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ﴾ يريد على رغم أنفه وعلى الكراهية منه[٤]، وعلى هذا القول، الهوان راجع إلى الوَالِد[٥]؛ لأنه يمسكه على رضا بهوان نفسه وكراهته، واختاره الفراء

---

(١) لم يفرق بعضهم بين الهَوْن والهُون، وذهب الكثير إلى التفريق بينهما؛ فقال بعضهم: الهُون: الهوان، والهَون: الرفق. وقال آخرون: الهُون: العذاب، والهَون: الرفق. وقال الليث: الهَون: مصدر الهيِّن في معنى السكينة والوقار. وقال شمر: الهَوْنُ: الرفق والدعة. وقال الفراء: الهُوْنُ في لغة قريش: الهَوَانُ، وبعض تميم يجعل الهُون مصدراً للشيء الهيّن؛ أي القليل. انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٦، و«تهذيب اللغة» (هان) ٤/ ٣٦٩٩، و«اتفاق المباني وافتراق المعاني» ص٩٩.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (هان) ٤/ ٣٦٩٩، بنصه.

(٣) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤أ، والطبري ١٤/ ١٢٤، والسمرقندي ٢/ ٢٣٩، وهود ٢/ ٣٧٤، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ، ولعل المقصود بقوله: (فيلقيها)، أي: يلقيها من شاهق، فقد ذكر الرازي عدة وسائل كانوا يسلكونها في قتل البنات، أشهرها: أن يحفر لها الحفيرة ويدفنها حتى تموت، ومنهم من يرميها من شاهق جبل، ومنهم من يغرقها، ومنهم من يذبحها. انظر: «تفسير الرازي» ٢٠/ ٥٦.

(٤) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٥٥.

(٥) في جميع النسخ: (الولد) والصحيح (الوالد)؛ لأن هذا هو المعنى الثاني، وفي الأول عاد الهوان على الولد، ويؤيده التعليل بعده.

فقال: لا يدري أيدفنها أم يصبر عليها وعلى مكروهها[(١)].

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ أي يخفيه، والدس: إخفاء الشيء[(٢)]، وهذا على ما كانوا يفعلونه من الوأد في الجاهلية، والجملة التي وقع عليها الاستفهام من الإمساك أو[(٣)] الوأد متعلقة بمحذوف يدل عليه القَسَم في الاستفهام، على تقدير ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾ مقدرًا: أيمسكه أم يدسه، أو مفكرًا أو مدبرًا، أي يُقَلِّبُ رأيه في أحد الأمرين.

وقال صاحب النظم: قوله: ﴿أَيُمْسِكُهُ﴾ متصل في النظم بقوله: ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾، والكظيم بمعنى الكاظم، ومعنى الكظم: ستر الشيء في القلب وترك إظهاره[(٤)]، ومنه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، والتأويل: وهو كاظم، ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾، أي: أن هذا المعنى في قلبه من شدة الغَمّ وهو يكظمه ولا يظهره.

وقوله تعالى: ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: بئس ما حكموا أن جعلوا لمن يعرفون بأنه خالقهم البنات؛ اللاتي محلهن منهم

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٧، بنصه.

(٢) انظر: (دس) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٨٣، و«المحيط في اللغة» ١٢/ ٢٣٥، و«الأساس» ١/ ٢٧١، و«عمدة الألفاظ» ٢/ ٨.

(٣) في جميع النسخ: (و)، وما أثبته هو الصواب، والظاهر أن الألف سقطت أو تصحفت.

(٤) أصل الكَظْم: اجتراعُ الغَيْظ، والكَظَمُ: مخرجُ النفس، يقال: أخذ بكَظَمِه، والكُظُومُ: السكوت، والكُظومُ: إمساكُ البعيرِ عن الجِرَّةِ. انظر: (كظم) في «العين»٥/ ٣٤٥، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٥١، و«المحيط في اللغة» ٦/ ٢٣٣، و«مجمل اللغة» ٢/ ٧٨٦، و«عمدة الحفاظ» ٣/ ٤٦٩.

هذا المحل، ونسبوه إلى اتخاذ الولد، وجعلوا لأنفسهم البنين[١]، نظير هذه الآية قوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢١، ٢٢].

٦٠- قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾ قال ابن عباس والكلبي: يريد العذاب والنار.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: شهادة أن لا إله إلا الله[٢]، وهذا قول قتادة، ورُوي عنه ﴿ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الإخلاص والتوحيد[٣]، وهذا قول المفسرين في هذه الآية، لا أدري لم قيل للعذاب: المثل السَّوء، وللإخلاص: المثل الأعلى.

---

(١) ورد بمعناه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤أ، والطبري ١٤/ ١٢٤، والسمرقندي ٢/ ٢٣٩، والثعلبي ٢/ ١٥٨أ، والطوسي ٦/ ٣٩٤، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٨، والخازن ٣/ ١٢٠، وأبي حيان ٥/ ٥٠٤.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٧) بنصه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١٢٥ بنصه عن قتادة، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٧، بنصه عن قتادة، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨ب، بنصه عن ابن عباس، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٤، عن ابن عباس، وابن عطية ٨/ ٤٤٨، عن قتادة، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٩، عن ابن عباس، والخازن ٣/ ١٢٠، عن ابن عباس، وأبي حيان ٥/ ٥٠٥ عن ابن عباس وقتادة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٥ بنصه، ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٧، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٥، بنصه، وانظر: «تفسير القرطبي»١٠/ ١١٩، وورد بنصه غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٥، والثعلبي ٢/ ١٥٨ب، والطوسي ٦/ ٣٩٤، والقولان عن قتادة متطابقان.

وقال قوم: المثلُ السَّوء: الصفةُ السَّوء؛ من احتياجهم إلى الولد وكراهيتهم الإناث خوفَ العَيلة والعَار[١]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: الصفة العليا من تنزهه وبراءته عن الولد، وهذا قول صحيح، والمَثْلُ يَردُ[٢] كثيرًا بمعنى الصفة، وقد بَيَّنا ذلك مستقصى في قوله: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ في سورة الرعد [آية: ٣٥] وإن أنكر ذلك بعض المتأخرين[٣]، فقد رُوي عن المتقدمين من أئمة اللغة المثل بمعنى الصفة[٤].

وقال ابن كيسان: ﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: ما ضَرب اللهُ للأصنام وعبدتها من الأمثال[٥]؛ مِثلُ قوله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ﴾ الآية. [العنكبوت: ٤١] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾ الآية. [الحج: ٧٣]، ولله المثل الأعلى نحو قوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ الآية. [النور: ٣٥].

---

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨ أ، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٥، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٩، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٦، و«البيضاوي» ١/ ٢٧٨.

(٢) في: (أ)، (د): (يريد)، والمثبت من (ش)، (ع)، وهو الصحيح.

(٣) يقصد محمد بن يزيد المبّرد (ت٢٨٥هـ) فقد قال عند قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الرعد: ٣٥]: فمن قال: إنما معناه: صفة الجنة فقد أخطأ؛ لأن (مَثَل) لا يوضع في موضع صفة، وإنما المثل مأخوذ من المثال والحذو، والصفة تحلية ونعْت. انظر: «المقتضب» ٣/ ٢٢٥.

(٤) كيونس بن حبيب (ت١٨٢هـ)، و«الفراء» ت٢٠٧، ومحمد بن سلاّم الجمحي (ت٢٣١هـ)، وإليه ذهب ابن جرير عند آية الرعد [٣٥]، ومال إليه الأزهري ونصره. انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٦٥، و«تفسير الطبري» ١٣/ ١٦٢، و«تهذيب اللغة» (مثل) ٤/ ٣٣٤١.

(٥) لم أقف عليه.

فإن قيل كيف جاء ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ مع قوله: ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾؟ [النحل: ٧٤] قيل: لأنه بمعنى الأمثال التي توجب الأشباه، فأما الأمثال التي يضربها الله من غير شَبَه له بخلقه فحقٌّ وصوابٌ؛ لما فيها من الحِكم[(١)].

٦١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يريد المشركين، ﴿بِظُلْمِهِم﴾ قال: يريد بافترائهم على الله، ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ قال: يريد من[(٢)] مفتر، هذا قوله في رواية عطاء[(٣)]، ومعناه: أنه لو عاجلهم بالعقوبة على كفرهم ما أمهلهم طرفة عين ولأخلى وجه الأرض عنهم، والكناية في: ﴿عَلَيْهَا﴾ تعود إلى الأرض ولم يسبق لها ذكر، ولكن ذكر الدابة تدل على الأرض؛ فإنها تَدُبّ عليها، وكثير ما يُكَنَّى عن الأرض وإن لم يتقدم ذكرها؛ لأنه لا يُشْكِل، يقولون: ما عليها مثل فلان، وما عليها أكرم من فلان؛ يعنون على الأرض[(٤)]، وعلى هذا التفسير الدابة تختص بالمفتري، وقال سائر المفسرين: يعنى دواب الأرض؛ روى السدي عن أصحابه في قوله: ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ يقول لأقحط المطر، فلم يبق في الأرض دابة إلا هلكت[(٥)]، ورُوي عن ابن مسعود أنه قرأ هذه

(١) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٣٩٤، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٥٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٩.

(٢) موضع طمس في (ع) وغير واضح.

(٣) انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٣، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦، وفيهما قال: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ أي: من مشرك يدبّ عليها.

(٤) نقله الفخر الرازي بنصه دون عزو، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٦٠.

(٥) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٥٩، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦، وورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤أ، بنحوه غير منسوب.

الآية، فقال: كاد[١] أن يَهْلِكَ الجُعَلُ[٢] في جُحْره بذنب ابن آدم[٣]، وقال قتادة في هذه الآية: قد فَعَل ذلك زمان نوح[٤]، والمعنى على هذا: أن شؤم ذنوب المشركين كاد أن يصيب دواب الأرض حتى تهلك بسبب ذلك، لولا حلم الله وتأخيره العقوبة، كما روى عن أبي حمزة الثُّمالي[٥] أنه قال: يحبس المطر فيَهلكَ كلُ شيء[٦].

وقال أهل المعاني: معنى الآية، أن الله تعالى لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الأبناء[٧]، فكانت الأرض تبقى خالية، وقد ضرب الله لهلاك الخلق

---

(١) في (أ)، (د): (كان) والمثبت من (ش)، (ع) يتفق مع السياق والمعنى.

(٢) الجُعَلُ: دويبَّة سوداء صغيرة تألف المواضع النديّة، وهي من الخنافس، أو هو الحرباء، وكنيته أبو جِعْران، وأبو وجزة في لغة طيئ، وجمعه جِعْلاَن. انظر: «المحيط في اللغة» (جعل) ١/ ٢٥٦، و«متن اللغة» ١/ ٥٣٨.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٢٦ بنصه، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٩، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٥٨ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٤، والزمخشري ٢/ ٣٣٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢٠، والبيضاوي ١/ ٢٧٨، والخازن ٣/ ١٢١، وابن كثير ٢/ ٦٣١.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٥٩، والخازن ٣/ ١٢٠، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦.

(٥) أبو حمزة ثابت بن أبي صفية الثُّمالي، اسم أبيه دينار، وقيل: سعيد، مولى المهلَّب بن أبي صُفرة، كوفي ضعيف رافضي، روى عن أنس والشعبي، وعنه: وكيع وأبو نعيم، مات في خلافة أبي جعفر. انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٤٥٠، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٣٦٣، و«الكاشف» ١/ ٢٨٢، و«تقريب التهذيب» ص١٣٢ (٨١٨).

(٦) لم أقف عليه.

(٧) ورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٦، بنصه، والطوسي ٦/ ٣٩٦، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٦، والزمخشري ٢/ ٣٣٣، والفخر الرازي ٢٠/ ٥٩، ونسبه لأبي علي الجبائي، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١١٩، و«البيضاوي» ١/ ٢٧٨، والخازن ٣/ ١٢١.

وخلو الأرض عن سكانها أجلًا، فهو يؤخرهم إلى أجل مُسَمّى كي يتوالدوا، والأجل المسمى في هذه الآية: القيامة، في قول عطاء عن ابن عباس(١)، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ يريد أجل القيامة، وفي قول الآخرين: يعني منتهى الأجل وانقضاء العمر(٢)، ولعل الأقرب هذا؛ فإن المشركين يؤاخذون بالعقوبة إذا انقضت أعمارهم وخرجوا من الدنيا، ووجه القول الأول: أن معظم العذاب يوافيهم يوم القيامة، وذكرنا معنى: ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ في سورة الأعراف [٣٤].

٦٢- قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾، معنى ﴿يَجْعَلُونَ﴾ هاهنا يصفونه بذلك ويحكمون به له، لقولك: جعلت زيدًا أعلى الناس؛ وذكرنا معاني الجَعَل عند قوله: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة: ١٠٣].

وقوله تعالى: ﴿مَا يَكْرَهُونَ﴾ يعني البنات في قول جميع المفسرين(٣)، والمعنى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: لأنفسهم،

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٦٠، وورد غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٥، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٥، والخازن ٣/ ١٢١.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨ب، بنصه، والطوسي ٦/ ٣٩٦، بمعناه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٠، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٠، و«تفسير البيضاوي» ١/ ٢٧٨، والخازن ٣/ ١٢١، وذهب بعضهم إلى أنه الوقت الذي قدّره الله لإنزال العذاب بهم في الدنيا، فيكون الناس من العام المخصوص؛ أي أهل المعاصي والكفر؛ كما في قول ابن عباس القول الأول. انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤أ، والطبري ١٤/ ١٢٥- ١٢٦، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٥، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٠، و«القرطبي» ١٠/ ١١٩، والخازن ٣/ ١٢٠.

(٣) ورد بلفظه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤أ، والطبري ١٤/ ١٢٦، و«معاني القرآن» للنحاس (٤/ ٧٨، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٩، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٥. والثعلبي ٢/ ١٥٨ب، والطوسي ٦/ ٣٩٦.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال الفراء والزجاج: موضع (أنَّ) نصب؛ لأنه عبارة عن الكذب وبدل منه، المعنى: وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى[(١)].

وأما تفسير ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فكثير من المفسرين على أنه الغلمان والبنون، وهو[(٢)] قول السدي ومجاهد وقتادة[(٣)]، قال يمان بن رِئاب[(٤)]: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة[(٥)]، وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطاء[(٦)]، واختيار

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٧، بنحوه، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٧، بنحوه.

(٢) في جميع النسخ: (وهي)، والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يعود على القول، وهو مذكر.

(٣) «تفسير مجاهد» ص٤٢٢ بلفظه، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٧ بلفظه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١٢٧ بلفظه عن مجاهد وقتادة من طريقين لكلٍّ، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٨، بلفظه عن مجاهد، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٦، بنحوه عن مجاهد، والطوسي ٦/ ٣٩٧، بنحوه عن مجاهد، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٣، عن مجاهد، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٠، عن مجاهد وقتادة، والقرطبي ١٠/ ١٢٠، عن مجاهد، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦، عن مجاهد، و ابن كثير ٢/ ٦٣٢، عن مجاهد وقتادة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٨، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن قتادة. ولم أقف عليه منسوباً إلى السدّي.

(٤) في جميع النسخ: (رباب)، وكذا في «لسان الميزان»، والصحيح رِئاب كما ذكره الدارقطني والذهبي، وقد صوَّب محقق كتاب الضعفاء للدارقطني هذه الرواية ورجحها على رواية اللسان.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨ب بلفظه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٦ وورد بلفظه غير منسوب في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٨، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٩، وابن عطية ٨/ ٤٥١، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٠، والخازن ٣/ ١٢١.

(٦) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٨.

الزجاج[١]، قال: المعنى يصفون أن لهم مع قولهم هذا القبيح من الله الجزاء الحسن[٢]، فحصل في ﴿ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ هاهنا قولان؛ الأول: على أنهم قالوا: لله البنات ولنا البنون، والثاني: على أنهم حكموا لأنفسهم بالجنة والثواب من الله إن كان محمد صادقًا[٣] في البعث؛ لأنهم كانوا لا يؤمنون بالمعاد، ولعل الأقرب في تفسير الحسنى: الجنة، وفي الآية ما يدل على هذا، وهو قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ﴾، فردَّ عليهم قولَهم وأثبت لهم النار، فدلّ هذا أنهم حكموا لأنفسهم بالجنة، قال الزجاج: (لا) ردٌّ لقولهم، المعنى ليس ذلك كما وصفوا، جَرَمَ فعلُهم هذا، أي كَسَبَ النارَ[٤]، فعلى هذا (أنَّ) يكون في محل النصب بوقوع الكسبِ عليه، وقال قطرب: (أنَّ) في موضع رفع، المعنى: وجب أنَّ لهم النار[٥]، وقيل: لا بُدَّ ولا محالةَ أن لهم النّار، وذكرنا فيما تقدم استقصاء الكلام في هذا الحرف[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾ أي مُتْرَكون[٧] مَنْسِيُّون في النار، قاله الكلبي ومجاهد والضحاك[٨].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٧، بنصه.

(٢) في (أ)، (د) : (الحسنى)، والمثبت من (ش)، (ع)، وهو الموافق للمصدر.

(٣) في (أ)، (د): (صادق) وهو خطأ نحوي ظاهر، لعله من النساخ، والمثبت من (ش)، (ع). «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨ب.

(٤) أي: كَسَبَ فعلُهم هذا لهم النارَ.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٧، بتصرف يسير.

(٦) سورة هود: الآية [٢٢]، و«تفسير السمرقندي» ١/ ١٦٩، والنحل الآية [٢٣].

(٧) هكذا في جميع النسخ، ولعلها (متروكون) كما في «مجاز القرآن» ١/ ٣٦١، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٢٧، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٣.

(٨) «تفسير مجاهد» ص٤٢٢، بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٢٨ من ثلاث طرق عن مجاهد بلفظ: مَنْسيون، وعن الضحاك بلفظ: متروكون في النار، ورد في «معاني=

وقال قتادة: مُعَجَّلُون إلى النار[١]، وهو قول الحسن، والقول الأول اختيار أبي عبيدة[٢] والفراء[٣]، قال الكسائي: يقال: ما أَفْرَطْتُ من القوم أحدًا[٤]، وقال الفراء: العرب تقول أَفْرَطتُ منهم ناسًا، أي خَلَّفتهم ونَسِيتُهم[٥]، ومَنْ قال: مُعَجَّلُون، وهو الاختيار[٦]؛

= القرآن» للنحاس ٤/ ٧٩، بلفظه عن مجاهد، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٨٦، بلفظه عن مجاهد والضحاك، والطوسي ٦/ ٣٩٥، بنصه عن مجاهد والضحاك، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٥٢، عن مجاهد، وأبي حيان ٥/ ٥٠٦ عن مجاهد، و ابن كثير ٢/ ٦٣٢، عن مجاهد.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٧ بلفظه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١٢٨- ١٢٩بنصه عن قتادة من طريقين، ورد في: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٧٩، بنصه عن الحسن، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٣٩ بنصه عن قتادة، والثعلبي ٢/ ١٥٨، بنصه عن قتادة، والماوردي (٣/ ١٩٦) بمعناه عن قتادة، والطوسي ٦/ ٣٩٥، بمعناه عنهما، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٧، عن قتادة، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢١، والخازن ٣/ ١٢١، عن قتادة، وابن كثير ٥/ ٢٧، عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٢٨، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة، وأورده وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الحسن.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٦١، بنصه.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٧، بنصه.

(٤) أي ما تركتُ أحداً، ورد في «تهذيب اللغة» (فرط) ٣/ ٢٧٧٣، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٦١، ورجَّحَ الطبري هذا القول ١٤/ ١٢٩.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٧، بنصه.

(٦) وقد رجحه النحاس كذلك، وقال: قول الحسنِ أشهرُ في اللغة وأعرف، وأيَّده بقول القُطامي كما في «ديوانه» ص٩٠:

واسْتَعْجَلُونا وكانوا من صَحَابَتِنا كما تَعَجَّل فُرَّاطٌ لِـرُوَّادِ

وهذا الذي ذكره أوضح دلالة مما ذكره الواحدي ﷺ، كما يؤيِّده حديث رسول الله ﷺ: «أنا فَرَطكم على الحوض..» أي متقدِّمكم وسابقكم إليه حتى ترده. أخرجه =

فَوَجْهُهُ[١] ما قال أبو زيد وغيره: فَرَطَ الرجلُ أصحابَه يَفْرُطُهم فِراطًا وفُرُوطًا، إذا تقدمهم إلى الماء ليصلح الدِّلاء والأرْسَان[٢]، وأنشدوا[٣]:

فأثارَ فارِطُهم غَطَاطًا جُثَّمًا أصواتُها كتَراطُنِ الفُرْسِ[٤]

= البخاري (٦٥٧٥): الرقاق، في الحوض، ومسلم (٢٢٨٩) كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته، وقد جمع ابن كثير بين القولين -في (مفرطون)-وقال: ولا منافاة؛ [أي بينهما]، لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار وينسون فيها؛ أي يخلدون. «تفسير ابن كثير» ٢/ ٥٩٥.

(١) في جميع النسخ: (فوجه) والصحيح ما أثبته؛ وينسجم مع السياق.

(٢) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٧٣، بنحوه، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ٦١، بنصه ونسبه للواحدي. (الأرْسانُ) هكذا في جميع النسخ، جمع رَسَن؛ وهو الحبل تقاد به الدابّة، ويحتمل أن يكون (الأرْشَان) جمع رَشْن بسكون الشين وفتحها، وهي مَشْرَبُ الماءِ من النَّهر، أي الثُّلمة في النهر يُستقى منها، وذكر الطبري نحواً من هذا القول بلفظة (الأرشية) وهو جمع الرَّشاء: وهو حبل الدلو، وهو الأقرب لولا اختلاف مبنى الكلمة، انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٢٨ بمعناه، و«المحيط في اللغة» ٧/ ٣٢٠، ٣٧٤، ٨/ ٣٠٥، و«اللسان» (رشن) ٣/ ١٦٥٢، (رشا) ٣/ ١٦٥٣، و«المعجم الوسيط» ١/ ٣٤٧، و«متن اللغة» ٢/ ٥٨٨، ٥٩٢.

(٣) لطرفة بن العبد (جاهلي).

(٤) لم أجده في ديوانه، وذكر محقق «مستدرك التهذيب» (غط) ١٦/ ٤٩، أنه ليس في ديوانه، ولكنه مما نسب إليه في زيادات [ط: أوربا /باريس]، ورد في «لسان العرب» (رطن) ٣/ ١٦٦٦، وورد بلا نسبة في: «شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص٥٧٢ وفيه: (فأراد) بدل (فأثار)، و«تهذيب اللغة» (فرط) ٣/ ٢٧٧٣، (غط) ٣/ ٢٦٧٦، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٤٠٤، ٤/ ٣٨٤، و«اللسان» (غطط) ٦/ ٣٢٧١، (فرط) ٦/ ٣٣٩٠، و«التاج» (غطط) ١٠/ ٣٥٣، (فرط) ١٠/ ٣٦٠. (الفارِطُ): المتقدّم السابق، (الغَطاطُ) بفتح الغين كسَحَاب، هي القَطَا أو ضرب منه، وقيل: ضربٌ من الطير ليس من القطا، هنَّ غُبرُ الظهور والبُطون والأبدان، سُودُ بُطون الأجنحة، طوال الأرجل والأعناق، لِطافٌ، لا تجتمعُ أسراباً، أكثرُ =

وأَفْرَط للقوم الفَارِطُ، وفَرَّطُوه: إذا قدَّموه، فمعنى قوله: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ من هذا، كأنهم أُعجلوا إلى النار؛ فهم فيها فَرَطٌ للذين يدخلون بعدهم[١].

وقال أبو إسحاق: معنى ﴿مُفْرَطُونَ﴾: مُقَدَّمُون إلى النّار[٢]، وقرأ نافع بكسر الراء[٣].

قال الفراء: يقول: كانوا مُفْرِطين على أنفسهم في الذنوب[٤]، ونحوه قال الزجاج: المعنى على أنهم أَفْرَطُوا في مَعْصِية الله[٥].

قال ابن عباس في رواية عطاء: أفرطوا في الافتراء على الله.

وقال أبو علي: كأنه من أَفْرَطَ؛ أي صارَ فَرَطٌ، مِثْلُ: أَقْطَفَ[٦] وأَجْرَبَ، أي هم ذَوو فَرَطٍ إلى النّار[٧]؛ كأنهم قد أَرْسَلُوا من يُهيئ لهم

= ما تكونُ ثلاثاً أو اثنين، وواحدتُها: غَطاطَة، سميت لصوتها غطاطاً، (جُثَّماً) يقال: جثم الإنسان والطائر، يجْثِم ويجْثُم جَثْماً وجُثوماً، فهو جاثِم: أي لزم مكانه فلم يبْرح؛ أي تلَبَّد بالأرض، (تراطن) من الرَّطانة بفتح الراء وكسرها، والتراطن: كلام لا يفهمه الجمهور، إنما هو مُواضعةٌ بين اثنين أو جماعة، والعرب تخص بها غالباً كلام العجم. وانظر: «اللسان» (جثم) ١/ ٥٤٥.

(١) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٧٣، بنصه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٨، بنصه.

(٣) قرأ نافع وحده: ﴿مُفْرِطُون﴾ من أفْرَطْتَ، وقرأ الباقون: ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بفتح الراء، من أُفْرِطُوا فهم مُفْرَطُونَ. انظر: «السبعة» ص٣٧٤، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٦، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٣، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٥، و«التيسير» ١٣٨.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٨، بنصه تقريباً.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٨، بنصه.

(٦) في (ش)، (ع): (قَطَفٌ). قال الصاحب ابن عباد: يقال: أقطف الرجل، أي: صار صاحبَ دابةٍ قطوف، والقطوف من الدواب والإبل: هو البطيءُ المقاربُ. انظر: «المحيط في اللغة» (قطف) ٥/ ٣٣٠.

مواضعَهم منها.

٦٣- قوله تعالى: (﴿تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ قال ابن عباس: يعزي الله نبيه ﷺ بهذا[1] يقول)[2]: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾ يعني رسلًا وأنبياءَ من قبلك، ﴿فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: حتى عَصَوا وكذبوهم، ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ (يحتمل معنيين؛ أحدهما: أن المراد بهذا كفار قريش، يقول: الشيطان وليهم اليوم)[3]؛ يتولى إغواءهم وصرفهم عنك كما فعل بكفار الأمم قبلك[4]، فيكون قد رجع عن الإخبار عن[5] الأمم الماضية إلى الإخبار عن كفار مكة. الثاني: أنه أراد باليوم يوم القيامة، يقول: فهو ولي أولئك الذين زَيَّن لهم أعمالهم يوم القيامة[6]، ومن كان الشيطان وليَّه ذلك

(١) «الحجة للقراء» ٥/ ٧٤، بنصه تقريباً.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٦٢، والفخر الرازي ٢٠/ ٦١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢١، والخازن ٣/ ١٢١، وأبي حيان ٥/ ٥٠٧، وابن كثير ٢/ ٦٣٢، وأبي السعود ٥/ ١٢٣، وهو بلا نسبة في المصادر كلها.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ع). (٤) ما بين القوسين ساقط من (ع).

(٥) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٢٩- ١٣٠، بمعناه، والثعلبي ٢/ ١٥٨ب، بمعناه، والطوسي ٦/ ٣٩٧، بمعناه، وانظر: «الكشاف» ٢/ ٣٣٤، وابن عطية ٨/ ٤٥٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٢، و«البيضاوي» ١/ ٢٧٨، وأبي حيان ٥/ ٥٠٧، ونسبه إلى الزمخشري، واستبعده بحجة اختلاف الضمائر من غير ضرورة، وهذا تحامل منه على الزمخشري كما هو معروف عنه؛ لأن القول قديم كما هو واضح في المصادر، والقول ليس بضعيف، بل هو محتمل كما قال الواحدي رحمه الله.

(٦) في جميع النسخ (إلى)، وما أثبته هو الصواب؛ كما في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٦٢.

(٧) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤ب، بنحوه، والطوسي ٦/ ٣٩٧، بمعناه، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٢، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٢، نقل القولين بنصهما بلا نسبة، وأبي حيان ٥/ ٥٠٧، و«الدر المصون» ٧/ ٢٤٩، وابن كثير ٢/ ٦٣٢.

اليوم دخل[(١)] النار، وأطلق اسم اليوم على يوم القيامة لشهرة ذلك اليوم.

٦٤- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ قال ابن عباس: يريد ما قص من أخبار الأمم الخالية في القرآن، ﴿إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، قال: يريد لاتخاذ الحجة عليهم، كأن المعنى: إلا لتُبَيِّن لهم ما يختلفون فيه من الدين والأحكام؛ فيذهبون فيها إلى خلاف ما يذهب إليه المسلمون، فَتقومُ الحجةُ عليهم بدعائك وبيانك.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ قال أبو إسحاق: بنصب ﴿رَحْمَتَ﴾؛ لأن المعنى: وما أنزلنا عليك الكتاب إلا للهداية والرحمة، فهو مفعول له[(٢)].

٦٥- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ إلى قوله: ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أخبر الله تعالى أنه هو الذي أنزل المطرَ فأخصبت الأرض به بعد جُدُوبتها ويُبُوستها، وفي ذلك آية ودلالة على قدرته على البعث والإحياء بعد الإماتة لمن سمع ذلك سَماعَ اعتبارٍ وتَفَكُّر.

٦٦- قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً﴾ الآية. ذكرنا معنى العبرة في سورة آل عمران عند قوله: ﴿لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [آية: ١٣].

وقوله تعالى: ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ مَنْ فتح النون[(٣)] فحجته ظاهرة

---

(١) في (أ)، (د): (ذلكل)، والمثبت من (ش)، (ع)، وهو الصحيح الذي يستقيم به الكلام.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٨، بنصه.

(٣) وهم ابن عامر ونافع وعاصم في رواية أبي بكر. انظر: «السبعة» ص٣٧٤، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٧، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٧، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٤، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٥، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٣٩.

يقول: سقيته حتى رَوِي، أسقيه، قال الله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ﴾ [الشعراء: ٧٩]، وقال: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا﴾ [محمد: ١٥]، وما كان للشفة فهو بفتح النون؛ ومن ضَمَّ النونَ[1] فهو من قولك: أسقاه إذا جعل له شِربًا كقوله: ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، وقوله: ﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]، والمعنى هاهنا إنا جعلناه في كثرته وإدامته كالسُّقْيَا، واختار أبو عبيدة الضَّمَّ وقال: لأنه شِرْبٌ دائم[2]، وأكثر ما يقال في هذا المعنى: أَسْقَيْت، وذكرنا الكلام في سقى وأسقى في سورة الحجر[3].

واختلف النحويون في علة تذكير الكناية في قوله: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾، وهي راجعة إلى الأنعام، فقال أبو إسحاق: الأنعام لفظه لفظ جمع، وهو اسم للجنس يذكر ويؤنث، يقال: وهو الأنعام، وهي الأنعام، ﴿نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾، وفي موضع آخر: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهَا﴾[4] [المؤمنون: ٢١].

وهذا مذهب سيبويه، قال في ذِكْرِه إن الاسم الواحد يجيء على أَفْعَال، قال: يقال: هو الأنْعَام، وقال: ﴿فِى بُطُونِهِۦ﴾[5]، فذهب إلى أنه اسم مذكر يقع للجميع كالقوم والنفر والرهط، وقال الفراء: النَّعَمُ والأنعامُ شيء واحد، فرجع التذكير إلى معنى النَّعَم إذ كان يؤدي عن معنى الأنعام،

---

(١) وهم: ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي. انظر: المصادر السابقة.

(٢) لم أجده في مجازه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٨، بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٦٤.

(٣) آية: [٢٢].

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٩، بنصه.

(٥) «الكتاب» ٣/ ٢٣٠، بنحوه، وانظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٤٠١.

وأنشد[١]:

وطـاب أَلْـبـانُ الـلِّـقَـاح وَبـرِدْ[٢]

فرجع إلى اللبن[٣]؛ لأن اللبن والألبان في معنى واحد[٤]، والدليل على أن النَّعَمَ مذكر قول الراجز[٥]:

أَكُـلَّ عَـامٍ نَـعَـمٌ تَـحْـوُونَـهُ   يُـلْـقِـحُـهُ قَـوْمٌ وتَـنْـتُـجُـونَـه[٦]

---

(١) لم أقف على القائل، وفي «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩أ، أنه رجز لبعض الأعراب.

(٢) وصدره:

بـالَ سُـهَـيـلٌ في الـفَـضِـيـخِ فَـفَـسَـدْ

ورد بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٢٩، ٢/ ١٠٨، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٣١، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ، والطوسي ٦/ ٤٠٠، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٣، و«اللسان» (خرت) ٢/ ١١٢٤، (كتد) ٦/ ٣٨١٩، و«الدر المصون» ٧/ ٢٥٧، و«التاج» (خرت) ٣/ ٤٤- ٤٥، (كتد) ٥/ ٢١٨، وفي جميع المصادر عدا الدّر: (فبرد). (سهيل) كوكب يُرى في ناحية اليمن والعراق، ولا يُرى بخُراسان، (الفضِيخ) عصير العنب، وهو أيضاً شراب يتخذ من البُسر المفضوخ وحده من غير أن تمسه النار، وهو المشدوخ. ومعنى البيت: يقول لما طلع سُهيلٌ ذهب زمن البسر وأرطب، فكأنه بال فيه، وعندها تطيب ألبان النوق، والشاهد: أنه لم يقل: وبردت؛ لأنه رده إلى اللبن؛ المفرد. انظر: «تهذيب اللغة» (سهل) ٢/ ١٧٨٦- ١٧٨٧، و«اللسان» (فضخ) ٦/ ٣٤٢٦.

(٣) في جميع النسخ: (اللبن والألبان) بزيادة الألبان، وقد أدى زيادتها إلى اضطراب المعنى، ويؤيّد أنها زائدة، عدم وجودها في المصدر و«الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤١٠.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٨، بنصه تقريباً.

(٥) هو قيس بن حصين بن يزيد الحارثي (جاهلي).

(٦) ورد في «الخزانة» ١/ ٤٠٧، ٤١٢، وورد بلا نسبة في «الكتاب» ١/ ١٢٩، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٦٢، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٢، و«المذكر والمؤنث» للأنباري ١/ ٤٢٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢١٧، و«تهذيب اللغة» (نعم) ٤/ ٣٦١٧، =

قال الكسائي: أراد مما في بطون ما ذكرنا[1]، قال الفراء: وهو صواب، أنشدني بعضهم:

مِثْلُ الفِراخِ نَتَقَتْ حَواصِلُه[2][3]

وقال المبرد: هذا فاشٍ في القرآن وفي كلامهم، مثل: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٨]، بمعنى هذا الشيء الطالع، وكذلك قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ [المدثر: ٥٤، ٥٥]، أي: ذَكَرَ هذا الشيء، وكذلك: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ﴾ [النمل: ٣٥]، ثم قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النمل: ٣٦]، ولم يقل: جاءت؛ لأن

= و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩أ، و«المخصص» ١٧/ ١٩، و«تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٤، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩، و«الدر المصون» ٧/ ٢٥٣، و«تخليص الشواهد» ص١٩١، وفي بعض هذه المصادر ورد برواية: (في كل) بدل (أكل).

(١) ورد في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٩، بنصه، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٤٠١، بنصه، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٤٢٧، بنصه، و«تهذيب اللغة» (نعم) ٤/ ٣٦١٥، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٥، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٩، بنصه.

(٣) رجز ورد بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ١٣٠، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٢، و«تهذيب اللغة» (نعم) ٤/ ٣٦١٦، و«المحتسَب» ٢/ ١٥٣، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٥٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٣، و«شرح شواهد الإيضاح» ص٣٤٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢٤، و«اللسان» (خلف) ٢/ ١٢٣٧، (نعم) ٧/ ٤٤٨٢، و«تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٠٩. (نتقت) سمنت وامتلأت شحماً، (حواصله) جمع حوصلة؛ أسفل البطن، وهي للطير والنعام كالمعدة للإنسان، وهي المصارين لذي الظلف والخُفّ، والشاهد: أنه أعاد على الفراخ ضمير الواحد؛ لأنها في معنى الفرخ، إذا أريد به الجنس والكثرة، وقال الطبري: لم يقل: حواصلها، أي: ذكَّرها. انظر: «المحيط في اللغة» (نتق) ٥/ ٣٦٧، و«متن اللغة» (٢/ ١٠٦، ووردت برواية: (نُتِقَتْ).

المعنى: جاء الشيءُ الذي ذكرنا[١].

قال أبو عبيد: وسمعت الكسائي يُنْشِد ما هو أشد من هذا[٢]:

وعَفْرَاءُ أَدْنَى النـاسِ مِنِّي مَوَدَّةً   وعَفراءُ عَنِّي المُعْرِضُ الْمُتَوَانِي[٣]

قال وأنشدنا الأحمر[٤]:

إذ[٥] النـاسُ نَـاسٌ والبِـلَادُ بِغِـرَّةٍ   وإِذْ أُمُّ عَمَّـارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفُ[٦]

---

(١) لم أقف على مصدره، وورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤١٠، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٦٣، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩، و«الدر المصون» ٧/ ٢٥٦، وورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٣، بنصه تقريباً، والثعلبي ٢/ ١٥٩ أ، بنحوه.

(٢) البيت لعروة بن حزام (ت٣٠هـ) شاعر إسلامي، أحد المتيَّمِين، لا يُعرف له شعرٌ إلا في عفراءَ بنتِ عمِّه.

(٣) ورد في «المذكر والمؤنث» للأنباري ١/ ١٨٧، برواية:

فعفراءُ أرجى الناس عندي مودةً

وورد في الأغاني برواية:

فعفراءُ أحظى الناسِ عندي مودَّةً

وورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٣، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ، والشاهد: أنه لم يقل: المعرضة المتوانية، وذكَّرَ المعرض؛ لأنه أراد التشبيه، أي: وعفراء عنّي مثْلُ المُعرضِ، والمؤنث قد يشبَّه بالمذكر.

(٤) هو لأَوْس بن حَجَر، كما في ديوانه واللسان.

(٥) في جميع النسخ: (إذا) والتصويب من الديوان وجميع المصادر عدا الثعلبي.

(٦) «ديوانه» ص٧٤، وفيها: (الزمان) بدل (البلاد)، و(بعزة) بدل (بغرة)، وورد في «اللسان» (سعف) ٤/ ٢٠١٨، وفيه: والزمان، وورد بلا نسبة في «تهذيب اللغة» (سعف) ٢/ ١٦٩٦، كاللسان، وورد برواية: (بغبطة) بدل (غِرَّة) في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٣، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ، وفي «الخزانة» ٥/ ٤٢٩، برواية: (والزمان بعزَّة)، (غِرَّة)؛ بكسر الغين: الغفلة، يقال: غَرَّ الرجلُ غَرارةً وغِرَّةً: جهلَ الأمور وغفل عنها، (مساعف) قريب، والإسعاف: قضاء الحاجة، وهو المقصود.

فهذا التذكير في هذه الأشياء أشَدُّ منه في الأنعام، ومثله كثير[١]، وإنما توَجَّه على معنى هذا الشخص والسواد وكل شيء، فالشيء يَشْرَكُه في اسمه، فالأصل التذكير؛ لأن الشيء مذَكَّر، غير أن الشيء إذا كان تأنيثه حقيقيًّا فلا بد من أن يؤنث في مستقيم الكلام، لا يَحْسُن أن يقول: جَارِيتُك ذهب ولا غلامك ذهبت، بحمله على النَّسْمَة[٢]، وذهب المؤرج في هذا إلى وجه آخر؛ وهو أن الكناية تعود إلى ما في قوله: ﴿مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ﴾ وأضمر اللبن؛ كأنه قيل: نسقيكم مما في بطونه اللبن، ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا﴾ أراد أنه يُسقى من أيِّها كان ذا لبن؛ لأنه ليس لكلها لبن[٣]، واختار صاحب النظم هذا الوجه وزاده بيانًا فقال: الأنعام يقع على الذكر والأنثى، والصغير والكبير، والحائل[٤] والحامل، وذات الدَّرّ والبِلَى[٥]، فلما ذَكَرَ ﷻ مُجْمَلَه في أول الفصل، وليس الدّرُّ إلا لبعضها؛ مَيَّزَ واختص منها في الخبر ذات الدّر دون سائرها. فقوله: ﴿مِّمَّا﴾ مِثْلُ قولك: مِنْ الَّتي، إلا أنه

(١) لم أقف على مصدره.

(٢) النَّسَمَةُ: النَّفسُ، والنسمة في العتق: المملوك ذكراً كان أو أنثى. «المحيط في اللغة» ٨/ ٣٤٥.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩، بنحوه، والطبري ١٤/ ١٣١، بنحوه غير منسوب، وورد في «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢١٧، بنحوه منسوباً إلى أبي عبيدة عن أبي عبيد، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٨، و«وضح البرهان» ص٥٠٧.

(٤) الحائل: التي لا تحمل تلك السنة، حَالَتْ تحُولُ حُؤُولاً وحِيَالاً، والمُحْتالة: الحائل من ذوات الحَمْلِ. انظر: «المحيط في اللغة» (حول) ٣/ ٢١٠.

(٥) يقال: ناقة بَلِيَّة: هي التي يموت صاحبها فيحفر لها حفرة وتشدّ رأسها إلى خلفها، وتُبْلَى: أي تترك هناك لا تعلف ولا تسقى حتى تموت جوعاً وعطشاً. انظر: «المحيط في اللغة» (بلى) ١٠/ ٣٥٤، و«اللسان» (بلا) ١/ ٣٥٥.

لمّا ذَكَرَ (الَّتي) بلفظ (ما) ذَكَرَ الكناية؛ لأن (ما) لا تبين فيه تذكير ولا تأنيث، فكأنه مذكر، والتقدير: نُسقيكم مِن التي في بطونها لبن، ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا﴾، وأضمر ذِكرَ اللبن لعلم المخاطب بذلك، ولمجيء[1] ذِكرِ اللبن فيما بعده.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ﴾، الفَرْثُ: سِرْجين الكرش[2]، قال ابن عباس: يريد العلف الذي يكون في الكرش، وروى الكلبي عن أبي صالح عنه أنه قال: إذا استقر العَلَفُ في الكرش صار أسفله فَرْثًا وأعلاه دمًا وأوسطه لبنًا، فيجري الدمُ في العروق واللبنُ في الضَّرع ويبقى الفَرْثُ كما هو[3]، فذلك قوله: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصًا﴾: لا يَشُوبُه الدم ولا الفرث، ﴿سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾: جائزًا في حلوقهم لذيذًا هنيئًا، يقال: ساغَ الشَّرَابُ في الحلق وأَسَاغَهُ صاحِبُه[4]، ومنه قوله: ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم:

---

(١) في جميع النسخ: (والمجيء)، ويستقيم الكلام بالمثبت.

(٢) يقال: سرجين بالجيم، وسرقين بالقاف، ويسمى فرْثاً ما دام أنه بالكرش، فإذا خرج لا يسمى فرثاً، انظر: (فرث) في «العين» ٨/ ٢٢٠، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٧٥٧، و«المحيط في اللغة» ١٠/ ١٣٨، و«مجمل اللغة» ٢/ ٧١٩، و«اللسان» ٦/ ٣٣٦٩.

(٣) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٠، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ، بنحوه، (وهذه أوهى الطرق إلى ابن عباس، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٤، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٢٥، و«تفسير البيضاوي» ١/ ٢٧٩، والخازن ٣/ ١٢٣، وأبي حيان ٥/ ٥٠٩، وهذا التفسير مردود لضعف الأثر، وزاد الفخر الرازي تضعيفه لمخالفته للحس، فقال: وقد دللنا على أن هذا القول على خلاف الحس والتجربة، ولأن الدم لو كان يتولد في أعلى المعدة والكرش، كان يجب إذا قاء أن يقيء الدم، وذلك باطل قطعاً، ثم بيَّن كيفية تولُّد اللبن حسيًا. الفخر الرازي ٢٠/ ٦٥.

(٤) انظر: (سوغ) في «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٤٦، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٩٧، و«المحيط=

١٧] وقد مر، والآية بيان عن إقامة الدلالة على الصانع حيث جعل العَلَف وهو جنس واحد أنواعًا في بطن الدابة، فإذا تفكر العاقلُ عَلِمَ أن ذلك بقدرة الله الذي لا إله إلا هو، قال أصحابنا: وهذه الآية تدل على أن مَنِيّ الآدمي لا يكون نجسًا وإن كان في باطنه مجاورًا للنجاسات كاللبن؛ فإنه يخرج طاهرًا من بين نجسين(١).

= في اللغة» ٥/ ١٠٧، و«مجمل اللغة» ١/ ٤٧٨، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١١٦، و«الصحاح» ٤/ ١٣٢٢، و«العباب الزاخر» غ/ ص٤٨، و«اللسان» ٤/ ٢١٥٢.

(١) هذا مشهور لكن فيه نظر؛ لأن الدم مختلف في نجاسته، فالمذاهب الأربعة على نجاسته، وقد حكى النووي في ذلك الإجماع فقال: «وفيه أن الدم نجس، وهو بإجماع المسلمين» [شرح مسلم (٣/ ٢٠٠)]، وانظر: «أحكام النجاسات في الفقه الإسلامي» ص١٨٧، لكن الذي عليه المحققون -كابن تيمية والشوكاني وصديق خان- أن الدم المسفوح ليس بنجس، وعمدة القائلين بالنجاسة أمران؛ أحدهما: قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، والثاني: حديث أسماء قالت: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت: (إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة كيف تصنع به؟ قال: «**تَحُتُّهُ ثم تَقْرُصُهُ بالماء ثم تَنْضِحُهُ ثم تُصَلِّي فيه**» [شرح مسلم (٣/ ١٩٩)].

وقد رد المحققون على هذين الدليلين: أما الآية فدلالتها على نجاسة الدم غير صريحة؛ لأن كون تناول الدم المسفوح محرم لا يقتضي نجاسته، وكلمة ﴿فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ وإن كان من معانيها في اللغة النجاسة، إلا أنه مختلف في عودة الضمير، وإذا وقع الاحتمال بطل الاستدلال. أما الحديث فالكلام فيه على دم الحيض ولا خلاف في نجاسته؛ لأنه خارج من أحد السبيلين، لذلك كان قياس سائر الدماء عليه قياسًا مع الفارق، لذلك قال صديق خان: (وأما سائر الدماء فالأدلة فيها مختلفة مضطربة، والبراءة الأصلية مستصحبة حتى يأتي الدليل الخالص عن المعارضة) [الروضة الندية شرح الدرر البهية (١/ ٨٢)]. وحتى على القول بنجاسة الدم فإن الدم قبل انفصاله عن الجسم يعد طاهراً، وهو ما ذهب إليه ابن تيمية في=

كذلك يجوز أن يخرج المنيّ طاهرًا وإن جرى في طريق النجاسة[(١)(٢)].

= الفتاوى ٢١/٥٩٨-٦٠٠، ونصره من عدة وجوه، فقال: (إنا لا نسلم أن الدم قبل ظهوره وبروزه يكون نجساً، فلا بد من الدليل على تنجيسه)، ثم ذكر وجوهاً على طهارته، وهي: أن النجس هو المستقذر المستخبث، وهذا الوصف لا يثبت لهذه الأجناس إلا بعد مفارقتها مواضع خلقها، فوصفها بالنجاسة فيها وصف بما لا تتصف به. أن الدماء في الأبدان وغيرها هي أحد أركان الحيوان التي لا تقوم حياته إلا بها حتى سميت نفساً، فالحكم بأن الله يجعل أحد أركان عباده من الناس والدواب نوعاً نجساً في غاية البعد. أن الأصل الطهارة، فلا تثبت النجاسة إلا بدليل، وليس في هذه الدماء شيء من أدلة النجاسة، وخصائصها. أما روث الحيوان فالأرجح فيه الطهارة أيضاً، وهو مذهب الحنابلة والمالكية والهادوية وغيرهم. [انظر: «نيل الأوطار» ١/٥٩-٦٠، و«الروضة الندية» ١/٧١، و«أحكام النجاسات» ص٥٠-٩٨]. ومن أدلتهم: حديث أنس في الصحيحين: (أن النبي ﷺ أمر العُرَنِيين بأن يشربوا من أبوال الإبل) البخاري (٢٣٣) كتاب الوضوء، أبوال الإبل والدواب، مسلم (١٦٧١): القسامة، حكم المحاربين والمرتدين، واستدلوا كذلك (بأن النبي ﷺ كان يصلي قبل أن يبنى المسجد في مرابض الغنم. أخرجه البخاري (٢٣٤) بنفس الباب، كذلك استدلالات ابن تيمية-السابقة- على طهارة الدم تنطبق على طهارة الروث.

(١) الكلمة ساقطة من (أ)، (د).

(٢) نسبه القرطبي للنقاش من الشافعية (ت٣٥١هـ) وقال: وقاله أيضاً غيره، وهذا الاستدلال على طهارة المنيّ فيه تَكَلُّف وبُعد، والقياس الوارد قياس مع الفارق، لذا أنكره ابن العربي وشكك في أهلية المستدل على الدعوى بهذه الآية. انظر: «تفسير ابن العربي» ٣/ ١١٥٢، وقد أنكر ابن تيمية هذه الدعوى -في معرض الرد على القائلين بنجاسة المني- فقال: لا نسلم أنه يجري في مجرى البول، فقد قيل: إن بينهما جلدة رقيقة، وإن البول إنما يخرج رشحاً، وهذا مشهور. «الفتاوى» =

٦٧- قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ الآية.

قال صاحب النظم: تأويل الآية: ولكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكرًا[1]؛ لأنه لو كان مبتدأً ومنقطعًا مما قبله لوجب أن يقال: منها؛ لأن تأويله يكون راجعًا على قوله: ﴿ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾ على ما نظم، وتتخذون من ثمرات النخيل والأعناب سكرًا.

والعرب تضمر (ما) و(من) كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾[2] [الإنسان: ٢٠]، ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ﴾[3] [الصافات: ١٦٤] وذكرنا[4] هذا قديمًا.

والأعناب عطف على الثمرات لا على النخيل؛ لأنه يصير التقدير: ومن ثمرات الأعناب، والأعناب ثمار، ولكنه ومن الأعناب، وأمَّا السكر

= ٢١/ ٦٠٢، أما طهارة المني فمختلف فيها، وقد بسط العلماء القول فيها في كتبهم في مظانها. وانظر: «أحكام النجاسات» ص٩٩-١٢٤] ومن أقوى أدلة القائلين بطهارته -وهو الراجح- قول عائشة ﵂ «كان رسول الله ﷺ يسْلُت المنيّ من ثوبه بعرق الإذخر ثم يصلي فيه، ويحته من ثوبه يابساً ثم يصلي فيه». صحيح ابن خزيمة: باب سلت المني من الثوب بالإذخر إذا كان رطباً (١/ ١٤٩).

(١) وإلى هذا ذهب الطبري في «تفسيره» ١٤/ ١٣٨، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٨، وابن عطية ٨/ ٤٥٨، قال البغوي: يعني: ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل والأعناب، ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ﴾ والكناية في ﴿مِنْهُ﴾ عائدة إلى (ما) محذوفة، أي: ما تتخذون منه ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾.

(٢) قال الفراء: أي ما ثَمَّ رأيت. «معاني القرآن» للفراء ٣/ ٢١٨، وانظر: «الدر المصون» ١٠/ ٦١٤.

(٣) وتقديره عند الكوفيين: وما منا إلا مَنْ له، فحذف الموصول وأبقى الصلة، وأباه البصريون؛ لأن الموصول عندهم لا يحذف. انظر: «البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٣١٠، و«الفريد في إعراب القرآن» ٤/ ١٤٦.

(٤) ساقطة من (أ)، (د).

فروى سعيد بن جبير وشهر بن حَوْشب وعمرو[١] بن سفيان[٢] عن ابن عباس أنه قال: السَّكَر ما حُرِّم من ثمرتيهما، والرزق الحسن ما أُحلَّ من ثمرتيهما[٣]، وقال في رواية عطاء: سَكَرًا يريد ما أَسْكَر، وهذا قبل أن يحرم الخمر.

﴿وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ﴾ يريد الخَلَّ والزبيب والتمر وكل ما يُتَّخَذ من النخيل والأعناب[٤]، وهذا قول عامة المفسرين؛ قالوا: السكر هي الخمر بعينها،

---

(١) في جميع النسخ (عمر) والصحيح المثبت كما في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٤، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨١.

(٢) عمرو بن سفيان الثقفي، روى عن ابن عباس وابن عمر وعن أبيه ﷺ، وروى عنه الأسود بن قيس، صحح له الحاكم حديثاً في تفسير السَّكر، وضعفه النحاس في معانيه. انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٢٣٤، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٢٧٣، و«تقريب التهذيب» (٥٠٣٨).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٧) بنصه، والطبري ١٤/ ١٣٤ بنصه من طرق كثيرة، والجصاص ٣/ ١٨٥، بنحوه، والحاكم: التفسير/ النحل (٢/ ٣٥٥) بنصه وصححه، وورد في «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٤٨٥، بنصه، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨١، بنصه، وقال: وهي روايةٌ تضعفُ من جهة عمرو بن سفيان، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٦، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٥٩أ بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٨، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٤، وابن كثير ٢/ ٦٣٣، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٢٨، وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وأبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه أبو عبيد في «الناسخ والمنسوخ» ص٢٥٢، بنحوه من طريق الحجاج عن ابن جريج صحيحة، ومن طريق أبي طلحة صحيحة، والطبري ١٤/ ١٣٤- ١٣٥ بنحوه من طريق عمرو، ومن طريق أبي طلحة، والجصاص ٣/ ١٨٥، بنحوه من طريق الحجاج، والسمرقندي ٢/ ٢٤١، بمعناه، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٥٨.

والسكر حرام، والرزق الحسن حلال، وقالوا: نزلت هذه قبل تحريم الخمر(١)، ونزل تحريمها في سورة المائدة(٢).

والسَّكَر في اللغة: الخمر(٣)، وقال جرير:

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٣٥، بنحوه من طرق عن سعيد بن جبير وأبي رزين والحسن ومجاهد، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٢، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤١، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٨، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٠١، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٨.

(٢) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠]، وعلى هذا فآية النحل منسوخة بآية المائدة، وهو ما ذهب إليه ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن والشعبي والنخعي وأبو رَزين وجمهور المفسرين، وقد ردّ هذه الدعوى جماعة من العلماء، وبينوا أن هذا خبر، ولا يجوز فيه النسخ، قال مكي: وقيل: إن هذا لم ينسخ ؛ لأن الله لم يأمرنا باتخاذ ذلك، ولا أباحه لنا في هذه الآية، وإنما أخبرنا بما كانوا يصنعون من النخيل من السَّكَر الذي حرَّمه الله في المائدة. ا.هـ. ومن القائلين بعدم النسخ الطبري، لكنه حمل السَّكر على أن معناه: كل ما حلّ شربه، مما يتخذ من ثمر النخل والكرم، وفَسَّد أن يكون معناه الخمر أو ما يُسْكِر من الشراب. انظر: «الناسخ والمنسوخ» لأبي عبيد ص٢٥٢، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٤- ١٣٦، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٤٨٦، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» لمكي ص٣٣١، و«أسباب النزول» للواحدي ص٢٠٨، و«نواسخ القرآن» لابن الجوزي ص١٨٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٣٠.

(٣) أصل السَّكر في اللغة: السَّدُّ، ومنه سَكِرَ فلانٌ ؛ لأنه سُدَّ عقله ومنع منه، والسَّكَرُ: الخمر نفسها، وكُلّ ما يُسْكِرُ، وقيل: هو شراب يُتخذ من التَّمر والكَشُوث، والسُّكر: حالةٌ تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يستعمل ذلك في الشراب المُسكِر، انظر: «تهذيب اللغة» (سكر) ٢/ ١٧٢٠، و«المفردات» ص٤١٦. و«الأساس» ص٣٠٢، و«اللسان» (سكر) ٤/ ٢٠٤٧، و«عمدة الحفاظ» ٢/ ٢٣٧. و«التاج» (سكر) ٦/ ٥٣٤، و«متن اللغة» ٣/ ١٧٩.

إذا رَوِينَ على الخِنْزِيرِ من سَكَرٍ   نادَيْنَ يا أعظَمَ القِسِّينَ جُرْدانَا[١]

وهذا القول هو اختيار الفراء[٢] والزجاج[٣].

وقال أبو عبيدة بوحده: السَّكَر: الطعام، واحتج بقوله[٤]:

جَعَلْتَ أعْرَاضَ الكِرَامِ سَكَرا[٥]

أي جعلتَ ذَمَّهم[٦] طُعْمًا لك[٧].

قال الزجاج: هذا بالخمر أشبَهُ منه بالطعام، المعنى: جعلْتَ تتخمَّرُ بأعراضِ الكرام، وهو أبينُ فيما يقال: يبترك[٨] في أعراض

---

(١) «ديوانه» ١/ ١٦٧، وفيه: (لمّا) بدل (إذا)، وورد في «تهذيب اللغة» (سكر) ٢/ ١٧٢٠، و«اللسان» (جرد) ١/ ٥٩٠، (سكر) ٤/ ٢٠٤٨، (جردانا): الجُردانُ بالضم: من أسماء الذَّكَرِ، وهو قضيب ذوات الحوافر، والجمع: جرادين.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٩، بلفظه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٩، بلفظه.

(٤) نسبه في المجاز إلى جندل، وهو ابن المثنى الطُّهوي.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (سكر) ٢/ ١٧٢٠، و«تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٥، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٨، و«اللسان» (سكر) ٤/ ٢٠٤٨، وورد برواية: «جَعَلْتَ عَيْبَ الأكْرمين سكراً» في «مجاز القرآن» ١/ ٣٦٣، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٣٨، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٣٨، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩ب، والطوسي ٦/ ٤٠١، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٤، و«القرطبي» ١٠/ ١٢٩.

(٦) في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٩: دَمَهُم، ولعل الخطأ من المحقق، والمثبت هو الصحيح المتفق مع المعنى.

(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٣٦٣، بنحوه، وورد في «التهذيب» (سكر) ٢/ ١٧٢٠، بنصه، والظاهر أنه نقله من التهذيب.

(٨) يقال: بارك على الشيء: واظب، وأبرك في عدْوه: أسرع مجتهداً، والاسم: البرُوُك، يقال: ابْتَرك الرجلُ في عرض أخيه: إذا اجتهد في ذمِّه وشتمه =

الناس[١]؛ يتخَمَّر بهم.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد عقلوا عن الله قدرَته وما لا يقدر عليه أحدٌ غيرُه وحدَه، فصَدَّقوا نَبِيَّه وأيْقَنوا بالثواب والعقاب.

٦٨- قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ﴾ الآية. وَحَى وأوحَى واحد[٢]، وهو الإلهام هاهنا، قال المفسرون: ألهَمَها وقذف في أنفسها[٣]، وذكرنا معنى الوحي والإيحاء[٤] عند قوله: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٣] وفي مواضع.

وقوله تعالى: ﴿إِلَى النَّحْلِ﴾، النَّحْل: زنبور[٥] العَسَلِ، والواحدة نَحْلَة[٦].

= وانتقاصه، والابتراك في العدو: الاجتهاد فيه. انظر: (برك) في «تهذيب اللغة» ١/ ٣١٩، و«المحيط في اللغة» ٦/ ٢٦٠، و«اللسان» ١/ ٢٦٧.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٠٩، بنحوه، وورد في «تهذيب اللغة» (سكر) ٢/ ١٧٢٠، بنصه تقريباً، والظاهر أنه نقله منه.

(٢) يقال: أوْحى لها وَوَحى لها، لكن اللغة الفاشية في القرآن بالألف، وأما في غير القرآن فوحيْتُ إلى فلان هو المشهور. انظر: (وحى) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٨٥٢، و«المحيط في اللغة» ٣/ ٢٤١، و«الصحاح» ٦/ ٢٥١٩.

(٣) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤ب، بنحوه، والطبري ١٤/ ١٣٩ بنصه عن معمر من طريقين، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٣، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤١، بنحوه، وهود الهواري ٢/ ٣٧٧، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب، بنصه، و«الماوردي» ٣/ ١٩٩، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٠٢، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٥، والفخر الرازي ٢٠/ ٦٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٣٣.

(٤) في (أ)، (د): (إيحاء)، والمثبت من (ش)، (ع).

(٥) في (أ)، (د): (زبر)، وفي كتب اللغة: (دَبْرُ العسل)، قال الخازن: «النحل: زنبور العسل، ويسمى الدَّبْر أيضاً». «تفسير الخازن» ٣/ ١٢٣.

(٦) انظر: (نحل) في «العين» ٣/ ٢٣٠، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٠٣٢، و«المحيط في اللغة» ٣/ ١٠٣، و«الصحاح» ٥/ ١٨٢٦، و«اللسان» ٧/ ٤٣٦٨.

قال الزجاج: جائز أن يكون سمي نحلًا؛ لأن الله ﷻ نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها، وقال غيره: النَّحْل يذكر ويؤنث[١]، وهي مؤنثة في لغة الحجاز؛ ولذلك أنثها الله تعالى، وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء.

وقال أهل المعاني: الله تعالى أوحى إلى كل دابة وذي روح وحي الإلهام في التماس منافعها واجتناب مضارِّهَا، فذكر من ذلك أمر النحل؛ لأن فيها من لطيف الصنعة وبديع الخلق ما فيه أعظم معتبر، بأن ألهمها اتخاذ المنازل والمساكن[٢]، وذلك قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ﴾، قال ابن عباس: هي تتخذ من الجبال لأنفسها إذا كانت لا أصحاب لها[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، أي: يبنون ويسقفون، وفيه لغتان: قُرئ بها ضَمُّ الراء[٤] وكسرها[٥] مثل يَعْكِفون ويَعْكُفون.

قال ابن عباس: يريد ما يعرش الناس لها من الجِبَاح[٦]؛ وهو: خلايا

---

(١) ليس في معانيه، وورد في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٥٣٢، بنصه، وقال الأزهري في مادة (نحل) «فمن ذكَّر النحل فلأن لفظه مذكَّر، ومن أنث فلأنه جَمْعُ نَحْلَة».

(٢) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٠، بنحوه.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤١٤، بنصه.

(٤) قرأ بضم الراء: ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: ﴿يَعْرُشُون﴾، انظر: «السبعة» ص٣٧٤، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٨، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٦، و«حجة القراءات» ص٣٩٢، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٤٠.

(٥) قرأ الباقون بكسر الراء: ﴿يَعْرِشُونَ﴾، وروى حفص عن عاصم بكسر الراء أيضاً. انظر: المصادر السابقة.

(٦) الأَجْبُح: مواضِع النحل في الجبل، والواحد: جِبْحٌ وجِبَحٌ. انظر: «المحيط في اللغة» (جبح) ٢/ ٤١٦، و«مجمل اللغة» ١/ ٢٠٥.

النحل[١].

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ﴾ هو الكروم[٢]، ولا معنى للكروم هاهنا؛ لأنها لا تأوي الكُرُومَ، والمعنى ما قاله ابن عباس أن معنى يعرشون: يبنون لها من خلاياها، ويعرشون صحيح في البناء للكروم، ولكن المراد هاهنا في البناء للنحل لا الكَرْم.

قال أهل المعاني: لولا التسخير وإلهام الله تعالى ما كانت تأوي إلى ما يبني لها الناس من بيوتها[٣].

٦٩- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ قال ابن قتيبة: أي من الثمرات، وكل هاهنا لا يقع على العموم، كقوله: ﴿وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [النمل: ٢٣]، وقوله: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ﴾[٤] [الأحقاف: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ قال ابن عباس: يريد طُرُقَ ربك[٥]، تطلب فيها الرعي، ﴿ذُلُلٗا﴾ جمع ذَلُول، وهو المنقاد اللين

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٧٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٣٤، وأبي حيان ٥/ ٥١٢، كلها بنحوه وبلا نسبة.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٣٩ بلفظه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩ب، بلفظه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٩، بلفظه، والطوسي (٦/ ٤٠٢) بلفظه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٩، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٦١، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٥، وأبي حيان ٥/ ٥١٢.

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٦٥.

(٤) «الغريب» لابن قتيبة ص٢٤٦، بنصه ولم يستشهد إلا بالآية الثانية.

(٥) ورد بلفظه بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤١، وهود الهواري ٢/ ٣٧٦، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب، و«القرطبي» ١٠/ ١٣٥، وأبي حيان ٥/ ٥١٢.

المُسَخَّر، يقال: فرس ذلول بَيِّن الذُّلِ[١].

قال مجاهد: لا يتوعَّرُ عليها مكان سلكته[٢]، فعلى هذا الذُّلُلُ من صفة السُّبُل، والنحل يرعى الأماكن البعيدة ذات الغِيَاضِ[٣]، الأشْبَهُ: لا تتوعر عليها لتذليل الله لها إياها، وهذا القول اختيار الزجاج؛ لأنه قال في قوله: ﴿سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ﴾، أي: قد ذَلَّلَها الله لك وسَهَّلَ عليك مَسالِكَها[٤].

وقال قتادة: ذُلُلًا يعني مطيعة[٥]، وهو اختيار ابن قتيبة؛ لأنه قال: منقادة بالتَّسْخِير[٦]، وعلى هذا الذُّلُلُ من نعت النَّحل، وحكى الفراء القولين؛ فقال: ذُلُلًا نعتُ للسبيل، ويقال: نعت للنحل؛ أي ذُلِّلَت لأن يخرج الشراب من بطنها[٧].

---

(١) انظر: (ذل) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٢٩٠، و«المحيط في اللغة» ١٠/ ٥٧، و«مجمل اللغة» ١/ ٣٥٤، و«الصحاح» ٤/ ١٧٠١.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٤٩، بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٠ بنصه من طريقين، ورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٧، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٩، بنصه، والطوسي ٦/ ٤٠٤، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٩، وابن عطية ٨/ ٤٦٢، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٠، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) جمع غَيْضَة: وهي الأجمة؛ وهي مَغِيضُ ماء يجتمع فينبت فيه الشجر. انظر: (غيض) في «الصحاح» ٣/ ١٠٩٧، و«اللسان» ٦/ ٣٣٢٧.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٠، بنصه.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٧) بلفظه، والطبري ١٤/ ١٤٠ بلفظه من طريقين، وورد بلفظه في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩ب، و«تفسير الماوردي» ٣/ ١٩٩، والطوسي ٦/ ٤٠٤، وانظر: «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥١٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٦) «الغريب» لابن قتيبة ص٢٤٦، بنصه.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٩، بتصرف يسير، وكذلك النحاس ذكر القولين في =

وقوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾ رجوع من الخطاب إلى الخبر، ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ قال ابن عباس: منه أحمر وأبيض وأصفر(١).

قال أبو إسحاق: هي تأكل الحامضَ والمُرَّ وما لا يُوصفُ طعمُهُ فيحيل اللهُ ذلك عَسَلًا يخرج من بطونها، إلا أنها تلقيه من أفواهها؛ كالريق الذي يخرج من فم ابن آدم(٢).

قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ أكثرُ المفسرين على أن الكناية تعود إلى قوله: ﴿شَرَابٌ﴾، وهو العسل، وقالوا: إن في العسل شفاء للناس(٣)، فإن قيل: قد رأينا من يَضُرُّه العسل، فكيف يكون فيه شفاء للناس؟! أجاب عن هذا الزجاج، وقال: الماء حياة كل شيء، وقد رأينا من يقتله الماء إذا أخذه على ما يُضَادُّه من علة في البدن(٤)، وهذا معنى قول السدي: فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه(٥).

= معانيه ٤/ ٨٤، بنحوه، وأورد الطبري الروايات على القولين، ثم قال: وكلا القولين غير بعيد من الصواب...غير أنا اخترنا أن يكون نعتاً للسُّبل؛ لأنها إليها أقرب. «تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٠.

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٦٦، و«تنوير المقباس» ص٢٨٨، وورد بلفظه بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤ب، والسمرقندي ٢/ ٢٤١، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب، والطوسي ٦/ ٤٠٤، والبغوي ٥/ ٢٩، و«ابن العربي» ٣/ ١١٥٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٢، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٣٥، و ابن كثير ٢/ ٦٣٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٠، بتصرف يسير.

(٣) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٥، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٠، والطوسي ٦/ ٤٠٤، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٦٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٣٦.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١١، بنصه، لكنه في المصدر قال: (ما يصادف من علة).

(٥) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٢، بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٦٧.

وروي عن مجاهد: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾: أي في القرآن[١].

قال أبو [إسحاق][٢] وهذا القول إذا فُسِّرَ عُلم أنه حَسَنٌ، المعنى فيما قصصنا عليكم من قصة النحل في القرآن وسائر القصص التي تدل على أن الله واحدٌ، شفاء للناس[٣]، وعلى هذا كون القرآن شفاء؛ أن فيه بيان الحلال والحرام، والدليل على وحدانية الله تعالى، ونفيًا لما يتخالج ويعترض من الشكوك، يدل على هذا قوله تعالى [في][٤] وصفه القرآن: ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

(وقال ابن مسعود: العسل فيه شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور[٥])[٦]، وذكر الفراء والزجاج القولين جميعًا[٧].

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٠ بلفظه، وورد بلفظه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٢، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب، والماوردي ٣/ ١٩٩، والطوسي ٦/ ٤٠٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٩، و«ابن العربي» ٣/ ١١٥٧، واستبعده، وقال: ولو صح نقلاً لم يصح عقلاً، وذكره أيضاً ابن عطية ٨/ ٤٦٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٣، وضعفه. لا خلاف أن القرآن شفاء بنص آية الإسراء [٨٢]، لكن السياق هنا لا يساعد على حمل الشفاء على القرآن، بل هو محمول على العسل.

(٢) في (أ)، (ش)، (د) بياض مكان (إسحاق)، وفي (ع): (علي)، والصحيح المثبت؛ لوروده في «معاني القرآن وإعرابه» بنصه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١١، بنصه.

(٤) إضافة يقتضيها السياق.

(٥) ما بين التنصيص ساقط من: (أ)، (د).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٢٧) بنصه، والطبري ١٤/ ١٤١ بنصه، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب) بنصه، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٢) بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٢٩، والخازن ٣/ ١٢٤.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٠٩، بنصه، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١١، بنصه.

واختار قوم القول الأول؛ وقالوا: إنه أليق بظاهر الكتاب[١]، واحتجوا بما أخبرناه أبو إسحاق بن أبي منصور المقرئ[٢] أنا عبدالله بن حامد[٣]، أنا مكي بن عبدان[٤]، أنا عبد الرحمن بن بشر[٥]، أنا يحيى بن سعيد[٦]، عن

---

(١) منهم: الطبري ١٤/ ١٤١ وقال: لأن قوله: ﴿فِيهِ﴾ في سياق الخبر عن العسل، فأن تكون الهاء من ذكر العسل، إذ كانت في سياق الخبر عنه أولى من غيره، واختاره الثعلبي ٢/ ١٥٩ب بنصه، ورجحه البغوي ٥/ ٢٩، و«ابن العربي» ٣/ ١١٥٩، و«الرازي» ٢٠/ ٧٣، و ابن كثير ٢/ ٦٣٤، وغيرهم، وذكروا نحو قول ابن جرير.

(٢) هو الثعلبي، وقد تقدمت ترجمته ضمن شيوخه.

(٣) عبد الله بن حامد بن محمد، أبو محمد النيسابوري، الواعظ الفقيه الشافعي، ولد في نيسابور، وتفقه على أبي محمد علي البيهقي، سمع مكي بن عبدان، ورحل إلى أبي علي بن أبي هريرة، روى عنه أبو عبدالله الحاكم، توفي سنة (٣٨٩هـ)، وعاش (٨٣) سنة. انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي ٣/ ٣٠٦، و«تاريخ الإسلام للذهبي» ٢٧/ ١٨٢.

(٤) أبو حاتم مكي بن عبدان التميمي النيسابوري، ثقة مأمون مقدم على أقرانه، سمع عبدالله بن هاشم ومحمد بن يحيى الذُّهلي، مات سنة (٣٠٥هـ). انظر: «تاريخ بغداد» ١٣/ ١١٩، و«سير أعلام النبلاء» ١٥/ ٧٠، و«شذرات الذهب» ٢/ ٣٠٧.

(٥) عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، أبو محمد، محدث حافظ ثقة، روى عن سفيان بن عيينة، ويحيى بن سعيد، وعنه: البخاري ومسلم، مات سنة (٢٦٠هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ٢١٥، و«سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٣٤٠، و«تهذيب التهذيب» ٣/ ٤٩٠.

(٦) يحيى بن سعيد بن أبَان بن سعيد بن العاص، إمام محدث ثقة، روى عن الأعمش وسفيان الثوري، وعنه: أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن مهدي، مات سنة (١٩٤هـ)

انظر: «الجرح والتعديل» ٩/ ١٥٠، و«سير أعلام النبلاء» ٩/ ١٣٩، و«تذكرة الحفاظ» ١/ ٣٢٥، و«تقريب التهذيب» ص٥٩٠ (٧٥٥٤).

شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل[١]، عن أبي سعيد الخدري، قال: جاء رجل **إلى النبي** ﷺ فقال: إن أخي يشتكي بطنه فقال: «**اسقه عسلًا**» فذهب ثم رجع **فقال**: قد سقيته فلم يغن عنه شيئًا، فقال عليه السلام: «**اذهب واسقه عسلًا، فقد صدق الله وكذب بطنُ أخيك، وسقاه فبرأ كأنما أُنْشِط من عقال**»[٢]، **وتأوّلوا في قوله**: «**صدق الله**» قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: **يريد في عظمة الله وقدرته**[٣].

٧٠- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ الآية. قال المفسرون: ولم تكونوا شيئًا[٤]، ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم، ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾

---

(١) علي بن داود، أبو المتوكل النّاجي البصري، مشهور بكنيته، ثقة، حدّث عن أبي سعيد وأبي هريرة وابن عباس رضي الله عنهما، وعنه: قتادة وحُميد الطويل، مات سنة (١٠٢هـ). انظر: «التاريخ الكبير» ٦/ ٢٧٣، و«الجرح والتعديل» ٦/ ١٨٤، و«سير أعلام النبلاء» ٥/ ٨، و«تقريب التهذيب» ص٤٠١ (٤٧٣١).

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٥٨، عن قتادة مرسلاً، وأحمد ٣/ ١٩، والبخاري (٥٦٨٤): الطب، الدواء بالعسل، ومسلم (٢٢١٧) في السلام، باب: التداوي بسقي العسل، والترمذي (٢٠٨٣): الطب، ما جاء في التداوي بالعسل، والطبري ١٤/ ١٤١ من طريقين عن قتادة مرسلاً، والحاكم: الطب/ العسل لشفاء المعدة، والبيهقي ٩/ ٣٤٤)، والثعلبي ٢/ ١٥٩ب، بنصه وإسناده، والبغوي ٥/ ٢٩- ٣٠، بنحوه، وورد بنحوه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤١، وهود الهواري ٢/ ٣٧٨، و«الماوردي» ٣/ ٢٠٠، و«مشكاة المصابيح» (٤٥٢١)، و «الرازي» ٢٠/ ٧٣، والخازن ٣/ ١٢٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣١، وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» ٢/ ٤١٩، بنصه بلا نسبة، وبنحوه غير منسوب في «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٣٥.

(٤) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤ب، بنصه، والطبري ١٤/ ١٤١ بنصه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٧٧، والخازن ٣/ ١٢٥.

وهو أَرْدَاه وأَوْضَعه، يقال: رَذُلَ الشيء يَرْذُلُ رَذَالَةً، وأَرْذَلَه غيره[(١)]، ومنه قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧]، ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]. روى أسباط عن السُّدّي: ﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ قال: الخرف[(٢)]، ونحوه قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥]، ونظير هذه الآية لفظًا ومعنى في الحج[(٣)]، وقال مقاتل: ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: الهرم[(٤)]، وقال قتادة: تسعون سنة[(٥)]، روي عن علي ﷺ قال: ﴿أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: خمس وسبعون سنة[(٦)].

---

(١) انظر: (رذل) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣٩٨، و«المحيط في اللغة» ١٠/ ٧١، و«الصحاح» ٤/ ١٧٠٨، و«اللسان» ٣/ ١٦٣٣.

(٢) انظر: «تفسير الرازي» ٢٠/ ٧٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٢، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وتصحفت الكلمة فيه إلى (الخوف).

(٣) آية: [٥] وهي ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٤ب، بلفظه.

(٥) في جميع النسخ: تسعون، وكذلك في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٩٩أ، نسخة المحمودية، لكن في نسخة الحرم النبوي(٢/ ١٥٩ب) ذكرت أنها سبعون سنة، والصحيح الأول كما دلت عليه المصادر الأخرى، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٠، والزمخشري ٢/ ٣٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧، والخازن ٣/ ١٢٥، وأبي حيان ٥/ ٥١٤.

(٦) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤١ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩ب، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٠، بنصه، والطوسي ٦/ ٤٠٥ بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٠، والزمخشري ٢/ ٣٣٦، وابن عطية ٨/ ٤٦٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧، والخازن ٣/ ١٢٥، وأبي حيان ٥/ ٥١٤، و ابن كثير ٢/ ٦٣٥، و«الدر المنثور» ٥/ ٢٣٢، وما ذكره علي ﷺ هو الأغلب؛ والأمر يختلف من إنسان لآخر؛ فمنهم من يرد إلى أرذل العمر قبل ذلك، ومنهم من يتعدى ذلك وهو بكامل قواه العقلية؛ كالعلماء. انظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٦٤، وأبي حيان ٥/ ٥١٤.

قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علم؛ للكِبَر، قال ابن عباس: كي يصير كالصبي الذي لا عقل له[1].

وقال أبو إسحاق: معنى قوله: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، أي: ليريكم من قدرته أنه كما قدّر إماتته وإحياءه، إنه على نقله من العلم إلى الجهل قادر[2].

قال عطاء عن ابن عباس: ليس هذا في المسلمين، والمسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء عند الله إلا كرامة وعقلًا ومعرفة[3]، وقال في قوله: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين: ٥] يريد الكافر، ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[4] [التين: ٦].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٠، بنصه، والخازن ٣/ ١٢٥، بنصه، وورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٧٨، بنحوه بلا نسبة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١١، بنصه.

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٦٨، بنصه، والخازن ٣/ ١٢٥، بنصه، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧، بلا نسبة.

(٤) الاستدلال بهذه الآية فيه نظر؛ فقد اختلف السلف في تأويلها وفي المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك والنخعي: معناه الهرم والخرف وذهاب العقل، وهو اختيار ابن جرير، واستحسنه ابن عطية، وقال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد وأبو العالية: معناه رددناه إلى النار، وهو اختيار ابن كثير والسعدي والشنقيطي. انظر: «تفسير الطبري» ٣٠/ ٢٤٤، وابن عطية ١٥/ ٥٠٤، وابن كثير ٤/ ٥٥٩، والسعدي ١٥٩٩، والشنقيطي ١٠/ ٣٣٨. والراجح القول الأول؛ وهو رده إلى الهرم، وعليه فيكون الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ منقطعاً، ويكون المراد أن المؤمن وإن ردّ إلى الهرم فإن أجر عمله الصالح لا ينقطع لعجزه بل يستمر على ما كان عليه قبل الهرم. أملاه عليّ شيخي.

ونحو هذا روى عاصم[١] عن عكرمة، قال: من قرأ القرآن لم يُردَّ إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئًا[٢]، وقال في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: قرؤوا القرآن[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد بما صنع بأوليائه وأعدائه، ﴿قَدِيرٌ﴾: على ما يريد[٤].

---

(١) عاصم بن سليمان الأحول، البصري الحافظ الثقة، من أكبر شيوخه عبدالله بن سرجس، وأنس، وعمرو بن سلمة؛ وعنه: شعبة ويزيد بن هارون، كان على قضاء المدائن، وولي حسبة الكوفة، مات سنة (١٤٢هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٣٤٣، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٦٤، و«الكاشف» ١/ ٥١٩ (٢٥٠١)، و«تقريب التهذيب» ص٢٨٥ (٣٠٦٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦/ ١٢١) بنصه، والطبري ١٤/ ١٤١- ١٤٢، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٠، بنحوه، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٨، بنصه، والفخر الرازي ٢٠/ ٧٧، بنصه، والخازن ٣/ ١٢٥، بنصه، وأبي حيان ٥/ ٥١٤)، ونسبه إلى قتادة، فلعله وَهِمَ في ذلك، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٢، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وذكره الألوسي في «روح المعاني» ١٤/ ١٨٨، وهذا القول غير صحيح وواقع الناس على خلافه ؛ فكم رد من المسلمين إلى أرذل العمر، وقد يكونون من العلماء، ومشهور بين علماء الحديث مصطلح اختلط بأخرة. وقد رده الألوسي قائلاً: والمشاهدة تكذب كلا القولين، [أي عدم رد المسلمين ومن قرأ القرآن]؛ فكم رأينا مسلماً قارئًا القرآن قد رد إلى ذلك، والاستدلال بالآية على خلافه فيه نظر، وكان من دعائه ﷺ «**اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرد أرذل العمر**» رواه البخاري (٦٣٧٠) كتاب: الدعوات، باب: التعوذ من البخل.

(٣) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٢٥، بنصه.

(٤) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٧٧ بنصه، والخازن ٣/ ١٢٥، بنصه غير منسوب.

٧١- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ﴾: كَثَّر وقَلَّلَ، وبَسَطَ وقَبَضَ، ووَسَّعَ وضَيَّقَ، ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾: في الرزق وأُعطوا الفَضْل، ﴿بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾، يقول: لا يردّ المولى على ما ملكت يمينه مما رُزق شيئًا حتى يكون المولى والمملوك في المال سواء.

قال أبو إسحاق: أي قد فَضَّلَ اللهُ المُلاَّكَ على مماليكِهِم، فجعلَ المملوك لا يقدر على مِلْكٍ من مَوْلَاه، وأعلم أن المالكَ ليس يَرُدُّ على مملوكه من فضل ماله حتى يستوي حالهما في الملك[1]، وهذا مَثَلٌ ضربه اللهُ مثلًا للمشركين في تَصْيِيرِهم عباد الله شركاء له، فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم سواء في الملك، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟! وقال صاحب النظم: معنى الفاء في قوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ حتى[2]؛ لأن التأويل: ﴿فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ﴾: بجاعلي رزقهم لعبيدهم حتى يكون عبيدهم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٢، بنصه تقريباً.

(٢) أشار المرادي إلى أن الفاء قد تأتي بمعنى (حتى) عند بعض النحويين؛ كما في قوله ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩] لكنه ضعف هذا القول، معتبراً الفاء هنا عاطفة. «الجنى الداني» ص٧٧، وهذا القول الذي ذكره صاحب النظم قول جيد، وقد انفرد به، فلم أجده في كتب إعراب القرآن، وقد ذكر المنتجب في «الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٣٩، عند قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ ثلاثة أقوال: أن الجملة من المبتدأ والخبر جملة اسمية واقعة في موضع جملة فعلية، ومحلها النصب على جواب النفي بالفاء، والتقدير: فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم، أو على الحال على تقدير زيادة الفاء. أن محلها الرفع، إما على الاستئناف، أي هم سواء في أني رزقت الجميع، أو على العطف على موضع برادي، على تقدير: فما الذين فضلوا يردون رزقهم على ما ملكت أيمانهم فما يستوون. أنه على إضمار ألف الاستفهام، أي: أفهم فيه سواء؟ على سبيل التوبيخ والتقريع، ومعناه النفي: أي ليسوا مستوين فيه.

فيه معهم سواء في الملك، فقوله: ﴿فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ صفة لما تَقَدَّمه من الخبر لا جوابٌ له؛ ولو كان جوابًا له لكان قد أوجب أن يكون المولى والعبيد في ذلك سواء، وهو ﷻ إنما أراد أنهم لا يستوون في الملك، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم: ٢٨] بمعنى: حتى أنتم فيه سواء إليّ، هل يشاركونكم في أموالكم حتى تكونوا أنتم وهم فيه سواء.

وهذا الذي ذكرنا هو قول جميع المفسرين في هذه الآية؛ قال مجاهد: هذا مَثَلُ آلهة الباطل مع الله[(١)].

وقال السدي: يقول: فكما لا يرد أحدهم على مملوكه مما رزقه الله حتى يكون مثله، فلذلك لا أكون أنا وهذا الصنم الذي هو من خلقي ومما ملكت سواءً فيما خلقت[(٢)].

وقال قتادة: يقول: هذا الذي فُضِّل في المال والولد لا يشرك عبدَه في ماله وزوجته، يقول: قد رضيتَ بذلك لله ولم ترض به لنفسك، فجعلت لله شريكًا في خلقه وملكه[(٣)].

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٤٩، بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٣ بنصه، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٢، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٣٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٨) بنصه، والطبري ١٤/ ١٤٣ بنصه، ومن طريق آخر بمعناه، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٢، بنحوه، وورد بمعناه في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٨٥، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٦، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٥٩ب، والطوسي ٦/ ٤٠٦، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤١، والخازن ٣/ ١٢٦، وأبي حيان ٥/ ٥١٤، و ابن كثير ٢/ ٦٣٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

وروي عن ابن عباس أنه قال: نزلت هذه الآية في نصارى نجران حين قالوا: عيسى ابن مريم ابن الله[(١)].

قال الفراء: فهذا مثل ضربه الله للذين قالوا: إن عيسى ابنه، فقال: أنتم لا تُشركون عبيدكم فيما ملكتم، فتكونون سواءً فيه، فكيف جعلتم عَبْدَه شريكًا له تعالى[(٢)]، وتلخيص معنى الآية، أنه يقول: إنكم كلكم (من بني آدم وأنتم بينكم فيما ملكت أيمانكم، وأنتم[(٣)] كلكم)[(٤)] بشر، فكيف تشركون بين الله وبين الأصنام وأنتم لا ترضون لأنفسكم فيمن هو مثلكم بالشركة.

وقوله تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ قرأه العامة: يجحدون بالياء[(٥)]؛ لأنه يراد به غير المسلمين، والمسلمون لا يخاطبون بجحدهم نعمة الله، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر بالتاء[(٦)]؛ على تقدير: قل لهم: أفبنعمة الله -بهذه الأشياء التي تقدم اقتصاصها- تجحدون بالإشراك به.

---

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ أ، بنصه بلا إسناد، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٦٨، بنصه، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤١، بنصه، وورد بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٢، ولم أجده في أسباب النزول، ولم يورده المؤلف في أسباب النزول، كما أنه ورد بدون إسناد، فلا يثبت.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٠، بنصه.

(٣) (أنتم): ساقطة من (ش).

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ع)، وهو أشبه بكلام معترض، ويستقيم الكلام بدونه، بل بدونه أوضح.

(٥) انظر: «السبعة» ص٣٧٤، «إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٨، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٨، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٦، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٥، و«شرح الهداية» ٢/ ٣٨١، و«التيسير» ص١٣٨.

(٦) انظر: المصادر السابقة.

وذكر الزجاج في هذا وجهين؛ **أحدهما**: أفبأنْ أَنْعَمَ اللهُ عليكم اتَّخَذْتُم النِّعَمَ لتجحدوا وتشركوا به الأصنام؛ فعلى هذا النعمة بمعنى الإنعام.

والثاني: قال أفبما أنعم الله به عليكم بأن بَيَّنَ لكم ما تحتاجون إليه تجحدون[١]، وعلى هذا، النِّعْمَة: اسم لما أَنعمَ اللهُ عليهم لا مصدر، والباء في: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ﴾ يجوز أن تكون زيادة[٢]؛ لأن الجحود لا يُعدَّى بالباء، وهذا قول المفضَّل كما يقول: خذ الخطام وبالخطام، وتعلقت زيدًا وبه[٣]، ويجوز أن يراد بالجحود: الكفر[٤]، فعُدِّيَ بالباء لمعنى الكفر[٥].

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ قال المفسرون: يعني النساء؛ خَلَقَ حواءَ من ضلع آدم[٦]، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٢، بنصه.

(٢) انظر: التعليق على دعوى الزيادة في القرآن، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٨٠، بنصه بلا نسبة.

(٤) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٢، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧، و«تفسير البيضاوي» ٣/ ١٨٧، وأبي السعود ٥/ ١٢٧.

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٨٠، بنصه دون عزو للواحدي.

(٦) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٣ بنصه، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٧، بنصه، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠أ، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٢) بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧، والزمخشري ٢/ ٣٣٦، وابن عطية ٨/ ٤٦٦، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٠، وقد ذهب ابن عطية إلى أن الأظهر من قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي: من نوعكم وعلى خلقتكم، كما قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وكذلك ضعف الفخر الرازي هذا القول، وقال: وهذا ضعيف؛ لأن قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ خطاب مع الكل، فتخصيصه بآدم وحواء خلاف الدليل، بل الحكم عام في جميع الذكور والإناث؛ والمعنى: =

أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ اختلفوا في تفسير الحفدة، فقال ابن عباس في رواية الوالبي: هم الأختان[(١)]، وهو قول ابن مسعود وإبراهيم وسعيد بن جبير، قالوا: هم الأصهار؛ أَخْتَان [الرجل][(٢)] على بناته[(٣)]، وقال

= أنه تعالى خلق النساء ليتزوج بهن الذكور، ومعنى: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ مثل قوله: ﴿فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] وقوله: ﴿فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، أي: بعضكم على بعض، ونظير هذه الآية، قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١] انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/٤٦٩، والفخر الرازي ٢٠/٨٠، و ابن كثير ٢/٥٩٩.

(١) أخرجه الطبري ١٤/١٤٤ بنصه من طريق عكرمة (جيدة)، وأخرج عنه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة) بلفظ: الأصهار، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/١٦٠أ، بنصه، وانظر: «فتح الباري» ٨/٢٣٨، والأختان: جمع خَتَن، وهو زوج فتاة القوم ومن كان من قِبَلِه من رجل أو امرأة، فهم كلهم أختانٌ لأهل المرأة، وأم المرأة وأبوها خَتَنَانِ للزَّوْج، وقال الأصمعي: الأحماءُ من قِبَل الزوج، والأختان من قبل المرأة، والصهر يجمعهما، وقيل: الختنُ: الزوج ومن كان من ذوي رَحِمه، والصِّهرُ: من كان من قِبَل المرأة؛ نحوأبيها وعمِّها وخالها، وقيل العكس، ومن العرب من يجعلهم كلهم أصهاراً. انظر: (ختن) في «تهذيب اللغة» ٢/١١٠٢، و«المحيط في اللغة» ٤/٣١٢، و«الصحاح» ٥/٢١٠٧، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/٨٨.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق، وهي ثابتة في تفسير الثعلبي.

(٣) ورد في «غريب الحديث» ٢/٩٦، عن ابن مسعود: الأصهار، وأخرجه الطبري ١٤/١٤٣-١٤٤ من طرق عنهم قالوا: الأختان، وعن ابن مسعود: الأصهار، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/٨٨، عن ابن مسعود قال: الأختان، وورد عنه وعن النخعي: الأصهار، و«تفسير هود الهواري» ٢/٣٧٩، عن ابن مسعود: الأختان، والجصاص ٣/١٨٦، عنهم: الأختان، والسمرقندي ٢/٢٤٢، عن ابن مسعود: الأختان، وعنه: الأصهار، والثعلبي ٢/١٦٠ أ، بنصه عنهم، و«تفسير الماوردي» ٣/٢٠٢، بنصه عنهم، والطوسي ٦/٤٠٧، بنحوه عنهم، وانظر: «تفسير البغوي» =

في رواية أبي حمزة[(١)] عنه: من أعانك فقد حفدك أما سمعت قول الشاعر[(٢)]:

حَفَدَ الوَلائِدُ حَوْلَهُنَّ وأُسلَمتْ بأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمَالِ[(٣)(٤)]

= ٥/ ٣١، بنصه عن ابن مسعود والنخعي، وابن الجوزي ٤/ ٤٦٩، عنهم، قال البغوي: فيكون معنى الآية على هذا القول: وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجونهم فيحصل بسببهم الأختان والأصهار، و«فتح الباري» ٨/ ٢٣٨، عنهم.

(١) أبو حمزة السكري، هو محمد بن ميمون المَرْوزي، إمام مشهور، ثقة فاضل، روى عن الأعمش والسدي، وعنه: عبدان ونعيم بن حماد، لقب بالسكري لحلاوة منطقه، توفي سنة (١٦٧هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٨١، و«ميزان الاعتدال» ٥/ ١٧٨، و«الكاشف» ٢/ ٢٢٦، و«تقريب التهذيب» ص٥١٠، و«تفسير الطبري» تحقيق شاكر ٢/ ٣٧٢.

(٢) نسبه أبو عبيد للأخطل، وليس في ديوانه، ونسبه أبو عبيدة لجميل، وهو جميل بثينة، وليس في ديوانه، ونسبه الطبري لحميد.

(٣) ورد في: غريب الحديث لأبي عبيد ٢/ ٩٦، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٦٤، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٤، ونسب لجميل كذلك في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٢، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٦٧، و ابن كثير ٢/ ٦٣٦، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٩٠، وورد بلا نسبة في «العين» ٣/ ١٨٥، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٣، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٤، و«جمهرة اللغة» ١/ ٥٠٤، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٠، و«تهذيب اللغة» (حفد) ١/ ٨٦١، و«تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٦، و«ابن العربي» ٣/ ١١٦٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٣، وأبي حيان ٥/ ٥٠٠، و«اللسان» (حفد) ٢/ ٩٢٣ وفي بعض المصادر برواية (بينهن) بدل (حولهن). الولائد: الخدم؛ مفردها: وليدة، والبيت يصور ما يقوم به الولائد من خدمة وسعي، ومن إمساكٍ بأزمَّة الأجمال.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٤ بنصه، ورد في «تهذيب اللغة» (حفد) ١/ ٨٦١ بنصه ما عدا عجز البيت، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ، بنصه، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٣، و«اللسان» (حفد) ٢/ ٩٢٣، و«الدر المنثور» ٥/ ١٤٩.

فعلى هذا الحفدة: الأعوان، وهذا قول مجاهد والحسن والسدي وعكرمة، قالوا: هم الأنصار والأعوان والخدم(١)، غير أن السدي وعكرمة قالا: هم ولده الذين يعينونه(٢)، ونحوه قال قتادة وعطاء(٣)، وقال في رواية سعيد بن جبير ومجاهد: إنهم ولد الولد(٤)، وقال في رواية العوفي: هم بنو

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٤٩ بنصه، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٨)، عن الحسن: هم الخدم، وورد في غريب الحديث ٣/ ٣٧٤، عن مجاهد: هم الخدم، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٤٥ بنصه عن مجاهد، ومن طرق عن الحسن ومجاهد قالا: هم الخدم، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٩، عن الحسن: هم الخدم، و«تفسير الجصاص» ٣/ ١٨٦، عن مجاهد: هم الخدم، والسمرقندي ٢/ ٢٤٢، بنصه عن مجاهد، والثعلبي ٢/ ١٦٠، عن عكرمة والحسن: هم الخدم، وعن مجاهد: هم الأنصار والأعوان، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٢، عن الحسن: الأعوان، وعن مجاهد: الخدم، والطوسي ٦/ ٤٠٦، عن مجاهد: هم الخدم، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣١، وابن عطية ٨/ ٤٦٧، وأبي حيان ٥/ ٥١٥، عن مجاهد، و ابن كثير ٢/ ٦٣٦، عن مجاهد، وقد استحسن النحاس من قال أنهم الخدم، ثم قال: إلا أنه يكون منقطعاً مما قبله عند أبي عبيد-لم أقف عليه- ويُنْوى به التقديمُ والتأخيرُ، كأنه قال: وجعل لكم حَفَدةً، أي خدَماً، وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل ابن الأنباري التقدير: وجعل لكم من أزواجكم بنين، وجعل لكم حفدةً من غير الأزواج. «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٨)، بمعناه، والطبري ١٤/ ١٤٥- ١٤٦ من طرق بنصه وبمعناه عن عكرمة، وعن السُّديّ، قال: الأعوان، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٨٩، بمعناه عن عكرمة، و«تهذيب اللغة» (حفد) ١/ ٨٦٢، بمعناه عن عكرمة، وانظر: «اللسان» (حفد) ٢/ ٩٢٣، عن عكرمة.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٥، بنحوه عن قتادة، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ أ، بنصه عن عطاء، وبنحوه عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣١، عنهما، والخازن ٣/ ١٢٦، عن عطاء.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٦ بنصه عن سعيد، وعن مجاهد من طريقين قال: البنون،=

امرأة الرجل، ليسوا منه، وهو قول ابن زيد والضحاك[١].

وأصلُ الحَفَدَةِ من الحَفْد، وهو: الخِفَّةُ في الخدمة والعمل، يقال: حفد يَحْفِدُ حَفْدًا وحُفُودًا وحَفَدانًا إذا أسرع[٢]، ومنه الدعاء: (وإليك نسعى ونحفد)[٣]، قال أبو عبيدة: الحَفَدُ: الأعوان، يقال: حفدني، وهو

= ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ أ، بنصه من طريقهما، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٢) بنصه، والطوسي ٦/ ٤٠٦، بمعناه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣١، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٣، والخازن ٣/ ١٢٦. وقد نصر ابن العربي هذا القول، فقال: فالظاهر عندي من قوله: ﴿بَنِينَ﴾: أولاد الرجل من صُلْبِه، ومن قوله: ﴿وَحَفَدَةً﴾: أولاد ولده، وليس في قوة اللفظ أكثر من هذا، ويكون تقدير الآية: والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، ومن أزواجكم بنين، ومن البنين حفدة. «تفسير ابن العربي» ٣/ ١١٦٢.

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٤٦ بنصه عن ابن عباس ضعيفة، وورد في «تهذيب اللغة» (حفد) ١/ ٨٦٢، بنحوه عن الضحاك، والثعلبي ٢/ ١٦٠ أ، بنصه عن ابن عباس ضعيفة، وبنحوه عن ابن زيد، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٢، بنحوه عن ابن عباس، والطوسي ٦/ ٤٠٦، بنحوه عن ابن عباس، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣١، عن ابن عباس، وابن عطية ٨/ ٤٦٧، عن ابن عباس، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٠، عن ابن عباس والضحاك، و«اللسان» (حفد) ٢/ ٩٢٣، عن الضحاك، و«تفسير الخازن» ٣/ ١٢٦، عن ابن عباس، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٣- ٢٣٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(٢) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٧، بنحوه، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٠، بنحوه، وانظر: (حفد) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٦٢، و«المحيط في اللغة» ٣/ ٤٢، و«اللسان» ٢/ ٩٢٣، و«التاج» (حفد) ٤/ ٤٢٣.

(٣) هذا جزء من دعاء القنوت الذي ورد عن عمر ﵁ موقوفاً عليه، أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» الدعاء/ ما يدعو به في قنوت الفجر (٦/ ٩١) من عدة طرق، والبيهقي: الصلاة/ دعاء القنوت ٢/ ٢١٠، وورد في «الأذكار» للنووي ص٩٦، و«كنز العمال» ٨/ ٧٤-٧٥.

حافدي[١]، وأنشد لطرفة:

يَحْفِدون الضيفَ في أبياتِهِمْ كَرَمًا ذلك منهم غيرَ ذُلّ[٢]

قال أبو عبيد: وفيه لغة أخرى؛ أَحْفَدَ إِحْفادًا، وأنشد للراعي:

أَخَبَّ بِهِن الْمُخْلِفَان وأَحْفَدَا[٣]

قال: خَدَمَا[٤]، قال الليث: ومثله الاحْتِفادُ[٥]، فالحفدة جمع الحافد، **والحافد**: كل من يخف في خدمة أو يسرع في العمل بطاعتك، ويقال في جمعه: الحَفَدُ، بغير هاء، كما يقال: الرصد والعيب، فمعنى الحفدة في اللغة: الأعوان والخدم، ثم هؤلاء الأعوان مَنْ هم على ما ذكره المفسرون،

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٣٦٤، بنحوه.

(٢) ليس في ديوانه، وورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٢، وورد غير منسوب في «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٠٠، و«الدر المصون» ٧/ ٢٦٥، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٩٠.

(٣) وصدره:

مَزَايِدُ خَرْقَاءِ اليَدَيْن مُسِيْفَةٍ

«شعر الراعي النميري» ص٦١، وورد في «تهذيب اللغة» (حفد) ١/ ٨٦١، (ساف) ٢/ ١٥٩٨، و«مجمل اللغة» ١/ ٤٨١، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١٢٢، و«اللسان» (حفد) ٢/ ٩٢٣، (سوف) ٤/ ٢١٥٣، (سيف) ٤/ ٢١٧٢، و«التاج» (حفد) ٤/ ٤٢٤، ويروى: (مزائدُ)، وقياسها: مزاود؛ لأنها جمع مزادة: وهي وعاء الزاد وراوية يحمل فيها الماء، (خرقاء): بَيِّنَةُ الخرق، وهو الجهل والحمق، (مسيفة): المُسِيفُ المتقلِّد بالسيف، وأساف الخرز: أي خرقه، (أخب): يقال: أخبّ فلان في الأمر: أسرع فيه، (المخلفان): المُخْلِفُ: الذي لم تُصِبْ ماشيته الرَّبيعَ، وقيل: هو الذي يحمل الماء العذب إلى القوم ليس معهم ماء عذب، أو يكونون على ماء ملح، ولا يكون الإخلاف إلا في الربيع، وهو في غيره مستعار منه.

(٤) «غريب الحديث» ٢/ ٩٦، بنصه تقريباً، وانظر: «تهذيب اللغة» ١/ ٨٦١، بنصه تقريباً.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (حفد) ١/ ٨٦١، وفيه، قال الليث: الاحْتفادُ: السُّرعةُ في كلِّ شيء.

والأولى بأن يفسر بأعوان حصلوا للرجل [نْ قِبَل المرأة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾ وأعوان الرجل لا][1] من قِبَل امرأته لا يكونون ممن عناهم[2] الله بقوله هاهنا: ﴿وَحَفَدَةً﴾[3].

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال ابن عباس: يريد من أنواع الثمار والحبوب والحيوان[4]، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عباس: يعني بالأصنام[5]، وقال مقاتل: يعني بالشيطان[6]، وقال عطاء: يعني[7] تُصدِقوا أن لي شريكًا وصاحبة وولدًا[8]، ﴿وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾، رُوي عن ابن عباس: أنه قال: يعني التوحيد[9]، وقيل: أراد بما أنعم الله عليهم

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ش)، (ع).

(٢) في (أ)، (د): (عبادهم)، والمثبت من (ش)، (ع) هو الصحيح.

(٣) اختلفت ترجيحات العلماء في المقصود بـ(حفدة) وقد ذكرتها مقترنة بالأقوال، وهنا يرجح الواحدي رحمه الله نوعا خاصاً من الأعوان؛ هم مَنْ كانوا مِنْ قِبَل المرأة، ولم يرتض الطبري تخصيص المقصود بالحفدة بأحد الأقوال الواردة؛ لأن المنّة تحصل بكل ذلك، لذلك قال: فكل الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا وجه في الصحة، ومَخْرج في التأويل، وهو الصحيح. «تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٧.

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٠، بنصه، وبلا نسبة في «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٥، والخازن ٣/ ١٢٦، وأبي حيان ٥/ ٥١٥، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٩١.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠أ، بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٠، والفخر الرازي ٢٠/ ٨١، و«القرطبي» ١٠/ ١٤٥.

(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٥أ، بلفظه.

(٧) ساقطة من: (أ)، (ش)، (ع).

(٨) لم أقف عليه.

(٩) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠أ، بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٠. وورد بلفظه غير منسوب في «تفسير البغوي» ٣/ ٧٧.

مما أحل لهم يكفرون؛ فيحرمونه ويجحدون تحليله[١]، يعني ما حَرَّمُوا على أنفسهم من الأنعام والحرث، وذكرنا وجهين في قوله: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾، والوجهان هاهنا جائزان.

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ يعني الغيث الذي يأتي من جهتها، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ يعني النبات والثمار التي تخرج منها.

وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، (من) صفة النكرة التي هي: ﴿رِزْقًا﴾ كأنه قيل: لا يملك لهم رزقًا من الغيث والنبات.

وقوله تعالى: ﴿شَيْـًٔا﴾ قال الأخفش: جعل الشيء بدلًا من الرزق، وهو في معنى: لا يملكون رزقًا قليلًا ولا كثيرًا[٢]، أي لا يملكون أن يرزقهم شيئًا من السموات والأرض، وقال الفراء: نصب ﴿شَيْـًٔا﴾ بوقوع الرزق عليه[٣]؛ كما قال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ [المرسلات: ٢٥، ٢٦] أي: تكْفِت الأحياء والأموات، ومثله: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾[٤] [البلد: ١٤، ١٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي لا يقدرون على شيء، وليست لهم استطاعة، وجمع هاهنا؛ لأن (ما) في مذهب جمع لآلهتهم التي يعبدون،

---

(١) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٧، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣١.

(٢) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٠٦، بنصه، وأورده الطبري ١٤/ ١٤٨ بنصه.

(٣) أي أن ﴿شَيْـًٔا﴾ منصوبة بالمصدر ﴿رِزْقًا﴾ على أنه مفعول به.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٠، بنصه، وأورده الطبري ١٤/ ١٤٨ بنصه، والشاهد: أنه نصب ﴿يَتِيمًا﴾ بالمصدر ﴿إِطْعَٰمٌ﴾.

فَوَحَّدَ ﴿يَمْلِكُ﴾ على لفظ (ما)[(١)] وجمع يستطيعون على المعنى[(٢)].

٧٤- وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ قال المفسرون: يعني لا تُشَبِّهُوهُ بخلقه[(٣)]، وقال الزجاج: أي لا تجعلوا لله مِثْلًا؛ لأنه واحدٌ لا مِثْلَ له[(٤)]، فعلى هذا ضَرْبُ المَثَل، استُعْمِل في التَّشْبيه؛ لأن أكثرَ ما يُضْرَب المَثْلُ إنما يُضْرب لتشبيه وصف بوصف أو ذات بذات، وتعالى الله عن أن يُشْبِهَ شيئًا أو يُشْبِهَهُ شيءٌ في ذاته وصفاته.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ قال ابن عباس: يريد ما يكون قبل أن يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة[(٥)]، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: قَدْرَ عظمتي؛ حيث أشركتم بي وعَجَّزْتُمُوني أن أبعثَ خلقي.

٧٥- قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي بَيَّنَ الله شِبْهًا فيه بيانٌ للمقصود، ثم ذكر ذلك فقال: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ إلى قوله: ﴿سِرًّا وَجَهْرًا﴾ قال مجاهد في هذه الآية والتي تليها: كل هذا مَثَلُ إله الحق وما يُدْعَى من

---

(١) ساقطة من (أ)، (د).

(٢) ورد في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٠ بنصه، وأغلب الظن أنه اقتبسه منه بدون عزو.

(٣) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٥أ، والطبري ١٤/ ١٤٨، وهود الهواري ٢/ ٣٧٩، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ، والطوسي ٦/ ٤٠٨، وانظر: «تفسير البغوي» ٣/ ٧٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٧١، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٢، والخازن ٣/ ١٢٦.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٣، بنصه.

(٥) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٢، بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧١، وورد عن بعض المفسرين قولٌ آخر في الآية، لعله أكثر مناسبة للسياق، قالوا: المعنى: والله يعلم ما يستحقه وما يليق به من وصف الكمال وأنتم لا تعلمون؛ لذلك تجعلون له أشباهاً وأمثالاً لا تليق به سبحانه. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٨، والثعلبي ٢/ ١٦٠أ، وابن الجوزي ٤/ ٤٧١.

دونه من الباطل[١].

وقال السُّدي: هذا مَثَلٌ ضربه الله للآلهة؛ يقول: كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حُرٌّ قد رُزق رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سِرًّا وجَهرًا لا يخاف من أحد، فكذلك أنا وهذه الآلهة التي تَدْعُون، ليست تملك شيئًا وأنا الذي أملك وأرزق مَنْ شئت[٢]، وهذا القول هو اختيار الفراء[٣]، والزجاج قال: بَيَّنَ اللهُ لهم أمرَ ضلالتهم وبعدهم عن الطريق في عبادتهم الأوثان، فذكر أن المالك المقتدر على الإنفاق والعاجز الذي لا يقدر أن ينفق لا يستويان، فكيف يُسَوَّى بين الحجارة التي لا تتحرك ولا تعقل وبين الله الذي هو على كل شيء قدير، وهو رازقُ جميع خلقه[٤].

وفي الآية قول آخر، وهو: أن هذا مثل للمؤمن والكافر؛ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أبا جهل بن هشام وأبا بكر الصديق[٥]، وقال قتادة:

---

(١) ليس في تفسيره، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٥٠ بنصه من طريقين، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٧٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٢، بنصه.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١١، بمعناه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٣، بتصرف يسير.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ب، بنصه عن ابن جريج عن عطاء ضعيفة، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٢، وقد روي عن ابن عباس أنهما: هشام بن عمرو، ومولاه الذي كان ينهاه، انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٣، و«تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٥- ٢٣٦، وعزاه إلى ابن جرير -روايته ليس فيها الشاهد- وابن أبي حاتم وابن مردويه، وابن =

هو الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا ينفق خيرًا، ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو المؤمن يطيع الله في نفسه وماله[(١)]، فعلى هذا القول: الكافر لمَّا لم ينفق في طاعة الله صار كالعبد الذي لا يملك شيئًا، والمؤمن ينفق في الخير وفي طاعة الله، فليسا يستويان، كذلك قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ وجمع الفعل؛ لأن المراد بقوله: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا﴾، الشُّيوع في الجنس لا التخصيص[(٢)].

= مردويه وابن عساكر وليس لتخصص الآية بهما داع، بل الآية عامة، وكفى بتضارب الأقوال المُعَيِّنة دليلاً على عدم التعيين، وقد أشار الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ إلى التعميم بقوله: المراد بقوله: ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا﴾، الشُّيوع في الجنس لا التخصيص، وقد ردّ الجصاص هذا التخصيص بأمرين: بضعف الحديث الوارد، وبظاهر اللفظ؛ فقال: وظاهر اللفظ ينفيها؛ لأنه لو أراد عبداً بعينه لعرَّفه ولم يذكره بلفظ منكور، وأيضاً معلوم أن الخطاب في ذكر عبدة الأوثان والاحتجاج عليهم. . . إلخ. انظره في: «تفسيره» ٣/ ١٨٧، وهو كلام نفيس في الردّ على تخصيص هذا المثل والذي يليه، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٧٦، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٤، وأبي حيان ٥/ ٥١٩.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٩) بنصه، والطبري ١٤/ ١٥٠- ١٥١ من طريقين بنصه وبنحوه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٢، بمعناه، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٠٨، بمعناه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٢، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٤- ٢٣٥، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم. والغريب أن لابن عباس قولاً مثله -حتى إن كثيراً من المفسرين نسبوا القول إليهما، بل إن بعضهم اكتفى بنسبته إلى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ومع ذلك لم يذكره واكتفى بنسبته لقتادة.

(٢) قال الثعلبي: ﴿هَلْ يَسْتَوُۥنَ﴾ ولم يقل: هل يستويان؛ لمكان (مَنْ) لأنه اسم مبهم يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث. «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ب.

واختار ابن قتيبة القول الأول[١]؛ فقال: هذا مثل ضربه الله لنفسه ولمن عُبد دُونَه، فقوله: ﴿عَبۡدٗا مَّمۡلُوكٗا لَّا يَقۡدِرُ عَلَىٰ شَيۡءٖ﴾ مَثَلُ من عُبِد مِن دونه؛ لأنه عاجزٌ مُدَبَّرٌ مملوكٌ لا يقدر على نفع ولا ضرّ، ثم قال: ﴿وَمَن رَّزَقۡنَٰهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَجَهۡرًاۖ﴾ وهذا مَثَلُه جلَّ وعز؛ لأنه الواسع الجواد القادر الرَّزاق عباده جَهْرًا من حيث يعلمون وسرًّا من حيث لا يعلمون، قال: وهذا القول أعجب إليّ؛ لأن المَثَل توسَّط كلامين؛ هما لله جلّ وعز؛ أما الأول فقوله: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية. فهذا[٢] لله ومن عُبِدَ من دونه، (وأما الآخر فقوله)[٣] بعد انقضاء المثل: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٤]، ومعنى قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ هاهنا: أنه بَيَّنَ أن له الحمدَ على ما فعل بأوليائه، وأنعم عليهم بالتوحيد، هذا معنى قول ابن عباس[٥].

وقال غيره: بَيَّنَ أن له جميعَ الحمد، وأنه المستحق للحمد دون ما يعبدون من دونه؛ لأنه لا يَدَ للأصنام عندهم، ولا نعمة لها عليهم[٦]،

---

(١) وكذلك رجحه ابن عطية ٨/ ٤٧٦، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٤، وأبوحيان ٥/ ٥١٩، وابن القيم في «الأمثال» ص٢٠٥.

(٢) في جميع النسخ: (عهد الله)، وهو تصحيف، والتصويب من المصدر.

(٣) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ).

(٤) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٨٤-٣٨٥، بتصرف واختصار، وورد نحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٢.

(٥) قال: الحمد لله على ما فعل بأوليائه وأنعم عليهم بالتوحيد. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٨٥، بنصه، وأبي حيان ٥/ ٥١٩، بنصه.

(٦) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٤٩، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٦٠ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٣، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٥، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٨، والخازن ٣/ ١٢٧.

ومعنى قوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون أن الحمد لي؛ لأن جميع النعمة مني، وذكر الأكثر وهو يريد الجميع.

قال أهل المعاني: عزل البعض احتقارًا له أن يُذْكَر، وقال آخرون: هو من الخاص في صِيَغِهِ، الذي هو عموم في معناه، والمعنى: بل هم لا يعلمون[(١)]، ثم زاد في البيان، فقال:

٧٦- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ﴾ قال أبو زيد: رجل أبْكَم وهو العَيُّ المُفْحَمُ، وقد بَكِمَ بَكَمًا وبَكَامَةً، وقال أيضًا: الأبْكَمُ: الأقْطَعُ اللِّسَانِ؛ وهو العَيُّ بالجوابِ الذي لا يُحْسِنُ وَجْهَ الكَلَامِ[(٢)]؛ لأنه لا يَفْهَم ولا يُفْهَم عنه.

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾، أي: هذا الأبكم ثِقْلٌ وَوَبَالٌ على صاحبه وقرينه وابن عمه وَوَلِيِّه، والكلّ: الذي هو عِيالٌ وثِقْلٌ على صاحبه[(٣)].

قال أهل المعاني: وأصله من الغِلَظ الذي هو نقيض الحدة، يقال: كَلّ السكينُ كلولًا، إذا غَلُظَ شفرته فلم يقطع، وكَلَّ لسانه إذا لم ينبعث في القول لِغِلَظه وذهاب حَدّه، وكَلّ عن الأمر يَكَلُّ إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه، فهو يَكَلُّ إذا لم ينفذ في الأمر[(٤)].

---

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٨، وأبي حيان ٥/ ٥١٩.

(٢) لم أجده في نوادره، وورد في «تهذيب اللغة» (بكم) ١/ ٣٧٩، بنصه.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (كل) ٤/ ٣١٧٦، بنصه.

(٤) ورد بنحوه في: «أدب الكاتب» ص٣٣٣، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٠، و«الفخر=

وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾ أي أينما[١] يرسله، ومعنى التوجيه: أن ترسل صاحبك في وجه من الطريق، يقال: وجهته إلى موضع كذا فتوَجَّه إليه[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لأنه عاجز لا يُحْسِن ولا يَفْهَم ما يُقَال له ولا يُفْهَم عنه، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ﴾ أي هذا الأبكم الذي هو بهذا الوصف، ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ أي ومن هو قادر تام التمييز متكلم ناطق بالحق، آمرٌ بالعدل قادرٌ على الأمور مُصَرِّفٌ لها على أحسن الوجوه، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال ابن عباس: يريد على دين مستقيم[٣].

وللمفسرين في هذه الآية قولان كما ذكرنا في الآية الأولى، فمن قال في المثل الأول أنه مَثَلُ الأوثان والله تعالى، قال في هذه الآية أيضًا: إن هذا مَثَلٌ كالأول، وهو قول مجاهد والسدي وقتادة[٤]، واختيار الفراء[٥]

= الرازي» ٢٠/ ٨٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٥٠، والخازن ٣/ ١٢٧، وانظر: (كل) في «المحيط في اللغة» ٦/ ١٤١، و«مجمل اللغة» ٢/ ٧٦٥، و«الصحاح» ٥/ ١٨١١.

(١) في جميع النسخ: (إنما)، والمثبت هو الصحيح.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٨٦، بنصه تقريباً.

(٣) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٢٧، وأبي حيان ٥/ ٥١٩، بلا نسبة فيهما.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٥٩ بمعناه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١٤٩-١٥٠ بنصه عن مجاهد من طريقين، وبنحوه عن قتادة، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٤، بنحوه عن السدي، والثعلبي ٢/ ١٦٠ب بمعناه عن مجاهد، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٤ بمعناه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٣، عن مجاهد وقتادة، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٩، عن مجاهد، وأبي حيان ٥/ ٥١٩، عن قتادة، و ابن كثير ٢/ ٦٣٧- ٦٣٨، عن مجاهد، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن قتادة.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١١.

والزجاج[١] وابن قتيبة[٢].

قال مجاهد: كل هذا مَثَلُ إله الحق وما يُدْعَى من دونه من الباطل[٣].

وقال السدي: أما الأبكم فمِثْلُ الصنم؛ لأنه أَبْكَمُ لا ينطق، وهو كَلّ على عابديه؛ يُنْفِقون عليه ولا يُنْفِق هو عليهم ولا يَرْزُقُهم، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: الصنم من شرق أو غرب لا يأت بخير، يقول: لا يرزقهم ولا ينفعهم، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، والذي يأمر بالعدل: الله تبارك وتعالى، ونحو هذا قال قتادة[٤].

وقال الزجاج: هل يستوي القادرُ التامُ التمييزِ والعاجزُ الذي لا يُحْسِن ولا يأتي بخير، فكيف تُسَوُّون بين الله ﷻ وبين الأحجار[٥].

وقال ابن قتيبة: هذا مَثَلُ آلهتهم؛ لأنها بُكْمٌ صُمٌّ عُمْيٌ، ثِقْلٌ على من عبدَها في خدمتها، وهي لا تأتيه بخير[٦].

ثم قال: ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فجعل هذا المَثَلَ لنفسه، وقال في قوله: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ هذا مثل للصنم الذي عبدوه، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾؛ لأنه يحمله إذا ظَعَن، ويُحَوِّلَه من مكان إلى مكان إذا تحرك، فقال الله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى﴾:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٤.

(٢) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٤٨.

(٣) سبق توثيقه.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٠، بنحوه عن قتادة، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٥- ٢٣٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، بنحوه عن السدي.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٨٥، بنصه تقريباً.

هذا الصنم الكَلّ، ﴿وَمَن يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾، وهو استفهام معناه التوبيخ، كأنه قال: لا تُسَوُّوا بين الصنمِ الكَلِّ وبين الخالق عز وجل[١].

وقال آخرون: هذا مثل للمؤمن والكافر، وهو قول ابن عباس في رواية عطية[٢].

ثم اختلفوا فيمن نزل، فروى يَعْلَى بن مُنْيَةَ[٣] عن ابن عباس: أنها نزلت في عثمان بن عفان ومولاه؛ كان عثمان رضي الله عنه ينفق عليه ويكفيه المؤونة، وكان مولاه يكره الإسلام، وينهاه عن الصدقة ويمنعه من النفقة[٤].

وقال في رواية عطاء، الأبكم: أُبي بن خلف الجمحي، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوۡلَىٰهُ﴾ يريد كَلّ على قومه، كان يؤذيهم، ﴿هَلۡ يَسۡتَوِي هُوَ﴾، يريد أبي

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (كل) ٤/ ٣١٧٦، بنصه تقريباً.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٠، بنحوه ضعيفة، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ب، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٥-٢٣-٣٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٣، وأبي حيان ٥/ ٥١٩، و ابن كثير ٢/ ٦٣٧.

(٣) يَعْلَى بن أُمَيَّة التميمي ﷺ ينسب حيناً إلى أبيه وحيناً إلى أمه مُنْيَة، وقيل: هي أم أبيه، جزم بذلك الدارقطني، أبو صفوان، صحابي، أسلم يوم الفتح وشهد حنيناً والطائف وتبوك، شهد صفين مع علي ﷺ، مات سنة بضع وأربعين. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ١٤٧، و«أسد الغابة» ٥/ ٥٢٣، و«الإصابة» ٣/ ٦٦٨ (٩٣٥٨)، و«تقريب التهذيب» ص٦٠٩ (٧٨٣٩).

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥١ بنصه تقريباً، ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ب، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٤، بمعناه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٣، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٤٩، و ابن كثير ٢/ ٦٣٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٥- ٢٣٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

ابن خلف، ﴿وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، يريد حمزة وعثمان بن مظعون[١].

٧٧- قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ قال أبو إسحاق: معناه: ولله عِلْمُ غيبِ السموات والأرض[٢]، وذكرنا الكلام في معنى غيب السموات والأرض في آخر آية من سورة هود [١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سُمِّيت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق في صيحة[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ قال ابن الأعرابي: اللمح: النظر بسرعة[٤]، يقال: لمحه ببصره لمحًا ولمحانًا[٥]، أنشد الفراء:

لـمحـان أقنى فوق طـود يـافـع بـعـضَ الـعُـدَاة دُجُـنَّـة وظـلالا[٦]

---

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٠ب، بنصه مختصراً، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٣-٣٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٣، و«القرطبي» ١٠/ ١٤٩، وهذا كالمَثَلِ الأول؛ لا دليل صحيح على تخصيصه بأحد بعينه، وحسبك تضارب الروايات لرده، والصحيح حمل الآية على العموم. انظر: التعليق على آية [٧٥]، و«تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٢٠، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ١٩٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٨٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٥٠، بنصه غير منسوب.

(٤) ورد في لمح ٥/ ٩٨، بمعناه.

(٥) اللَّمْحُ: هو النظر الخاطف كرجوع الطَّرْف، يُشَبَّه بلَمَعَان البرق، يقال: لَمَحَ البرقُ والنجْمُ؛ أي لمع، ويقال: لمحه ببصره وألْمَحه، والاسم: اللَّمْحَةُ. انظر: (لمح) في «العين» ٣/ ٢٤٣، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٩٦، و«المحيط في اللغة» ٣/ ١١٦، و«الصحاح» ١/ ٤٠٢.

(٦) لم أقف عليه. (أقنى): برز، (طود)، الطَّوْدُ: الجبل العظيم، (يافع): هو التَّلّ المُشْرِفُ، وقيل: ما ارتفع من الأرض، (دجنة)، الدُّجُنَّةُ: الظَّلْمَاءُ.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ﴾، يريد: القيامة، ﴿إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾، يريد: النظر.

وقال قتادة: هو أن يقول: كن، فهو ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ﴾[1].

وقال السدي: هو كلمح العين من السرعة، ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾: من ذلك إذا أردناه[2]، وشرح أبو إسحاق معنى هذا فقال: الساعةُ اسم لإِمَاتَةِ الخَلق وإحْيائِهِم، أعلم الله تعالى أنّ البَعْثَ والإِحْيَاءَ في قدرته ومشيئته، ﴿كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾، ليس يريد أنَّ السَّاعةَ تأتي في أقربَ من لمح البصر، ولكنه يصف سرعةَ القدرةِ على الإتيان بها[3]، ومعنى (أو) في قوله: ﴿أَوۡ هُوَ أَقۡرَبُۚ﴾: أن أمرها يكون على إحدى منزلتين: إما لمح البصر، وإما أقرب، فأدخل (أو) لِشَكّ المخاطب؛ أي كونوا في تقدير سرعة كونها على هذا الشك، وهذا معنى قول قطرب: أراد أن يطويه عنّا[4]، وقيل: إنّ (أو) هاهنا بمنزلة بل[5].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٩) بنصه، والطبري ١٤/ ١٥١ بنصه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٥، بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٢٣٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٤، وأورده السيوطي في «الدر المنثور»، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) بذلك فسرها مقاتل ١/ ٢٠٥ب، والسمرقندي ٢/ ٢٤٤، وهود الهواري ٢/ ٣٨٠، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٤، والفخر الرازي ٢٠/ ٨٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٥٠، وأورده أبو حيان في تفسيره وأبطله بحجة أن الإضراب هنا يؤدي إلى فساد المعنى، وتعقبه الألوسي وصححه، انظر: «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٢١، =

وأنشدوا[١]:

أَوْ أنـتِ فـي الـعَـيـنِ أَمْـلَـحُ[٢]

٧٨- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ أي أخرجكم غير عالمين بمعنى: أخرجكم جاهلين.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ عطف[٣] على قوله: ﴿أَخْرَجَكُم﴾، وجَعْلُ السمعِ كان قبل الإخراجِ ولم يكن بعده، وتأخيره في الذكر وتَقَدُّمُ الإخراجِ لا يدل على أن الجَعْلَ للسمع تأخر عن الإخراج؛ لأن الواو لا توجب الترتيب[٤]، ذكرنا هذا في مواضع،

= و«تفسير الألوسي» ١٤/١٩٨، وفي كتب حروف المعاني أن (أو) تأتي بمعنى (بل)، ومنهم من أطلق القول، ومنهم من قيده بشروط، انظر: «حروف المعاني» للزجاجي ص١٣، و«الجنى الداني» ص٢٢٩، و«مغني اللبيب» ص٩١.

(١) نُسب لذي الرُّمَّة- ولم أجده في ديوانه، وقال محقق الخزانة؛ عبد السلام هارون: بل هو في ملحقات الديوان ص٦٦٤.

(٢) تمام البيت:

بدتْ مِثلَ قَرْنِ الشَّمس في رَوْنقِ الضُّحى   وصُـورَتِـهـا . . . .

ورد في «المحتَسَب» ١/ ٩٩، و«الخصائص» ٢/ ٤٥٨، و«الأزهية» ص١٢١، و«اللسان» (أوا) ١/ ١٨١، و«الخزانة» ١١/ ٦٥، وورد بلا نسبة في «معاني القرآن» للفراء ١/ ٧٢، و«الصحاح» (أو) ٦/ ٢٢٧٥، و«الإنصاف» ٣٨٣، والشاهد: ورود (أو) بمعنى (بل) والمعنى: بل أنتِ في العين أملح.

(٣) وجعلها الطبري مستأنفة؛ لأن الكلام تمَّ بقوله: ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾، ثم ابتدأ بقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ﴾. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٥٢، والبغوي ٥/ ٣٤.

(٤) وللخازن توجيه جيد، يقول: لمّا كان الانتفاع بهذه الحواس بعد الخروج من البطن، فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه، وإن كانت قد خلقت قبل ذلك. «تفسير الخازن» ٣/ ١٢٨.

والمعنى: خلق لكم الحواس التي بها تعلمون وتقفون على ما تجهلون، قال ابن عباس في هذه الآية: يريد لتسمعوا مواعظ الله وتُبْصِروا ما أنعم الله به عليكم منذ أخرجكم من بطون أمهاتكم إلى أن صرتم رجالًا، وتعقلوا عظمة الله[1]، ﴿وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ جمع الفؤاد؛ نحو غراب وأغربة[2].

قال الزجاج: ولم يجمع فؤاد على أكثر العدد؛ لم يُقَل فيه: فِئْدان، كما قيل في غُراب وغِرْبَان[3].

٧٩- قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ﴾، أي: مذللات في جَوِّ السماء، وهو الهواء، قال الزجاج: ﴿جَوِّ ٱلسَّمَآءِ﴾: الهواءُ البعيدُ من الأرض[4]، وهذا حث على الاستدلال بها على مُسَخِّرٍ سَخَّرها، ومُدَبِّرٍ مَكَّنَها من التصرف في جو السماء، وهو الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ يعني في حال القَبْض والبَسْط والاصطفاف، كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ﴾ الآية .[الملك: ١٩].

٨٠- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا﴾ الآية. السَّكَن: المَسْكَن، أنشد الفراء[5]:

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٢٨، بنصه، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٠١، بنصه.

(٢) قال الزمخشري: وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة. انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٩.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٤، بنصه.

(٥) نسبه الأزهري لابن الأعرابي.

جاء الشِّتاءُ ولَمَّا أتَّخِذْ كِنَنًا[١]

يا وَيْحَ نَفْسِيَ[٢] من حَفْرِ القراميص[٣]

والسَّكَنُ: ما سَكَنْت، وقال الزجاج: أي مَوْضِعًا تَسْكُنُون فيه[٤]، قال مجاهد وغيره: يعني المساكن من الحجر والمدر[٥].

(١) في (أ)، (د): (كِناناً)، والمثبت من: (ش)، (ع)، وقد انفرد الواحدي برواية (كِناً)، بينما ورد في غيره (سنكناً) و (ربضاً)، وليس في رواية الواحدي ولا رواية (ربضاً) شاهد -إلا بالمعنى-، إنما الشاهد في رواية "سكناً" كما سياتي في توثيق البيت.

(٢) في (أ)، (د) زيادة كلمة (قلبي) كالتالي: (ياويح قلبي نفسي) والمثبت من: ش، ع وهو الصحيح؛ لإغناء كلمة نفسي عنها، ويؤكد ذلك خلو رواية التهذيب منها.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (قرمص) ٣/ ٢٩٤٦، وفيه: (رَبَضَاً) بدل (كناناً)، وبدون كلمة (قلبي)، وورد بلا نسبة برواية:

جاء الشتاء ولـمّا أتخذ ربضاً يا ويح كفَّيَّ من حفْرِ القراميص

في «جمهرة اللغة» ١/ ٣١٤، ٢/ ١٢٠١، و«تهذيب اللغة» (ربض) ٢/ ١٣٤٤، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٤٧٨، و«الصحاح» (قرمص) ٣/ ١٠٥١، (ربض) ٣/ ١٠٧٦، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩١، وفيه: (سكناً) بدل (ربضاً، و«الأساس» ٢/ ٢٤٧، و«اللسان» (قرمص) ٦/ ٣٦٠٦، (ربض) ٣/ ١٥٥٩، و«التاج» (قرمص) ٩/ ٣٣٣، و«تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٢٣، و«الدر المصون» ٧/ ٢٧٣، فيهما برواية: (سكناً) و(نفسي)، (ربض): قال ابن فارس: الراء والباء والضاد أصل يدل على سكون واستقرار، والرَّبَض: ما حول المدينة؛ ومسكن كلِّ قوم رَبَضٌ، ويقال: لفلان رَبَضٌ يأوي إليه: وهو كل ما سكن إليه من امرأة أو قرابة أو بيت. (قرمص): قال ابن السكيت: القراميص: حُفَرٌ صغارٌ يستكِنُّ فيها الإنسان من البرد، الواحدة: قُرْمُوص.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٥، بنصه.

(٥) ورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٥٤، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦١أ، بنصه، والبغوي ٥/ ٣٥، والخازن ٣/ ١٢٨، والذي في «تفسير مجاهد» ص٤٢٣، قال: تسكنون فيها، وأخرجه الطبري عن مجاهد بهذه الرواية، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٣٧، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال ابن عباس: يريد مساكن تستر عوراتكم وحُرَمَكُم، وذلك أن الله تعالى خلق الخشب والمدر والآلة التي بها يمكن تسقيف البيوت وبناؤها[١].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ يعني الأنطاع[٢] والأُدم، ﴿بُيُوتًا﴾ يعني القِبَاب والخِيَام والفَسَاطِيط[٣]، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾، أي: يَخِفُّ عليكم حَمْلُها في أسفاركم[٤]، قال ابن عباس: يريد إذا ظعنتم الربيع، وفيه قراءتان: تسكين العين[٥] وتحريكها[٦]، وهما لغتان؛ كالشعْر والشعَر، والنهْر والنهَر، قال الفراء: والعرب تفعل ذلك بما كان ثانيه إحدى الستة الأحرف[٧]، وأنشد[٨]:

له نَعَلٌ لا تَطَّبِي الكَلْبَ ريحُها
وإن وُضِعت بين المجالس شُمَّت[٩][١٠]

---

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٦، بنحوه وبلا نسبة.

(٢) جمع: نِطَعٌ ونِطْعٌ ونَطَعٌ ونَطْعٌ؛ هو بساطٌ من الجلد. انظر: «المحيط في اللغة» ١/ ٤٠٦، و«المعجم الوسيط» ٢/ ٩٣٠.

(٣) جمع الفِسْطَاط والفُسْطَاط؛ وهو ضَرْبٌ من الأبنية؛ وهو بيتٌ يتخذُ من الشَّعر. انظر: «المحيط في اللغة» ٨/ ٢٧١.

(٤) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٥، بنصه.

(٥) قرأ بها: عاصم وحمزة والكسائي وابن عامر. انظر: «السبعة» ص٣٧٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٩، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٨، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٧، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٥، و«التيسير» ص١٣٨.

(٦) بفتح العين، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو. (انظر: المصادر السابقة).

(٧) يريد الحروف الحلقية؛ وهي: الهمزة والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء.

(٨) لكُثَيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود، المعروف بكُثَيِّر عزّة (ت١٠٥هـ).

(٩) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٢، بنصه تقريباً.

(١٠) «ديوانه» ص٨٥، وروايته: =

قال أبو علي: لا يجوز أن يكون الظَّعْنُ مخففًا من الظَّعَنِ، كعَضْد من عَضُد، ألا ترى أن من خفف عَضْدًا لم يخفف؛ نحو: حَمَلٍ[١] ورَسَنٍ[٢]، قال الأزهري: والظَّعْنُ: سير البادية لنُجْعة أو حضور ماء أو طلب مَرْتَع أو تَحَوُّل من ماء إلى ماء ومن بلد إلى بلد، وقد ظَعَنوا يَظْعَنون، وقد يقال لكل شاخص لسفر: ظاعِن، وهو ضدّ الخافض[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ قال مقاتل: أي لا يثقل عليكم الحالتين[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا﴾ قال المفسرون

=إذا طُرِحَتْ لم تَطَّبِ الكلبَ ريحُها وإن وُضِعَتْ في مجلس القوم شُمَّتِ

وورد في «المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٥٠٢، و«الخصائص» ٢/ ٩، وفيه: (جُعِلت وسْطَ) بدل (وُضعت بين)، و«اللسان» (نعل) ٧/ ٤٤٧٧، وفيه: (وسط) بدل (بين)، وورد في «البيان والتبيين» برواية ليس فيها الشاهد ٣/ ٧٨٨، (تطبي): يقال طبى فلانٌ فلاناً عن رأيه وأمْره: أي صرفه، وأطْبَأه وطَبَأه: دعاه واستماله، (شُمّت): يُقبل شَمُّها؛ لأن جلدها جيد الدباغة لا تفوح منه روائحُ كريهة منتنة تستميل الكلاب، والشاعر يصف نعله برقتها وطيب ريحها، وأنها لطيب ريحها وعدم انبعاث الروائح الكريهة عنها لا تستميل الكلاب. والشاهد: أنه حرَّك حرف الحلق (ع) لانفتاح ما قبله. وانظر: «المحيط في اللغة» (طبى) ٩/ ٢٢٨.

(١) هكذا في جميع النسخ بالحاء، وفي المصدر (جمل) بالجيم، وهو خطأ؛ لأن (جمل) لا تأتي في الفصيح إلا محركة. انظر: «متن اللغة» ١/ ٥٧١.

(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ٧٧، بتصرف يسير. (رسن): الرسن: الحبل تقاد به الدابة؛ وهو ما كان على الأنف من الأزمَّة. انظر: «اللسان» (رسن) ٣/ ١٦٤٧، و«متن اللغة» ٢/ ٥٨٨.

(٣) «تهذيب اللغة» (ظعن) ٣/ ٢٢٤١، بنصه.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٥ب، بمعناه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١ أ، بنصه.

وأهل اللغة: الأصواف للضأن، والأوبار للإبل، والأشعار للمعز[١].

وقوله تعالى: ﴿أَثَٰثًا﴾ الأثاث: أنواع المتاع من متاع البيت؛ من الفُرُش والأكسية[٢]، قال الفراء: ولا واحد له، كما أن المتاع لا واحد له، قال: ولو جمعت لقلت: أَثِثَّة في القليل وأُثُثٌ في الكثير[٣].

وقال أبو زيد: واحدتها أَثَاثَةٌ[٤].

---

(١) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٥ب، بنصه، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٥، بنصه، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٦) بنصه، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١أ، بنصه، والطوسي ٦/ ٤١٣، وانظر: «تهذيب اللغة» (صاف) ٢/ ١٩٦٢- ١٩٦٣، (وبر) ٤/ ٣٨٢٦- ٣٨٢٧، و«المحيط في اللغة» (صوف) ٨/ ١٩٦، (وبر) ١٠/ ٢٧٢، و«اللسان» (وبر) ٨/ ٤٧٥٢- ٤٧٥٣، (صوف) ٤/ ٢٥٢٧- ٢٥٢٨.

(٢) ورد في الغريب لابن قتيبة ١/ ٢٤٨، بنصه، ورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٦، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١أ، وانظر: (أث) في «العين» (٨/ ٢٥٣، و«تهذيب اللغة» ١/ ١١٨، و«اللسان» (أثث) ١/ ٢٤- ٢٥، و«التاج» (أثث) ٣/ ١٦٤.

(٣) لم أجده في معانيه، وورد في «تهذيب اللغة» (أث) ١/ ١١٨، بنصه تقريباً، وفيه: ولو جمعت لقلت: ثلاثة آثَّةٍ، وأُثُثٌ كثيرة. وانظر: «اللسان» (أثث) ١/ ٢٤- ٢٥، و«التاج» (أثث) ٣/ ١٦٤، وأورد السمين قول الفراء، وقال عن جمع الكثرة: فيه نظر؛ حيث يلزم هذا الوزن جمعه على أفْعِلَة في القلة والكثرة، ولا يجمع على فُعُل. انظر: «الدر المصون» ٧/ ٢٧٥.

(٤) لم أجده في نوادره، وورد في «تهذيب اللغة» (أث) ١/ ١١٨، بلفظه، وورد عنه بنحوه في «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٤٨، و«أدب الكاتب» له ص٦١، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٧، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١، و«الدر المصون» ٧/ ٢٧٥، وأورد الطبري قول أبي زيد -بلا نسبة- ورده، قائلاً: ولم أر أهل العلم بكلام العرب يعرفون ذلك -أي أن الأثاث واحد- والحق أن أبا زيد إمام وحجة في العربية، والذين أوردوا قوله -وهم من أهل اللغة- لم أجد من اعترض عليه، وحسبك بابن قتيبة وقد أورد قوله مستشهداً به.

قال ابن عباس في قوله: ﴿أَثَٰثًا﴾ يريد طَنَافِس[١] وبُسطًا وثيابًا وكسوة[٢]، قال الخليل: وأصله من قولهم: أثَّ النَّباتُ والشَّعر إذا كثر[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَتَٰعًا﴾ أي ما يمتعون به.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد إلى حين البلى[٤].

وروي عنه: ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: الموت[٥]، ومثله قال مجاهد، وأبْهَم قتادة؛ فقال: إلى أجل[٦]، وحكى الفراء القولين فقال: يقول: يكتفون

---

(١) جمع طَنْفَس، وهي البساط الذي له خَمْلٌ رقيق، وقيل: هو ضرب من السجاد. انظر: «اللسان» (طنفس) ٥/ ٢٧١٠، و«متن اللغة» ٣/ ٦٣٧.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٢) بنصه، والمشهور عن ابن عباس أنه فَسَّرَ ﴿أَثَٰثًا﴾ بالمال، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٥- ١٥٦من طريق العوفي ضعيفة، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٧، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) «العين» (أث) ٨/ ٢٥٣، بنصه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٢، وقد نقل المقطع كله؛ من بداية قول الأزهري بنصه تقريباً دون نسبته للواحدي.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٠، وورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٥ب، والثعلبي ٢/ ١٦١أ، والبغوي ٥/ ٣٥، والزمخشري ٢/ ٣٣٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٧، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٢، والخازن ٣/ ١٢٩.

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٥ بلفظه عن مجاهد، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٧، عن ابن عباس ومجاهد، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤، عن ابن عباس، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٠٤، عن ابن عباس، وورد غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٨١، والثعلبي ٢/ ١٦١أ، والبغوي ٥/ ٣٥، والزمخشري ٢/ ٣٣٩، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٢، والخازن ٣/ ١٢٩، وورد عن ابن عباس تفسيره بقوله: ينتفعون به إلى حين، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٤- ١٥٥ من طريق العوفي ضعيفة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٣٧ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٩) بلفظه، والطبري ١٤/ ١٥٥ بلفظه، =

بأصوافها إلى أن يموتوا، ويقال: إلى الحين بعد الحين[١].

٨١- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد ظلال الغمام والسحاب[٢]؛ كما قال: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ﴾ [البقرة: ٥٧] يريد لتقيكم من حر الشمس ومن شدة البرد، وقال الكلبي: ﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾ يعني البيوت[٣]، وقال قتادة: يعني الشجر[٤]، واختاره الزجاج؛ فقال: أي جعل لكم من الشجر ما تَسْتَظِلُّون به[٥][٦].

وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ قالوا: يعني الغيران والأسْرَاب[٧]، وواحد الأكْنَان كِنٌّ، على قياس حِمْل

= وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٧، بلفظه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٣٧، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٢. بنصه.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٧، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٠٥.

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٧، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٠٥.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٥ بلفظه من طريقين، ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٥ بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٧، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٨، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٥، بنصه.

(٦) هذه الأقوال -في معنى الظلال- من اختلاف التنوع، ولا يجوز تخصيصها بأي منها، والأَوْلَى حَمْلُه على العموم؛ لعدم وجود مخصص، ولكونه جاء على سبيل الامتنان، والمنّة حاصلة بكل ذلك، لذلك فالأرجح ما قاله أبو سليمان الدمشقي: إنه كل شيء له ظل؛ من حائط، وسقف، وشجر، وجبل، وغير ذلك. «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٧٧.

(٧) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٥، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦١أ) بنصه، وانظر: =

وأَحْمَال[١]، والكِنُّ: كل شيء وقى شيئًا، ويقال: اسْتَكَنَّ واكْتَنَّ، إذا صار في كِنّ[٢][٣] ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾ السرابيل: القُمُص، واحدها سربال[٤]، قال الفراء: سَرْبَلْتُ الرجلَ إذا لَبَّسْتَه سَرْبَلَةً وسِرْبَالًا[٥]، وأنشد:

عَمّي أبو مالك بالمجدِ سَرْبَلَني وَدَنَّس العبد عبد القيس سربالي[٦]

قال أبو إسحاق: كلُ ما لَبِسْتَه فهو سربالٌ؛ من قميص أو دِرْع أو جَوْشَنٍ أو غيره[٧]، قال ابن عباس وقتادة: هي القُمُص من الكَتّان،

= «تفسير البغوي» ٥/ ٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٥٩، والخازن ٣/ ١٢٩، (الغيران): جمع غار؛ وهو مغارةٌ في الجبل كالسَّرب، وقيل: الغارُ كالكَهْف في الجبل، (الأَسْرَاب): جمع سَرْب ؛ وهو المسلك في خفية، وأصله جُحر الثعلب والوحشي، وهو حفير تحت الأرض، وقيل: بيت تحت الأرض. انظر: (سرب) في «المحيط في اللغة» ٨/ ٣١٢، و«اللسان» ٤/ ١٩٨٠، (غور) ٦/ ٣٣١٣، و«متن اللغة» ٣/ ١٣٣.

(١) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٥، بنصه.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (كن) ٤/ ٣١٩٦، بنصه، وهو قول الليث.

(٣) انظر: (كن) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٩٦، و«المحيط في اللغة» ٦/ ١٤٤، و«الصحاح» ٦/ ٢١٨٨، و«اللسان» ٧/ ٣٩٤٢، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٣، بنصه بلا نسبة.

(٤) انظر: (سربل) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٦٤، و«الصحاح» ٥/ ١٧٢٩، و«اللسان» ٤/ ١٩٨٣، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٠.

(٥) ليس في معانيه.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٥، بنصه. (جوشن): درع أو زَرَدٌ يُلْبَس على الصدر، والجمع: جواشن. انظر: «متن اللغة» ١/ ٦٠٣.

والقطن والصوف(١)، قال الفراء: ولم يقل: والبرد، وهي تقي الحرّ والبرد، فترك؛ لأن معناه معلوم(٢)، قال الزجاج: ولم يقل: وتقيكم البردَ؛ لأن ما وَقَى من الحرّ وَقَى من البرد(٣)، فعندهما أنه اكتفى بذكر أحدهما عن الآخر لدلالة المذكور على الآخر، وقال عطاء الخرساني: الذين خوطبوا بهذا أهل حَرّ في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقي الحرّ أشد، لذلك لم يذكر البرد؛ لأن القوم خُوطبوا على قدر معرفتهم، كما قال: ﴿وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ﴾: وما جعل من غير ذلك أعظم، ولكنهم كانوا أصحابَ وَبَر وشَعَر، وكذلك قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣] يُعَجِّبُهم بذلك، وما أنزل من الثلج أعظم ولكنهم كانوا لا يعرفونه(٤)، قال المبرد: والقرآن قد أحاط بمن يخاطب وبمن يكون بعده، وأحاط بالغائب كما أحاط بالحاضر، ولكن العرب من شأنها إذا كان

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٥٩)، بنحوه، والطبري ١٤/ ١٥٥- ١٥٦ بنصه من طريقين، وبنحوه من طريق، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٧، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٥، والطوسي ٦/ ٤١٣، بنحوه، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦أ، والثعلبي ٢/ ١٦١أ، وهود الهواري ٢/ ٣٨١.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٢، بنصه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١١٢، بنصه.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٣- ١٥٥ بنصه تقريباً مع تقديم وتأخير، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٨، مختصراً، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١ أ، بنصه تقريباً مع تقديم وتأخير، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٧، مختصراً، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٦، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٠، والخازن ٣/ ١٢٩، و ابن كثير ٢/ ٦٣٩، وهذا القول هو الذي رجّحه الطبري.

الشيئان مجازهما واحدًا في ضر أو نفع فذكروا أحدهما علم أن الآخر مثله، فلما ذكر الحرَّ صار كأنه ذكر البرد أيضًا، لما يعلم أنها لا تقي شيئًا دون شيء(١).

وقوله تعالى: ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ قال المفسرون: يعني دروع الحديد(٢)، ومعنى البأس: الشدة، ويريد هاهنا شدة الطعن والضرب والرمي(٣).

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي مِثْل ما جعل هذه الأشياء، وخلقها لكم وأنعم بها عليكم، ﴿يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ﴾ يريد: نعمة الدنيا؛ لأن(٤) الخطاب لأهل مكة يدل على هذا.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ قال ابن عباس: لعلكم يا أهل مكة تُخْلِصون لله الربوبية وتعلمون أنه لا يقدر على هذا أحدٌ غيره(٥)، فتوحدوه وتصدقوا أنبياءه، ثم قال بعد أن بَيَّنَ لهم الآيات:

٨٢- ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ أي عليك أن تُبَلِّغَ الرسالةَ

---

(١) أورده في «التعازي والمراثي» ص٣٩، مختصراً جداً؛ قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾، ولم يذكر البرد، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٤، عنه بمعناه، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤ مختصراً، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٠٥، مختصراً.

(٢) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦أ، بلفظه، والسمرقندي ٢/ ٢٤٥، بنصه، وهود الهواري ٢/ ٣٨١، بلفظه، والثعلبي ٢/ ١٦١أ، بنحوه، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٣٩، و ابن كثير ٢/ ٦٣٩- ٦٤٠.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٤، بنصه بلا نسبة.

(٤) في (أ)، (د): (أن) ومطموسة في (ع)، والمثبت من (ش).

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٤، والخازن ٣/ ١٢٩، بلا نسبة.

والآياتِ الدالةَ على التوحيد وصدقك، ولا يَلْزَمك تقصيرٌ مِنْ أجل تَوَلِّيهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ عما يلحقه عند توليهم عنه.

٨٣- قوله تعالى: ﴿يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ قال السدي: يعني محمدًا ﷺ[(١)]، وهذا القول اختيار أبي إسحاق؛ قال: يعرفون أن أمر النبي ﷺ حقٌّ ثم يُنكرون ذلك[(٢)]، وقال مجاهد: يعني ما عَدَّدَ من النِّعَم في هذه السورة، يعرفون أنها كلَّها نِعَمٌ عليهم، ولكن ينكرون أنها من الله تعالى، يقولون: هذه النعم كانت لآبائنا فورثناها منهم[(٣)]، وقال الكلبي: أقروا بأنها كلها من الله، وقالوا: لكنها بشفاعة آلهتنا[(٤)]، [وهذا][(٥)] القول

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٧ بنصه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٩٩، بنصه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٥، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦١ب) بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٧، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٦، وابن عطية ٨/ ٤٨٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦١، والخازن ٣/ ١٢٩، وأبي حيان ٥/ ٥٢٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٨، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٦، بنصه.

(٣) «تفسير مجاهد» ٣٥٠، بمعناه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٨ بمعناه من طريقين، وورد في: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٠، بمعناه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٥، بمعناه، وهود الهواري ٢/ ٣٨٢، مختصراً، والثعلبي ٢/ ١٦١ب، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٧) بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦١، والخازن ٣/ ١٢٩.

(٤) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٥، بنحوه، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١١٦١ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٧٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٢، والخازن ٣/ ١٢٩.

(٥) في جميع النسخ (وقال) ولا يستقيم بها الكلام، والصحيح المثبت.

اختيار الفراء؛ قال: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ يعني الكفار، إذا قيل لهم مَنْ رزقكم؟ قالوا: الله، ثم يقولون: بشفاعة آلهتنا فيشركون، فذلك إنكارهم نعمته(١)، ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس، قال: يُقِرُّون أنه لا يفعل هذا أحدٌ غيرُه، وهو المستحق للعبادة؛ لأنه المنعم عليهم دون غيره(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ قال أصحاب التأويل: إنما قال وأكثرهم؛ لأن فيهم من لم تقم عليه الحجة ممن [لم](٣) يبلغ حَدَّ التكليف؛ ومنهم من هو ناقص العقل مأووف(٤) فأراد بالأكثر: البالغين الأصحاء الذين هم المقصودون بالخطاب وإقامة الحجة عليهم(٥)، وقال الحسن: المعنى: وجميعهم الكافرون(٦)، وعلى هذا ذكر الأكثر والمراد الجميع؛ لأن عُظْمَ الشيءِ يقوم مقام جميعه، فَذِكر الأكثرِ كذِكْرِ الجميع، وهذا كقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٥] وذكرنا هناك وجهين آخرين، وهذه الآية تدل على أن المعاند كافرٌ، وإن عرف بقلبه إذا لم يُقِرّ بلسانه وأنكر في الظاهر.

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٢، بنصه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٢، بلا نسبة.

(٣) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام.

(٤) في اللسان (مَأْوُوف) و (مؤُوف): وهو الذي أصابته آفة؛ أي عاهة، يقال: آفت البلادُ تؤُوف أوفاً وآفةً وأُوُوفاً: صارت فيها آفةٌ، والمقصود هنا: العاهة العقلية التي تعيقه عن الفهم والتميز. انظر: «اللسان» (أوف) ١/ ١٧١.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٤، بنحوه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٥، وقد ذكر تعليلات أخرى.

(٦) ورد بنصه في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٧، والطوسي ٦/ ٤١٥، وانظر: ابن الجوزي ٤/ ٤٧٩، وأبي حيان ٥/ ٥٢٥.

٨٤- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾، أي: وذَكِّرهم يوم نبعث أو وأَنْذرهم يوم نبعث، قال ابن عباس: يريد يوم القيامة[(١)]، ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ يريد الأنبياء يشهدون على الأمم بما فعلوا من التصديق والتكذيب.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال الكلبي: لا يؤذن لهم في الكلام والاعتذار[(٢)]؛ كقوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ استعتَبَ فلان إذا طلب أن يُعْتَب، أي: يُرْضَى[(٣)]، واستعتبت فلانًا إذا طلبت منه أن يرجع إلى رضا صاحبه[(٤)]، فمعنى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا يُطلب منهم أن[(٥)] يرجعوا إلى ما يُرضي اللهَ؛ لأن الآخرة ليست بدار تكليف، كما قال ابن عباس في هذه الآية، قال: يريد انقطع العتاب وانقطعت المعذرة وحَلّ بهم الخزي، تلخيص معنى الآية: أنهم لا يُمَكَّنُونَ من عذر فيتكَلَّمون به، ولا يُكَلَّمُون أيضًا في الرجوع في العُتْبَى، وأصل هذا الحرف من العتب وهو الموجدة، يقال: عتب عليه إذا وجد عليه، وأعتبه إذا زال عنه عتبُه؛ بأن

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٥، والخازن ٣/ ١٣٠، بلا نسبة فيهما.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٥، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٢، والخازن ٣/ ١٣٠، كلها بلا نسبة.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (عتب) ٣/ ٢٣١٤، بنصه، وهو قول الليث.

(٤) انظر: (عتب) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٤، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٢٦، و«اللسان» ٥/ ٢٧٩١.

(٥) (أن) ساقطة من (أ)، (د) وفي (ع): (أي).

ترك ما كان يعتب عليه من أجله، واستعتبه إذا طلب منه الإعتاب[١].

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ قال ابن عباس: يريد أشركوا[٢]، ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ يريد النار، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ﴾، أي: العذاب، ﴿وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾، أي: لا يؤخرون ولا يمهلون، لأن التوبة هناك غير مرجوة؛ لانقضاء الأمد المضروب لقبول التوبة ودخول وقت العذاب، وهذه الآية تأكيد لما قبلها؛ يريد أنهم يعجل لهم العقوبة في الآخرة من غير إنصات[٣] لعذر منهم أو عتاب معهم.

٨٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ﴾ قال ابن عباس: يريد الذين اتخذوهم[٤] من دون الله آلهة[٥]، وذلك أن الله يبعثُ كلَّ مَنْ كان يَعْبُدون من دون الله، فيتبعوهم حتى يوردوهم النار، وَوُصِفُوا بأنهم شركاؤهم: لأنهم جعلوا لهم نصيبًا في أموالهم، ولأنهم جعلوهم شركاء في العبادة[٦]، ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ﴾، أي:

---

(١) انظر: (عتب) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣١٤، و«المحيط في اللغة» ١/ ٤٤٦، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٢٢٦، و«اللسان» ٥/ ٢٧٩١.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩١، ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٨٢، والثعلبي ٢/ ١٦١ب، والبغوي ٥/ ٣٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٠، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٢، والخازن ٣/ ١٣٠.

(٣) في جميع النسخ: (أنصار) والصواب ما أثبته، ويدل عليه ما بعده، ولعلها تصحفت.

(٤) في (أ)، (د): (اتخذو لهم)، وفي (ش)، (ع): (اتخذوا لهم)، والمثبت هو الصحيح وينسجم مع السياق.

(٥) انظر: «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٢٦، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٠٨، بنحوه غير منسوب.

(٦) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٦، بنصه.

كنا نعبدهم من دونك، ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ قال الكلبي: أجابوهم[١]، وقال مجاهد: حدثوهم[٢]، وقال الفراء: رَدَّت عليهم قولهم[٣]: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٤]، وذكر المفسرون في تكذيب الأصنام إيّاهم وجوهًا؛ أحدها: أنها كذبتهم في استحقاق العبادة، والمعنى: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في أنَّا نستحق العبادة[٥]، الثاني: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في أنَّا دعوناكم إلى العبادة، وهذا قول الفراء[٦]، وقيل: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في تسميتنا آلهة وأربابًا[٧]، وكل هذا تكذيب من الآلهة[٨] للكفار بما لم يُخْبِر به عنهم؛ لأنه ليس في الآية أن الكفار ادعوا أنها دعتهم إلى عبادتها، ولا أنها كانت تستحق العبادة، ولا أنهم سموها آلهة، وإن كانوا قد فعلوا ذلك، ولكن لم يُخبِر عنهم في هذه الآية بهذه الأشياء حتى ينصرف التكذيب إلى ذلك، والمفسرون قالوا هذا على الاحتمال، ولم أر لواحد من أئمة التفسير قولًا منسوبًا إليه مما حكيت غير الفراء، والذي يوافق الظاهر أن يقال: إن الشركاء كانت جمادًا مواتًا ما كانت تعرف عبادة عابديها، فقالت: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾: في عبادتكم إيَّانا، ما كنا نعرف ذلك ولا علم لنا بعبادتكم،

---

(١) ورد بلا نسبة في «تفسيره «الوسيط»» تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٠.

(٢) «تفسير مجاهد» ص٣٥٠، بلفظه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٥٩ بلفظه من طريقين، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٩، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) في جميع النسخ: (قولها)، والتصويب من المصدر.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٢، بنصه.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٦، بنصه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٧.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٢، بمعناه.

(٧) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٧، بنحوه، وانظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٣٠.

(٨) في جميع النسخ: (الإله) والصحيح الآلهة؛ لأنها هي التي كذبت عابديها.

فظهر عند ذلك فضيحة الكفار، حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة، يدل على هذا قوله: ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ [مريم: ٨٢]، والله أعلم.

٨٧- قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ﴾ قال ابن عباس: يريد استسلموا وأقروا لله بالربوبية(١)، قال الكلبي: استسلم العابد والمعبود(٢)، وقال قتادة: يقول: ذَلُّوا واستسلموا يومئذ لحكم الله(٣)، وذكرنا معنى إلقاء السَّلَم عند قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ [النساء: ٩٤].

وقوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد ذهب ما زَيَّنَ لهم الشيطان أن لله شريكًا أو ولدًا وصاحبة(٤)، وقال غيره: بطل ما كانوا يُؤَمِّلُون ويكذبون؛ من أن آلهتم تشفع لهم(٥).

٨٨- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس: يريد عن طاعة الله(٦)، ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ قال ابن مسعود:

---

(١) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦أ، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦، والثعلبي ٢/ ١٦١ب، وابن الجوزي ٤/ ٤٨١.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٧، بنصه، وابن الجوزي ٤/ ٤٨١، بمعناه، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧، بمعناه، و«تنوير المقباس» ص٢٩١، بنصه.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠، بنحوه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠١، بنحوه، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٧، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٤٠، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٣٩، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٢٩، و«تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨١، والفخر الرازي ٢٠/ ٩٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٣.

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٣.

(٦) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨١، و«تنوير المقباس» ص٢٩١.

عقارب لها أنيابٌ أمثالُ النخلِ الطِّوالِ[١]، وروي عنه: أفاعي[٢]، وقال السدي: إن أهل النار إذا جزعوا من حَرّها استغاثوا، بضحضاحِ ماءٍ في النار، فإذا أتوه بلغتهم عقارب كأنها البغال، وأفاعي كأنها البَخَاتِي[٣]، فضربتهم فذلك الزيادة[٤]، وقال أبو المنهال[٥]: إنهم يستغيثون بالنار فرارًا من تلك الأفاعي والعقارب وهربًا[٦].

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ قال ابن عباس:

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠ بنصه من عدة طرق، والطبراني في «الكبير» ٩/ ٢٥٨، بنحوه من عدة طرق، والحاكم (٢/ ٣٥٦) بنحوه، وقال: على شرط الشيخين؛ ووافقه الذهبي، والثعلبي ٢/ ١٦١ب، بنصه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠١، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٦، بنحوه، وهود الهواري ٢/ ٣٨٣، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤١٧، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٢، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٤، والخازن ٣/ ١٣٠، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧، وابن كثير ٢/ ٦٤١.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٠ بلفظه من عدة طرق، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦، بلفظه، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٧، وهو جزء من الرواية السابقة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٣٩، وعزاه إلى هناد.

(٣) جمع بُخْت؛ وهي الإبلُ الخُراسانِيَّةُ، وهي طوال الأعناق. انظر: (بخت) في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٨٣، و«التاج» ٣/ ١٢.

(٤) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٣٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وانظر: «تفسير الألوسي» ١٤/ ٢١٢.

(٥) أبو المنهال هو سَيَّار بن سَلاَمة الرِّياحي البصري، ثقة، روى عن أبي العالية وشهر ابن حوشب، وعنه: شعبة وحماد، مات سنة (١٢٩هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٢٥٤، و«الكاشف» ١/ ٤٧٥، و«تقريب التهذيب» ص٢٦١ (٢٧١٥)، و«تفسير الطبري» تحقيق شاكر ٥/ ٢١٧.

(٦) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٠، بنصه.

يريد الأنبياء[١]، قال المفسرون: كل نبي شاهد على أمته، وهو أعدل شاهد عليها[٢]، ووجه انتصاب (ويوم) ذكرنا عند قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [النحل: ٨٤] و﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ هاهنا كقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ [النحل: ٣٦] فيجوز أن يكون من صلة الشهيد؛ كأنه قيل: ويوم نبعث شهيدًا في كل أمة.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾: الأنبياء شهداء[٣] على أممهم بما فعلوا، وهم من أنفسهم؛ لأن كلَّ نبي بُعث من قومه إليهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ قال ابن عباس: يريد على قومك[٤]، وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ قال مجاهد: يعني لِمَا أَمر به وما نهى عنه[٥]. وقال أهل المعاني: يعني لكل شيء من أمور الدين بالنص عليه أو الإحالة على ما يوجب العلم به من بيان النبيّ ﷺ أو إجماع،

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٣١، وورد بلا نسبة في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٠٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٤.

(٢) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٦) بنصه، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٠، بنحوه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٨، والخازن ٣/ ١٣١.

(٣) في (أ)، (د): (شهيداً).

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٢، و«تنوير المقباس» ص٢٩١، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦ب، والطبري ١٤/ ١٦١، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦، والطوسي ٦/ ٤١٨، والخازن ٣/ ١٣١.

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦١- ١٦٢ بنصه وبنحوه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠١، بنحوه، وانظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٣١، و ابن كثير ٢/ ٦٤١، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦ب، والسمرقندي ٢/ ٢٤٦) وهود الهواري ٢/ ٣٨٣، والثعلبي ٢/ ١٦١ب، و«الدر المنثور» ٤/ ١٤٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

فهو الأصل والمفتاح لعلوم[١] الدين[٢]، أخبرني سعيد بن محمد بقراءتي عليه عن ابن مُقْسِم عن الزجاج، قال: تبيان اسمٌ في معنى البيان، ومِثْلُ التِّبْيَان[٣] [التِّلْقَاء][٤]، وأخبرني أبو الحسين الفسوي[٥] فيما قرأته عليه عن حمد بن محمد عن أبي عمر[٦] عن ثعلب عن الكوفيين، والمبرد عن البصريين، قالا: لم يأت من المصادر على تِفْعَال إلا حرفان تبيان وتلقاء، فإذا تركتَ هذين استوى لك القياس، فقلتَ في كل مصدر: تَفْعَال بفتح التاء مثل: تَسْيَار وتَهْمَام، وقلت في كل اسم: تِفْعَال بكسرها، مثل: تِقْصَار وتِمْثَال[٧]، وانتصاب قوله: ﴿تِبْيَـٰنًا﴾ على أنه مفعول له؛ أي للبيان.

---

(١) في (أ)، (د): (بعلوم)، والمثبت من (ش)، (ع)، هو الصحيح المناسب للسياق، وهكذا وردت في تفسيره «الوسيط».

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» ٢/ ٤٣١، بنصه، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٨، بنحوه، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٤١، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٢، والخازن ٣/ ١٣١، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢١٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٧، بنصه.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها الكلام، وبدونها يبدو الكلام ناقصاً، وهي ثابتة في المصدر، فلعلها سقطت.

(٥) أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي ثم النيسابوري، كان عالماً عابداً جليل القدر عُمر طويلاً، روي صحيح مسلم عن أبي عمرو يه وغريب الخطابي عن المؤلف، توفي سنة (٤٤٨هـ) وله (٩٦) سنة. انظر: «المنتخب من السياق» ص٣٦١، ٣٨٧، و«سير أعلام النبلاء» ١٨/ ١٩، و«شذرات الذهب» ٣/ ٢٧٧.

(٦) أبو عمر محمد بن عبدالواحد، اللغوي الزاهد، المعروف بغلام ثعلب، تقدمت ترجمته.

(٧) ورد في «تهذيب اللغة» (بان) ١/ ٢٦٤، بنحوه غير منسوب، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٩٩، بنحوه ونسبه للواحدي، وأبي حيان ٥/ ٥٢٧، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢١٤.

٩٠- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: العدل: شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان: أداء الفرائض[(١)]، وقال في رواية عطاء: العدل: خلع الأنداد، والإحسان: تعبد الله كأنك تراه[(٢)]، وأن تحب للناس ما تحب لنفسك؛ إن كان مؤمنًا أحببت أن يزداد إيمانًا، وإن كان كافرًا أحببت أن يكون أخاك في الإسلام[(٣)].

وقال في رواية باذان[(٤)]: العدل: التوحيد، والإحسان: الإخلاص فيه[(٥)]، وقال آخرون: يعني بالعدل: في الأفعال، والإحسان: في الأقوال[(٦)]، ولا يفعل إلا ما هو عدل ولا يقول إلا ما هو حسن[(٧)].

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٢ بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص١٣٤، مجملاً، ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٨، وابن عطية ٨/ ٤٩٤، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٥، والخازن ٣/ ١٣١، وأبي حيان ٥/ ٥٢٩، و ابن كثير ٢/ ٦٤٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١ب، بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٣، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١.

(٣) نقله الفخر الرازي والخازن بنصه دون عزو. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠١، والخازن ٣/ ١٣١.

(٤) باذان هو أبو صالح مولى أم هانئ، وقد تقدمت ترجمته.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦١ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١، والخازن ٣/ ١٣١.

(٦) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢ أ، بنصه.

(٧) نقله الفخر الرازي والخازن بنصه دون عزو. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠١. والخازن ٣/ ١٣١.

وقوله تعالى: ﴿وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد صلة القرابة(١) من فضل ما رزقك الله، فإن لم يكن عندك فضل فدعاء(٢)، وروى أبو سلمة(٣) عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أعْجَلَ الطاعةِ ثَوابًا صِلةُ الرحم، [حتى](٤) إن أهل البيت ليكونون فُجّارًا فَتَنْمَى أموالُهم ويَكثُرُ عددُهم إذا وصلُوا أرحامَهم**»(٥).

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٢ من طريق ابن أبي طلحة، قال: الأرحام، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠٠، و«تنوير المقباس» ص٢٩١، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤١، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٧، والماوردي ٣/ ٢٠٩، والطوسي ٦/ ٤١٩، والبغوي ٥/ ٣٨، وابن عطية ٨/ ٤٩٥، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣، والخازن ٣/ ١٣١.

(٢) نقله الفخر الرازي بنصه دون عزو. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠١.

(٣) أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف، أحد الأعلام بالمدينة، روى عن أبيه وعن زيد بن ثابت وأبي هريرة، وعنه: ابنه عمر والزهري، كان ثقة فقيهاً كثير الحديث، مات سنة (٩٤هـ)، وقيل: (١٠٤هـ) والأول أصح، وعمره (٧٢سنة). انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ١٥٥، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٢٨٧، و«الكاشف» ٣/ ٤٣١، و«تقريب التهذيب» ص٦٤٥ (٨١٤٢).

(٤) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق، وهي ثابتة في مكارم الأخلاق، وفي بعض المصادر زيادة (واو) بدل حتى.

(٥) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق»: باب ما جاء في صلة الأرحام ١/ ٢٦٤ بالنص سنداً ومتناً، وابن حبان [موارد الظمآن]: البر والصلة، صلة الرحم وقطعها ص٤٩٩ بنصه تقريباً عن أبي بكرة، والطبراني في الأوسط [مجمع البحرين] ٥/ ١٦٧، بنحوه عن أبي سلمة عن أبي هريرة، والبيهقي في «السنن» ١٠/ ٣٥-٣٦، بنحوه عن أبي هريرة، وبنحوه مرسلاً عن مكحول، وورد في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠١. بنصه، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٨/ ١٥٢، بنصه، وقال: وفيه أبو الدهماء البصري، وهو ضعيف جداً، وورد في «كنز العمال» ٣/ ٣٦٤. =

وقوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ قال في رواية علي: يقول: الزنى[١]، وقال في رواية عطاء: يريد البخل عن حقوق الله، وجميع الذنب صغيره وكبيره[٢]، وقال آخرون: الفحشاء: ما قبح من قول أو فعل[٣].

(وقوله تعالى ﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾ قال في الروايتين: الشرك والكفر بالله[٤]، وقال غيره: المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة[٥])[٦].

= وقد ذكره الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ٢/ ٦٧٠- ٦٧١ تحت (٩٧٨)، وأورد جميع طرقه وشواهده، ثم قال: وجملة القول أن الحديث بمجموع هذه الطرق والشواهد صحيح ثابت.

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٣ بلفظه من طريق علي صحيحة، ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢أ، بلفظه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٨، وابن عطية (٨/ ٤٩٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٧، والخازن ٣/ ١٣١، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤١، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠١، بلا نسبة.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٧، والخازن ٣/ ١٣١، وأبي حيان ٥/ ٥٣٠، وهو الأرجح لكونه عامًّا وشاملاً لكل الفواحش.

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٤، والخازن ٣/ ١٣١، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤١، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠١، بلا نسبة.

(٥) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٧، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦٢أ، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٤، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٧، والخازن ٣/ ١٣١، والأولى ترك اللفظ على عمومه ليشمل كل منكر قولي أو فعلي، عرف بالشرع أو العقل أو العرف، كما أنه ليس كل ما لم يعرف في شريعة أو سنة يعد منكراً.

(٦) ما بين القوسين مكتوب على الهامش الأيمن من نسخة (ش).

(٧) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٣ بنصه من طريق علي صحيحة، وانظر: «تفسير البغوي» =

وقوله تعالى: ﴿وَالْبَغْيِ﴾ قال علي عن ابن عباس: الكِبْر والظلم[(١)]، وقال عطاء عنه: أن تبغي على أخيك[(٢)].

وقال أهل المعاني في هذه الآية: إنما جمعت الأوصاف الثلاثة للبيان عن تفصيل المنهي عنه؛ فالفحشاء قد تكون بما يفعله الإنسان مما لا يظهر أمره وهو مما يعظم قبحه، والمنكر: ما يظهر للناس مما يجب إنكاره، والبغي: ما يتطاول به من الظلم لغيره، ولا يكون إلا من الفاعل على غيره، والظلم قد يكون ظلم الفاعل لنفسه[(٣)]، وفي حديث أبي سلمة عن أبيه: «**وإن أعجلَ المعصيةِ عقابًا: البغي واليمين الفاجرة؛ تُذهبُ المالَ وتَتركُ البيتَ بَلَاقِع**»[(٤)].

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: لو[(٥)] أن جبلًا بغى على جبل لدُكَّ الباغي منهما[(٦)]، وقال خالد الربعي[(٧)]: إن مما يعجل عقوبته ولا يؤخر

= ٥/ ٣٨، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤١، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وورد غير منسوب في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢أ، بنصه، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٧، والخازن ٣/ ١٣١.

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠١.

(٢) ورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٠، بنحوه، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤١٩، بنصه.

(٣) سبق تخريجه قريباً، أما هذه الزيادة فقد وردت بنحوها عن أبي هريرة: في معجم الطبراني الأوسط [مجمع البحرين] ٤/ ٦٨، و«السنن» للبيهقي١٠/ ٣٥، (بَلاَقِع) جمع بَلْقَع وبلقعة، وهي الأرض القَفْر التي لا شيء بها، يريد أن الحالف بها يَفْتَقِر ويذهب ما في بيته من الرزق، وقيل: هو أن يفرِّق الله شمله ويُغَيِّر عليه ما أولاه من نِعَمِه. النهاية ١/ ١٥٣، وانظر: «اللسان» (بلقع) ١/ ٣٤٨.

(٤) في جميع النسخ: (لو قال) ولا معنى لها، والظاهر أنها تكررت.

(٥) ورد في تفسير هود الهواري ٢/ ٣٨٤، بنصه، وانظره بلا نسبة في «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٧، والخازن ٣/ ١٣١.

(٦) خالد بن بَاب الربعي الأحدب، روى عن شهر بن حوشب وصفوان بن محرز،=

الأمانة تُخان، والإحسانُ يُكْفر، والرحم تُقْطع، والبغي على الناس[(١)].

وقوله تعالى: ﴿يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد ينهاكم عن هذا كله ويأمركم أن تتحاضوا على ما فيه لله رضا؛ لكي تتعظوا[(٢)]، قال ابن مسعود: إن أجمع آية في القرآن لخير وشر هذه الآية[(٣)]، وقال أهل المعاني: ذكر الله تعالى في الآية الأولى؛ فقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، ثم بين في هذه الآية المأمور به والمنهي عنه مجملًا، فما من شيء يُحتاجُ إليه في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد اشتملت عليه هذه الآية[(٤)].

= وعنه: أبو الأشهب وحميد بن مهران، قال أبو زرعة: متروك الحديث. انظر: «التاريخ الكبير» ٣/ ١٤١، و«الجرح والتعديل» ٣/ ٣٢٢، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ١٥١.

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٣ من طريق ابن أبي طلحة، قال: يوصيكم، وانظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٣١، بنحوه غير منسوب.

(٣) أخرجه البخاري ص ١٦٦ (٤٨٩) في «الأدب المفرد» /الألباني: باب الظلم ظلمات، بنحوه، والطبري ١٤/ ١٦٣ بنصه وبنحوه، والطبراني في «الكبير» ٩/ ١٤٢ من عدة طرق بنصه وبنحوه، والحاكم: تفسير النحل ٢/ ٣٥٦ بنصه، وقال: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» ٢/ ٤٧٣ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢أ، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٩، وابن عطية ٨/ ٤٩٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٤، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠٠، والخازن ٣/ ١٣١، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤١، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور ومحمد بن نصر في الصلاة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٣١، بنصه، وحَمْلُ الآية على العموم أولى من التخصيص، خاصة أن بعض الروايات ضعيفة، وقد ضَعَّفَ الفخر الرازي تخصيص الآية بما ورد من أقوال منسوبة أو مطلقة، ورأى أن تخصيص الآية تَحَكُّم بدون =

٩١- قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ قال المفسرون وأهل العلم: العهد الذي يجب الوفاء به فهو الذي يحسن فعله، فإذا عاهد يجب الوفاء به[١]، قال ابن عباس في هذه الآية: والوعد من العهد[٢]، وقال ميمون بن مِهْران: من عاهدته فَفِ له بعهده مسلمًا كان أو كافرًا؛ فإنما العهد لله[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾ قال مجاهد: يعني تغليظ الحلف[٤]، وقال ابن عباس بعد تشديدها[٥]، وإنما قال: بعد

= داعٍ أو دليل، وقبله ضعف ابن عطية القول الأول في تفسير العدل والإحسان لكونه مخالفاً لتفسير الرسول ﷺ للإحسان، وعزا ذلك إلى احتمال ضعف الأثر عن ابن عباس؛ وقال: فإن صح هذا عن ابن عباس ﵄ -وقد صح- فإنما أراد أداء الفرائض مكمَّلة. انظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٤٩٤، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٦٦.

(١) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٣ بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٤، بنصه.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠٦، بنصه، وبلا نسبة في «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٤.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠٧، بنصه، وأبي حيان ٥/ ٥٣٠.

(٤) «تفسير مجاهد» ص٤٢٤، بنحوه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٤، بنحوه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠١، بنحوه، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٢، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٩، وهود الهواري ٢/ ٣٨٤، والثعلبي ٢/ ١٦٢أ، والبغوي ٥/ ٣٩، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٤، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٦٤ بلفظه عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٤٢، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة.

توكيدها؛ فرقًا بين الأيمان المؤكدة بالعزم والعقد، وبين لغو اليمين[١].

قال أبو إسحاق: يقال: وَكَّدتُ وأَكَّدْتُ لغتان جيدتان، والأصل الواوُ والهمزة بدل منها[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ هذه واو الحال؛ أي لا تنقضوها، وقد جعلتم الله كفيلًا عليكم بالوفاء، وذلك أن من حلف بالله تعالى فكأنه أكفل الله تعالى بالوفاء بما حلف عليه[٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد لا يخفى عليه شيء[٤].

٩٢- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾ الآية. قال ابن عباس: هي امرأة من قريش كان لها وسوسة، وكانت تغزل عند الحجر يومها ثم تغدو فتنقضه[٥]، وقال الكلبي: كان يقال لها: رايطة، وقيل: رَيْطة[٦]،

---

(١) نقله الفخر الرازي والقرطبي بنصه بدون عزو. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٧، بنصه.

(٣) نقله الفخرالرازي بنصه تقريباً بدون عزو. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠٨.

(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٣، بنصه.

(٥) ورد بنحوه بلا نسبة في «تفسير ابن عطية» ٨/ ٥٠٠، و«التعريف والإعلام بما أبهم في القرآن للسهيلي» ص١٧٢، وعُزِي للمهدوي في «تفسير مبهمات القرآن» للبلنسي ٢/ ١١٥، بنحوه، وعُزِي للسدي في «مُفْحِماتُ الأقران» ص٩٧، مختصراً.

(٦) قال ابن الأنباري: واسمها ريطة بنت عمرو المريّة. «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٥، وفي «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٣١ أنها بنت سعد بن تيم، وفي «المبهمات في القرآن» للبلنسي ٢/ ١١٥: أنها بنت سعد بن زيد بن مناة بن تميم بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة، ولم يظهر لي إن كانت صحابية أم لا، ولم يتبين لي إن كانت هي رَيْطَة أو رائطة بنت الحارث بن جُبيلة بن سعد بن تيم بن مرة القرشية، وقد ذكرت -دون الإشارة إلى قصة الغزل- في «الاستيعاب» ٤/ ٤٠٤، و«أسد الغابة» ٧/ ١٠٥، و«الإصابة» ٤/ ٢٩٩.

وتُلَقَّب جعر[١]، وكانت حمقاء تغزل الغزل هي وجواريها، فإذا غزلت وأبرمت أمرتهنَّ فنقضنَ ما غزلن[٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ﴾ قال مجاهد: من بعد إمرارٍ[٣] وفتلٍ[٤]،

---

(١) في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦ب، و«التعريف والإعلام» ص١٧٢: (جعرانة)، وفي «تفسير مبهمات القرآن» للبلنسي ٢/ ١١٥: (الجعرانية)، وفي «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣ب: (جَعْير)، وفي «تفسير الماوردي» ٣/ ٢١١: (جعدة)، وفي «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٥: (جعراء)، وكلمة: (جعر) تستعمل في الذم ووصف الدُّبر والرجيع، يقال: جَعَرَ الكلبُ جعْراً يجْعَر، والجاعرتان حيث يكوى من الحمار من مؤخّره، وفي اللسان: والجِعِرَّى: كلمة يلام بها الإنسان؛ كأنه يُنْسبُ إلى الاست، وبنو الجعراء: حيّ من العرب يُعيّرون بذلك، وقال ابن السِّكِّيت: تُشتمُ المرأة فيقال لها: قُومي جَعارِ، تُشبه بالضبع. انظر: «مقاييس اللغة» ١/ ٤٦٣، و«اللسان» (جعر) ٢/ ٦٣٣.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٣٩، والخازن ٣/ ١٣٣، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٢١) وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٦ب، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٣، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٢، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٢١، والزمخشري ٢/ ٣٤٢، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٥، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧١ وسواءً تعينت هذه المرأة -كما في رواية الكلبي -أم لم تتعين- كما في رواية ابن عباس-، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والمقصود من الآية تشبيه الناقضين للعهود مع الله تعالى أو مع الرسول ﷺ أو مع خلقه بهذه الحالة العجيبة التي يستنكرها العقلاء، تنفيراً لهم من هذا الخلق الذميم والفعل الشنيع.

(٣) في (ش)، (ع): (إبرام)، وكلاهما صحيح؛ لأن معناهما واحد، ففي اللغة: المِرَّة: شِدَّةُ الفَتْلِ، والمَرِير: الحبل المفْتُول، أمْرَرْتُه إمْرَاراً وفَتَلَ الحبلَ فتْلاً: لواهُ وبَرَمَهُ، والبرمة: اسم من إبرام الحبل، وبرمتُ الحبلَ وأبرمْتُه، والمِبْرَمُ: شيءٌ كالمِغزَلِ. انظر: «المحيط في اللغة» (مرّ) ١٠/ ٢١٨، (برم) ١٠/ ٢٤٢، و«المعجم الوسيط» ٢/ ٦٧٣.

(٤) «تفسير مجاهد» ص٤٢٤، بنحوه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٦٦، بنحوه من طريقين، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٥٠١، وأبي حيان ٥/ ٥٣١.

يعني من بعد قوة للغزل؛ بإمرارها[١] وفَتْلِها.

وقوله تعالى: ﴿أَنكَثًا﴾ قال: واحدها نِكْث، وهو الغَزْل من الصوف والشَّعَر؛ يُبْرَم ويُنْسَج، فإذا أَخْلَقَت النَّسِيْجَة، قُطِّعَتْ ونُكِثَتْ خُيوطُها المُبْرمة وخُلِطَت بالصوفِ ومِيشتْ[٢]، ثم غُزِل ثانية، والنَّكْثُ المصدر، ومن هذا قيل: نَكَث فلانٌ عهدَه إذا نقضه بعد إحكامه؛ كما يُنْكَث خيطُ الصوف بعد إبرامه[٣]، وأنشد أبو عبيدة[٤] للمُسَيَّب بن عَلَس[٥]:

عن غَيرِ مَقْلِيَةٍ وأنَّ حِبَالَها لَيْسَتْ بأنكاث ولا أقطاع[٦]

---

(١) في (ش)، (ع): (بإمرارها)، والمعنى واحد كما سبق.

(٢) في (ش)، (ع): (ونُفِشت)، ومعنى (المَيْشُ): خَلْطُ الصُوفِ والشَّعَرِ. «المحيط في اللغة» (ميش) ٧/ ٤٠٠.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (نكث) ٤/ ٣٦٥٨، بنحوه، وانظر: (نكث) في «اللسان» ٨/ ٤٥٣٦، و«التاج» ٣/ ٢٧٣.

(٤) في جميع النسخ: أبو عبيد، والصحيح المثبت.

(٥) زهير بن عَلَس، ولقبه المسيَّب، وهو خال الأعشى، وكان الأعشى راويته، وهو جاهلي ولم يدرك الإسلام، عدَّه الجمحي في الطبقة السابعة من فحول شعراء الجاهلية، وكان من المُقِلِّين. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ٢١، و«الشعر والشعراء» ص٩٥، و«شرح اختيار المفضل» ١/ ٣٠٢، و«الخزانة» ٣/ ٢٤٠.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٣٦٧، وورد برواية: (بأرْمام) بدل (بأنكاث)، في «المفضليات» ص٦١، و«أمالي القالي» ٣/ ١٣٠، و«شرح اختيارات المفضل» ١/ ٣٠٤، وفي كل المصادر -ما عدا- الأمالي: (من) بدل (عن)، (المقلية): البغض، (حبالها): ما احتلبته من مودة، حبلٌ أرمام، وحبلٌ أقطاع: إذا كان قِطعاً مُوَصَّلة. والشاعر يخاطب نفسه معاتباً إياها على الرحيل من أرض سلمى وديارها ولمّا يستمتع بها أو يرى منها مكروها، ويواصل عتابه في هذا البيت قائلاً: آثرت ذلك، وهَوَى النفس كما كان لم يتسلّط عليه تحيُّفٌ، وحبل الوصل برُمّته لم يَضعُف.

قال أبو إسحاق: ﴿أَنكَٰثًا﴾ منصوب؛ لأنه بمعنى المصدر؛ لأن معنى: نكثت نَقَضْتُ، ومعنى نقضت: نكثت[١]، وهذا غلط منه لأن الأنكاث جمع نكث، وهو[٢] اسم لا مصدر، فكيف يكون الأنكاث بمعنى المصدر، ولو كان[٣] نكثًا لصح ما قال، ولكن أنكاثًا مفعول ثانٍ، كما تقول: كسره أقطاعًا، وفرقه أجزاءً على معنى جعله أقطاعًا وأجزاءً[٤]، وهاهنا تم الكلام، والآية متصلة بما قبلها، والمعنى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ فتكونوا إن فعلتم كامرأة غزلت غزلًا وقوّت مِرَّتَهُ فلما اسْتَحْكَم نقضته فجعلته أنكاثًا، وهذا كلام [ابن][٥] قتيبة[٦]، ثم قال: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ﴾ الدَّخَلُ والدَّغَلُ: الغِش والخيانة[٧]، قال الليث: ويخفف الدَّخل ويُثَقَّل[٨]، قال الفراء: يعني دَغَلًا وخديعة[٩].

(وقال الزجاج: أي غِشًّا وغِلاًّ، وكل ما دخله عيب قيل: هو مَدْخُول، وفيه دَخَل، قال: و﴿دَخَلًۢا﴾ منصوب)[١٠]؛ لأنه مفعول له،

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٧، بنصه.

(٢) في (د): (وهم).

(٣) (كان) ساقطة من (د).

(٤) نقله الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨، وعزاه للواحدي.

(٥) ساقطة من جميع النسخ.

(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٨٦، بنصه تقريباً.

(٧) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢ب، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٢١، بنحوه، ونقله الفخر الرازي ٢٠/ ١٠٨، بنصه وعزاه للواحدي. وانظر: (دخل) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١١٥٩، و«الصحاح» ٤/ ١٦٩٦، و«اللسان» / ١٣٤٢.

(٨) ورد في «تهذيب اللغة» (دخل) ٢/ ١١٥٩، بنحوه.

(٩) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٣، بنصه.

(١٠) ما بين القوسين ساقط من (د).

والمعنى: تتخذون أيمانكم للغش والدَّغَل[١]، قال غيره: الدَّخَل: ما أُدْخِل في الشيء على فساد[٢].

وقوله تعالى: ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾، أَرْبَى: أي أكثر، من رَبَا الشيءُ يَرْبُو إذا كثر[٣]، قال مجاهد: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعزّ، فينقضون حِلْف هؤلاء ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزّ، فنُهوا عن ذلك[٤]، والمعنى: بأن يكون أو لأن يكون، فموضع (أن) نصب بإسقاط الخافض، على قول من نصب، (ومن أبقى حُكْمَ الخافض)[٥] قال موضعه خفض، قال ابن قتيبة: أي لأن يكون قوم أغنى من قوم، وقوم أعلى من قوم، تريدون أن تقْتَطِعوا بأيمانكم حقوقًا لهؤلاء، (فتجعلوها لهؤلاء)[٦]، وقال الفراء: معناه لا تغدروا بقوم لقلّتهم وكثرتكم أو قِلّتكم

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٧، بتصرف يسير بالتقديم والتأخير.

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٢١، بنصه، وقال: وإنما قيل: الدخل؛ لأنه داخل القلب على ترك الوفاء، والظاهر على الوفاء.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (ربا) ٢/ ١٣٣٤، و«المحيط في اللغة» (ربو) ٣/ ١٥٤٥، و«اللسان» (ربا).

(٤) «تفسير مجاهد» ص٣٥١، بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٦٧ بنصه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٣، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٨، بنحوه، وهود الهواري ٢/ ٣٨٥، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦٢ب، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٢٢، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٠، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٦، والفخر الرازي ٢٠/ ١٠٩، وابن كثير ٢/ ٦٤٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ما بين التنصيص ساقط من (ش)، (ع).

(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص٣٨٦، بنصه، وما بين التنصيص مصوَّبٌ من المصدر، وفي النسخ: (فتجعلونها كهؤلاء).

وكثرتهم، وقد غَرَّرتموهم بالأيمان فسكَنُوا إليها[١].

وبيان هذه الجملة: أن القوم إذا عاهدوا قومًا أكثر من الذين عاهدوا فهم أمة أربى من أمة، لا يجوز لهم أن يغدروا، وكذلك إن كان على القلب من هذا[٢] وعاهدوهم؛ دخلوا في حلفهم خوفًا منهم لم يجز لهم الغدر، وتلخيص التأويل: النهي عن أن يحلف على ما هو منطوٍ على خلافه وأن يغر غيره بيمينه.

وقوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾ ظاهره إخبار ومعناه النهي، والتقدير: لا تكونوا كتلك المرأة؛ متخذين أيمانكم للغش، بأن يكون قوم أكثر من قوم، قال الفراء: وموضع ﴿أَرْبَىٰ﴾ نصب، وإن شئت رفعت؛ كما تقول: أظن رجلًا يكون هو أفضل منك، و(أفضل) النصبُ على العِمَاد[٣]، والرفع على أن تجعل (هو) اسمًا[٤]، قال الزجاج: موضع ﴿أَرْبَىٰ﴾ رفعٌ ولا يجوز أن تكون نصبًا وهي تكون عمادًا؛ لأن العماد والفصل لا يكون مع النكرات وإنما يكون مع المعارف، كقوله: ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، والهاء في تجدوه معرفة، و﴿أُمَّةٌ﴾ هاهنا نكرة[٥].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٣، بنصه.

(٢) أي على العكس من الحالة الأولى؛ بأن كانوا هم الأكثر والأقوى.

(٣) العماد تَسْمِيةٌ كوفية لضمير الفصل، سمي بذلك لأنه يُعتمد عليه في التفرقة بين النعت والخبر؛ حيث يأتي ليبين أن ما بعد المبتدأ هو الخبر لا التابع، وله شروط. انظر: «البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٨٣، و«الدر المصون» ٧/ ٢٨٢، و«معجم القواعد العربية» للدّقر ص٢٩٤، و«المعجم المفصل في النحو العربي» ٢/ ٦٩٦، و«معجم المصطلحات النحوية والصرفية» ص١٧٣.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٣، بنصه.

(٥) ليس في معانيه، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٢١، بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِۦ﴾ أي بما يأمركم وينهاكم، وقد تَقَدَّم ذكر الأمر والنهي، والكناية راجعة إلى الأمر، أي يختبركم الله بالأمر بالوفاء، وقال بعضهم: الكناية راجعة إلى التكليف[١]، وأمره ونهيه بمعنى التكليف، ومعنى ﴿يَبْلُوكُمُ﴾: يعاملكم معاملة المختبر، وذكرنا هذا في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم﴾ [البقرة: ١٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي في الدنيا، قال المفسرون: أي من شأن البعث والقرآن[٢]، وقال أهل المعاني: هو عام فيما يقع الاختلاف فيه من الأصول والفروع[٣].

٩٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال ابن عباس: يريد على ملة وعلى دين واحد[٤]، ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ قال: يريد الضلالة بعينها والهدى بعينه، ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: يريد في الدنيا، وهذه الآية صريحة[٥] في تكذيب القدرية؛ حيث أضاف الضلالة والهداية إلى نفسه، وجعلها لمن شاء من خلقه بالمشيئة الأزلية التي لا يجوز عليها الحدوث، ثم أخبر أنهم يسألون عن أعمالهم،

---

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧١، وأبي حيان ٥/ ٥٣١.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٥، بنصه.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٣٥، مختصراً.

(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٢، بنحوه، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٦٨، والسمرقندي ٢/ ٢٤٨، والثعلبي ٢/ ١٦٢ب، والبغوي ٥/ ٤٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٢، والخازن ٣/ ١٣٢.

(٥) في جميع النسخ: (صريح)، وما أثبته هو الصواب؛ لكون الآية مؤنثة، والخبر يتبع المبتدأ في التذكير والتأنيث.

فبان أن الأمر على ما أخبر الله تعالى في قوله: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وقد قال نوف البكالي: قال [عُزير](١): يا رب تخلق خلقًا فتضل من تشاء وتهدي من تشاء، فقيل: يا عُزير أعرض عن هذا، فأعاد ذلك، فقيل: أعرض عن هذا، فأعاد فقيل: أعرض عن هذا وإلا مُحِيْتَ عن النُّبُوة، أنا لا أسئل عما أفعل وهم يسألون(٢).

٩٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ الآية. استأنف نهيًا عن أيمان الخديعة والمكر، توكيدًا للمنع عنها، ولِمَا ذكر من الوعيد بعدها؛ وهو قوله: ﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ قال ابن عباس: يريد تزل عن الإيمان بعد المعرفة بالله، قال أبو عبيدة: وزليل القدم مثل لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في وَرْطَة بعد سلامة(٣)، وأنشد ابن جرير على هذا:

سَيَمْنَعُ منكَ السَّبْقُ إن كُنْتَ سابِقًا ... وتُقْتَلُ إن زَلَّتْ بِكَ القدمان(٤)

لم يُرد حقيقة زلَّة القدم، ولكن أراد إن تأخر فرسُك عن غاية السباق وقعت في ورطة التأخر، وهذا البيت في قصة رهان داحس(٥)، قال

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من جميع النسخ، وقد ذكرها الفخر الرازي نقلاً عن الواحدي.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٠٩، بنصه وعزاه للواحدي، وليس لهذه الرواية سند، ويبدو أنها من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

(٣) «مجاز القرآن» ١/ ٣٦٧، بنصه تقريباً.

(٤) «تفسير الطبري» ١٤/ ١٦٩، برواية: (تُلْطَعُ) بدل (تُقتل)، و(النَّعْلان) بدل (القدمان)، وورد في: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢ب، برواية: (تُلْطَمُ)، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٢.

(٥) يوم داحس والغبراء من أيام العرب المشهورة، بدايتها حرب وقعت بين قبيلتي عبس وذبيان، بسبب خلاف على سباق خيل بين أفراس لحذيفة سيد ذبيان، =

المفسرون: وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله ﷺ عن نقض عهده[١]؛ لأن هذا الوعيد إنما يُستَحقُّ في نقض معاهدة رسول الله ﷺ لا[٢] في نقض عهد قبيلة، (ولكن من عاهد رسول الله ﷺ)[٣] على الإسلام ونصرة الدين ثم نقض العهد سقط عن درجة الإيمان، يدل على هذا قوله: ﴿وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ﴾ أي العذاب، ﴿بِمَا صَدَدتُّمْ﴾ أي بصدكم عن سبيل الله، (يريد أنهم إذا نقضوا العهد مع النبي ﷺ)[٤] صدوا الناس عنه واستحقوا العذاب، فنهوا عن ذلك بذكر الوعيد عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال ابن عباس: يريد في الآخرة[٥]، وهذا قطعٌ بإيجاب العذاب إن فَعلوا ما نُهوا عنه، كأنه قيل:

= وأخرى لقيس بن زهير سيد عبس، لكنها شملت قبائل أخرى هي شيبان وضبة وأسد وقبائل أخرى، واستمرت فترة طويلة، وامتدت حتى بزوغ فجر الإسلام، وكثرت وقائعها، واقترن بها شهرة بعض الأبطال، كعنترة بن شداد، وقيل فيها شعر كثير. انظر: أحداث الحرب وأسبابها وملابساتها بالتفصيل في «الأغاني» ١٧/ ١٩١-٢١٠، و«الكامل في التاريخ» ١/ ٣٤٣-٣٥٥، و«تاريخ العرب القديم» ص٢١٦.

(١) ورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٦٩، وهود الهواري ٢/ ٤٢٣، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٧، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٢، والخازن ٣/ ١٣٣.

(٢) (لا) ساقط من (أ)، (د).

(٣) ما بين التنصيص ساقط من (د).

(٤) ما بين التنصيص كتب على هامش لوحة ٢٥٩أ، من نسخة (ع).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٢، وورد غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٦٩، والسمرقندي ٢/ ٢٤٩، والزمخشري ٢/ ٣٤٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٧، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٢٤.

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ إن اتخذتم أيمانكم دخلًا، ودلَّ ما تَقَدَّم من النهي على هذا المحذوف، ثم زاد توكيدًا، فقال:

٩٥- ﴿وَلَا تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۚ﴾ قال ابن عباس: يريد عرض الدنيا وإن كان كثيرًا[١]؛ لأن ما يذهب ويبلى قليل، وذكرنا ما في هذا عند قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ الآية .[آل عمران: ٧٧] قال المفسرون: يقول: لا تنقضوا عهودكم، تطلبون بنقضها عِوضًا من الدنيا[٢]﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من الثواب على الوفاء ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: ذلك، ثم بين أن ما عنده خير بقوله:

٩٦- ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُۖ﴾، أي: يفنى وينقطع، يعني الدنيا، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: من الثواب والكرامة، ﴿بَاقٍۗ﴾: دائم لا ينقطع، قال ابن عباس: يريد لا ينفد؛ كلما أخذت منه وأكلت منه صار مكانه مثلُه، فمعنى [لا][٣] يفنى هذا، وهذا ردّ على من قال: إن نعيم أهل الجنة ينقطع، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ﴾ قال ابن عباس: يريد على دينهم وعمّا نهاهم الله[٤]، ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ يعني الطاعات، وجعلها أحسن أعمالهم؛ لأن ما عداها من الحَسَن مباح، فما كان مباحًا من العمل فهو حسن ولا يستحق عليه

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١١، بلا نسبة.

(٢) ورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٦٩، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤١، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٨، والخازن ٣/ ١٣٣.

(٣) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام، واحتمال أن الجملة انقلبت على النساخ؛ وأصلها: (فهذا معنى لا يفنى).

(٤) ورد بنصه غير منسوب في تفسيره «الوجيز» ١/ ٦١٩.

جزاء[١]، وما كان طاعة لله تعالى فهو الأحسن الذي وعد الله عليه الجزاء، ومن جزاه الله بأحسن عمله غفر له ذنوبه، وهذه الآيات زجر عن الأيمان الكاذبة فيما كانت، وحَثٌّ على الوفاء بالعهود والأيمان، وذكر الكلبي: أن هذه الآيات نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي[٢]، وفي خصمه عيدان ابن أشوع[٣]؛ كان يَدَّعي عليه أرضًا اقتطعها له، وأراد امرؤ[٤] القيس أن يحلف، فلما سمع هذه الآيات بكى وأقَرَّ له بحقه[٥].

٩٧- قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قال ابن عباس في رواية أبي الربيع[٦] وأبي مالك: هي الرزق الطيب الحلال[٧]، ونحو

(١) إلا إذا انضمت إليه النية الصالحة، فإنه يصبح عملاً مباحاً متقرباً به إلى الله، فينال صاحبه الأجر من الله، كما في حديث «**وفي بضع أحدكم صدقة**» أخرجه مسلم (١٠٠٥) كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف.

(٢) امرؤ القيس بن عابس الكندي رضي الله عنه صحابي، وفد إلى النبي ﷺ فأسلم وثبت على إسلامه، ولم يكن فيمن ارتد من كندة، وكان شاعراً نزل الكوفة في أواخر عمره وتوفي بها نحو سنة (٢٥هـ). انظر: «الاستيعاب» ١/ ١٩٤، و«أسد الغابة» ١/ ١٣٧، و«الأعلام» ٢/ ١١.

(٣) عيدان بن أشوع رضي الله عنه هو رَبِيعَةُ بن عَيْدَان بن ذي العرف بن وائل الكِنْدِي، ويقال: الحضرمي، شهد فتح مصر، وله صحبة، وهو الذي تخاصم مع امرئ القيس في أرض إلى النبي ﷺ. انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٢٦٦، و«الإصابة» ٣/ ٥١.

(٤) في جميع النسخ: (امرئ)، وهو خطأ نحوي ظاهر.

(٥) أخرج القصة الطبراني في «الكبير» ١/ ٢٣٣، عن الأشعث، ووردت في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٩، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٧، عن ابن عباس، و«تنوير المقباس» ص٢٩٢، ووردت بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٧أ، باختصار، وهود الهواري ٢/ ٣٨٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٣.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٦٠، بنحوه من طريق أبي الربيع، والطبري=

هذا روى الكلبي عن أبي صالح عنه قال: لنجعلن رزقه حلالًا[١].

وقال في رواية عطاء: يريد عبادة الله وأكل الحلال[٢].

وقال في رواية عكرمة: هي القناعة[٣]، وهو قول القرظي ووهب[٤] ومجاهد. وقال في رواية الوالبي: هي السعادة[٥].

= والطبري ١٤/ ١٧٠، بنحوه بعدة روايات من الطريقين؛ [وطريق أبي مالك ضعيفة]، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٣، بنحوه، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢ب بنصه، والماوردي ٣/ ٢١٢، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٢٤، بنحوه، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٤٣، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٥٠٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٤، و«تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٣٤، وابن كثير ٢/ ٦٤٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٤ وزاد نسبته إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(١) لم أقف عليه، وهي أوهى الطرق إلى ابن عباس.

(٢) لم أقف عليه، وهي طريق منقطعة.

(٣) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٤، بلفظه، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢ب، بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٤، وأبي حيان ٥/ ٥٣٤، و ابن كثير ٢/ ٦٤٥، وطريق عكرمة جيدة.

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٨٨، عن وهب، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٤، عن وهب، وأبي حيان ٥/ ٥٣٤، عن وهب، وابن كثير ٢/ ٦٤٥، عن وهب، و«الدر المنثور» ٤/ ٦٤٥، ونسبه إلى وكيع في الغرر عن القرظي.

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧١ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة عن ابن عباس، ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٢ب، بلفظه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٢، بلفظه، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٥٠٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٤، و«الدر المنثور» ٥/ ٦٤٥، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال قتادة: هي رزق يوم بيوم[(١)].

وكان النبيّ ﷺ يقول في دعائه: «**قنعني بما رزقتني**»[(٢)].

وفيما روى أبو هريرة: أن النبي ﷺ كان يدعو: «**اللهم اجعل رزق آل محمد كفافًا**»[(٣)].

فقول من قال: إنه القناعة، حسن مختار؛ لأنه لا يطيب في الدنيا إلا عيش القانع، والمكدود بطلبها لا تطيب حياته[(٤)].

وقال السدي: ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني في القبر[(٥)].

---

(١) انظر: «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٣٤، و«تفسير الخازن» ٣/ ١٣٣، بلا نسبة.

(٢) جزء من دعاء النبي ﷺ رواه ابن عباس ﵄، وطرفه: (اللهم قنعني. . .، وقد أخرجه السهمي في تاريخ جرجان ص٩١، والحاكم: كتاب الدعاء ١/ ٥١٠، والتفسير: النحل ٢/ ٣٥٦، وقال: صحيح ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الشعب» ٧/ ٢٩١، وورد في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١٢، و«تلخيص الحبير» ٢/ ٢٤٨، و«الدر المنثور» ٥/ ٦٤٥، وزاد نسبته إلى ابن جرير -لم أقف عليه- وابن المنذر وابن أبي حاتم، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٢٧.

(٣) أخرجه مسلم (١٠٥٥/ ١٩) كتاب: الزهد والرقائق بنصه، وورد في «الكنز» ٦/ ٤٩٠، ٦١٢، وأخرجه برواية: (قوتاً) بدل (كفافاً) أحمد ٢/ ٤٤٦، ٤٨١، والبخاري (٦٤٦٠): الرقاق/ كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه، وتخليهم عن الدنيا، ومسلم (١٠٥٤): الزكاة/ في الكفاف والقناعة، والترمذي (٢٣٦٢) كتاب: الزهد/ ماجاء في معيشة النبي ﷺ وأهله، وابن ماجه (٤١٣٩) كتاب: الزهد/ القناعة، والبيهقي في: السنن: النكاح/ ما أمره الله تعالى به من اختيار الآخرة ٧/ ٤٦، والشُّعَب(٧/ ٢٩١، والدلائل: باب زهده في الدنيا وصبره على القوت ١/ ٣٣٩، وفي باب دعائه لأهله وهو يريد نفسه ٦/ ٨٧، وورد في «الشفا» ١/ ٢٧٨، و«الكنز» ٦/ ٤٩٠.

(٤) وهذا القول هو الذي اختاره الطبري وصوَّبه. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٧٢.

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١٣، والخازن ٣/ ١٣٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩، عن شريك.

قال الحسن وسعيد بن جبير: ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: في الآخرة[١]، فعلى هذا هذه الحياة في الجنة، روى عوف[٢] عن الحسن قال: لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة[٣].

٩٨- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ الآية. قال الزجاج وجميع أصحاب المعاني: معناه: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ[٤]، ليس معناه استعذ بعد أن تقرأ القرآن؛ ومثله إذا أكلت فقل: بسم الله[٥]، وقد

---

(١) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٤، عن سعيد، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٥٠٦، عن الحسن، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩، عنهما، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٣، عنهما.

(٢) عوف بن أبي جميلة العبدي البصري، المعروف بالأعرابي، صاحب الحسن وابن سيرين، ثقة ثبت، روى عن أبي العالية، وعنه: شعبة والقطان، مات سنة (١٤٧هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٧/ ١٥، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ٢٢٥، و«الكاشف» ٢/ ١٠١، و«تقريب التهذيب» ص٤٣٣، و«تفسير الطبري» تحقيق شاكر ١/ ١٣٤.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧١ بنصه وبنحوه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٤، بنصه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٤٩) بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦٢ب، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٢/ ٤٢، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٤، والخازن ٣/ ١٣٣، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.
وهذا قول صحيح لكن السياق يدل على أن الحياة الطيبة في الدنيا، يقابلها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] وهذه المعيشة الضنك هي في الدنيا، أما الأقوال التي ذكرت أنها: الرزق الحلال، أو القناعة، أو السعادة، ...فهي من باب التفسير بالمثال، لأن الحياة الطيبة تشمل كل ذلك.

(٤) بعض الكلمات هنا ساقطة من (أ)، (د).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٨، بتصرف يسير، وورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٧٣، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٥، و«تفسير الجصاص» ٢/ ١٩١، =

ذكرنا هذا عند قوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [المائدة: ٦]، وبينا حكم (إذا) في وقوع (ما) بعدها مستقبلًا في أوائل سورة البقرة وإجماع الفقهاء أن الاستعاذة تكون قبل القراءة[(١)].

وبه وردت الأخبار[(٢)]، وذهب أبو هريرة ﷺ إلى أن الاستعاذة بعد

= والسمرقندي ٢/ ٢٥٠، والثعلبي ٢/ ١٦٣أ، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٢، والطوسي ٦/ ٤٢٤، وانظر: «تفسير الكيالهراسي» ٤/ ١٧٥، والبغوي ٢/ ٤٢، والزمخشري ٢/ ٣٤٣، وابن عطية ٨/ ٥٠٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٨٩، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٤، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٥.

(١) في دعوى الإجماع نظر، وقد خالفه بعض السلف وكبار الفقهاء -وإن كان استدلالهم ضعيفاً أو مشكوكاً في نسبته إليهم-، قال الثعلبي: اختلف الفقهاء في وقت الاستعاذة؛ فقال أكثرهم: قبل القراءة، وهذا قول الجمهور، وهو الصحيح المشهور، وقال أبو هريرة ﷺ: يتعوذ بعد القراءة، وإليه ذهب داود، وقال مالك يتعوذ بعد القراءة، واحتجوا بظاهر الآية، وقال الكيالهراسي: ونُقل عن بعض السلف التعوذ بعد القراءة مطلقاً، احتجاجاً بالآية، وقال النووي: وأما محله فقال الجمهور هو قبل القراءة، وقال أبو هريرة وابن سيرين والنخعي: يتَعوذ بعد القراءة، وكان أبو هريرة يتعوذ بعد فراغ الفاتحة لظاهر الآية، وقال الجمهور معناه: إذا أردت القراءة فاستعذ، وهو اللائق السابق إلى الفهم، وقال القرطبي: رُوي عن أبي هريرة أن الاستعاذة بعد القراءة، وقاله داود، وقال ابن كثير: حُكي عن حمزة وأبي حاتم السجستاني أنها تكون بعد التلاوة، واحتجا بهذه الآية، وأبهم ابنُ العربي القائلين ووصفهم وصفاً قاسياً لا يليق بهم، قال: انتهى العِيُّ بقوم إلى أن قالوا: إن القارئ إذا فرغ من قراءة القرآن حينئذ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فهذه الأقوال تجعل دعوى الإجماع غير صحيحة، بل الصحيح أنه قول الأكثر والجمهور؛ كما نص الثعلبي والنووي. انظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣أ، و«الكيالهراسي» ٤/ ١٧٥، و«ابن العربي» ٣/ ١١٧٥، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٤، و«تفسير القرطبي» ١/ ٨٨، و«المجموع» ٣/ ٣٢٥، و«تفسير ابن كثير» ١/ ١٤-١٧، ٢/ ٦٤٥.

(٢) منها: ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة بالليل كبر ثم يقول: «**سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك**، =

القراءة، وهو مذهب مالك[١]، وداود[٢]، كأنهم أخذوا بظاهر الآية[٣]، وذلك جهل بمقاييس العربية[٤].

= ولا إله غيرك»، ثم يقول: «الله أكبر كبيرا»، ثم يقول: «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه» ثم يقرأ. وقد أخرجه أبو داود (٧٧٥) كتاب: الصلاة، باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك، والترمذي (٢٤٢) كتاب: أبواب الصلاة، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة، [قال عمر ﷺ: همزه الموتة؛ وهي الجنون، نفخه: الكبر، نفثه: الشعر. «تفسير البغوي» ٥/ ٤٢].

(١) وقد استغرب ابن العربي نسبة هذا القول إلى مالك، وقال هذه دعوى عريضة لا تُشْبِهُ أصولَ مالك ولا فهمه، والله أعلم بسرِّ هذه الرواية. انظر: «تفسير ابن العربي» ٣/ ١١٧٦.

(٢) داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، فقيه حافظ، أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، وإليه ينسب المذهب الظاهري، وكان فاضلاً صدوقاً ورعاً، سمع من إسحاق بن راهويه ومسدد بن مسرْهَد، وعنه: ابنه محمد ويوسف ابن يعقوب، من مصنفاته: "الإفصاح"، "الأصول"، ولد بالكوفة سنة (٢٠٢هـ) وسكن بغداد، ومات سنة (٢٧٠هـ). انظر: «الفهرست» ص٢٩٩، و«الأنساب» للسمعاني ٤/ ٩٩، و«وفيات الأعيان» ٢/ ٢٥٥، و«تذكرة الحفاظ» ٢/ ٥٧٣.

(٣) لا شك أن ظاهر الآية يقتضي ذلك، ولكنه مدفوع ومفسرٌ بفعل النبي ﷺ يقول الجصاص: يقتضي ظاهره أن تكون الاستعاذة بعد القراءة، ولكنه قد ثبت عن النبي ﷺ وعن السلف الاستعاذة قبل القراءة، وقد جرت العادة بإطلاق مثله. انظر: «تفسير الجصاص» ٢/ ١٩١، و«المحلى» ٣/ ٣٥٠، و«تفسير الكيالهراسي» ٤/ ١٧٥، ومن توجيهات القائلين بهذا القول، أن الاستعاذة بعد القراءة هي لوقاية العمل من الحبوط، إذ ربما أورث حسن القراءة العجب في نفس القارئ، والعجب من الشيطان، فكان من المناسب أن يؤمر بالاستعاذة منه. انظر: «تفسير ابن كثير» ١/ ١٤- ٤٧.

(٤) عبارته هذه قاسية، ولا يليق وصف الصحابة وأئمة الأمة بالجهل.

٩٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والمفسرون: ليس له حجة[(١)].

وقال أهل المعاني: طريق يتسلط به عليهم[(٢)]، وقد بينا هذا عند قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ في سورة الحجر [آية: ٤٢]، والمختار أن يقال: ليس له سلطان الإغواء، وهو معنى قول المفسرين: ليس له حجة، أي: لا حجة له على المؤمنين في إغوائهم إلى الضلالة.

١٠٠- ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ قال ابن عباس: يطيعونه[(٣)]، يقال: توَلَّيْتُه، أي: أطعته، وتوَلَّيْتُ عنه، أي: أعرضت عنه،

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٥٢، أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٤ بلفظه عن مجاهد، وورد في: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٥ بلفظه عن مجاهد، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٣ بلفظه عن مجاهد، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٩٠، عن مجاهد، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٥ عن مجاهد، وورد بلفظه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٠ والثعلبي ٢/ ١٦٣ب، والطوسي ٦/ ٤٢٥، ولم أقف عليه عن ابن عباس وعكرمة.

(٢) ورد نحوه في «تفسير البغوي» ٥/ ٤٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٥، و«تفسير البيضاوي» ٢/ ٢٨٣، والخازن ٣/ ١٣٤، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٣٠.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١٥، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٤٦ بمعناه عن ابن عباس وعزاه إلى الطبري -لم أقف عليه- وابن أبي حاتم، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٤ بلفظه عن مجاهد وقتادة، وابن كثير ٢/ ٦٤٦، عن مجاهد، وورد بلفظه بلا نسبة في: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٠، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٨٨، والثعلبي ٢/ ١٦٣ب، والبغوي ٥/ ٤٣، وابن الجوزي ٤/ ٤٩١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٦.

وذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المائدة: ٥٦].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ﴾ قال مجاهد: يعني يعدلون برب العالمين[(١)]، فعلى هذا الكناية في به تعود إلى اسم الله تعالى.

وقال عطاء عن ابن عباس: يريد يطيعونه في الشرك، وعلى هذا الكناية راجعة إلى الشرك، وهذا قول الربيع[(٢)]، والمعنى على هذا القول: والذين هم بسببه وطاعته فيما يدعو إليه مشركون، قال صاحب النظم: وهذا كما تقول للرجل إذا تكلم بكلمة مؤدية إلى الكفر، كفرت بهذه الكلمة؛ أي: من أجلها وبقولك إياها[(٣)]، فلذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ﴾، أي: من أجله وحمله إياه مشركون بالله[(٤)].

١٠١- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلۡنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾ قال الكلبي وغيره: كان إذا نزلت آية ألين منها، يقول كفار قريش: والله ما محمد إلا يسخر بأصحابه، يأمرهم اليوم بأمر وغدًا بأمر، وإنه ليتكذَّبه ويأتيهم به من

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٥١، بنحوه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٥ بنصه وبنحوه ورجحه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٥، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٣، بمعناه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٩١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٦، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) لم أقف عليه عن ابن عباس، وعن الربيع أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٥، بنحوه، وورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٣، بمعناه، والطوسي ٦/ ٤٢٥، بنحوه، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤١، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) ورد بمعناه غير منسوب في «الغريب لابن قتيبة» ص٢٤٩، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٥ .

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣ب، بنحوه.

عند نفسه، فأنزل الله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ﴾(١)، قال مجاهد: رفعناها وأنزلنا غيرها(٢)، وقال قتادة: هو كقوله: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾(٣) الآية. [البقرة: ١٠٦] وقال الفراء: إذا نسخنا آية فيها تشديد مكان آية ألينَ منها(٤)، ومعنى التبديل: رَفْعُ الشيء مع وضع غيره مكانه(٥)، وتبديل الآية: رفعها(٦) بآية غيرها؛ وهو نسخها بآية سواها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾، أي: مِن الناسخ والمنسوخ، والتغليظ والتخفيف؛ هو أعلم بجميع ذلك في مصالح العباد، وهذا اعتراض دخل في الكلام يتضمن توبيخ الكفار على قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، أي إذا كان هو أعلم بما ينزل، ما بالهم ينسبون محمدًا إلى الافتراء لأجل التبديل والنسخ.

---

(١) لم أقف عليه منسوباً إلى الكلبي، وورد منسوباً إلى ابن عباس من طريق أبي صالح وهي طريق الكلبي [وهي ضعيفة]، وانظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٠، بنحوه عن ابن عباس، وابن الجوزي ٤/ ٤٩١، عن أبي صالح عن ابن عباس، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٦، عن ابن عباس، وورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٧ب، بنحوه، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٨٨، بمعناه عن الحسن، والثعلبي ٢/ ١٦٣ب، بنحوه، والبغوي ٥/ ٤٣، والزمخشري ٢/ ٣٤٤، والخازن ٣/ ١٣٤.

(٢) «تفسير مجاهد» ص٤٥٢ بنصه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٦ بنصه وبنحوه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٦، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٤٦.

(٣) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٦ بنصه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٤٦.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٣) بنصه.

(٥) انظر: (بدل) في «المحيط في اللغة» ٩/ ٣١٨، و«اللسان» ١/ ٢٣١، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٦.

(٦) في جميع النسخ: (ورفعها) بزيادة (و)، والصواب ما أثبته كما في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١٦.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾، أي: لا يعلمون حقيقة القرآن، وفائدة النسخ والتبديل في أن ذلك لمصلحة العباد؛ كالاستصلاح بإرسال نبي بعد نبي، والكلام في ذكر أكثرهم دون جميعهم قد مضى في موضعين من هذه السورة(١).

١٠٢- قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ﴾، أي: نَزَل به، أي بالقرآن، ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾ وهو جبريل، ومضى تفسير روح القدس في سورة البقرة [٨٧]، ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ (من) صلة للقرآن، أي نَزَّل القرآنَ من ربك، أي: من كلام ربك جبريلُ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي بالأمر الحق الصحيح الثابت لا الباطل، ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بما فيه من الحجج والآيات، فيزدادوا بها تصديقًا ويقينًا.

وقوله تعالى: ﴿وَهُدًى﴾، أي: وهو هدى، فهو خبر ابتداء محذوف.

١٠٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ اختلفوا في هذا البشر الذي نَسبَ المشركون النبي ﷺ إلى التعليم منه؛ فقال ابن عباس في رواية عكرمة: هو عَبْدٌ لبني عامر بن لُؤيّ، يقال له: يعيش(٢)، وهذا قول قتادة إلا أنه قال: كان لبني الحضرمي، وكان يقرأ

---

(١) عند آية: [٧٥] و [٨٣].

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٩٢، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٨، بنحوه عن عكرمة، وفيه أنه غلام لبني المغيرة، وأخرجه بنصه عن قتادة، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٦، بنصه عن عكرمة، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣ب، بنصه عن عكرمة وقتادة، لكنه قال: لبني المغيرة، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٤، عن عكرمة، وابن عطية ٨/ ٥١٠، عن عكرمة، و«القرطبي» ١٠/ ١٧٧، عن عكرمة، والخازن ٣/ ١٣٥، عن عكرمة، وابن كثير ٢/ ٦٤٦، عن عكرمة وقتادة، و«الدر المنثور» وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة.

الكتب، وقال في رواية عطاء: يريد عداس؛ غلام عتبة بن ربيعة[١].

وروى طلحة بن عمرو[٢] عن عطاء أن خديجة[٣] كانت تختلف إلى صَيْقَل[٤] على الصفا والمروة؛ عبد لبني الحضرمي صاحب كتب، فكانت تخبره بما كان يرى محمد ﷺ فكان يقول لها لئن كنت صادقة ليوشكن نبي العرب أن يخرج، وكان اسمَه جَبرٌ وكانت قريش تقول: إنما عبد بني الحضرمي يعلم خديجة، وتعلم خديجة محمدًا، زاد شبل: وكان يتكلم بالرومية[٥]، وهذا قول مجاهد وابن إسحاق[٦].

(١) ورد بلا نسبة في: «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٨٩، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٧، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٨، والخازن ٣/ ١٣٥.

(٢) في جميع النسخ: طلحة عن عمرو، وفي «تفسير السمرقندي» (٢/ ٢٥١) طلحة بن عمير -ولم أجد له ترجمة-، والصحيح المثبت كما في تفسير الثعلبي ٢/ ١٦٤أ، ويؤيده أن طلحة هذا مشهور الرواية عن عطاء، وصفه الذهبي بصاحب عطاء. وطلحة بن عمرو: هو الحضرمي المكي، روى عن عطاء وسعيد بن جبير، وعنه: الثوري ووكيع، وهو ضعيف بل متروك كما قال أحمد والنسائي، مات سنة (١٥٢هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٤٧٨، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٥٤، و«الكاشف» ١/ ٥١٤، و«تقريب التهذيب» ص٢٨٣ (٣٠٣٠).

(٣) أم المؤمنين، خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية رضي الله عنها أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، وكان ذلك قبل البعثة بخمس عشرة سنة، وهي أول من أسلم على الإطلاق، وكانت امرأة موسرة، وهي أم أولاد النبي ﷺ ومناقبها كثيرة معروفة، توفيت بعد البعثة بعشر سنين، وهي بنت خمس وستين سنة. انظر: «الاستيعاب» ٤/ ٣٧٩، و«أسد الغابة» ٧/ ٧٨، و«الإصابة» ٤/ ٢٨١.

(٤) الصَّقْل: مصدر صَقَلْتُ السيفَ والثوبَ، والصَّيْقَل: صَقال السيف، أي شَحَّاذُ السُّيوف وجلاَّؤها، والجمع: صياقل وصياقلة. انظر: (صقل) في: «جمهرة اللغة» ٢/ ٨٩٤، و«تهذيب اللغة» ٢/ ٢٠٣٥، و«اللسان» ٤/ ٢٤٧٤.

(٥) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥١، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٦٤أ، بنحوه.

(٦) «تفسير مجاهد» ص٣٥٢، مختصراً؛ ليس فيه ذكر خديجة رضي الله عنها، و«سيرة ابن =

وروي عن ابن عباس أنه قال: هذا كان قينًا[١] بمكة نصرانيًا أعجمي اللسان اسمه بَلْعَام[٢].

وقال السدي: هو رجل نصراني كان بمكة، يقال له: أبو ميسرة، يتكلم بالرومية[٣].

= هشام»، بنحوه، دون ذكر خديجة ﵂. وأخرجه الطبري ١٤/ ١٧٨- ١٧٩، عنهما بنحوه -دون ذكر خديجة ﵂، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٦، مختصراً عن مجاهد، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٨٩، عن مجاهد مختصراً، وورد بنحوه منسوباً إلى ابن إسحاق في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤أ، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٤، عن ابن إسحاق، وابن عطية ٨/ ٥١٠، عن ابن إسحاق، و«القرطبي» ١٠/ ١٧٧، عن ابن إسحاق، والخازن ٣/ ١٣٥، عن ابن اسحاق، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٧، وزاد نسبته إلى آدم بن أبي إياس وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب، عن مجاهد.

(١) قال الليث: القَيْنُ: الحَدّادُ، وقيل: كلُّ صانعٍ قَيْنٌ، وقيل: كل عامل بالحديد عند العرب قَيْن، والجمعُ قُيُون وأقْيَان، وقال الليث: والقَيْنُ والقَيْنَةُ: العبْدُ والأمَةُ. انظر: (قين) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٦٦، و«المحيط في اللغة» ٦/ ٣٥، و«اللسان» ٦/ ٣٧٩٨.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٧٧، بنحوه من طريق مجاهد جيدة، ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٣ب، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٢٧، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٤، وابن عطية ٨/ ٥١٠، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٨، والخازن ٣/ ١٣٥، وأبي حيان ٥/ ٥٣٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٧، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه، بسند ضعيف.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤أ، بنصه، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١٧ بلا نسبة، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٨، عن ابن قتيبة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٤٧ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن السدي، لكنه قال: واسمه: (أبو يسر)، وفي «الإصابة» ١/ ١٦٥: (أبو البشر) فلعلها تصحفت من (أبو ميسرة).

وقال الكلبي: هو عايش -غلام حويطب بن عبد العزى-، ويسار -أبو فكيهة مولى ابن الحضرمي-، وكانا قد أسلما فأنزل الله تعالى ردًّا عليهم وتكذيبًا لهم فيما قالوا: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ﴾[١].

معنى الإلحاد في اللغة: الميل، يقال: لَحَدَ وأَلْحَدَ؛ إذا مال عن القصد، ومنه يقال للعادل عن الحق: ملحد[٢]، وقراءة العامة ضم الياء من الإلحاد[٣] وهو أشهر اللغتين، وقرئ بفتح الياء من لحد[٤]، والأَوْلى ضَم

---

(١) أخرج الطبري ١٤/ ١٧٧ نحوه من طرق عن عبد الله بن مسلم الحضرمي، لكنه قال: كان يقال لأحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن التوراة، وورد هذا الخبر في «الإصابة» ١/ ٢٢١، وعزاه إلى ابن أبي حاتم وعبد بن حميد، وقال: ولم يذكر أنهما أسلما. وورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٧ب، أنه أبو فكيهة، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٣، أنه عايش، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٢٧ أنه عايش أو يعيش، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٧٨، عنهما. وهذه الأقوال في اسم البشر المعني -وقد بلغت تسعة عند ابن الجوزي- لاتعارض بينها -كما قال النحاس في معانيه-؛ لجواز أن يكونوا قد أومأوا إلى هؤلاء جميعاً؛ بسبب تخبطهم وحيرتهم في الطعن في القرآن، ولاحتمال مجالسة الرسول ﷺ لهؤلاء كلهم لتعليمهم. انظر: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٧، و«تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٩٢.

(٢) انظر: (لحد) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٢٤٢، و«المحيط في اللغة» ٣/ ٤١، و«اللسان» ٧/ ٤٠٠٥، و«التاج» ٥/ ٢٣٧.

(٣) أي: ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ من أَلْحَدَ، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر. انظر: «السبعة» ص٣٧٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٥٩، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٨، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٦، و«التيسير» ص١٣٨، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٤٥.

(٤) أي ﴿يَلْحِدُونَ﴾ من لَحَدَ، قرأ بها: حمزة والكسائي. انظر: المصادر السابقة.

الياء؛ لأن لغة التنزيل[١]، يدل عليه قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ [الحج: ٢٥]، والإلحاد قد يكون بمعنى: الإمالة، ومنه يقال: أَلْحَدْتُ له لَحْدًا إذا حفرته في جانب القبر مائلٍ عن الاستواء، وقَبْرٌ مُلْحَدٌ ومَلْحُودٌ[٢]، وفُسِّر الإلحاد في هذه الآية بالقولين، فقال الفراء: يُمِيلُون من الميل[٣].

وقال الزجاج: لسانُ الذي يميلُون القَوْلَ إليه أعجميٌّ[٤].

وقال ابن قتيبة: أي يُومِئون إليه ويزعمون أنه يُعلِّمك[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَعْجَمِيٌّ﴾ قال أبو الفتح الموصلي: اعلم أن (ع ج م) إنما وضعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء، وضد البيان والإيضاح، من ذلك قولهم: رجل أعْجم وامرأة عَجْماء، إذا كانا لا يُفصحان ولا يُبينان كلامهما، وكذلك[٦] العُجْمُ والعَجَمُ، وعَجَمُ الزبيب[٧] سُمّي لاستتارته وخفائه بما هو عَجَمٌ له، والعَجْماء: البهيمة؛ لأنها لا توضِّح عما في نفسها، ومن ذلك تسميتهم صلاتي الظهر والعصر العَجْماوتين؛ لما كانتا لا

(١) وكذلك فتح الياء لغة التنزيل؛ فالفتح والضم قراءتان سبعيتان، ليس احداهما بأولى من الأخرى، ولا فرق حقيقيًّا -في المعنى- بين القراءتين، قال الطبري: وهما عندي لغتان بمعنى واحد. «تفسير الطبري» ١٤/ ١٧٩.

(٢) ورد بنحوه في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٢٧، وانظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٤٥، والفخر الرازي ٢٠/ ١١٧) بنصه، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٣٣.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٣، بنحوه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٩ بنصه.

(٥) «الغريب» لابن قتيبة ٢/ ٢٥٠، وفيه (يميلون).

(٦) في جميع النسخ: (ولذلك) وهو تصحيف، والتصويب من المصدر، وبه يستقيم المعنى.

(٧) هو النَّوَى الذي في جوفه، الواحدة: عَجَمة، مثل: قَصبة وقصب. انظر: «اللسان» (عجم) ٥/ ٢٨٢٥.

يُفْصَح فيهما بالقراءة، قال أبو علي: ومن ذلك: عَجَمْتَ العُودَ؛ إما لأنك لما أدخلتَه لتِعُضَّه[١] وقد أخفيته، وإما لأنك قد ضغطت بعض أجزائه بالعَجْم، وأدخلت بعضها في بعض فأخفيتها، وربما سمّت[٢] العرب الأخرسَ الأعجم؛ وعُجْمة الرمل[٣]: أشدّه تراكمًا، سمي بذلك لتداخله واستبهام أمره على سُلاَّكِه، يقال: استعجمت الدارُ إذا صَمَّت فلم تجب سائلها، قال امرؤ القيس:

صَمَّ صَداها وعَفا رسمُها واستَعجمتْ عن مَنْطق السائلِ[٤]

وأما قولهم: أعْجمتُ الكتاب، فمعناه: أزلت عجمته واستعجامه بالإيضاح والتبين، وأَفْعَلْتُ قد يأتي والمراد به: السَّلْب؛ كقولهم: أشكيت، إذا أزلتَ ما يشكوه[٥]، وهذا الذي ذكرنا هو أصل معنى هذا الحرف[٦]، والعرب تسمي كل من لا يعرف لغته[٧] ولا يتكلم بلسانهم أعجم وأعجميًّا، قال كثير:

---

(١) في جميع النسخ (لبعضه)، والتصويب من المصدر.

(٢) في جميع النسخ (سميت)، والتصويب من المصدر.

(٣) أي كثرته، وقيل: آخره، وقيل: ما تعقَّد منه. انظر: «اللسان» (عجم) ٥/ ٢٨٢٥.

(٤) «ديوانه» ص١٣٣، وورد في «تهذيب اللغة» (صم) ٢/ ٢٠٥٩، (صدى) ٢/ ١٩٩٤، و«الأساس» ٢/ ١٠١، و«اللسان» (صمم) ٤/ ٢٥٠٢، (عجم) ٥/ ٢٨٢٧، (صدى) ٤/ ٢٤٢٢، وورد بلا نسبة في: «العين» (صدي) ٧/ ١٣٩؛ (الصَّدى): ما يرجع من صوت الجبل، و(صمَّ صداها): أي غدت مقفرة لا حياة بها ولا أنيس، وهو يصف داراً دَرَسَتْ، (عفا رسمها): أمست وليس لها رسم ولا بها أثر.

(٥) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٦-٣٧، نقل طويل تَصرَّف فيه بالاختصار والتهذيب.

(٦) انظر: (عجم) في «العين» ١/ ٢٣٧، و«جمهرة اللغة» ١/ ٤٨٤، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٣٤٢، و«المحيط في اللغة» ١/ ٢٧٤، و«اللسان» ٥/ ٢٨٢٧.

(٧) هكذا في جميع النسخ، والأولى (لغتهم) حتى تنسجم مع السياق.

وما زال كتمانيك حتى كأنني بِرَدِّ جَوابِ السائِلي عنك أعجمُ[١]

قال الفراء وأحمد بن يحيى: الأعجم: الذي في لسانه عُجمة وإن كان من العرب، والأعجمي والعجمي: الذي أصله من العجم[٢].

قال ابن الأنباري: وقولهما هو الصحيح عندنا.

وقال أبو علي الفارسي: الأعجمي: الذي لا يُفصح من العرب كان أو من العجم، ألا تراهم أنهم قالوا: زياد الأعجم؛ لأنه كانت في لسانه عُجمة[٣] وكان عربيًّا[٤]، وقال[٥] لصلاة النهار عَجْمَاء أي: تُخفى فيه القراءة ولا تُبَيَّن، وتُسمي العربُ من لا يتبين كلامه من أي صنف كان من الناس أعجم، ومنه قول الحِمَّاني[٦]:

سَلُّومُ: لو أَصْبَحتِ وسْطَ الأَعْجمِ

---

(١) لم أجده في ديوانه، وورد في «الأغاني» ١٥/ ١٦٧، منسوباً لنُصَيب بن رباح أبي محجن مولى عبد الملك (ت: ١٠٨هـ)، وقد ورد في شعر نصيب بن رباح ص١٢٣ وفيهما: (بي الكتمان) بدل (كتمانيك)، (بِرَجْع) بدل (بِرَدِّ).

(٢) لم أجده في معاني الفراء، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١١٨، بنصه عنهما، وورد نحوه غير منسوب في «المحتسب» ٢/ ١٢، و«تفسير ابن عطية» ٨/ ٥١١، قال ابن قتيبة: لا يكاد عوام الناس يفرقون بين العجمي والأعجمي، والعربي والأعرابي؛ فالأعجمي الذي لا يُفصح وإن كان نازلاً بالبادية، والعجمي: منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً، والأعرابي: هو البدوي، والعربي: منسوب إلى العرب وإن لم يكن بدوياً. «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٩٤.

(٣) (عجمة) ساقطة من (أ)، (د)، وفي المخصص: (رُتَّةٌ).

(٤) ورد في «المخصص» ٢/ ١٢١، بنصه، وانظر: «تفسير الرازي» ٢٠/ ١١٨ بنصه، والخازن ٣/ ١٣٥، بلا نسبة.

(٥) هكذا في جميع النسخ، والأظهر (يقال) أو (قيل).

(٦) هو أبو الأخْزر الحِماني، ولم أقف على ترجمته.

بـالـروم أو بـالـتُّـركِ أو بـالـديـلـم
إذًا لَـزُرنَـــــاكِ ولـو بِـسُـــــلَّـمِ[١]

قال: وسط الأعجم ولم يقل: وسط العجم؛ لأنه جعل كل من لا يتبين كلامه أعجم، فكأنه قال: وسط القبيل الأعجم، وينبغي أن يكون الأعجمي بالياء فيه للنسب، نسب إلى الأعجم الذي لا يُفْصِح، وهو في المعنى كالأعجمي، ويجوز أن يقال: رجل أعجمي فيراد به ما يراد بالأعجم بغير ياء النسب، كما يُقال: أحمر وأحمريّ، ودَوّارٍ ودَوَّارِيٍّ[٢].

ومعنى الآية هو[٣] أن الله تعالى قال: لسان هذا البشر الذي يزعمون

---

(١) ورد في «المخصص» ٢/ ١٢١ شطران، ١٦/ ١٠٢، و«شرح شواهد الإيضاح» ص٤٤٠، وفيه حرف الجر (في) بدل الباء في الكلمات الثلاث، وورد الشطر الأول فقط في «اللسان» (وسط) ٨/ ٤٨٣٢، و«التاج» (وسط) ١٠/ ٤٤٥، وورد بلا نسبة في «اللسان» (عجم) ٥/ ٢٨٢٥، وورد في الاقتضاب باختلاف في الشطرين الأخيرين برواية:

في الـروم أو فـارسَ أو فـي الـديـلـمِ
إذاً لـزرنـاكِ ولـو لـم نـسـلـمِ

(سَلُّومُ): منادى مرخم، أراد: ياسَلُّومة، (الدّيلم): الجماعة الكثيرة من الناس، وقيل: جيل من الناس، وقيل: هم من ولد ضَبَّةَ بن أُدد، قال ابن بري: وقوله: بِسُلم: أي لتسببنا إلى زيارَتِك بكل سبب، فضرب السُّلَّم مثلاً لذلك.

وقال ابن السيد: وهذا البيت يصحفه كثير من الناس فيرونه ولو بسلّم، ولا وجه لذلك؛ لأن السلّم لا يستعمل في قطع المسافات وإنما يستعمل في صعود العلالي المشرفات والمواضع المرتفعات، ولو قال قائل لصاحبه: لو كنت ببغداد لنهضت إليك ولو بسلَّم لم يكن له معنى يعقل، وقد يستعمل السلَّم بمعنى السبب، وليس له ههنا أيضاً وجه؛ لأنه كان يجب أن يقول: ولو بغير سبب يوجب النهوض. وانظر: «اللسان» (دلم) ٣/ ١٤١٥.

(٢) ورد نحوه في «المحتسب» ٢/ ١٢.

(٣) في (أ)، (د): (وهو) بزيادة الواو، ويستقيم الكلام بدونها.

أنه يعلمك أعجمي لا يُفصح ولا يتكلم بالعربية، فكيف يُتَعَلَّم عنه ما هو أعلى طبقات البيان ؟! وهو قوله: ﴿وَهَٰذَا﴾ يعني القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾، قال ابن عباس: يريد الذي نزل على محمد عربي مبين، أفصح ما يكون من العربية، وأبْيَنه لسان سعد بن بكر بن هوازن الذين أرضعوا النبي ﷺ[1]؛ واللسان بمعنى الكلام واللغة، وذكرنا هذا مستقصى عند قوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾ [إبراهيم: ٤]، ومعنى العربي واشتقاقه ذكرنا عند قوله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا﴾ [التوبة: ٩٧] وقال الفراء والزجاج في هذه الآية: يقال: عَرَبَ لِسَانُه عَرابةً وعُروبةً[2].

١٠٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ الآية. قال الكلبي: نافح الله تعالى بهذه الآية عن رسول الله ﷺ ودافع عنه حيث قالوا: تَقَوَّله واخترعه وأتى به من عند بشر وافتراه، فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾: المشركون، ثم سَمَّاهم الكاذبين، وحصر فيهم الكذب بقوله: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾، وقال أبو إسحاق: أي إنما يفتري الكذب الذين إذا رأوا الآيات التي لا يقدر عليها إلا الله كذَّبُوا بها، فهؤلاء أكذبُ الكَذَبَةِ[3]، وفي الآية أبلغ زجر عن الكذب؛ حيث أخبر الله تعالى أنه إنما يفتري الكذب من لا يؤمن، ولذلك قال النبيّ ﷺ حين قيل له: (هل يَكْذِبُ المؤمن؟ قال: «لا»، ثم قرأ هذه الآية)[4].

---

(١) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٤٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٠، بنحوه، وفيه (عرب الإنسان)، وهو خطأ وتصحيف ظاهر، ولم أجده في معاني الفراء، وانظر: «الرازي» ٢٠/ ١١٨، بنصه عنهما.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٩، بنصه.

(٤) جزء من حديث رواه عبدالله بن جراد، وطرفه: قلت: يارسول الله، المؤمن يزني؟ =

وقال صاحب النظم في هذه الآية: أعلم الله أن الذي يفتري الكذب هو الذي لا يؤمن بآيات الله، ثم عطف على هذا قوله: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ وفائدة ذلك؛ أن قوله: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾ فِعْلٌ وليس بنعت، وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ نَعْتٌ، والفعل قد يكون لازمًا وقد لا يكون، والنعت[1] لا يكون إلا دائمًا، يبين هذا أنه تعالى قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١] ولا يجوز أن يقال: إن آدم عاصٍ وغاوٍ؛ لأن النعت أبلغ من الفعل، ولهذا قال الله: ﴿وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ أي أن هذا نعت لازم لهم وعادة من عاداتهم، لا فِعْلٌ يزول عن قريب، وهذا كما تقول: كذبت وأنت كاذب، فيكون قولك: أنت كاذب، زيادة في الوصف بالكذب[2].

= قال «قد يكون». وقد أخرجه بنحوه الثعلبي ٢/ ١٦٤أ، والواحدي في «الوسيط» ٢/ ٤٤٦، والبغوي ٥/ ٤٥، وورد في «إحياء علوم الدين» ٣/ ١٣٥، و«تفسير الرازي» ٢٠/ ١٢٠، والخازن ٣/ ١٣٦، قال الحافظ العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» بسند ضعيف، ورواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» (ص٢٤٣) مقتصراً على الكذب، والسائل أبو الدرداء، والرواية التي أشار إليها العراقي أخرجها مالك عن صفوان بن سليم أنه قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً.. فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: «لا» موطأ مالك [شرح الزرقاني] باب ما جاء في الصدق ٤/ ٤٠٨، و«التمهيد» ١٦/ ٢٥٣، وقال: لا أحفظ هذا الحديث مسنداً بهذا اللفظ من وجه ثابت، وأخرجها ابن أبي الدنيا في «الصمت» ص٢٤٨، عن ابن مسعود وسعد ﭬ موقوفاً قالا: كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب. والحديث ضعيف.

(١) في (أ)، (د): (البعث).

(٢) ورد بنحوه مختصراً في «تفسير البغوي» ٥/ ٤٥، و«الرازي» ٢٠/ ١١٩، و«القرطبي» ١٠/ ١٧٩.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ الآية. أكثر المفسرين على أن الآية نزلت في عمار بن ياسر؛ أخذه المشركون فلم يتركوه حتى سَبَّ النبيّ ﷺ وذكر آلهتم بخير ثم تركوه، فلما أتى رسول الله ﷺ قال: «**ما وراءك**؟ قال: شَرٌّ يا رسول الله، ما تُرِكتُ حتى نِلتُ مِنْك، وذكرتُ آلهتم بخير. **قال**: **كيف تجد قلبك**؟ قال: مطمئنًا بالإيمان. **قال**: **إن عادوا لك فعد لهم بما قلت**»[(١)].

واختلفوا في محل (مَنْ) مِن الإعراب، فقال الأخفش: هو ابتداء، وخبره محذوف مكتفى منه بخبر (مَنْ) الثانية في قوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾[(٢)]؛ كقولك: من يأتينا فمن يحسن نكرمه[(٣)]، فجواب الأول محذوف قد كفى منه الثاني، وقال أبو إسحاق: (مَنْ) في موضع رفع على

---

(١) أخرجه ابن سعد ٣/ ٢٤٩ بنصه، وعبد الرزاق ٢/ ٣٦٠، بنحوه، والطبري ١٤/ ١٨١، بنحوه عن ابن عباس من طريق العوفي ضعيفة، وأخرجه بنحوه عن قتادة وأبي مالك وغيرهما، والحاكم ٢/ ٣٥٧ بنصه، وصححه وقال: على شرط الشيخين، والبيهقي: المرتد/ المكره على الردة (٨/ ٢٠٨) بنصه، وورد بنحوه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٢، وهود الهواري ٢/ ٣٩٠، والثعلبي ٢/ ١٦٤ب، عن ابن عباس، والطوسي ٦/ ٤٢٨، وانظر: «أسباب النزول» للواحدي ص٢٨٨، عن ابن عباس، و«تفسير البغوي» ٥/ ٤٥، عن ابن عباس، والزمخشري ٢/ ٣٤٥، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٨٠، عن ابن عباس، والخازن ٣/ ١٣٦، وابن كثير ٢/ ٦٤٧، عن ابن عباس، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٤٨، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) «معاني القرآن للأخفش» ٢/ ٦٠٨، بمعناه، وانظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٤ب، بنحوه بلانسبة.

(٣) ورد بنصه في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٨٠، والثعلبي ٢/ ١٦٤ب، والطوسي ٦/ ٤٢٨، ومعناه: من يحسن ممن يأتينا نكرمه.

البدل مِن الكاذبين[١]، ولا يجوز أن يكون رفعًا بالابتداء؛ لأنه لا خبر هاهنا للابتداء؛ لأن قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ﴾ ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ﴾: على الكفر، يكفر بلسانه وقلبه مطمئن[٢] بالإيمان[٣]، والقول الأول أظهر في معنى الآية؛ لأن[٤] هذه قصة مستأنفة، وكلام لا تعلق له بما تقدم، يدل عليه من التفسير ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية، قال: أخبر الله سبحانه أنه من كفر بعد إيمانه فعليه غضب من الله وله عذاب عظيم، فأما من أُكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لِيَنْجُو بذلك من عدوه فلا حرج عليه؛ لأن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم[٥]، فجعل ابن عباس قوله: ﴿فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ﴾ خبر قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا﴾، أي: فتحه ووسعه لقبول[٦] الكفر، وذكرنا معنى الشرح في سورة الأنعام[٧]، وانتصب صدرًا

---

(١) وتقديره: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، وقد رده الطبري، وقال: هذا قول لا وجه له، وحجته أن ذلك يقتضي تخصيص وصف افتراء الكذب بمن آمن ثم ارتد دون من نشأ على الكفر أصلاً، ودلل على ذلك أن الآية جاءت في سياق الرد على الذين نسبوا الكذب والافتراء إلى رسول الله ﷺ في الآية السابقة، وهم الكفار الأصليون. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٨١.

(٢) في (أ)، (د) زيادة (واو): (ومطمئن).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢١٩، بتصرف يسير.

(٤) في (أ)، (د): (أن).

(٥) أخرجه الطبري ١٤/ ١٨٢ بنصه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، والبيهقي: المرتد/ المكره على الردة (٨/ ٢٠٩) بنصه، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) في (أ)، (د): (لقول)، والمثبت من (ش)، (ع) أصح.

(٧) آية [١٢٥].

على أنه مفعول للشرح، والتقدير: ولكن من شرح بالكفر صدره، وحذف الهاء منه لأنه لا يُشْكِل بصدر غيره؛ إذ البشر لا يقدر على شرح صدر غيره، فهو نكرة يراد بها المعرفة، ويدل عليها معنى الكلام، "وهذه الآية تدل على أنّ المُكْرَهَ على كلمة الكفر إذا تَلَفَّظ بها مُكْرَهًا لا يحكم بكفره إذا كان قلبه مطمئنًا بالإيمان[1]، ولذلك أبطل الشافعي طلاق المكره وعتاقه وعقوده، ولم يجعل لهَا حكمًا[2]، ودلّت الآية على أن حقيقة الكفر إنما تكون بالقلب دون اللسان[3].

١٠٧- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ﴾، أي: ذلك الشرح وذلك الكفر[4]، بأنهم أحبُّوا الدنيا واختاروها على الآخرة، قال الكلبي: والمراد بقوله: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ عبد الله بن سعد بن أبي سرح ومن ارتد عن الدين وطابت نفسه بالكفر[5]، وذلك باستحبابهم الدنيا وبأن

---

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥أ، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٨٢.

(٢) وهذا القول هو قول جمهور العلماء خلافاً للحنفية، وقد ذكره الثعلبي في «تفسيره» ٢/ ١٦٥أ، ونسبه أيضاً إلى بعض الصحابة ومالك والأوزاعي، انظر: بسط المسألة في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٢، و«المحلى» ٨/ ٣٣١، و«تفسير ابن العربي» ٣/ ١١٨٠، و«المجموع» ١٧/ ٦٥، و«المغني» ١٠/ ٣٥٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٨٤، و«رفع الحرج في الشريعة الإسلامية» ص٢٤٦، و«الإكراه وأثره في التصرفات الشرعية» ص١٩٦، و«عوارض الأهلية عند الأصوليين» ص٤٩٦.

(٣) ذكره الثعلبي ٢/ ١٦٤ب، بنحوه.

(٤) مطموسة في: (ش).

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٣، وورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٨أ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٢، وهود الهواري ٢/ ٣٩٠، وفي إدراج عبد الله بن أبي السرح مع الذين انشرحت صدورهم للكفر نظر؛ لأنه قد رجع إلى الإسلام وحسن =

الله لا يهديهم ولا يريد هدايتهم، ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم.

١٠٨- فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ﴾ الآية. والكلام في هذا مضى[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ قال ابن عباس: عما يراد بهم[(٢)]، ثم حكم لهم بالخسار وأكَّدَ ذلك،

١٠٩- فقال: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: يريد حقًّا إنهم في الآخرة هم المغبونون[(٣)]، قال أبو إسحاق: (أنَّ) يصلح أن تكون في موضع رفع، على أنّ (لا) رَدٌّ لكلام، والمعنى: وجب أنَّهُم، قال: ويجوز أن تكون في موضع نَصْبٍ على أن المعنى: جَرَمَ فِعْلُهُمْ هذا، ﴿أَنَّهُمْ فِي ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي كَسَب[(٤)].

١١٠- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ قال المفسرون: نزلت في المستضعفين من المؤمنين الذين كانوا بمكة؛ عَمَّار وصُهيب وبلال، ودونهم الذين عُذِّبُوا في الله وارتدوا على الكفر

= إسلامه، كما أن الآية التالية قد حكمت عليهم بالطبع على قلوبهم، ولا يليق هذا الوصف بمن أسلم ومنّ الله عليه بالهداية، ويؤيده أن الرواية وردت عن طريق الكلبي، وحسبك بهذا؛ فروايات الكلبي محكوم عليها بالضعف بل بالوضع.

(١) النساء [آية: ١٥٥].

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٢٤، وأبي حيان ٥/ ٥٤٠، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٣٩، والخازن ٣/ ١٣٧، بلا نسبة.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٣، و«تفسير البغوي» ٥/ ٤٧، بلانسبة.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٠، بنصه تقريباً.

وأعطوهم بعضَ ما أرادوا لِيَسْلَمُوا من شَرِّهم، ثم (هاجروا إلى النبيِّ ﷺ)[١].

[قال ابن عباس: يريد الذين كانوا يُعَذَّبون بمكة، ﴿هَاجَرُوا)[٢] مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ قال: من بعد ما عُذِّبُوا، ﴿ثُمَّ جَـٰهَدُوا﴾: مع النبيّ ﷺ][٣]، ﴿وَصَبَرُوٓا﴾: على الدين والجهاد[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ إعادةٌ وتكريرٌ لما ذكر في الآية؛ وذلك لتطاول الكلام، وأجيب كلاهما بجواب واحد، وهذا من القبيل الذي ذكرنا في قوله: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾: تلك الفتنة وتلك الفعلة التي فعلوها وهي تلفظهم بكلمة الكفر، ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وذلك أن الرخصة لم تكن نازلة في ذلك الوقت حين تلفظوا بالكفر تقية، وإنما نزلت بعد ذلك فأخبر

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٨٤، بنحوه عن ابن اسحاق، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٨) مختصراً، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٢، بنحوه عن ابن عباس، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ، مفصلاً، والطوسي ٦/ ٤٣١، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٧، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٧، عن ابن عباس، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٥، عن الحسن، والخازن ٣/ ١٣٧، وابن كثير ٢/ ٦٤٩، ولا يثبت هذا سبباً للنزول؛ لأن إسناده منقطع، أخرجه الطبري بسنده إلى ابن إسحاق، وهو ضعيف كما في «تقريب التهذيب» ص٤٦٧ (٥٧٢٥).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ش)، (ع).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٩٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٠، وعزاه إلى البيهقي في سننه -لم أجده- وابن مردويه، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٨أ، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٢، والبغوي ٥/ ٤٧، والخازن ٣/ ١٣٧.

الله تعالى بعد ذلك أنه قد غفر لهم ذلك، هذا قول عامة أهل التأويل(١).

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ يريد من بعد ما خرجوا إلى النبيّ ﷺ وصاروا عنده بالمدينة، غفر الله لهم مقامهم بمكة وتثبطهم بها، عفا الله ذلك عنهم(٢)، فعلى هذا الكناية في ﴿بَعْدِهَا﴾ تعود إلى الهجرة، ودلّ عليها: ﴿هَاجَرُواْ﴾، والمغفرة لمقامهم بمكة وتخلفهم عن النبيّ ﷺ بعد خروجه، وقرأ ابن عامر فَتنوا، بفتح الفاء(٣)، ومعنى هذا ﴿للذينَ هاجَروا مِن بعدِ ما فَتَنُوا﴾ أنفسهم بإظهار ما أظهروا للتقية، وجعل ذلك فتنة؛ لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد(٤).

وذهب قوم من المفسرين إلى أن الآية نزلت في قوم من الذين كانوا يُعذِّبون المستضعفين بمكة، آمنوا وهاجروا إلى النبيّ ﷺ(٥) فقال الله

---

(١) ورد مختصراً في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٨أ، والطبري ١٤/ ١٨٣، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٣، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٧، وابن عطية ٨/ ٥٢٥، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٨، والخازن ٣/ ١٣٧.

(٢) ورد مختصراً غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٣، والزمخشري ٢/ ٣٤٥، وابن عطية ٨/ ٥٢٥، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٩، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٦.

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٧٦، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٩، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٩، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٦، و«التبصرة» ص٤٦٦، و«التيسير» ص١٣٨، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٤٥.

(٤) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٧٩، بنصه تقريباً، لكنه قال: لأن الرخصة فيه لم تكن نزلت بعد، وقد تصحفت في المصدر (الرخصة) إلى (الرحمة). وورد بنحوه في «الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٤١، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٣١، وانظر: «المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٤٥، و«تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٢٥.

(٥) ورد بنحوه في «إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦١، و«الكشف عن وجوه

تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية.

١١١- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الآية. قال أبو إسحاق: ﴿يَوْمَ﴾ منصوب على أحد شيئين؛ على معنى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾، ويجوز ذَكِّرْهم يوم، أو اذْكُر يوم؛ لأن معنى القرآن العِظة والإنْذَارُ والتَّذْكير[1].

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ أراد كلَّ إنسان وكلَّ واحد، ولقوله: ﴿تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ولم يقل يُجَادَل عنها، قال المفسرون: وهذا يوم القيامة كل أحد لا يهمه إلا نفسه، فهو مخاصم ومحتج عن نفسه لا يتفرغ إلى غيره؛ وذلك أن لجهنم زفرة يقع كل أحد جاثيًا على ركبتيه، حتى إن إبراهيم ليدلي بالخُلَّة، فيقول: يا رب، أنا خليلك إبراهيم، لا أسألك إلا نفسي[2].

وقوله تعالى: ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ قال ابن عباس: يريد

= القراءات» ٢/ ٤١، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥أ، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٢٥، ويفتقر هذا القول إلى دليل صحيح مسند.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢١، بتصرف يسير.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٦٣)، بنحوه عن قتادة، والواحدي في تفسيره «الوسيط»، تحقيق سيسي ٢/ ٤٥٠، بنحوه عن كعب، وورد بنحوه في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢١، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٨، عن كعب، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٣، والثعلبي ٢/ ١٦٥أ، عن كعب، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٨، عن كعب، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٩، عن كعب، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٣، والخازن ٣/ ١٣٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥١ وعزاه إلى ابن المبارك وابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن كعب. والظاهر أن هذا الخبر من الإسرائيليات، خاصة أنه موقوف على كعب؛ وهو من مصادر الإسرائيليات.

ثوابها غير منتقص، والتقدير: ثواب ما عملت أو جزاء ما عملت، فحذف المضاف، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ قال: يريد لا ينقصون.

١١٢- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾الآية. معنى ضَرْبِ المثلِ بيانُ المُشبَّه والمُشبَّه به، وهاهنا ذَكَرَ المُشبَّه به ولم يذكر المُشَبَّه لوضوحه عند المخاطبين، والآية عند عامة المفسرين: نازلة في أهل مكة وما امتُحِنوا به من الخوف والجوع، بعد الأمن والنعمة، بتكذيبهم النبيّ ﷺ، وتقدير الآية: ضربَ اللهُ لقريتكم مَثَلًا، أي: بين الله لها شَبَهًا، ثم قال: ﴿قَرْيَةً﴾ فيجوز أن تكون القرية بدلًا من مثلًا؛ لأنها هي الممثل بها؛ فهي المثل، ويجوز أن يكون المعنى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا﴾: مَثَلَ قرية، فحذف المضاف وهذا قول الزجاج[١].

والمفسرون كلهم قالوا: (أراد بالقرية مكة، يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذُكِر[٢]؛ كما قالوا)[٣] في قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، أراد بالذي استوقد: المنافقين؛ أي أرادهم بهذا المثل، لا أنهم كانوا يستوقدون النار، ولكن أَشْبَه حالُهم حالَه، كذلك

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢١ بنصه.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٦٠) بلفظه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١٨٦ بلفظه عن ابن عباس [طريق العوفي] ومجاهد وقتادة وابن زيد، وورد بلفظه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٨أ، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٠٩، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٣، وهود الهواري ٢/ ٣٩٢، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٧، والطوسي ٦/ ٤٣٢، وانظر: «تفسير البغوي»٥/ ٤٨، وابن عطية ٨/ ٥٢٦، وابن الجوزي ٤/ ٤٩٩، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٧، والخازن ٣/ ١٣٨، و ابن كثير ٢/ ٦٤٩.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (ش)، (ع).

أشبهت حالُ مكة حالَ هذه القرية، والكلام في جميع صفات القرية جرى على القرية، والمُرادُ أهلُها؛ لأن الطمأنينة والأمن وإتيان الرزق حقيقتها لأهلها لا لها، يدل على هذا قوله في آخر الآية: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾، ولم يقل: بما صنعت.

وقوله تعالى: ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾، أي: ذات أمن؛ يأمن فيها أهلها لا يُغَارُ عليهم؛ كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وجاز وصفها بالأمن وإن كان لأهلها؛ لأنها مكانُ الأمن وظرفٌ له، والظروف من الأزمنة والأمكنة توصف بمحالها، كما يقال: يوم طيب وبارد وحار.

وقوله تعالى: ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾، أي: قارة ساكنة بأهلها، لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق، وهو قوله: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾؛ لأن الله جعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، فأرزاقهم تأتيهم في بلدهم، يُجْلَب إليها من كل بلد، كما قال تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [القصص: ٥٧].

وقوله تعالى: ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ﴾، الأنعم: جمع نِعْمة، مثل شِدَّة وأَشُدّ، هذا قول سيبويه(١)، وقال غيره: يجوز أن يكون جمع نُعْمَى؛ كما يقال: بؤسى وأبؤس(٢)، وأنشد:

---

(١) «الكتاب» ٣/ ٥٨٢، بلفظه.

(٢) قال الفراء في «المقصور والممدود» ص٤١: باب ما يفتح فيمد ويضم فيقصر، ومَثَّلَ لذلك بقوله: وكذلك..، والنُّعمى والنَّعماء، والبؤسى والبأساء، وهي بالألف الممدودة أشهر منها بالمقصورة، وفي القرآن: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ﴾ [هود: ١٠]، وكذلك نقل الطبري عن بعض أهل الكوفة -ولعله يقصد =

وعندي قروض الخير والشر كله فبُؤسِي لذي بُؤسَى ونُعْمَى بأنْعُمِي[(١)]

وكفرانهم بأنعم الله تكذيبهم النبيّ ﷺ ومخالفتهم أمر الله فيما يأمرهم به.

وقوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ قال المفسرون: عذَّبهم اللهُ بالجوع سبع سنين حتى أكلوا الجِيَفَ والعظام المحرقة والعلهز[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾، قالوا: يعني من النبيّ ﷺ ومن السرايا التي كان يبعثها إليهم فيطوفون بهم[(٣)].

= الفراء- أن أنعم جمع نعماء، مثل بأساء وأبؤس، لكنه استشهد بالبيت على أن أنعم جمع نُعْم كطُعْم، وهو قول أبي عبيدة وابن قتيبة؛ وردّ ابن قتيبة قول سيبويه، قائلاً: وليس قول من قال: إنه جمع نعمة بشيء؛ لأن فِعلة لا يجمع على أفعل. انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٣٦٩، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٠، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٨٦، وورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥ب، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٤.

(١) ورد غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٨٦.
برواية:

فَبُؤْسٌ لذي بُؤسٍ ونُعْمٍ بأنْعُمِ

وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٣٣، برواية:

فبؤس لدى بؤسي ونعمى بأنعم

(٢) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٨ب، بمعناه، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٤، بنحوه، والطبري ١٤/ ١٨٧، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٧، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٤٩، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١، والفخر الرازي ٢٠/ ١٢٨، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٥، والخازن ٣/ ١٣٩، و ابن كثير ٢/ ٦٤٩، قال الطبري: العلهز: الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه، قلت: والقراد: دويبة متطفلة.

(٣) ورد بنحوه في «الطبري» ١٤/ ١٨٧، والسمرقندي ٢/ ٢٥٣، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب. =

قال ابن قتيبة: وأصل الذَّوَاقِ بالفم، ثم قد[(١)] يُستعار فيوضع موضع الابتلاء والاختبار، تقول في الكلام: نَاظِرْ فُلانًا وذُقْ ما عنده، أي تعرَّف واختبر، واركب الفرسَ وذقه، وأنشد الشماخ في وصف قوس:

فذاقَ فأعْطَتْهُ من اللّين جَانبًا ... كفى[(٢)] ولَهَا أن يُغْرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ[(٣)]

يريد أنه راز[(٤)] القوس بالنزع ليعلم؛ أَلَيِّنَةٌ هي أم صُلبةٌ.

قال: ولباس الجوع والخوف: ما ظهر عليهم من سوء آثارهما بالضُّمْرِ والشُّحوب، ونَهْكَةِ[(٥)] البدن، وتغيّر الحال، وكُسُوف البال، فكما يقول: تَعَرَّفْتُ سوء أثرِ الخوف والجوع على فلان، وذقت بمعنى: تعرفتُ، واللِّبَاسُ بمعنى: سوء الأثر[(٦)]، كذلك تقول: ذقتُ لِبَاسَ الجوع والخوف،

= وانظر: البغوي ٥/ ٤٩، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١، و«القرطبي» ١٠/ ١٩٤، والخازن ٣/ ١٣٩، وابن كثير ٢/ ٦٤٩، وهذا التفسير مشهور بين المفسرين، وهو من قبيل التفسير بالمثال، والآية عامة في كل زمان ومكان.

(١) ساقطة من (د).

(٢) في النسخ: لفي، ورواية الديوان وجميع المصادر (كفى)، وظاهر أنها تصحفت إلى (لفي).

(٣) «ديوانه» ص١٩٠، وورد في «جمهرة أشعار العرب» ص٢٩٩، و«الحيوان» ٥/ ١٧٩، و«الشعر والشعراء» ص١٩٥، و«المعاني الكبير» ٢/ ١٠٤٢، و«الأساس» ١/ ٣٠٦، و«اللسان» (ذوق) ٣/ ١٨٩١، وفيه (النبل) بدل (السهم)، قال في اللسان: أي ولها حاجز يمنع من الإغراق؛ أي فيها لين وشدّة. وأغرقتُ النَّبل: إذا بلغت به غاية المدِّ في القوس. «المحيط في اللغة» (غرق) ٤/ ٥٢٨.

(٤) في (أ)، (د): (زار)، وفي المصدر: ذاق، والمثبت من (ش)، (ع)، وهو الصحيح الذي يؤدي المعنى، وهكذا في «المعاني الكبير». (راز) من الروز: التجربة، يقال: رُزْ ما عند فلان. «المحيط في اللغة» (روز) ٩/ ٨٤.

(٥) في (ش)، (ع): (وبهلكة)، من الهلاك، والمثبت أصح وموافق للمصدر.

(٦) في (أ)، (د): (الأثراء).

وأذاقني الله ذلك[١].

وقال أبو علي: ﴿لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ المعنى فيه: مقارنة[٢] الجوع لهم ومَسُّه إيّاهم؛ كمخالطة الذائق ما يذوقه، واللابس ما يَلْبَسُه، واتصاله بما وقع عليه الذوق، وكذلك لباس الجوع هو مَسُّه لهم كمَسّ الثوب للابسه، وأنشد لجرير:

وقد لَبِسَتْ بَعْدَ الزّبَيرِ مُجَاشعٌ ثيابَ التي حاضَتْ ولَمْ تَغْسلِ الدّمَا[٣]

يريد أن العار والسُّبَّة لحقتهم، واتصل بهم لغدرهم، فجعل ذلك لباسًا[٤]، فعلى ما ذكر ابن قتيبة معنى ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾ عَرَّفَها سوءَ أثرهما، وعلى ما ذكر أبو علي، جعل الجوع والخوف تَمَسَّانها وتُلابِسَانِها.

وروي عن أبي[٥] عمرو أنه قرأ: ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ نصبًا[٦] بأنْ على الإذاقة[٧]، والوجه قراءة العامة على معنى: فأذاقهم الله لباس الجوع ولباس

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» ص١٦٤-١٦٥، نقل طويل تصرَّف فيه واختصره.

(٢) في (أ)، (د): مفارقة، والمثبت من: (ش)، (ع)، وفي المصدر: مقاربة، وهو أيضاً تصحيف.

(٣) «ديوانه» ص٤٤٨، وورد في: «المعاني الكبير» ١/ ٥٩٣، و«تفسير ابن عطية» ٥٢٨/٨، وورد بلا نسبة في «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٤٣، و«الدر المصون» ٧/ ٢٩٥، وجرير هنا يهجو البَعِيث، ومجاشع: قبيلة الفرزدق والبعيث.

(٤) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٠، بتصرف يسير.

(٥) في جميع النسخ: ابن، والصحيح المثبت، وهو أبو عمرو أحد القراء السبعة.

(٦) انظر: «السبعة» ص٣٧٦، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٢، و«علل القراءات» ١/ ٣٠٩، و«الحجة للقراء» ٥/ ٨٠، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥ب، والطوسي ٦/ ٤٣٣، وابن عطية ٨/ ٥٢٩، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٤.

(٧) قال الثعلبي: ﴿وَٱلْخَوْفِ﴾ بالنصب بإيقاع أذاقها عليه، وذكر السمين أربعة أوجه =

الخوف، يدل عليه أن في حرف أُبي: لباسَ الخوف والجوع[١]، فقد جعل للخوف لباسًا كما جعل للجوع، وحَمْلُه على الخفض باللباس أولى من حمله على الإذاقة؛ لأن اللباس أقرب إليه، فحمله على الأقرب أولى، وليكونا محمولين على عامل واحد، كما كان في قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥] الحمل على عامل واحد[٢].

وقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ قال ابن عباس: يريد بفعلهم بالنبيّ ﷺ حيث كذبوه وأخرجوه من مكة وما هموا به من قتله[٣].

قال الفراء: ولم يقل بما صنعت، ومثله في القرآن كثير، منه قوله: ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤] ولم يقل: قائلة، فإذا قال: ﴿قَائِلُونَ﴾ ذهب إلى الرجال، وإذا قال: قائلة، فإنما يعني أيضًا أهلها، ومثله: ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ إلى قوله: ﴿فَذَاقَتْ﴾[٤] [الطلاق: ٨- ٩].

١١٣- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ يعني أهل مكة، ﴿رَسُولٌ مِّنْهُمْ﴾ يعني مِنْ نسبهم يعرفونه بأصله ونسبه، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾، قال ابن عباس: يعني الجوع الذي كان بمكة[٥]، وقال مجاهد: يعني القتل

= -غير هذا الوجه- في نصب ﴿وَالْخَوْفِ﴾. انظر: «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥ب، و«الدر المصون» ٧/ ٢٩٣.

(١) انظر: «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٤٤، وقال: وهذا عندي في مصحفه قبل أن يجمعوا على ما في سواد المصحف الموجود الآن، وعليه فهي قراءة شاذة.

(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٢، بنصه تقريباً.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» ٢٠/ ١٢٩ بنصه، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١، بنحوه بلا نسبة.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٤، بنصه تقريباً.

(٥) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠١، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٠، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٨٧، بنحوه عن قتادة، وورد بلا نسبة في «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٥، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٤٥، ورجحه.

ببدر[١]؛ وهو اختيار الزجاج[٢].

١١٤- قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية .

قال ابن عباس: ﴿فَكُلُوا﴾ : يا معشرالمؤمنين، ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾، يريد من الغنائم[٣].

وقال الكلبي: إن رؤساء أهل مكة كَلَّمُوا رسولَ الله ﷺ حين جُهِدوا، قالوا: عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان، وكانت المِيرَة[٤] قد قطعت عنهم بأمر رسول الله ﷺ فأَذِن في الحَمْل إليهم، فَحُمِل إليهم الطعام[٥]، فقال الله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ الآية. والقول ما قاله ابن عباس، يدل عليه قوله بعد هذه الآية:

١١٥- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ وهذا خطاب للمسلمين لا لكفار

---

(١) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٣٤، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠١، بنصه، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٨٧.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢١، بنحوه.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣٠، بنصه، والخازن ٣/ ١٣٩، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٤٥، وورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٨ب، بنحوه، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٨٨ بمعناه، و«تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٥، وهذا من قبيل التفسير بالمثال، والآية عامة في جواز الأكل من كل طيب.

(٤) المِيرَةُ: جلب الطعام للبيع وللعيال، وهم يَمِيرون غيرهم ويَمْتَارون لأنفسهم. «المحيط في اللغة» (مير) ١٠/ ٢٨٥.

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣٠، بنصه، والخازن ٣/ ١٣٩، بنحوه، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٤٥، بنصه، وعزياه للواحدي، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٥، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب، والبغوي ٥/ ٤٩، وابن الجوزي ٤/ ٥٠١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٥.

مكة، وهاتان الآيتان سبق تفسيرهما في سورة البقرة[١].

١١٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ الآية. قال مجاهد: يعني البحيرة والسائبة[٢].

وقال ابن عباس: يعني قولهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾[٣] [الأنعام: ١٣٩] واختلفوا في وجه انتصاب الكذب؛ فقال الأخفش: جعل (ما تصف) اسمًا للفعل؛ كأنه قال: ولا تقولوا لوصف ألسنتِكم الكذب[٤]، ونحو هذا قال الكسائي[٥] والزجاج[٦]، سِوى أنْ قال صاحب النظم: واللام في (لِمَا) لامُ سبب وأجل، كما يقال: فعلت هذا لك، أي لأجلك وبسببك[٧]، والمعنى: ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب هذا حلال وهذا حرام؛ أي إنكم تُحِلُّون وتُحَرِّمون لأجل الكذب لا لغير، فليس لتحريمكم وتحليلكم معنى وسبب إلا الكذب فقط، فلا تفعلوا ذلك، هذا معنى قوله: إن دخول اللام في

---

(١) آية [١٧٢-١٧٣].

(٢) «تفسير مجاهد» ص٣٥٤، بنصه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٨٩ بنصه من طريقين، وورد في: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٠، بنحوه، وانظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٤٠، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، وورد بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٥ب، والبغوي ٥/ ٤٩- ٥/ ٥٠.

(٣) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٤٠.

(٤) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦٠٨، بنصه.

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣١، وأبي حيان ٥/ ٥٤٥، و«الدر المصون» ٧/ ٢٩٧، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٤٧.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٢، بنصه.

(٧) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٢، بنحوه عن ابن الأنباري.

(لِمَا) سبب لقوله: ﴿هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾، وذكر وجهين آخرين في انتصاب الكذب؛ أحدهما: أن نصبه على نفي الخافض[١]؛ على تأويل لِمَا تصف ألسنتكم كذبًا؛ على جهة التفسير[٢] أو الحال، ثم ألحق به الألف واللام؛ كما قال الشاعر[٣]:

وما قومي بِثَعْلَبَةَ بنِ بَكْرٍ ولا بفَزارة الشُّعْرِ الرِّقابَا[٤]

انتصب الرقاب على معنى التفسير هذا كلامه[٥]، والقول قول الأخفش والكسائي، والإشارة بقوله ﴿هَٰذَا﴾ و﴿وَهَٰذَا﴾ إلى ما كانوا يحلونه ويحرمونه.

وقوله تعالى: ﴿لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾، وذلك أنهم كانوا ينسبون ذلك

---

(١) أي لما تصف ألسنتكم من الكذب. «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٦.

(٢) أي التمييز. انظر: «المعجم المفصل في النحو العربي» ١/ ٣٦٥.

(٣) هو الحارث بن ظالم (جاهلي).

(٤) ورد في «الكتاب» ١/ ٢٠١، و«البيان والتبيين» ٤/ ١٠٠٨، و«المقتضب» ٤/ ١٦١، و«الأغاني» ١١/ ١٢٣، و«الإنصاف» ١٠٩، ١١٠، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٣٩٨، و«شرح المفصل» ٦/ ٨٩، وفي بعض المصادر برواية: (الشُّعْرى رِقابا)، وفي جميع المصادر -ما عدا الإنصاف- (سعد) بدل (بكر)، قال في الانتصاف من الإنصاف: والمحفوظ (بثعلبة بن سعد)، وكذلك هو في نسب ثعلبة؛ فإنه ثعلبة بن سعد بن ذبيان، وفزارة هو ابن ذبيان أخو سعد بن ذبيان أبي ثعلبة، والشاعر في هذا البيت ينتفي من بني سعد بن ذبيان. (الشُّعْر): جمع أشعر، والشعرى مؤنث الأشعر، والأشعر: الكثير شعر القفا ومقدم الرأس، فهذا عندهم مما يتشاءم به، ويحمدون النّزع، وهو انحسار الشعر عن مقدم الرأس. والشاهد: أنه نصب الرقابا بقوله: (الشُّعْر) جمع أشعر؛ وهو هنا صفة مشبهة.

(٥) ذكر الواحدي أن صاحب النظم ذكر وجهين آخرين للنصب ولم يذكر إلا وجهاً واحداً، وذكر السمين أربعة أوجه للنصب. انظر: «الدر المصون» ٧/ ٢٩٧.

التحريم إلى الله تعالى، ويقولون إنه أمَرَنا بذلك، وقوله: ﴿لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ﴾ بدل من قوله: ﴿لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ﴾؛ لأن وصفهم الكذب هو افتراء على الله، ففسر ذلك الوصف والكذب بالافتراء على الله، ثم أوعد المفترين، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾.

١١٧- ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب، فقال: ﴿مَتَٰعٞ قَلِيلٞ﴾، قال الزجاج: المعنى: متاعهم متاع قليل؛ أي يَتمتَّعون[(١)]، وقال ابن عباس: يريد متاع الدنيا قليل[(٢)]، وقيل: لهم متاع قليل ثم يردون إلى عذاب أليم[(٣)]، وهو قوله: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[(٤)].

١١٨- قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا مَا قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُۖ﴾ قال السدي وقتادة: يعني ما ذُكر في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ﴾[(٥)] [الآية: ١٤٦].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٢، بتصرف يسير.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣٢، ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الطبري» ٧/ ٦٥٨، وهود الهواري ٢/ ٣٩٣، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب، والبغوي ٥/ ٥٠.

(٣) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٨٩، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٦٥ب، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٠، و«القرطبي» ١٠/ ١٩٦.

(٤) نقل الفخر الرازي هذا المقطع بنصه تقريباً مع العزو للواحدي. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣٢.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٦٠، بنحوه عن قتادة، والطبري ١٤/ ١٨٩، بنحوه عن قتادة، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٠، بنحوه عن قتادة، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٣٦، بنصه عن قتادة، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٥٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٩٣، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ، والبغوي ٥/ ٥٠، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٧، والخازن ٣/ ١٤٠، وابن كثير ٢/ ٦٥١.

وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾، أي: بتحريم ما حرمنا عليهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، ثم عطف على هذا بالمغفرة لمن تاب منهم ومن غيرهم بعد المعصية، فقال:

١١٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾، قال ابن عباس في (هذه الآية: يريد بـ﴿ٱلسُّوٓءَ﴾: الشرك[١]، ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: السوء، ﴿وَأَصْلَحُوٓاْ﴾، قال ابن عباس)[٢]: يريد آمنوا وصدقوا وقاموا لله بفرائضه وانتهوا عن معاصيه[٣].

وقال أهل المعاني: شَرَطَ مع التوبة الإصلاح؛ للاستدعاء إلى الصلاح وترك الاغترار بما سلف من التوبة[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ أي من بعد تلك الجهالة[٥] ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

١٢٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ قال ابن مسعود وابن عباس في رواية الكلبي: مُعَلِّمًا للخير، وهو قول أكثر أهل التفسير[٦].

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٧، وأبي حيان ٥/ ٥٤٦، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٤٩، والتعميم أولى من هذا التخصيص.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (د).

(٣) انظر: «تفسير أبي حيان» ٥/ ٥٤٦، بنحوه بلا نسبة.

(٤) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٣٧، بنصه تقريباً.

(٥) ورد بلفظه في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٩٣، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٠، وبمعناه قال السمرقندي ٢/ ٢٥٤، قال: من بعد السيئة، وفي هذا التفسير نظر؛ لأن المغفرة لا تحصل بعد تلك الجهالة أو السيئة، بل بعد التوبة من الجهالة والسيئة، لذلك قال الطبري وغيره ١٤/ ١٩٠: أي من بعد توبتهم.

(٦) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩١، بنحوه من طرق عن ابن مسعود، وورد بنحوه عن ابن =

قال ابن الأعرابي: يقال للرجل العالم: أُمَّة، والأُمَّةُ: الرجل الجامع للخير[١].

وقال ابن عباس في رواية[٢] الضحاك في قوله: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾ قال: كان على الإسلام ولم يكن في زمانه أحدٌ على الإسلام غيرُه[٣]، فلذلك قال الله تعالى: ﴿كَانَ أُمَّةً﴾.

وقال مجاهد: كان مؤمنًا وحده والناس كفار كلهم، وهو قول إبراهيم[٤]، وقال ابن قتيبة: أي إماما يَقْتَدِي به الناس؛ لأنه ومن اتبعه أُمَّة، فَسُمِّي أُمَّة؛ لأنه سبب الاجتماع[٥]، هذا وجه قول من قال: أُمَّةً: معلمًا للخير.

= مسعود في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٠، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٤، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٨، والطوسي ٦/ ٤٣٧، كذلك ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٩أ، بنحوه، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ بلفظه، وانظر: بنحوه عن ابن مسعود في «تفسير البغوي» ٥/ ٥٠، والزمخشري ٢/ ٣٤٨، وابن عطية ٨/ ٥٤٠، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٣، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٨، والخازن ٣/ ١٤١، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧، عنهما، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٤٩، بنحوه عن ابن عباس.

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (أم) ١/ ٢٠٣، بنصه.

(٢) ساقطة من: (أ)، (د).

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٣، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٣، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٤، بنحوه بلا نسبة.

(٤) لم أجده في تفسير مجاهد، وورد عنه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١١، بنصه، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦أ بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٠، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٤، والخازن ٣/ ١٤١، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧، و ابن كثير ٢/ ٦٥٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٣، وعزاه إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، ولم أقف عليه منسوباً إلى إبراهيم.

(٥) «تأويل مشكل القرآن» ص٤٤٥، بنصه.

ومن قال: أُمَّةً أي: مؤمنًا وحده؛ فلأنه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مِثْلُه في أُمَّة، ومن هذا يقال: فلان أُمَّةٌ وحْدَه، أي هو يقوم مقام أمة[1]، والكلام في وجوه الأمة ومعانيها قد تقدم[2].

وقوله تعالى: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ قال ابن عباس والجميع: مطيعًا لله[3].

وقوله تعالى: ﴿حَنِيفًا﴾ قال ابن عباس: يريد أنه أول من اختتن وأقام مناسك الحج وضَحَّى، هذه صفة الحنيفية[4]، والقنوت والحنيفية مما تقدم القول فيه[5].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد أخلص لله التوحيد صبيًّا وكبيرًا[6]، وذكرنا وجه حذف النون مِنْ يكن عند قوله: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ﴾[7] في سورة هود [١٠٩].

١٢٢- قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ قال علي بن أبي طلحة

---

(١) المصدر السابق بنصه.

(٢) سورة البقرة [١٢٨].

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣٥، و«تنوير المقباس» ص٢٩٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٣، وعزاه إلى ابن المنذر، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٦٠، بنحوه عن قتادة، وورد بلفظه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٩أ، و«تأويل مشكل القرآن» ص٤٥٢، و«تفسير الطبري» ١٤/ ١٩٢، عن مجاهد، وهود الهواري ٢/ ٣٩٤، و«الماوردي» ٣/ ٢١٩، عن ابن مسعود، والطوسي ٦/ ٤٣٧، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٠، والخازن ٣/ ١٤١.

(٤) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣٥، بنصه، والخازن ٣/ ١٤١، بلا نسبة.

(٥) سورة البقرة آية: [١٣٥، ٢٣٨].

(٦) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٤١، بنحوه بلانسبة.

(٧) منها أنها حذفت لكثرة استعمال هذا الحرف، وهو قول سيبويه وجُلّ البصريين.

عن ابن عباس: يقول: الذكر الحسن[١]، وقال في رواية عطاء: يريد الصدق والوفاء والعبادة[٢].

وقال الحسن: النبوة[٣]. وقال مجاهد: لسان صدق في الآخرين[٤].

وقال الكلبي: الثناء الحسن من بعده[٥].

وقال مقاتل: يعني الصلوات عليه مقرونًا بالصلاة على محمد ﷺ؛ وهو قول المتشهد: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم[٦]، وهذه الأقوال متقاربة وجملتها تعود إلى تنويه الله بِذِكْره في الدنيا بطاعته لربه، ومسارعته إلى مرضاته، وإخلاصه في عبادته، حتى صار

---

(١) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٤، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٣٦، بنصه بلا نسبة.

(٣) ورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٩، بلفظه، والطوسي ٦/ ٤٣٨، بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٤، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧، و«القرطبي» ١٠/ ١٩٨، بلا نسبة.

(٤) «تفسير مجاهد» ص٣٥٤، بنحوه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٣، بنحوه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١١، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٩، بنحوه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٤، وأبي حيان ٥/ ٥٤٧، وابن كثير ٢/ ٦٥١، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٣ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٥، وهود الهواري ٢/ ٣٩٤، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ، والبغوي ٥/ ٥١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٨، والخازن ٣/ ١٤١، و«تنوير المقباس» ص٢٩٥.

(٦) الخبر عن مقاتل بن حيان كما صرَّح البغوي وابن الجوزي؛ لذلك لم أجده في تفسير مقاتل بن سليمان، وقد ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦أ، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥١، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٤، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٦، بلا نسبة، والخازن ٣/ ١٤١ بلا نسبة.

إمامًا يُقْتَدَى به، قال قتادة: فليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضون به(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهو أيضًا كان في الدنيا من الصالحين، فلذلك قال: إن [من](٢) بمعنى (مع)، وقال أهل المعاني: إنما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ولم يقل: في أعلى منازل الصالحين بحسب ما تقتضيه حاله من الفضل؛ لمدح من هو منهم، والترغيب في الصلاح ليكون صاحبُه في جَنْبِه إبراهيم، وناهيك بهذا الترغيب في الصلاح، وبهذا المدح لإبراهيم أن يُشَرِّفَ جُمْلة هو فيها، حتى يصير الاستدعاء إليه بأنه فيها(٣).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية. هذا يدل على أن دين محمد ﷺ دين إبراهيم، وشريعته كشريعته؛ حيث أُمر باتباعه وأُمرنا باتباعه، وهو الأفضل بسبقه إلى القول بالحق والعمل به من غير تقصير، وفيه قال عبدالله بن عمرو: أُمر باتباعه في مناسك الحج كما علَّم جبريلُ إبراهيمَ عليهما السلام(٤).

---

(١) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٣، بنحوه، ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦ أ، بنصه تقريباً، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢١٩، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٣٨، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥١، والزمخشري ٢/ ٣٤٨، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٤، والخازن ٣/ ١٤١، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٣، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) إضافة يقتضيها السياق ليستقيم المعنى، ولعلها سقطت.

(٣) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٣٨، بنصه تقريباً.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» ٣/ ٣١٧، مفصلاً عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ، مفصلاً عنه عن النبي ﷺ، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ١٩٨، بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٥٤، مفصلاً وزاد نسبته إلى عبد الرزاق في المصنف وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب موقوفًا.

١٢٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ الآية. قال مجاهد: اختلفوا فيه واتبعوه وتركوا الجمعة(١).

وقال السدي: إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا، وقالوا: يا موسى، إن الله لم يخلق يومًا أثقل علينا ولا أبغض إلينا من يوم الجمعة، فاجعل لنا يوم السبت، فلما جعل لهم السبت استحلوا منه ما حرم عليهم(٢).

وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: أمرهم موسى بالجمعة فقال: تفرغوا لله في كل سبعة أيام يومًا واحدًا فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئًا من صنعتكم، فأبوا أن يقبلوا ذلك وقالوا: لا نبغي إلا اليوم الذي فُرغ فيه من الخلق؛ يوم السبت، فجُعل عليهم السبت وشُدِّدَ عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى بالجمعة، فقال النصارى: لا نريد أن يكون عِيدُهم بعد عيدنا فاتخذوا الأحد، هذا الذي ذكرنا هو قول أكثر المفسرين في هذه الآية(٣)، وهو معنى ما روى أبو هريرة أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن الله كتب الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع**

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٥٥، بنصه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٣ بنصه من طريقين، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٥ بنصه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٥٢.

(٢) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٥٤، بنحوه وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) ورد بنحوه منسوباً إلى الكلبي في: «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٩٥ وليس فيه الخبر عن عيسى ﷺ، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٢، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٥، والفخر الرازي ٢٠/ ١٣٧، والخازن ٣/ ١٤١، وورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٩أ، بنحوه، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٤، بنحوه، والسمرقندي ٢/ ٢٥٥، بنحوه.

اليهود غدًا والنصارى بعد غد»[(١)(٢)].

وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِۚ﴾، أي: اختلفوا فيه على نبيهم موسى؛ حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت، فاختلافهم في السبت كان اختلافًا على نبيهم في ذلك اليوم[(٣)]، أي لأجله لأنهم اختاروه ولم يختلفوا في اختياره، وهذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم: معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة؛ لأن الله فرغ فيه من خلق الأشياء، وقال آخرون: لا بل الأحد؛ لأن الله ابتدأ خلق الأشياء فيه[(٤)]، وهذا غلط؛ لأن اليهود لم يكونوا فريقين في يوم السبت، وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل.

وقال بعض المفسرين أيضًا: أكثر اليهود قالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق الأشياء، وكان شرذمة منهم يرغبون في الجمعة، فهذا

---

(١) في جميع النسخ: (غداً)، وهو خطأ نحوي ظاهر.

(٢) ورد في جميع المصادر بزيادة، وطرفه: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة» أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٩، ٢٧٤، ٢٤١)، البخاري (٨٧٦) كتاب: الجمعة، باب: فرض الجمعة، ومسلم (٨٥٥) كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة، والدارقطني (٢/ ٣)، والثعلبي ٢/ ١٦٦ب، والبيهقي: الطهارة/ الغسل على من أراد الجمعة (١/ ٢٩٧، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٤٧٥، والبغوي ٥/ ٥٢، والبغوي في شرح السنة: الجمعة/ فرض الجمعة ٤/ ٢٠٠، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٥، وهود الهواري ٢/ ٣٩٥، والخازن ٣/ ١٤١، وابن كثير ٢/ ٦٥٢.

(٣) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٩أ، وهود الهواري ٢/ ٣٩٥.

(٤) ورد في «تفسير الطبري» ١٤/ ١٩٣، بنصه، والثعلبي ٢/ ١٦٦أ، بنصه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢٠، بنصه، والطوسي ٦/ ٤٣٨، بنصه.

اختلافهم[١]، وهذا القول أيضًا في الفساد كالأول، ولم يرو[٢] أحدٌ أن اليهود اختلفوا في اختيار السبت حتى مال بعضهم إلى الجمعة، ولكن لمّا أشكل على هؤلاء وجه اختلافهم في السبت تخبطوا واضطربوا حتى أتوا بما لا وجه له.

وفي الآية قولٌ ثانٍ؛ وهو ما رواه عطاء عن ابن عباس قال: ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾، يريد تهاونوا وصادوا فيه وتعدوا[٣].

وقال قتادة: استحله بعضهم وحرمه بعضهم[٤].

وهذا قول سعيد بن جبير، وعلى هذا معنى اختلافهم في السبت: اختلافهم في استحلاله بالصيد فيه، وتحريمُه: ما ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الأعراف [١٦٣] زمن داود، والوجه هو القول الأول؛ لأن السبت جعل عليهم من أول ما اختاروه لا من زمن داود ﷺ، ومعنى فجعل عليهم: أي جعل ذلك اليوم عقوبة وتشديدًا عليهم، ولم يجعل لهم ذلك اليوم كما ذكر الكلبي: أنهم لما تركوا الجمعة وأرادوا السبت بَدَلَها، جعل عليهم السبت وشدّد عليهم فيه، والآية تدل على نسخ ما سبق من الشريعة

---

(١) انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٤٨، وابن عطية ٨/ ٥٤٤، وأبي حيان ٥/ ٥٤٨، و«تفسير الألوسي» ١٤/ ٢٥٣.

(٢) في (ش)، (ع): (يروا) من الرؤية، والمثبت أصح من الرواية؛ كما هو السياق.

(٣) ورد غير منسوب في «تفسير الطوسي»٦/ ٤٣٨، بمعناه.

(٤) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٤ بنصه، عن سعيد عن قتادة، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٢، بنصه، عن سعيد عن قتادة، و«تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦ب، بنصه عن قتادة، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٢، عن قتادة، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٥، عن قتادة، والخازن ٣/ ١٤٢، عن قتادة، وورد غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٣٩٥، بنصه.

في السبت بشريعة محمد ﷺ، حيث أخبر أن السبت جعل عليهم ولم يجعل علينا.

وذكر بعض أهل المعاني أن وجه اتصال معنى هذه الآية بمعنى الآية السابقة هو: أنه لمّا أُمر النبيّ ﷺ باتباع الحق، حذر من الاختلاف عليه فيه بما ذكر من حال الذين اختلفوا على نبيهم في السبت بما ليس لهم أن يختلفوا فيه، فشدد عليهم أمره وضيق[1].

وذكر أبو إسحاق القولين في هذه الآية فقال: جاء في التفسير أنهم أُمروا بأن يتخذوا الجمعة عيدًا، فخالفوا وقالوا: نريد يوم السبت، واختار القول الأول فقال: هو أدل على ما جاء في الاختلاف في السبت[2].

١٢٥- قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ قال ابن عباس: دين ربك[3].

﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾ قال أهل التفسير: بالنبوة[4]، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يعني مواعظ القرآن، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي افتلهم عما هم عليه، غير فظ ولا غليظ القلب في ذلك، أي ألن لهم جانبك[5]، ومعنى: ﴿بِٱلَّتِي هِىَ

---

(١) ورد في «تفسير الطوسي»٦/ ٤٣٨، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٠٠.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٣، بنصه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٥، وورد بلفظه غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٩أ، والسمرقندي ٢/ ٢٥٥، والثعلبي ٢/ ١٦٦ب، والخازن ٣/ ١٤٢.

(٤) ورد بلفظه في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٣، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٥، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢٠، والطوسي ٦/ ٤٤٠، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٦، والخازن ٣/ ١٤٣، وأبي حيان ٥/ ٥٤٩.

(٥) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٣، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٦.

﴿أَحْسَنُ﴾ بالكلمة التي هي أحسن.

قال مجاهد: أي أعرض عن أذاهم إياك كله[(١)]، قال: لا تقابلهم بسوء، وهذا قبل الأمر بالقتال.

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بلا إله إلا الله[(٢)]، كأنه قال: جادلهم بهذه الكلمة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ إلى آخرها، معناه: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما فيه الصلاح.

١٢٦- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟﴾ الآية. هذه الآية فيها ثلاثة أقوال للمفسرين:

أحدها: وهو الذي عليه العامة؛ أنها نزلت لمّا قال النبيّ ﷺ حين نظر إلى حمزة وقد مُثِّلَ به: «**والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك**»، فنزل جبريل والنبيّ ﷺ واقف بعد، بخواتيم سورة النحل، فصبر رسول الله ﷺ وكفّر عن يمينه وأمسك عما أراد، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء وأبي بن كعب والشعبي[(٣)]، وعلى هذا قالوا: سورة النحل كلها مكية إلا هذه الآيات

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٥٥، بنصه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٤ بنصه من طريقين، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٦، بنصه، و«تنوير المقباس» ص٢٩٥، بنصه.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٦٦) بمعناه عن الشعبي، وأحمد ٥/ ١٣٥، بنحوه من طريقين عن أُبي، والترمذي كتاب: التفسير/ النحل، بمعناه عن أبي وحسنه، والنسائي في «التفسير» ١/ ٦٤١، بمعناه عن أُبي، والطبري ١٤/ ١٩٥، بنحوه عن عطاء بن يسار، إلا أن فيها: **لنُمثلنَّ بثلاثين رجلاً منهم**، والطبراني في «الكبير» ١١/ ٦٢، بنحوه عن ابن عباس، وفيه: **لأمثلن بثلاثين**، والحاكم: التفسير، النحل (٢/ ٣٥٩) بمعناه عن أُبي وقال صحيح الاسناد، والبيهقي في «الدلائل» ٣/ ٢٨٨-٢٨٩، بنحوه عن ابن عباس، وبمعناه عن أُبي، والواحدي =

الثلاث، فإنها نزلت بالمدينة(١).

القول الثاني: أن هذا كان قبل الأمر بالسيف والجهاد حين كان المسلمون قد أمروا بقتال من يقاتلهم ولا يبدؤوا بالقتال، وهو قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وفي هذه الآية أُمروا أن يعاقبوا بمثل ما أصابهم من العقوبة ولا يزيدوا، فلما نزلت سورة براءة نُسخت هذه الآية، كما نُسخ قولُه: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية. وهذا قول ابن عباس والضحاك(٢).

= في «أسباب النزول» ص٢٩١، بنحوه عن أبي هريرة وابن عباس، وورد بنحوه في «سيرة ابن هشام» ٣/ ٤٧، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٣ وقال: فأمَّا حديث أبي هريرة وابن عباس فإسنادهما ضعيف، وورد في: «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٤، بنحوه عن الشعبي وعطاء، والسمرقندي ٢/ ٢٥٦، بنحوه عن ابن عباس، والطوسي ٦/ ٤٤٠، عن الشعبي وعطاء، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٥٠٧، عن ابن عباس وأُبي، و ابن كثير ٢/ ٦٥٢- ٦٥٣، عن عطاء بن يسار، وقال: وهذا مرسل، وفيه رجل مبهم لم يسم، كما ذكر أنه روي متصلاً وعزاه إلى البزار عن أبي هريرة، وقال: وهذا إسناد فيه ضعف؛ لأن صالحاً هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة، وقال البخاري هو منكر الحديث، وأورده كذلك بنحوه عن الشعبي وأُبي، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٥٥، بمعناه وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي بن كعب، وأورده بنحوه، ٤/ ٢٥٥، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس، والحديث يرتقي بكثرة طرقه إلى الحسن لغيره، وقد حسّنه الترمذي كما صححه الحاكم، وقال الألباني: حسن صحيح الإسناد. «صحيح سنن الترمذي» (٣١٢٩).

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٦ب، بنصه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٤/ ٤٢٥، والفخر الرازي ١٩ / ٢١٧.

(٢) أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٦، بمعناه عن ابن عباس من طريق العوفي ضعيفة، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٢، عن الضحاك، و«تفسير الثعلبي» =

القول الثالث: أن هذه الآية نزلت في نهي المظلوم أن ينال من ظالمه أكثر مما نال منه، وهذا قول مجاهد وإبراهيم وابن سيرين وسفيان(١)؛ قال مجاهد في هذه الآية: لا تعتدوا(٢).

وقال ابن سيرين: يقول: إنْ أَخذَ رجلٌ منك شيئًا فخذ منه مثله(٣)، ونحوه لفظ إبراهيم.

وقال سفيان: لا تأخذ دينارًا مكان درهم(٤)، وعلى هذا القول: الآية محكمة(٥).

غير أن علي بن أبي طلحة روى عن ابن عباس أنه قال: نزلت هذه

= ٢/ ١٦٧أ، عنهما، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٤١، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٣، عنهما، وابن الجوزي ٤/ ٥٠٨، عنهما، والخازن ٣/ ١٤٣، عنهما، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٦، وزاد نسبته إلى ابن مردويه عن ابن عباس، وقد مضى الرد على المبالغة في دعوى نسخ بعض الآيات بآية السيف عند آية [٨٥] من الحجر ١/ ٣٥٩.

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧أ، بنحوه عنهم، والطوسي ٦/ ٤٤١، بنحوه عنهم عدا سفيان.

(٢) «تفسير مجاهد» ٣٥٥، بلفظه، أخرجه الطبري ١٤/ ١٩٧ بلفظه من طريقين، وورد في: «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٤، بمعناه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢١ بمعناه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٥٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٦، وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٦١ بنصه عنهما، والطبري ١٤/ ١٩٧، بنصه عنهما، وورد في: «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٤، بمعناه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢١، بمعناه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٢/ ٦٥٢، عنهما، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» ٢/ ٣٦١ بمعناه، والطبري ١٤/ ١٩٧ بمعناه.

(٥) وهو ما رجحه الطبري ١٤/ ١٩٧، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٣.

الآية وقوله: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ الآية، [البقرة: ١٩٤] وقوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ﴾ [الشورى: ٤١]، وقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ الآية، [الشورى: ٤٠] بمكة، والمسلمون يومئذ قليل، ليس لهم سلطان يقهر المشركين، فأمر الله المسلمين أن يجازوا بمثل ما أتى إليهم أو يصبروا فهو أمثل، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأعز الإسلام، أَمَرَ المسلمين أن ينتهوا في مظالمهم إلى(١) سلطانهم، وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية، فقال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ الآية. [الإسراء: ٣٣] يقول: ينصره السلطان حتى ينصفه من ظالمه، فمن انتصر لنفسه دون السلطان فهو عاص مسرف قد عمل بحمية الجاهلية ولم يرض بحكم الله(٢)، فعلى هذا نُسخ من الآية أن يتولى المظلوم أخذَ القصاص، بل يجب أن يرفع ذلك إلى السلطان حتى يعاقب خصمه بمثل ما عاقبه، ثم أخبر أن الصبر خير وأفضل، فقال: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ﴾، أي: عن المجازاة بالمُثْلَة، أو على ما يصيبكم من أذى المشركين، أو على ظلم من ظلمكم، ﴿لَهُوَ﴾، أي: الصبر، ﴿خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾.

١٢٧-ثم أمر نبيه ﷺ بالصبر عزمًا، فقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾، أي: بتوفيقه ومعونته، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾، أي: على المشركين

---

(١) في (أ)، (د): (أي)، والمثبت هو الصحيح وموافق للمصادر.

(٢) أخرجه الطبري ٢/ ١٩٩، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، والبيهقي في السنن: الجنايات/ الولي لا يستبد بالقصاص دون الإمام (٨/ ٦١) بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٣٧٣، بنصه وزاد نسبته إلى أبي داود في ناسخه وابن المنذر وابن أبي حاتم.

بإعراضهم عنك، وقيل: على قتلى[1] أُحد؛ فإنهم أفضوا إلى رحمة الله وكرامته[2].

وقوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، قراءة العامة بفتح الضاد[3]، واختاره أبو عبيد، وقال: لأن الضِّيق بالكسر في قلة المعاش والمساكن، وما كان في القلب فإنه الضَّيْق[4].

وقال أبو عمرو: الضَّيْق، بفتح الضاد: الغَمُّ، والضِّيق، بالكسر: الشدة[5]، ونحو هذا قال الفراء: الضَّيْق: ما ضاق عنه صدرك، والضِّيق: ما يكون في الذي يتسع؛ مثل الدار والثوب وأشباه ذلك[6].

وقال أبو عبيدة: ضَيْق تخفيف ضَيِّق، مثل مَيِّت، يقال: أمر ضَيْق وضَيِّق[7].

وقال أبو الحسن الأخفش: الضيق: مصدر ضاق يضيق ضَيْقًا،

---

(١) في جميع النسخ: (قتل)، والصحيح المثبت.

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٥٥٠، وصوب الأول؛ وعليه يكون عود الضمائر على جهة واحدة، وذكر كذلك ابن الجوزي ٤/٥٠٨، الوجهين، ونسب الأول لابن عباس، وعزا الثاني للواحدي.

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٧٦، و«علل القراءات» ١/ ٣١٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ٨٠، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٦، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٤١، و«التيسير» ص١٣٩، و«تلخيص العبارات» ص١١١، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٤٦.

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧ أ، بنصه تقريباً، وانظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٤٤.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٢/ ١٦٧أ، بنصه، وفي «علل القراءات» ١/ ٣١١، عن أبي عمرو: والضَّيق الشيء الضَّيِّق، والضِّيق المصدر.

(٦) «معاني القرآن» ٢/ ١١٥، بنصه، وانظر: «تهذيب اللغة» (ضيق) ٣/ ٢٠٨٢، بنصه.

(٧) «مجاز القرآن» ١/ ٣٦٩، بنحوه، وهو قول ابن قتيبة كذلك. انظر: «الغريب» لابن قتيبة ص٢٤٩.

وضِيْقًا، لغتان في المصدر(١).

قال أبو علي: وينبغي أن يحمل ضيق هاهنا على أنه مصدر لا على ما قال أبو عبيدة؛ لأن فيه(٢) إقامة الصفة مقام الموصوف من غير ضرورة(٣)، ولأن المعنى: لا تكن في ضيق، أي لا يضق(٤) صدرك من مكرهم، كما قال: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ﴾ [هود: ١٢]، وليس المعنى: ولا تَكُ في أمرٍ ضَيِّق(٥)، وقرأ ابن كثير في ﴿ضِيق﴾ بكسر الضاد(٦)، وهما لغتان كما قال أبو الحسن، فمن كسر في معنى من فتح(٧)، وذكرنا أبلغ وأتم من هذا في

---

(١) لم أجده في معانيه، وورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٨٠، بنحوه، وفي تفسيره «الوسيط»، تحقيق سيسي ٢/ ٤٦١، بنصه، وانظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٠٣.

(٢) أي في حمله على أنه مخفف من ضَيّق.

(٣) ودعواه هذه بينها ابن عطية؛ فقال: إن الصفة إنما تقوم مقام الموصوف إذا تخصص الموصوف من نفس الصفة، كما تقول رأيت ضاحكاً فإنما تخصص الإنسان، ولو قلت رأيت بارداً لم يحسن كما قال سيبويه وضيق لا يخصص الموصوف، وقد أجاز الفخر الرازي إقامة الموصوف مقام الصفة في هذه الآية لفائدة، وهي أن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب، وصار كالقميص المحيط به، فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى. انظر: «تفسير ابن عطية» ٨/ ٥٥١، والفخر الرازي ٢٠/ ١٤٣، وأبي حيان ٥/ ٥٥٠.

(٤) في جميع النسخ: (لا يضيق)، وهو خطأ نحوي، والتصويب من المصدر.

(٥) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٠، بتصرف يسير.

(٦) انظر: «السبعة» ص٣٧٦، و«علل القراءات» ١/ ٣١٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ٧٩، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٦، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٤١، و«التيسير» ص١٣٩، و«تلخيص العبارات» ص١١١، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٤٦.

(٧) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٨٠، بنصه تقريباً، وإليه ذهب ابن السِّكِّيت في «الإصلاح» ص٣٢ فقال: ويقال في صدر فلان ضِيقٌ وضَيْقٌ، ومكانٌ ضَيِّقٌ وضَيْقٌ، وكذلك ابن قتيبة في «أدب الكاتب» ص٥٢٨، وقال السمرقندي ٢/ ٢٥٦: ومعناهما واحد؛ أي: لا يضق صدرك مما يقولون لك ويصنعون بك.

سورة النمل [آية ٧٠].

١٢٨- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ قال ابن عباس: يريد خَافَوْني ولم يشركوا بي شيئًا، ﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ يريد موحدون، وقال الحسن: اتقوا الله فيما حرم عليهم وأحسنوا فيما افترض عليهم(١)، ونحوه قال الكلبي: اتقوا الفواحش والكبائر(٢).

﴿وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾: في العمل. وقال الزجاج في هذه الآية: قد وعدوا النصر(٣)، أي أن الله ناصرهم كما قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٦٤) بنصه، وأخرجه الطبري ١٤/ ١٩٨ بنصه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٤، بنحوه، وانظر: «الدر المنثور» ٤/ ٢٥٦، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد بنصه غير منسوب في «تفسير الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٦١، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٠٣، و«تنوير المقباس» ص٢٩٥.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٤، بنحوه.

سورة الإسراء

تفسير سورة الإسراء

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ الآية. قال النحويون: ﴿سُبْحَٰنَ﴾: اسم موضوع في موضع مصدر سبَّحتُ الله تسبيحًا وسبحانًا، فالتسبيح هو المصدر، وسبحان اسم منه[(١)]؛ كقولك: كَفَّرتُ اليمين تكفيرًا وكُفْرانًا[(٢)]، وتأويله في المعنى: أنه البراءة والتنزيه لله مما يُنْفَى عنه، والتسبيح يُذْكر بمعنى الصلاة، ومنه قوله: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ [الصافات: ١٤٣]، أي: من المصلين[(٣)]، والسُّبْحةُ: الصلاة النافلة[(٤)]،

---

(١) انظر: «الكتاب» ١/ ٣٢٢، و«المقتضب» ٣/ ٢١٧، و«تفسير الطبري» ١٥/ ١، و«المخصص» ١٧/ ١٦٣، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٠٧، و«شرح المفصل» ١/ ٣٧، و«الخزانة» ٧/ ٢٤٥ .

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٤٤ بنصه وعزاه إلى أبي عبيد، وليس في غريبه، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٥، و«القرطبي» ١٠/ ٢٠٤.

(٣) ورد في «غريب الحديث» ١/ ١٩٨ بلفظه، و«الغريب» لابن قتيبة ٢/ ٩٦ بلفظه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١ بلفظه عن ابن عباس وابن جبير والسديّ، وورد بلفظه في «معاني القرآن وإعرابه» ٤/ ٣١٣، و«تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦١٠، و«المفردات» ص٣٩٢، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢٤، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٥، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦.

(٤) ورد بنحوه في «غريب الحديث» ١/ ١٩٨، و«تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦١٠، عن الليث، و«المحيط في اللغة» (سبح) ٢/ ٤٩٥، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٤٥، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦، و«اللسان» (سبح) ٤/ ١٩١٦.

وإنما قيل للمصلي: مُسَبِّح؛ لأنه معظم الله بالصلاة تعظيم المنزه له عما لا يجوز في صفته، وورد التسبيح بمعنى الاستثناء في قوله ﷻ: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم: ٢٨]، أي: [لو](١) لا تستثنون(٢)، وهو لغة لبعض اليمن، وتأويله يعود إلى تعظيم الله في الاستثناء بمشيئته(٣).

وجاء في الحديث: «**لولا ذلك لأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وَجْهِهِ ما أدْرَكَتْ مِنْ شَيء**»(٤) فيقال: إنه نور وجهه(٥).

قال أبو عبيد: ولم نَسمع هذه الكلمة ولا نَعرف لها شاهدًا في كلامهم

---

(١) ما بين المعقوفين إضافة ليتلاءم لفظ التفسير مع لفظ الآية.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١، بنحوه عن مجاهد من طريقين، وورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٢٠٩، بنحوه، و«المحيط في اللغة» (سبح) ٢/ ٤٩٥، بنحوه، و«المفردات» ص٣٩٣، بنحوه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢٤ بنصه، والطوسي ٦/ ٤٤٥، بنحوه.

انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦، و«عمدة الحفاظ» ٢/ ١٨٩.

(٣) قال الزجاج: فالاستثناء تعظيم الله والإقرار بأنه لا يقدر أحدٌ أن يفعل فعلًا إلا بمشيئة الله ﷻ.

انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٥/ ٢٠٩.

(٤) طرفه: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**..»، عن أبي موسى، أخرجه أحمد ٤/ ٤٠١، ٤٠٥، بنحوه، ومسلم (١٧٩) كتاب: الإيمان، باب: قوله (: «إن الله لا ينام» بنحوه، ابن ماجه (١٩٥) كتاب: المقدمة فيما أنكرت الجهمية ١/ ٣٩، وابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٢٧٢، بنحوه، والآجري في «الشريعة» ص ٢٩١، ٣٠٤، والسهمي في «تاريخ جرجان» ص١٣٠- بنحوه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٣٩١، بنحوه، والبغوي في «شرح السنة» الإيمان الرد على الجهمية ١/ ١٧٣، بنحوه، وورد في «غريب الحديث» ١/ ٤٥٧- بنحوه، و«تفسير الطبري» ٨/ ٣ بنصه.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦١٠بنصه، قاله ابن شميل.

إلا في الحديث[(١)].

وقال غيره: (سُبُحات وجهه): نور وجهه الذي إذا رآه الرائي قال: سبحان الله[(٢)]، قال سيبويه معنى سبحان الله: براءة الله من السوء[(٣)]، و(سبحان) اسم لهذا المعنى معرفة، يدل على ذلك قول الأعشى:

سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ[(٤)]

أي براءة منه، وهو ذِكْرٌ بِعِظَمِ اللهِ لا يصلح لغيره، وإنما ذَكَرَه الشاعرُ نادرًا؛ بأن ردَّه إلى الأصل وأجراه كالمثل[(٥)].

---

(١) «غريب الحديث» ٣/ ١٧٣، بنحوه.

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٤٥ بنصه، وعزاه إلى المبرد.

(٣) «الكتاب» ١/ ٣٢٤ بنصه، وورد في «تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦٠٩ بنصه.

(٤) وصدره:

أقولُ لما جاءني فخرُهُ

«ديوانه» ص٩٣، وورد في «الكتاب» ١/ ٣٢٤، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٦، و«جمهرة اللغة» ١/ ٢٧٨، و«الخصائص» ٢/ ٤٣٥، و«تهذيب اللغة» (سبح) ٢/ ١٦٠٩، و«مجمل اللغة» ١/ ٤٨٢، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ١٠٧، ٥٧٨، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ٩٣أ، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٥، و«الأساس» ١/ ٤١٨، و«شرح المفصل» ١/ ٣٧، و«اللسان» (سبح) ٤/ ١٩١٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٨، و«الخزانة» ٧/ ٢٣٧، وورد بلا نسبة في «المقتضب» ٣/ ٢١٨، و«الخصائص» ٢/ ١٩٧، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٨، و«المخصص» ١٥/ ١٨٧، و«المفردات» ص٣٩٣، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢٣، و«عمدة الحفاظ» ٢/ ١٨٨. وفي جميع المصادر- عدا الديوان- فخره، الفاخر، فلعلها تصحفت فيه، فرواية المصادر أصح؛ لأن الكلام في الفخر لا الفجْر، كما قال أبو عبيدة: قال الأعشى تبرؤا وتكذيبًا لفخر علقمةَ. «مجاز القرآن» ١/ ٣٦.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٤٥ بنصه تقريبًا، قال الراغب: تقديره سُبحان علقمة، على طريق التهكم، فزاد فيه (مِنْ) ردًا إلى أصله، وقيل: أراد سبحان الله =

وقال صاحب النظم: السبح في اللغة: التباعد، يدل عليه قوله ﷻ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] أي متباعدًا في المذهب والمدة لما تريد من قضاء حوائجك، ومعنى سَبَّحَ الله: بعّده ونزهه عما لا يليق به[١]، والتنزيه معناه: التبعيد[٢]، و﴿سُبۡحَٰنَ﴾ اسم بمعنى المصدر، موضوع موضع الفعل، وكثيرًا ما تضع العربُ المصادرَ مواضع الأفعال؛ كقوله ﷻ: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤] أي اضربوها، ومثله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨] أي ويقول، فعلى هذا معنى ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ أي سَبِّحوه ونَزِّهوه عن الشريك والولد و[٣]ما لا يجوز في صفته، ويجوز أن يكون هذا التنزيه راجعًا إلى الله تعالى، وبذلك فسَّر ابن عباس فقال: نزّه[٤] نفسه[٥]، وعلى هذا يجوز أن ينتصب ﴿سُبۡحَٰنَ﴾ على النداء بمعنى: يا سبحان الذي أسرى بعبده.

قال الزجاج: معناه سَيَّر عبدَه[٦]، يعني محمدًا ﷺ، ومضى الكلام

= من أجل علقمة، وقد اعترض السمين والبغدادي على قوله الأول؛ فقال السمين: وفيه نظر، وقال البغدادي: وهو ضعيف لغةً وصناعة، انظر: «الدر المصون» ١/ ٢٥٩، و«الخزانة» ٧/ ٢٤٥.

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٥ بنصه.

(٢) انظر (سبح) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٦٠٩، و«اللسان» ٤/ ١٩١٤.

(٣) الواو ساقطة من (أ)، (د).

(٤) في جميع النسخ: نزّهه، والصحيح المثبت كما في سورة النحل [آية: ١] عن ابن عباس أيضًا.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٨٢، وورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٠٠أ، و«هود الهواري» ٢/ ٣٥٩، و«السمرقندي» ٢/ ٢٢٨، و«الفخر الرازي» ١٩/ ٢١٨.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٥ بنصه.

في السُّرَى والإسراء[١].

وقوله تعالى: ﴿لَيۡلٗا﴾ قال مقاتل: كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنة[٢]، ﴿مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ اختلفوا فيه، فقال الحسن وقتادة: يعني نفس المسجد[٣]، يدل عليه ما روى أنس والحسن: أن النبيّ ﷺ قال: **«بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق..»**[٤] وذكر حديث المعراج.

---

(١) سورة هود آية [٨١].

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٠ب بنصه.

(٣) ورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٥ بنصه عنهما، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٦ بنصه عنهما، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٤، عنهما.

(٤) ثبت حديث الإسراء والمعراج بعدة روايات مختصرة ومطولة وفي بعض الروايات زيادات لا تصح، فرواه أنس بن مالك ومالك بن صعصعة رضي الله عنهما برواية: «**بينما أنا في الحطيم- الحِجْر- مضطجعًا إذ أتاني. .**» أخرجه أحمد ٤/ ٢٠٨، والبخاري (٣٢٠٧) كتاب: بدء الخلق، باب: ذِكْر الملائكة ٣/ ١١٧٣، وفي: فضائل الصحابة/ المعراج (٣/ ١٤١٠، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٧٧، وابن عبد البر في «التمهيد» ٨/ ٣٨، والبغوي في «شرح السنة» الفضائل/ المعراج ١٣/ ٣٣٦، ورواه أنس بن مالك وأبو سعيد برواية: (**أُتيت بالبراق**) و(**أُتيت بدابة**) أخرجه أحمد ٣/ ١٤٨، ومسلم (١٦٢) كتاب: الإيمان، باب: الإسراء، و«عبد الرزاق» ٢/ ٣٦٥، و«الطبري» ١٥/ ٣-٤، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٨٢، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/ ٣٤٣، وراه أبو ذر برواية: (فُرج سقف بيتي وأنا بمكة)، وأخرجه مسلم (١٦٣) كتاب: الإيمان، باب: الإسراء، و«البغوي» ٥/ ٦٠، ورواه مالك بن صعصعة برواية: (**بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان**) أخرجه مسلم (١٦٤)، كتاب: الأيمان، باب: الإسراء، و«الطبري» ١٥/ ٣، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٣٧٣، وورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١١أ، وسيرة ابن هشام ٢/ ٢-١٠، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٨، و«هود الهواري» ٢/ ٣٩٧، و«الثعلبي» ٧/ ٩٣ب، و«تفسير =

وقال عامة المفسرين: أُسري برسول الله ﷺ من دار أمِّ هانيء[١]، وعلى هذا أراد بالمسجد الحرام مكة، ومكة والحرم كله مسجد[٢]، وهو اختيار الفراء[٣] والزجاج[٤]، ﴿إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ قالوا كلهم: يعني بيت المقدس[٥]، وقيل له: الأقصى؛ لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام[٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾، الأكثرون قالوا: باركنا حوله

= البغوي» ٥/ ٥٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٠٥، و«الخازن» ٣/ ١٤٥، وابن كثير ٣/ ٣-٢٨، و«مجمع الزوائد» ١/ ٦٤-٧٣، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٥٨، و«الكنز» ١١/ ٣٨٥-٣٩١، و«تهذيب تاريخ ابن عساكر» ١/ ٣٨٠.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٢، بنحوه عن الكلبي عن أبي صالح عنها طريق واهية، وورد بنحوه في: «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٤، عنها، و«السمرقندي» ٢/ ٢٥٨، عن ابن عباس، و«الثعلبي» ٧/ ٩٣أ، عن الكلبي، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٤، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦.
تقدمت ترجمتها.

(٢) ورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٥ بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٥، بنحوه عن أبي صالح عن أم هانئ، انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٥٠، عن ابن عباس، و«ابن الجوزي» ٥/ ٥، عن أبي يعلى، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦، عن ابن عباس.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٥، بنحوه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٥، بنحوه.

(٥) ورد بنصه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٠أ، و«السمرقندي» ٢/ ٢٥٨، و«هود الهواري» ٢/ ٣٩٧، و«الثعلبي» ٧/ ٩٣أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٦، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٦، انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٤٥.

(٦) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ٩٣أ بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٦ بنصه، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٦، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٩، و«ابن الجوزي» ٥/ ٥، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٢، و«الخازن» ٣/ ١٤٥.

بالثمار والأنهار[١]، وقيل: بمن جعلنا حوله من الأنبياء والصالحين[٢]، وهو قول مجاهد؛ قال: لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة[٣].

وقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، يعني ما رأى في تلك الليلة من العجائب والآيات التي تدل على قدرة الله وعظمته، وأخبر بها الناس من غد تلك الليلة (وهي معروفة مشهورة في الأخبار.

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي الذي أسرى بعبده، ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، قال العلماء في هذه الآية: أخبر الله تعالى عن إسرائه بعبده)[٤] إلى بيت المقدس ليلًا، وأصبح بمكة وأخبر أهلها بذلك فلم يصدقوه حتى بَيَّنَ لهم العلامات التي رآها في الطريق، ووصف لهم المسجدَ، ولم يكن رآه قبل ذلك، وكان الأمر على ما قال فثبت بذلك صدقه وظهر إعجازه[٥]، ثم أخبر هو ﷺ أنه

---

(١) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١١أ، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٥، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٥، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١١٩، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٥٩، و«الثعلبي» ٧/ ٩٣ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٦، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٦، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ٥، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٢، و«الخازن» ٣/ ١٤٥، و«ابن كثير» ٣/ ٣، و«الدر المنثور» ٥/ ٢٣٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٤٧ بنصه، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢١٢.

(٣) ليس في تفسيره، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ٩٣ب بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٦ بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٥٨، وبلا نسبة في «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٥، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٤٦، و«الخازن» ٣/ ١٤٥.

(٤) ما بين القوسين كتب على الهامش في نسخة (أ).

(٥) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١١أ، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٦، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٦، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٠٦، و«الثعلبي» ٧/ ٩٩ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٦.

عرج به تلك الليلة إلى السماء على ما يروى في الحديث[١] واجتمعت الرواة أصحاب الأخبار على صحته، فيثبت عروجه إلى السماء بخبر الصادق الذي يجب قبول قوله.

٢- قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية. ذكر الله تعالى في الآية الأولى كرامة محمد ﷺ بأن أسرى به، ثم ذكر أنه أكرم موسى أيضًا قبله بالكتاب الذي آتاه فقال: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ يعني التوراة[٢].

﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال قتادة: جعله الله هدى لهم يخرجهم من الظلمات إلى النور[٣].

وقال الزجاج: أي دللناهم به على الهدى[٤].

وقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ قرأ أبو عمرو بالياء[٥]؛ لأن المتقدم[٦] ذكرهم على لفظ الغَيبة، والمعنى: هديناهم؛ لأن لا يتخذوا من دوني وكيلًا، ومن قرأ بالتاء[٧] فهو على الانصراف إلى الخطاب بعد الغَيبة، مثل:

---

(١) سبق ذكر الحديث وعزوه.

(٢) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٢أ بلفظه، و«السمرقندي» ٢/ ٢٥٩، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٧، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٧.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٨ بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ٢٩٤، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٦ بنصه.

(٥) انظر: «السبعة» ص٣٧٨، و«علل القراءات» ١/ ٣١٣، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٣، و«الحجة للقراء» ٥/ ٨٣، و«المبسوط في القراءات» ٢٢٧، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٤٢، و«التيسير» ص١٣٩.

(٦) في جميع النسخ: (التقدم)، والمثبت هو الصحيح والموافق للمصدر.

(٧) وهم الباقون. انظر المصادر السابقة.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ١] ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[1] [الفاتحة: ٥].

قال أبو علي الفارسي: يجوز في (أَنْ) في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ [ثلاثة أوجه؛ **أحدها**: أن تكون (أَنْ) الناصبة للفعل، فيكون المعنى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى﴾ لأن لا تتخذوا][2].

والآخر: أن تكون معنى (أي) التي للتفسير، وانصرف الكلام من الغَيبة إلى الخطاب في قراءة العامة؛ كما انصرف منها إلى الخطاب والأمر في قوله: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟﴾ [ص: ٦] فكذلك انصرف مِن الغَيبة إلى النهي في قوله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾.

والثالث: أن تكون زائدة[3]، ويحمل ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا۟﴾ على القول المُضْمَر، فيكون التقدير: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ فقلنا: لا تتخذوا من دوني شريكًا[4].

قال المبرد: ولا أعرف لهذا وجهًا في العربية[5]؛ لأنه لا يكون الوكيل الذي يوكله موكله ليخلفه فيما وكله فيه شريكًا، والوكيل هو الذي يفعل ما يفعله المُوَكِّل، والله ﷻ يتعالى عن أن يكون دونه من يُدْعى كما يُدْعَى، ويَفْعل كما يفعل، فنهاهم أن يضعوا أحدًا بهذا الموضع؛ إذ لا

---

(١) ورد بنصه تقريبًا في «الحجة للقراء» ٥/ ٨٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (د).

(٣) انظر التعليق على القول بالزيادة في القرآن، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم.

(٤) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٤ تصرف فيه بالتقديم والتأخير والاختصار.

(٥) أي تفسير وكيلًا بـ (شريكًا)، وهو قول مجاهد، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٨١٧، وورد في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٢٠، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢٧، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٩٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم. وقد ورد قول المبرد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٤٧، بنحوه.

كافي غيره[١].

قال أبو علي: أفرد الوكيل وهو في معنى الجميع؛ لأن فعيلًا يكون مفردًا في اللفظ والمعنى على الجميع؛ كقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[٢] [النساء: ٦٩]، وقد مر.

٣- قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يجوز في نصب ذرية وجهان؛ أحدهما: أن يكون منصوبًا على النداء، يعني: يا ذُرِّيَّةَ من حملنا مع نوح، وهذا قول مجاهد؛ قال: هذا نداء[٣]، وإنما يصح هذا على قراءة من قرأ بالتاء؛ كأنه قيل لهم: لا تتخذوا من دوني وكيلًا يا ذرية من حملنا مع نوح في السفينة، (قال قتادة: الناس كلهم ذرية نوح ومن أنجى الله في تلك السفينة[٤].

وقال الحسن: وكان معه في السفينة)[٥] ثلاثة بنين: يافث وسام وحام، والناس كلهم من ذرية أولئك[٦].

قال الزجاج: وإنما ذُكِّروا بنعمة الله عندهم؛ إذ أنجى آباءهم[٧] من

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٥ بنصه.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٦٧، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٤، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٣، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٩٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٩ بنصه، وتضمن الخبر قول الحسن اللاحق بنحوه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٦، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٤؛ كالطبري.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (د).

(٦) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٠٧.

(٧) في جميع النسخ: (آباؤهم)، وهو خطأ نحوي ظاهر، وفي المصدر (أبناءهم)، وهو خطأ كذلك، لكن في اللفظ.

الغرق بأنهم حُمِلُوا مع نوح[١]، الوجه الثاني؛ في نصب ذرية: أن يكون مفعول الاتخاذ؛ لأنه فعلٌ يتعدى إلى مفعولين؛ كقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[٢] [النساء: ١٢٥]، ويجوز هذا الوجه في القراءتين جميعًا، والمعنى: لا تتخذوا ذرية من حملنا مع نوح من دوني وكيلًا، ذكر هذا أبو إسحاق وأبو علي[٣].

ثم أثنى على نوح فقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾، قال المفسرون: كان نوح إذا أكل طعامًا أو لبس ثوبًا حمد الله تعالى، فَسُمِّي عبدًا شكورًا[٤].

٤- قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ﴾ قال ابن عباس والمفسرون: أعلمناهم وأخبرناهم[٥].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٦ بنصه تقريبًا.

(٢) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٨٥ بنصه.

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٩ بنصه وبنحوه من عدة طرق، ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٢أ، و«السمرقندي» ٢/ ٢٥٩، و«هود الهواري» ٢/ ٤٠٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٠أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٨، والطوسي (٦/ ٤٤٧، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٦٧، و«الزمخشري» ٢/ ٢٥١، و«ابن الجوزي» ٥/ ٧، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٥، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٣.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٢١ بلفظه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٢ بلفظه عن ابن عباس، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٠ بلفظه، و«هود الهواري» ٢/ ٤٠٨، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٤أ بلفظه، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٨، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٨ بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٦٧، و«ابن عطية» ٩/ ١٥، و«ابن الجوزي» ٥/ ٧، عن ابن عباس، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٥، والخازن (٣/ ١٥٢، و«أبي حيان» =

قال أبو إسحاق: معناه أعلمناهم في الكتاب وأوحينا إليهم، ومثل ذلك: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦] معناه أعلمناه وأوحينا إليه(١)، ومعنى القضاء في اللغة: قطع الأشياء عن إحكام(٢)، ومنه قوله: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] وقول الشاعر(٣):

وعليهما مَسْرودَتان قضاهما (٤)

قال ابن قتيبة في هذه الآية: أعلمناهم؛ لأنه لما خَبَّرهم أنه(٥)

= ٨/٦، عن ابن عباس، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٩٥- ٢٩٦، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٧ بنصه تقريبًا.

(٢) انظر (قضى) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٨٦، و«المحيط في اللغة» (٥/ ٤٦٢، و«مجمل اللغة» ٢/ ٧٥٧، «الصحاح» ٦/ ٢٤٦٣، و«اللسان» ٦/ ٣٦٦٥.
ذكر أصحاب الوجوه والنظائر أن قضى وردت في القرآن على عشرة أوجه، ونقل ابن حجر في الفتح عن إسماعيل النيسابوري أنها وردت في القرآن على خمسة عشر وجهًا، كما ذكر ضابطًا لمعنى القضاء، نقله عن الأزهري؛ وهو: كل ما أحكم عمله أو ختم أو أكمل أو وجب أو ألهم أو أنفذ أو مضى فقد قضى. انظر: «التصاريف» ص٣٤٠، و«إصلاح الوجوه والنظائر» ص٣٨٥، و«فتح الباري» ٨/ ٢٤١.

(٣) هو أبو ذُؤَيب الهذلي، مخضرم (ت٢٧هـ).

(٤) وعجزه:

داوُدُ أوْ صَنَعُ السَّوابغِ تُبَّعُ

«ديوان الهذليين» ص١٩، وورد في «تأويل مشكل القرآن» ص٤٤١، و«تهذيب اللغة» (قضى) ٣/ ٢٩٨٦، و«اللسان» ٦/ ٣٦٦٥.
وورد برواية: (تعاوَرا مَسْرودَتَيْنِ قضاهما) في «المعاني الكبير» ٢/ ١٠٣٩.
وورد غير منسوب في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٧، (مسرودتان): درعان، (قضاهما): فرغ منهما؛ أي داود عليه السلام، أو صنَعُ السوابغ، و(الصَّنَعُ): الحاذق بالعمل، والصَّنَع ها هنا: تُبَّع.

(٥) الأولى أنهم كما في المصدر.

سيفسدون في الأرض، حَتَّمَ بوقوع الخبر[١]، و﴿إِلَى﴾ في هذه الآية من صلة الإيحاء؛ لأن معنى: ﴿قَضَيْنَآ﴾: أوحينا، فالمعنى: إنا أوحينا إليهم، كذا قال أبو إسحاق[٢].

وقوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ﴾ قال ابن عباس: يريد المعاصي وخلاف أحكام التوراة[٣].

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ قال الكلبي: يعني أرض مصر[٤]، ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ قال الزجاج: معناه لَتَعْظُمُنَّ ولَتَبْغُنَّ؛ لأنه يقال لكل مُتجبِّرٍ: قَدْ عَلا وتعظَّمَ[٥].

٥- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾ يعني أُولى[٦] المرتين، ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال عطية: أفسدوا المرة الأولى فأرسل

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» ص٤٤١ بنصه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٧ بنصه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٦، بنحوه، و«تفسير البغوي» ٥/ ٧٩، بنحوه عن قتادة، وورد بنصه وبنحوه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٠، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٤أ، و«ابن الجوزي» ٥/ ٧، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٥، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٤، و«الخازن» ٣/ ١٥٢.

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٧، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٥- بلا نسبة فيهما، وهو تفسير غريب للأرض المعنية بأنها مصر؛ لأن الأحداث كلها تدور في بيت المقدس والشام؛ كما نصت عليه الروايات وأشار إليها بعض المفسرين؛ كالبغوي ٥/ ٧٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٤، و«الخازن» ٣/ ١٥٢، والغريب أن أبا حيان نسب إلى الكلبي خلافه؛ فقال: وقال الكلبي: لتعصنّ في الأرض المقدسة. انظر: «تفسير أبي حيان» ٦/ ٩.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٧، بنصه.

(٦) ساقطة من (ش)، (ع).

الله عليهم جالوت، وعاد ملكهم كما كان، وهذا قول قتادة ورواية عطية عن ابن عباس[١]، وعلى هذا القول: ﴿عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ هم جالوت وجنوده.

ومعنى: ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ قال ابن عباس: البأس: القتال[٢]، ومنه قوله: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ومعنى ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾: أرسلنا عليكم وخَلَّيْنَا بينكم وبينهم خاذلين إياكم[٣].

وقال مجاهد في قوله: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾ الآية. قال: جند جاءهم[٤] من

---

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٣، بنحوه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ٢٨، بنحوه عن ابن عباس من طريق عطية (ضعيفة) وبنحوه من طريقين عن قتادة، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٣، بنحوه عن قتادة، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٤أ، بنحوه عن ابن عباس، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٨، بنحوه عنهما، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٩، عنهما، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٥، عن قتادة، وابن كثير ٣/ ٢٩، عنهما، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٩٩ وعزاه إلى ابن أبي حاتم عن عطية، وأورده وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن ابن عباس، وأورده ٥/ ٢٤٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٥/ ٤٥ بلفظه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٢٧ بلفظه من عدة طرق عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة والضحاك، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٣١٥ وزاد نسبته إلى وكيع وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ والحاكم وصححه عن ابن مسعود.

(٣) ورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٢٩، بنحوه عن الحسن، انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٥٢، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٥.

(٤) هكذا في جميع النسخ، والأولى جاؤوهم؛ لأن جند جمع، ويتناسب مع قوله: يتحسسون، وهكذا في المصدر.

فارس، يتحسسون أخبارهم ويسمعون حديثهم، معهم بختنصر فوعى[(١)] حديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت إلى فارس ولم يكن قتال، ونُصر عليهم بنو إسرائيل، فهذه وعد الأولى، وهذا قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ قال الليث: الجوس والجوسان: التردد خلال الدور والبيوت في الغارة ونحو ذلك[(٣)]، ومعنى جاسوا: ترددوا وتخللوا[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿خِلَـٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ يعني ديار بيت المقدس، والخلال: الانفراج بين الشيئين[(٥)] واختلفت العبارات في تفسير جاسوا؛ فقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: مشوا[(٦)].

---

(١) في (د): (مرفوعًا).

(٢) «تفسير مجاهد» ص٤٢٨ وعبارته مضطربة ومخالفة لجميع المصادر، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٣٠ بنصه عن مجاهد من ثلاثة طرق، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢١٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد، ولم أقف عليه منسوبًا إلى ابن عباس.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (جاس) ١/ ٥٢١ بنصه تقريبًا.

(٤) انظر: (جوس) في «تهذيب اللغة» ١/ ٥٢١، و«المحيط في اللغة» ٧/ ١٤٦، و«مجمل اللغة» ١/ ٢٠٣، و«الصحاح» ٣/ ٩١٥، و«اللسان» ٢/ ٧٢٦ «جوس».

(٥) انظر: «المحيط في اللغة» (خل) ٤/ ١٧٥، و«مجمل اللغة» ١/ ٢٧٦، و«الصحاح» (خلل) ٤/ ١٦٨٧، و«المحكم» (خلل) ٤/ ٣٧١، و«اللسان» ٢/ ١٢٤٩.

(٦) في جميع النسخ: (فتشوا)، والتصويب من المصادر؛ فقد أخرجه «الطبري» ١٥/ ٢٧- ٢٨ بلفظه من الطريق نفسه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٣ بلفظه، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٤أ بلفظه، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٩ بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٩٩، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم

وقال أبو عبيدة: طلبوا مَنْ فيها[١].

وقال الفراء: يقول: قتلوكم بين بيوتكم[٢].

وقال ابن قتيبة: عاثوا وأفسدوا[٣].

وقال الزجاج: أي فطافوا خلال الدّيار هل بقي أحدٌ لم يقتلوه، والجَوْس: طلب الشيء باستقصاء[٤]، هذا كلامهم، والجَوْس يحتمل هذه المعاني التي ذكروها، إنّ معنى الجوس هو التردد للطلب، فيحتمل أنهم جاسوا لطلب الخبر على قول مجاهد[٥]، ويحتمل أنهم جاسوا بالقتل والعبث وطلب من يقتلونه[٦]، ويشهد لهذا قول حسان:

ومِنَّا الذي لاقَى بِسَيْفِ محمدٍ فَجَاس به الأعداءَ عَرْضَ العَسَاكر[٧]

أي: تخللهم قتلًا بسيفه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ قال قتادة: قضاء قضاه على القوم كما تسمعون[٨].

---

(١) ليس في مجازه ١/ ٣٧٠، والذي فيه قال: قتلوا. وقد ورد بنصه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٤أ.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٦ بنصه.

(٣) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ بنصه تقريبًا.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٧ بنصه تقريبًا.

(٥) تقدم قوله في الصفحة السابقة حاشية (٢).

(٦) ورد في «تفسير الطبري» ١٥/ ٢٨، بنحوه.

(٧) لم أجده في ديوانه المطبوع، وورد في «تفسير الطبري» ١٥/ ٢٨، و«الماوردي» ٣/ ٢٢٩، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٦، والشوكاني ٣/ ٣٠٠، و«الدر المصون» ٧/ ٣١٤.

(٨) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٢٨ بنصه.

٦- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ قال ابن عباس في رواية عطية: وقتل داود جالوت وعاد ملكهم كما كان[١].

وقال مجاهد: نُصِرَ عليهم بنو إسرائيل[٢].

والكرة معناها: الرجعة والدولة[٣]، وهذه الآية تدل على أنهم هُزِمُوا في المرة الأولى وقُتِلَ منهم.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، قال أبو عبيدة: النفير: العدد من الرجال[٤].

(وقال الزجاج: أي جعلناكم أكثر منهم نُصَّارًا[٥].

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٣٠-٣١ مفصلًا من طريق العوفي(ضعيفة)، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٩، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٣٠، و«الزمخشري» ٢/ ٣٥٢، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٠، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٧، و«أبي حيان» ٦/ ١٠، و«الألوسي» ١٥/ ١٨.

(٢) ليس في تفسيره، أخرجه «الطبري» ١٥/ ٣٠- ٣١ جزء من أثر بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ورد بنحوه في: «غريب القرآن» لليزيدي ص٢١١، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٢، و«تهذيب اللغة» (كر) ٩/ ٤٤٢ و«المحيط في اللغة» (كر) ٦/ ١٣٨، و«مجمل اللغة» ٢/ ٧٦٧، و«الصحاح» (كرر) ٢/ ٨٠٤، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٤ب) بنصه، و«الطوسي» ٦/ ٤٤٩، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٧٩، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٠، و«القرطبي» ١٠/ ٢١٧.

(٤) ليس في مجازه ١/ ٣٧١ والذي فيه، قال: مجازه: من الذين نفروا معه، وورد نحوٌ من هذا القول عن أبي عبيد؛ قال: النفر والرَّهط: ما دون العشرة من الرجال. «تهذيب اللغة» (نفر) ٤/ ٣٦٢٧.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢ بنصه.

قال ابن قتيبة: أكثر عددًا، وأصله مَنْ يَنْفِرُ مع الرجل مِنْ عشيرته وأهل بيته، وهو[١] النَّفِيرُ والنافر واحد؛ كما يقال: قدير وقادر[٢]، وذكرنا معنى نفر عند قوله: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ﴾[٣] [التوبة: ١٢٢] وقوله: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا﴾)[٤] [التوبة: ٤١].

وقال الزجاج: ويجوز أن يكون النفير جمعًا[٥]؛ كالكليب والعبيد والضَّئين والمَعِيز[٦]، ونفيرًا منصوب على التَّمييز[٧].

٧- قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ الآية. يحتاج ها هنا إلى إضمار القول على تقدير: وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾، قال ابن عباس: يريد إن أطعتم الله فيما بقي عفا عنكم المساوئ، ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ قال: يريد الفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم، ﴿فَلَهَا﴾، قال: يريد فعلى

---

(١) ضمير الفصل هو غير موجود في المصدر.

(٢) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ بنصه.

(٣) في كلا الموضعين لم يتكلم عن المعنى اللغوي لنفر!

(٤) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٥) قال ابن عطية: وعندي أن النفير اسم للجمع الذي يَنْفُر، سُمِّي بالمصدر، ومنه قول أبي سفيان لبني زهرة: لا في العير ولا في النفير، أي: ولا في جمع قريش الخارج من مكة إلى بدر. انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٢١.

(٦) الضَّئِينُ: جمع ضأن، والضَّأْن ذوات الأصواف من الغنم. انظر (ضأن) في «جمهرة اللغة» ٢/ ١٠٧٨، و«تهذيب اللغة» ٣/ ٢٠٨٣، و«محيط في اللغة» ٨/ ٤٧، و«الصحاح» ٦/ ٢١٥٣.

والمَعِيْزُ: جمع مِعْزَى وماعز، والمَعْز: ذوات الشعر من الغنم. انظر (معز) في «جمهرة اللغة» ٢/ ٨١٦، و«تهذيب اللغة» ٤/ ٣٤٢٠، و«المحيط في اللغة» ١/ ٣٩٨، و«الصحاح» ٣/ ٨٩٦.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٨ بنصه.

أنفسكم يقع الوبال.

قال النحويون: إنما قيل: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ للتقابل، والمعنى: فإليها أو فعليها[(١)]، مع أن حروف الإضافة تقع بعضها موقع بعض إذا تقاربت، كقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٥] أي إليها.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ أي وعد المرة الآخرة من إفسادكم، قال المفسرون: فأفسدوا المرة؛ فقتلوا يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم (بخت نصر) البابلي المجوسي[(٢)] -أبغض خلقه إليه- فسبا وقتل

(١) ورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ٣١، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٤ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٥١، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٠، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٨ بنصه، و«الدر المصون» ٧/ ٣١٦.
وذهب النحاس إلى أن لها على بابها، وقال: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾: أي يحصل العقاب لها، ثم قال: و(لها) بمعنى (عليها) لا يقوله النحويون الحذاق، وقد رجحه العكبري والمنتجب؛ قال العكبري: وقيل: هي على بابها، وهو الصحيح؛ لأن اللام للاختصاص، والعامل مختص بجزاء عمله حسنة وسيئة. انظر «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٣١، و«الإملاء» ٢/ ٨٨، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٦٠.

(٢) هذا القول مشهور، بل قال «الطبري» ١٥/ ٢٧: لا اختلاف بين أهل العلم أن إفسادهم في المرة الآخرة كان قتلهم يحيى بن زكريا، ومع ذلك فقد رده كثير من العلماء، قال الثعلبي: ومن روى أن بختنصر هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا، فغلط عند أهل السير والأخبار؛ لأنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شَعْيَا وفي عهد أرمياء، قالوا: ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكريا -عليهما السلام- أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة، وقال السهيلي: وهذا لايصح؛ لأن قتل يحيى كان بعد رفع عيسى، وبختنصر كان قبل عيسى بن مريم -عليهما السلام- بزمان طويل،.. ولكنه أريد بالمرة الأخرى حين قتلوا شَعْيَا؛ فقد كان بختنصر إذ ذاك حيًا، فهو الذي قتلهم وخرَّب بيت المقدس. وقال الفخر الرازي: التواريخ تشهد بأن =

وخَرَّب بيت المقدس، وسامهم سوء العذاب[(١)].

= بختنصر كان قبل وقت عيسى عليه السلام، ويحيى بن زكريا -عليهما السلام- بسنين متطاولة. انظر: «تفسير الثعلبي» ١٠٣/٧أ، و«ابن الجوزي» ١١/٥، و«الفخر الرازي» ١٥٨/٢٠، و«القرطبي» ٢٢٠/١٠.

(١) أخرجه «الطبري» ٣٥/١٥- ٤٣، بنحوه عن ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة وابن جبير، وورد بنحوه في «تفسير هود الهواري» ٤٠٩/٢، انظر: «تفسير البغوي» ٨٠/٥، و«ابن الجوزي» ١١/٥.

اختلف في فسادي بني إسرائيل من حيث الوقوع وعدمه على ثلاثة أقوال:

الأول: أن كلا الفسادين وقع قبل بعثة النبي ﷺ ونزول القرآن، ووقعا في بيت المقدس، وإليه ذهب القدامى من المفسرين، واختلفوا في الفساد الأول؛ فذهب علي وابن مسعود وابن عباس وابن زيد ﷺ إلى أنه قتلهم زكريا عليه السلام، وروى ابن إسحاق أنه كان قتلهم شعياء، وأيَّد قوله بأن بعضَ أهلِ العلم أخبره أن زكريا مات موتًا ولم يُقتل، أما فسادهم في المرة الآخرة، فقد ذكر ابن جرير أنه لا خلاف بين أهل العلم أنه كان قتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام. انظر: «تفسير الطبري» ٢٧/١٥-٢٨، و«الدر المنثور» ٢٩٦/٤.

القول الثاني: أن الفساد الأول مضى قبل الإسلام والثاني هو فسادهم الحالي، قاله بعض المعاصرين، ومنهم الدكتور مصطفى مسلم، فقد ذكر أن الإفساد الأول كان بعد مملكة سليمان عليه السلام، وأن الإفساد الثاني لمَّا يأت بعد، لكنه قال: وبدأت بذوره من بداية مؤتمر اليهود في بال بسويسرا عام ١٨٩٧م والتي وضعوا فيها المخطط المدروس لإفساد العالم ، ويرى أن اللبنة الأولى قيام دولة إسرائيل، ومنذ ذاك الوقت-إلى الآن-وعلو بني إسرائيل في تزايد مستمر. انظر: «معالم قرآنية في الصراع مع اليهود» ص٢٥٢.

وأما الشيخ سعيد حوى فقد وضع ضابطًا لترجيح أيِّ قول حول إفسادهم؛ فقال: إن النص يحدثنا عن إفسادتين لبني إسرائيل يرافقهما علو كبير، وهذا مهمّ جدًا في فهم الموضوع؛ لقد أفسد بنو إسرائيل إفسادات كثيرة ولكن لم يكن يرافق كل ذلك علوّ كبير لهم ودولة، كما أنهم قد علوا علوًّا كبيرًا في مراحل -كما حدث في زمن داود وسليمان- عليهما السلام- ولكنه علو لا يرافقه فساد. ثم قال: ويبدو بما لا =

وجواب قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ﴾ محذوف، تقديره: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ بعثنا ﴿لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ﴾، ودل عليه ما تقدم، من قوله: ﴿بَعَثۡنَا عَلَيۡكُمۡ عِبَادٗا لَّنَآ﴾ فَحُذف لتقدم ذكره، ولأنه جواب (إذا) وشرطها يقتضيه، فحُذف للدلالة عليه، قاله الفراء[1] وأبو علي[2] وصاحب النظم.

= يقبل الجدل أن الإفسادة الأولى هي التي سلط عليهم بها بختنصر، فهي الإفسادة التي رافقها بغي وطغيان وعتو، ثم قال: فهل الإفسادة الثانية هي ما نراه الآن؟ إذ لهم دولة وسلطان، وإفساد وطغيان.. وبعد مناقشات رجح أن الإفسادة الثانية هي الآن، فقال: والآن إفسادهم في الأرض كلها معروف، وسيطرتهم الخفية على بعض بلدان العالم معروفة، واجتمع لهم سلطان ودولة. انظر: «الأساس في التفسير» ٦/ ٣٠٣٧، وعلى هذا القول يكون مكان الإفسادتين بيت المقدس أيضًا.
القول الثالث: أن الفسادين وقعا بعد بعثة النبيّ ﷺ ونزول القرآن؛ فالأول وقع إبان بعثة النبي ﷺ والثاني هو الحالي، قاله أيضًا بعض المعاصرين؛ يقول الشيخ سعيد حوى: ويمكن أن نفهم المسألة فهمًا آخر؛ بأن نعتبر الإفسادة الأولى هي محاولتهم الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية، وتسليط الله المسلمين عليهم وعلى ديارهم حول المدينة المنورة، والإفسادة الثانية هي الإفسادة الحالية، ويكون المسلمون الذين غلبوهم أول مرة هم الذين سيغلبونهم المرة الثانية، إذا اجتمع لهم العبودية لله والبأس الشديد. انظر: «الأساس في التفسير» ٦/ ٣٠٤٠.
وقد انتصر الدكتور صلاح الخالدي للقول الثالث، بل لم ير غيره، وناقش قول القدامى ورد عليه، وأهم منطلقاته أن قول القدامى اعتمد على الإسرائيليات وعلى روايات تاريخية لم تثبت تاريخيًا ولا علميًا، ودلل على أن إفسادهم الأول المقرون بالعلو الكبير لم يكن أثناء وجودهم في بيت المقدس، إنما كان أول إفساد لهم مقرونًا بالعلو الكبير بالحجاز قبل بعثة النبي ﷺ وبعدها، وذكر صورًا من مظاهر إفسادهم الأول، ثم دلل على أن الإفسادة الثانية هي الحالية بتحليل مفردات الآية السادسة ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم..﴾، والاستدلال بواقعهم المعاصر الذي وصلوا فيه الذروة في العلو الكبير. انظر: «حقائق قرآنية حول القضية الفلسطينية» (١٥٠-١٩٠)، و«الشخصية اليهودية من خلال القرآن» (٣٢٧-٣٤٩).

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٦، بنحوه.
(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٦ بنصه تقريبًا.

وقوله تعالى: ﴿لِيَسُـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ يقال: ساءه يسوؤه، أي: أحزنه، وذكرنا ذلك في مواضع[١]، قال أبو علي: قال: ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ على أنَّ الوجوهَ مفعول ﴿لِيَسُـُٔوا۟﴾، وعُدِّيَ إلى الوجوه، ولأن الوجوه قد يُراد بها ذَوو الوجوه؛ لقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وكأن الوجوه إنما خُصَّت بذلك ؛ لأنها تدل على ما كان من ذوي الوجوه من الناس من حزنٍ ومسرةٍ وبشارةٍ وكآبةٍ[٢]، والمعنى: بعثناهم ليسوؤوا[٣]، وهذه قراءة العامة[٤]، وهي وَفْق المعنى واللفظ؛ أما المعنى: فإن المبعوثين هم[٥] الذين يسوؤونهم في الحقيقة؛ لقتلهم إيّاهم وأسرهم لهم، وأما اللفظ: فإنه يوافق قوله: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ﴾، وقرأ حمزة: ﴿لِيَسُـُٔوا۟﴾ على واحد بالياء[٦]، وفاعلُ يَسُوء يجوز أن يكون أحدَ شيئين: إما اسم الله سبحانه؛ لأن الذي تقدم بعثنا ورددنا وأمددنا، وإما أن يكون البعث، ودل عليه ﴿بَعَثْنَا﴾ المتقدم[٧]، والفعل يدل على المصدر؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا

---

(١) منها في سورة البقرة آية [٤٩].

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٥٠ بنصه تقريبًا.

(٣) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٦ بتصرف واختصار.

(٤) وهم: أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم، قرؤوا بالياء وضم الهمزة وإشباعها، انظر: «السبعة» ص٣٧٨، و«علل القراءات» ١/ ٣١٣، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٣، و«الحجة للقراء» ٥/ ٨٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٧، و«التبصرة» ص٥٦٧، و«النشر» ٢/ ٣٠٦.

(٥) ساقطة من (د).

(٦) أي: (لِيَسُوءَ)، وقرأ بها كذلك عاصم وابن عامر. انظر المصادر السابقة.

(٧) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٨٦ بنصه تقريبًا.

يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وقال الزجاج: ليسوء الوعدُ وجُوهَكم[١]، وقرأ الكسائي بالنون[٢]، وهذا على إسناد الفعل إلى الله تعالى لقوله: بعثنا وأمددنا.

وقوله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا﴾ يقال: تَبِرَ الشيءُ يَتْبَرُ تبارًا إذا هلك، وتَبَّرَه: أهلكه[٣].

قال أبو إسحاق: وكل شيء كَسَرْتَه وفَتَّتَّهُ فقد تَبَّرْتَهُ[٤]، ومن هذا تِبْرُ الزجاج وتِبْرُ الذهب لِمُكَسَّره[٥]، قال المفسرون: أي لِيُدَمِّروا ويُخَرِّبُوا ما غَلبُوا عليه[٦]، جعلوا (ما) بمنزلة الذي، وهذا قول قتادة[٧].

وقال الزجاج: معناه لِيُدَمِّروا[٨] في حال عُلُوِّهِم[٩]، (ما فجعل

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٨ بنصه.

(٢) أي: (لِنَسُوءَ) انظر المصادر نفسها الصفحة السابقة حاشية رقم (٥).

(٣) انظر: (تبر) في «جمهرة اللغة» ١/ ٢٥٣، و«المحيط في اللغة» ٩/ ٤٢٩، و«الصحاح» ٢/ ٦٠٠، و«اللسان» ١/ ٤١٦

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٨- بمعناه، وورد في «تهذيب اللغة» (تبر) ١/ ٤٢٤ بنصه.

(٥) في جميع النسخ (لتكسره)، والمثبت هو الصحيح، ويؤيده ما في التهذيب، قال: ومن هذا قيل لِمُكَسَّر الزجاج.

(٦) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٢أ، و«الطبري» ١٥/ ٣٦ بنصه، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦١، وهود الهواري ٢/ ٤٠٩، و«الطوسي» ٦/ ٤٥١، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١١، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٥٩، بنصه.

(٧) أخرجه بنحوه: «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٣، و«الطبري» ١٥/ ٣٦، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٢٩٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٨) في (ع) زيادة (ما) أي: ليدمروا ما، وأغلب الظن أنه خطأ من النساخ.

(٩) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٨، بنصه.

ظرفًا)[١]. قال أبو علي: ولهذا عبارةٌ أجودُ مما ذكر وأوضح في المعنى؛ وهو أن يقول: وليتبروا في وقت علوهم؛ لأن هذه (ما) التي أصلها المصدر، ثم يتسع فيها وتستعمل ظرفًا من الزمان[٢].

٨- قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ هذا مما أخبر الله تعالى أنه قضى به إلى بني إسرائيل في كتابهم، والمعنى: لعل ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يابني إسرائيل، قال المفسرون: فعاد الله بعائدته ورحمته عليهم حتى كثروا وانتشروا[٣].

قال الأخفش: في الآية محذوف، تقديره: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ إن فعلتم ذلك؛ يعني أحسنتم وتركتم المعاصي[٤]، ثم قال: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال الحسن: وإن عدتم بالمعصية عدنا بالعقوبة[٥].

قال قتادة وإبراهيم وغيرهم: فعاد[٦] القوم لشر ما يحضر بهم، فبعث الله عليهم من شاء لنقمته وعقوبته[٧]، ثم كان آخر ذلك أن بعث عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم أبدًا إلى يوم القيامة، يُعْطُون الجزية

---

(١) هكذا وردت العبارة- بين القوسين- في جميع النسخ، ويبدو أن (ما) تقدمت على (فجعل)، فتكون العبارة فجعل (ما) ظرفًا.

(٢) «الإغفال» ٢/ ١٥٣ بنصه تقريبًا، ولا فرق كبير بين المعنيين، مع وصفه لعبارته بأنها أجود وأوضح.

(٣) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦١) بمعناه، و«هود الهواري» ٢/ ٤١٠، بنحوه مختصرًا، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٢، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٣.

(٤) ليس في معانيه.

(٥) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٦، بنصه.

(٦) في (أ)، (د): (فعادو).

(٧) أخرجه الطبري ١٥/ ٤٣، بنصه تقريبًا عن قتادة، وبمعناه عن ابن عباس وقتادة، =

عن يد وهم صاغرون، وهو معنى قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ﴾[1] الآية [الأعراف: ١٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ قال ابن عباس والمفسرون كلهم: سجنًا ومحبسًا[2]، وذكرنا الكلام في الحصر عند قوله: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال الأخفش في قوله: ﴿حَصِيرًا﴾، أي: مَحْبِسًا ومَحْصِرًا[3]، وهو قول جميع أهل اللغة؛ قال الليث: يُفَسَّر على أنهم يُحْصَرُون فيها[4]، وقال ابن قتيبة: هو فعيل بمعنى فاعل[5].

= ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٤ب- بمعناه عن قتادة، و«الماوردي» ٣/ ٢٣١- بمعناه عن قتادة، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٢- بمعناه عن ابن عباس وقتادة، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٠، عن قتادة، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٢، عن قتادة، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٤، عن قتادة، و«أبي حيان» ٦/ ١١، و«ابن كثير» ٣/ ٣٠.

(١) أورد المؤلف في تفسير هذه الآية قول ابن عباس والحسن وابن جبير وقتادة؛ قالوا: هم العرب ومحمد ﷺ وأمته، بعثهم الله على اليهود يقاتلونهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.

(٢) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٢ب بلفظه، وأخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٤ بلفظه عن قتادة، وورد بلفظه في: غريب القرآن لليزيدي ص٢١٢، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٢، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٤٥ بلفظه عن ابن عباس -من طريق ابن أبي طلحة- وأبي عمران وقتادة وابن زيد، وبمعناه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد، وورد كذلك في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٦ بلفظه عن قتادة، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦١ بنصه، و«هود الهواري» ٢/ ٤١٠ بلفظه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٤ب بلفظه، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٢ بلفظه ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٢، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٤، و«الخازن» ٣/ ١٥٨، و«ابن كثير» ٣/ ٣٠.

(٣) ليس في معانيه، وورد في «تهذيب اللغة» (حصر) ١/ ٨٣٩، بنصه.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (حصر) ١/ ٨٣٩ بنصه.

(٥) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ بنصه.

وقال أبو إسحاق: حصيرًا معناه حَبْسًا؛ من حصرته، أي حَبَسْتُه فهو محصور، وهذا حَصِيرُهُ أي مَحْبِسُهُ[١]، والحصير الملك لأنه محجوب فكأنه محصور[٢]، والحصير الجَنْبُ؛ لأن بعض الأضلاع محصور مع بعض[٣]، ومن هذا يقال للذي يُفْرَش: حصير؛ لحصر بعضه على بعض بالنسج[٤].

وإلى هذا ذهب الحسن في تفسير هذه الآية. فقال في قوله: ﴿لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ أي مهادًا وفراشًا[٥]؛ كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٨ بتصرف يسير.

(٢) ورد بنصه تقريبًا في «تفسير الطبري» ١٥/ ٤٥، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٤ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٢، انظر: «الصحاح» (حصر) ٢/ ٦٣١، و«مجمل اللغة» ١/ ٢٣٩، و«اللسان» (حصر) ٢/ ٨٩٦، و«عمدة الحفاظ» ١/ ٤٨٢.

(٣) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٩ بنصه، (الجَنْبُ): شِقُّ الإنسان وغيره. «اللسان» (جنب) ١/ ٢٧٥.

(٤) قاله القُشَيْرِي؛ كما في «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٢٤، انظر (حصر) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٣٩، و«اللسان» ٢/ ٨٩٧، و«عمدة الحفاظ» ١/ ٤٨١، وقال: سمي الحصير حصيرًا لكونه يَحصرُ من يجلس عليه.

(٥) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٤ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ٤٥- ٤٦ بنصه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٦ بنصه، وتصحفت فيه: مهادًا إلى معادًا، و«المفردات» ص٢٣٨ بلفظه، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٤ب بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٣١) بنصه، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٢ بلفظه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٢، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٤، و«عمدة الحفاظ» ١/ ٤٨٢، و«تفسير ابن كثير» ٣/ ٣٠.

وقد رجح الطبري قول الحسن هذا، وقال: إن الحصير بمعنى البساط في كلام العرب أشهر منه بمعنى الحبس، كما أن فعيلًا في الحصر بمعنى وصفه بأنه الحاصر لا وجود له في كلام العرب، وقال الثعلبي: وهو وجه حسن.

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ﴾ إلى آخر الآية. فصلٌ يحتمل أن يكون ابتداءَ إخبارٍ عن الله تعالى في عقاب جميع الكافرين، ويحتمل أن يكون عطفًا على ما قبله؛ فيتضمن الإخبار عن تمام عقابهم على عودهم، والمراد بالكافرين اليهود؛ كأنه قيل: وإن عدتم للمعاصي والفساد عدنا عليكم بالتسليط، هذا في الدنيا، وجعلنا جهنم لكم مَحْبَسًا في الآخرة، وصرف الخطاب إلى المعاينة في قوله: ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾.

٩- قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى﴾، أي: يُرْشد ويدعو للتي، أي إلى التي ﴿هِىَ أَقْوَمُ﴾، أي: أعدل وأرشد[1] وأصوب؛ من قولهم: رمح قويم وقوام، أي مستقيم[2]، وفلان أقوم كلامًا من فلان، أي أعدل، و﴿لِلَّتِى﴾ نعت لموصوف محذوف على تقدير: يهدي للكلمة التي هي أقوم أو الطريقة والحالة؛ وهي كلمة التوحيد على ما قاله المفسرون[3]، وإن شئت قلت طريقة التوحيد والإسلام[4]، وقال الزجاج: للحال التي هي أقوم الحالات، وهي توحيد الله والإيمانُ بِرُسُلِه والعملُ بطاعته[5].

١٠- قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ الآية. فيجب ﴿أَنَّ﴾

---

(١) في (أ)، (ش)، (ع): (أشد)، والمثبت من (د)، وهو المناسب للسياق.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (قام) ٣/ ٢٨٦٤ بنصه.

(٣) ورد في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٧- بمعناه، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٧، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦١، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٤ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٢- بمعناه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٠، و«ابن عطية» ٨/ ٢٦، و«الخازن» ٣/ ١٥٨.

(٤) ورد نحوه في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٥٣، وهو أعمّ من الأول، ورجحه ابن عطية ٩/ ٢٦.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٩ بنصه تقريبًا.

للعطف بها على ﴿أَنَّ﴾ الأولى؛ وذلك أنهم بُشِّرُوا بالنّعيم الذي لهم والعذاب الذي لأعدائهم، قال الفراء: أُوقعت[١] البشارة على قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا﴾ وعلى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية. على أن يكون المؤمنون بُشِّرُوا بهما جميعًا؛ كما تقول: بَشَّرت عبدالله أنه سيُعطى وأن عدوّه سيُمنَع[٢]، وذلك أن المؤمنين كانوا في أذى من المشركين فجعل الله لهم البشرى في الدنيا بعقاب الكافرين.

١١- قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ الآية. القياس إثبات الواو في ويدعو، وحُذف في المصحف من الكتابة؛ لأنها لا تظهر في اللفظ، ولم تحذف في المعنى ؛ لأنها في موضع رفع، فكان [حذفها باستقبالها اللام الساكنة، ومثلها:][٣] ﴿يُنَادِ ٱلْمُنَادِ﴾ [ق:٤١] و﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ [القمر:٥] فلو كان بالياء والواو كان صوابًا، هذا كلام الفراء[٤]، والمعنى: أن الإنسان ربما دعا عند الضجر والغضب على نفسه وأهله وولده بما لا يحب أن يستجاب له ؛ كما يدعو لنفسه بالخير[٥]، والمعنى: كدعائه بالخير، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ أي في طلب ما هو شَرٌّ له؛ يَعْجل بالدعاء في الشر عجلته بالدعاء في الخير، هذا قول مجاهد وقتادة وعامة

---

(١) في (ش)، (ع): (وقعت)، والمثبت موافق للمصدر.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٧ بتصرف يسير.

(٣) ما بين المعقوفين إضافة من المصدر ليتضح المراد، ويبدو أنها سقطت .

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٧ بتصرف.

(٥) ورد نحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ٤٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٣، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٢، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٥، و«أبي حيان» ٦/ ١٣ .

المفسرين[١]، والإنسان في هذه الآية اسم الجنس.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني النضر بن الحارث؛ قال: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ﴾[٢] الآية .[الأنفال: ٣٢] ﴿دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ يريد كما يدعو المؤمنون بالمغفرة والرحمة، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ يعني آدم حين نهض قبل أن يجري الروح فيه؛ وذلك أن آدم لما انتهت النفخة إلى سرته نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى، فذهب لينهض فلم يقدر، وهو قوله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾[٣].

١٢- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ قال المفسرون وأهل

---

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٤- بمعناه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ٤٨ بمعناه عن قتادة ومجاهد، وورد بمعناه في: «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٢، عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، والطوسي ٦/ ٤٥٣، بنحوه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨١، و«ابن عطية» ٩/ ٢٧، عن ابن عباس وقتادة ومجاهد، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٢، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٦، و«ابن كثير» ٣/ ٣٠.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٧، وورد غير منسوب في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٣أ بنصه، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، بنصه، و«ابن عطية» ٩/ ٢٨، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٣، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٢، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٥، و«أبي حيان» ٦/ ١٤، والتعميم أولى من التخصيص في مثل هذا.

(٣) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٣أ، بنحوه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ٤٧- ٤٨، بنحوه عن ابن عباس وسلمان، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٨، عن سلمان، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، عنهما، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ، عنهما، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٢، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٢٨، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٣، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٣، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٦، و«أبي حيان» ٦/ ١٣، و«ابن كثير» ٣/ ٣٠، وأغلب الظن أن هذا الخبر من الإسرائيليات.

المعاني: جعلناهما علامتين تدلان على قدرة خالقهما ووحدانيته[(١)].

وقال آخرون: المعنى جعلناهما ذوي آيتين[(٢)]؛ فحذف المضاف، يدل عليه أنه قال: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، ولم يقل: فمحونا الليل ولا فمحونا أحديهما، فلما أضاف الآية إلى الليل والنهار دل على أن الآيتين المذكورتين لهما لا هما.

وقوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، أي: طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد، وهذا قول عامة المفسرين[(٣)]؛ قالوا: السواد الذي يُرى في القمر هو أثر المحو[(٤)]، وروي في حديث مرفوع: **«إن الشمس والقمر كانا**

---

(١) ورد بنحوه في: «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٣أ، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨١، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٤، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٧، و«الخازن» ٣/ ١٥٨، و«أبي حيان» ٦/ ١٤، و«الدر المصون» ٧/ ٣٢١.

(٢) انظر: «الإملاء» ٢/ ٨٩، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٦٢، و«تفسير أبي حيان» ٦/ ١٤، و«الدر المصون» ٧/ ٣٢١، و«تفسير الألوسي» ١٥/ ٢٦ .

(٣) ذكر الفخر الرازي قول الجمهور وذكر قولًا آخر ورجحه؛ وهو: أن المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور؛ يبدأ هلالًا ولا يزال يكبر حتى يصير بدرًا كاملًا، ثم يبدأ في الانتقاص قليلًا قليلًا، وذلك هو المحو، ثم ذكر مسوغات ترجيح هذا القول. انظر: «الرازي» ٢٠/ ١٦٤، ويضاف إلى ما ذكره أن الأثر الذي اعتمد عليه عامة المفسرين أثر ضعيف عن علي وابن عباس، فهو عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة)، وعن علي من طريق ابن الكَوَّاء الخارجي؛ من رؤوس الخوارج، قال عنه البخاري: لم يصحَّ حديثه. انظر: «لسان الميزان» ٣/ ٣٢٩.

(٤) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٣أ، بنحوه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٤٩- ٥٠، بنحوه عن علي وابن عباس ومجاهد من عدة طرق، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٢٨، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٢، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٤، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨١، و«ابن عطية» ٩/ ٣٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٤، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٨، و«ابن =

سواء في النور والضوء، فأرسل الله ﷻ جبريل فأمَرّ جناحه على وجه القمر فطَمس عنه الضوء»[١]. ومعنى المحو في اللغة: إذهاب الأثر، يقول: **محوته** أمحوته وأمحاه، وامحى الشيء وامتحى: إذا ذهب أثره[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾، أي: يبصر فيها، فكأن **المعنى** أنها مضيئة؛ كما قال: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]، أي: **مضيئًا**، وقد مر، قال أبو عبيد: هذا قول الفراء[٣].

وفيه وجه آخر يقال: قد أبصر النهار، إذا صار الناس يبصرون فيه فهو مبصر؛ كقولك: رجلٌ مُخْبِث إذا كان أصحابُه خُبَثاء، ورجلٌ مُضْعِف إذا كانت دوابُّه ضعافًا، وكذلك النهار مبصرًا، أي: أهله بُصَرَاء[٤]، وهذا

= كثير» ٣/ ٣١، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في المصاحف عن علي ﷺ، وأورده كذلك وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن عباس ﷺ.

(١) ورد بنحوه موقوفًا على ابن عباس في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ، مفصلًا، و«البغوي» ٥/ ٨١، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٧ مرفوعًا وموقوفًا، و«الخازن» ٣/ ١٥٨، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٠٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه - بسند واه - عن ابن عباس مرفوعًا.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (محا) ٤/ ٣٣٤٧، و«المحيط في اللغة» (محو) ٣/ ٢٣١، و«اللسان» (محا) ٧/ ٤١٥٠.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٦ بلفظه، وورد في «تهذيب اللغة» (بصر) ١/ ٣٤٢ بلفظه عن الفراء.

(٤) ورد في «تفسير الطبري» ١٥/ ٥٠، بنحوه، لكنه قال: كقولهم: رجلٌ مجبن، إذا كان أهله جبناء، ورجلٌ مضعف، إذا كانت رواته ضعفاء، وورد بنصه تقريبًا في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٤، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٨، و«أبي حيان» ٦/ ١٤.

كقوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ٥٩]، وسنذكر ما فيها إن شاء الله.

وقوله تعالى: ﴿لِتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾، أي: لتبصروا كيف تتصرفون في أعمالكم، ﴿وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ﴾ بمحو آية الليل، ولولا ذلك ما كان يُعرف الليلُ من النهار، وكان لا يَتبيَّن[١] العدد، ونظير هذه الآية قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ الآية [يونس: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ﴾، أي: مما يُحْتَاج إليه، ﴿فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾: بيناه تبيينًا لا يَلْتَبِس معه بغيره[٢]، وهذا معنى قول ابن عباس: يريد فَصَّلنا ما خلقت[٣] للنافع تفصيلًا.

١٣- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ الآية. روى الحكم عن مجاهد قال: مكتوب في ورقة شقي أو سعيد معلقة في عنقه[٤]، وهذا كما روي عن الحسن في قوله: ﴿طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ قال: شَقَاوَته وسعادته[٥].

---

(١) العبارة في جميع النسخ: فكان الآيتين، وهو تصحيف، وفي «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٥أ: ولا يتبين العدد، والمثبت من تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٧٧.

(٢) في جميع النسخ: لغيره، والتصويب من تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٧٧.

(٣) هكذا في جميع النسخ: ما خلقت، والأولى: ما خلقنا لينسجم مع فصَّلنا.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٥١، بنحوه، وورد بنحوه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥ب، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٢، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٣- ٣٠٤ وزاد نسبته إلى أبي داود في كتاب القدر [لم أجده في سننه] وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) ورد في «تفسير مجاهد» ١/ ٣٥٩ بنصه عن الحسن، أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٤، بنحوه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٢، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٥.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: عمله من شَقَاوَة أو سعادة[١].

وقال السدي: ما كُتبَ له من خير أو شر[٢].

وروي عن ابن عباس: أنه قال عَمَلُه وما قُدّر عليه فهو ملازمه أينما كان[٣]، هذا قول المفسرين في هذه الآية، وإنما قيل لما يأتيه الإنسان ويعمله[٤] من خير وشر: طائر، على مذهب العرب وتعارفهم في ذلك؛ نحو قولهم: جرى طائرُه بكذا من الخير، وجرى له الطائرُ بكذا من الشر؛ على طريق الفأل والطِّيرة، أنشد أبو زيد لحسان بن ثابت:

ذَريني وعِلْمي بالأمور وسيرتي فما طائري فيها عليكِ بأَخْيَلا[٥]

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٥٩ بمعناه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٥١ مختصرًا من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٣٠ مختصرًا.

(٢) انظر: «تفسير أبي حيان» ٦/ ١٥ بمعناه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٠٣- ٣٠٤ وعزاه إلى ابن أبي حاتم بمعناه.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٥١ بنصه من طريق عطاء الخرساني (منقطعة)، وأخرجه مختصرًا من طريق العوفي (ضعيفة)، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٠، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٢- بمعناه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥ب بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٢، و«ابن عطية» ٩/ ٣١، و«الخازن» ٣/ ١٥٩، و«أبي حيان» ٦/ ١٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) في (أ)، (د) تصحفت إلى: (يعلمه).

(٥) «ديوانه» ص٢٠٦ برواية: (وشيمتي) بدل (وسيرتي)، (ويومًا) بدل (فيها)، وورد في: «الحجة للقراء» ٥/ ٨٩، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٥٦ برواية: (وشيمتي)، و«شرح شواهد الإيضاح» ص٣٩٢ عجزه، و«اللسان» (خيل) ٣/ ١٣٠٦، و«شرح التصريح» ٢١٤، وورد بلا نسبة في: «الاشتقاق» ص٣٠٠ عجزه، و«أوضح المسالك» ٤/ ١٢٠ عجزه، و«شرح الأشموني» ٣/ ٤٣٦، (الأخيل): طائر يُتشاءَم به، وهو ما يسمونه الشِّقِرَّاق، تقول العرب: أشأم من أخْيَل.

أي ليس رأيي بمشؤوم، قال أبو زيد: كلما مرَّ من طائر أو ظبي أو غيره، وكل ذلك عندهم طائر وطير[١]، وأنشد لكثير:

جرت لي بهجرانك يا عز لا جرت ظباء اللوى لو أنني أتطير

ذكر في هذا البيت الظباء ثم جعلهن طيرًا؛ فقال:

فقلت لأصحابي ازجروا لا أبا لكم لعلكم للطير مني أزجر

فقالوا نراها طير صدق وقد جرى لي الطير منها بالذي كنت أحذر[٢]

ومذهبهم في العِيافة والزجر[٣] معروفٌ، وأشعارهم في ذلك كثيرة، وهو باطل من أهل الجاهلية، إلا أنهم لما كانوا يتفاءلون[٤] في الخير والشر في الطائر والطير، سموا ما تفاءلوا[٥] به طائرًا وطيرًا، وإن لم يكن من

---

(١) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٥٦ بنصه تقريبًا.

(٢) لم أجده في «ديوانه»، ولم أقف عليه.

(٣) العيافة: زَجْر الطير؛ وهو أن يرى طائرًا أو غرابًا فيتطيَّر، قاله الأزهري، وفي اللسان، العيافة: زجْرُ الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها ومَمَرِّها، وهو من عادة العرب كثيرًا، وهو كثير في أشعارهم، يقال: عافَ يعيف عيفًا إذا زجَرَ وحدَس وظن، والعائف: الذي يَعيفُ الطير فيَزْجُرُها.
انظر: «تهذيب اللغة» (عاف) ٣/ ٢٢٨٥، و«المحيط في اللغة» (عيف) ٢/ ١٧٢، و«اللسان» (عيف) ٥/ ٣١٩٣. الزَّجْرُ للطير وغيرها: التَّيَمُّنُ بِسُنُوحها، أو التَّشاؤم بِبُرُوحها، وإنما سُمِّي الكاهنُ زاجرًا؛ لأنه إذا رأى ما يظن أنه يُتَشاءمُ به زَجَرَ بالنَّهي عن المُضيِّ في تلك الحاجةِ برفع صوتٍ وشدَّةٍ، قاله الزجاج، وقال الليث: الزَّجرُ: أن يَزْجُرَ طائرًا أو ظَبْيًا سانِحًا أو بارحًا فيتطيَّر منه. [والسانحُ: ما وَلاَّك مَيَامِنَه، والبارح: ضِدُّه.] انظر زجر في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥١٣، و«المحيط في اللغة» ٧/ ٢٠، و«اللسان» ٣/ ١٨١٣.

(٤) في جميع النسخ: (يتألفون)، والصحيح المثبت؛ لأن الكلام في التفاؤل لا التألف، فهو تصحيف.

(٥) في جميع النسخ: (ما تعالوا)، ولا معنى لذلك، والصواب المثبت، فلعلها تصحفت عنها.

ذوات الأجنحة.

ثم سموا الخير والشر أيضًا طائرًا وطيرًا على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سببًا، فخاطبهم الله بما يستعملون، وهذا كلام ابن قتيبة[١] وأبي علي الفارسي[٢]، ويدل على صحة هذا الذي ذكرناه قراءة الحسن ومجاهد: (أَلْزَمْنَاهُ طَيره فِي عُنُقِهِ)[٣]، وعلى هذا معنى طائره: أي عمله من خير وشر.

قال الفراء: الطائر معناه عندهم العمل[٤].

وقال أبو عبيدة: الطائر عند العرب الحظ[٥]، وهو الذي تسميه الفرس البخت، وعلى هذا يجوز أن يكون معنى الطائر: ما طار له من خير أو شر، أي صار له عند القسمة؛ من قولهم: أَطَرْتُ المالَ وطَيَّرته بين القوم فطار لكل منهم سهمه، أي صار له[٦]، وقد بينا هذا المعنى في سورة الأعراف عند قوله: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾[٧].

قال الأزهري: والأصل في هذا أن الله تعالى لما خلق آدم عَلِمَ

---

(١) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٢ باختصار.

(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٨ باختصار.

(٣) وهي قراءة شاذة وردت عن الحسن ومجاهد وأبي رجاء. انظر: «القراءات الشاذة» لابن خالويه ص٧٩، و«إعراب القراءات الشاذة» ١/ ٧٧٨، و«تفسير الرازي» ٢٠/ ١٦٧، و«القرطبي» ١٠/ ٢٢٩، و«أبي حيان» ٦/ ١٥.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٨، بنحوه.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٢، بنحوه.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (طار) ٣/ ٢١٤٩ بنصه.

(٧) الأعراف [١٣١].

المطيعَ من ذريته والعاصي، فكتب ما علمه[١] منهم أجمعين، وقضى سعادة مَنْ عَلِمَه مطيعًا وشقاوة مَنْ عَلِمَه عاصيًا، فصار لكلٍّ ما هو صائرٌ إليه عند خلقه وإنشائه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾، أي: ما طار له في علم الله بدءًا[٢] من الخير والشر[٣].

وقوله تعالى: ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ عبارة عن اللزوم، قال أبو إسحاق: وإنما يقال للشيء اللازم: هذا في عنق فلان؛ أي لُزُومه له كلزوم القلادة من بين ما يُلْبَس في العنق[٤].

وقال أبو علي: وهذا مِثْلُ قولهم: طَوَّقتُك كذا وقَلَّدتك كذا؛ أي صرفته نحوك، وألزمته[٥] إياك، ومنه: قَلَّده السلطانُ كذا؛ أي صارت الوِلَاية في لزومها له في موضع القلادة [و][٦]مكان الطوق[٧]، قال الأعشى:

قَـلَّـدتُـك الـشِّـعـرَ يـا سَـلَامـةُ ذا الـ
تّفْضَالِ والشيءُ[٨] حيثُ ما جُعِلَا[٩][١٠]

---

(١) في جميع النسخ: (ما عمله)، وهو تصحيف.

(٢) في (أ)، (د): (بريًا)، وفي (ش)، (ع): (بمريًا)، ولم أجد لذلك معنى في هذا السياق، والمثبت من المصدر.

(٣) «تهذيب اللغة» (طار) ٣/ ٢١٥٠ بتصرف، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٥ بنصه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٠ بنصه.

(٥) في جميع النسخ: (ألزمت) بدون الضمير، والسياق يقتضيه، وهو كذلك في المصدر.

(٦) إضافة يقتضيها السياق، وهي مثبتة في المصدر.

(٧) في جميع النسخ: (الطرق) والتصويب من المصدر.

(٨) في جميع النسخ: (الشعر)، والصواب ما أثبته من الديوان وتفسير ابن عطية.

(٩) «ديوانه» ص ١٣٨، وورد في «تفسير ابن عطية» ٩/ ٣٣، (التفضال): الإحسان.

(١٠) «الحجة للقراء» ٥/ ٨٩ بنصه.

هذا قول الجمهور[(١)]، وقال بعض أهل المعاني: إنما خص العنق؛ لأن عمله لا يخلو إما أن يكون خيرًا يَزِينُه أو شرًا يَشِينُه، وما يُزَيِّنُ كالطوق والحُلِي، أو يَشِينُ كالغل، فإضافته إلى الأعناق[(٢)]، وعلى ما ذكر مجاهد[(٣)]: ما قُسِمَ له أُثبت في ورقة وعُلّقت من عنقه، غير أنَّا لا نشاهد ذلك مرئيًا[(٤)]، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا﴾ قال الحسن: يا ابن آدم، بُسِطت لك صحيفة، ووُكِلَ بك ملكان، فهما عن يمينك وعن شمالك، فأما الذي[(٥)] عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، حتى إذا مِت طُويت صحيفتُك وجُعلت معك في قبرك حتى تُخْرَج لك يوم القيامة[(٦)]، فعلى هذا معنى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾، أي: من قبره معه، ويجوز أن يكون معنى: ﴿نُخْرِجُ﴾ نظهر له ذلك؛ لأنه لم ير كتابه في الدنيا، فإذا بُعث أُظهر له ذلك وليبرز من الستر.

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٣أ، و«الطبري» ١٥/ ٥١، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٠، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٣، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٥، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٨.

(٢) ورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ٥١، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٥ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٥٧، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٢، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٨، و«الخازن» ٣/ ١٥٩، و«أبي حيان» ٦/ ١٥.

(٣) تقدم قريبا.

(٤) في (ش)، (ع): (بمريًا).

(٥) في جميع النسخ: (الذين)، والمثبت هو الصحيح.

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٢-٥٣، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٥ب، بنحوه، انظر: «تفسير الفخرالرازي» ٢٠/ ١٦٨، و«ابن كثير» ٣/ ٣٢، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٠٤، و«تفسير الألوسي» ١٥/ ٣٢.

وقرأ يعقوب: (ويَخْرُجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا)(١) على معنى ويَخْرُجُ له طائرُه، أي عملُه، ﴿كِتَٰبًا﴾، أي: ذا كتاب، ومعنى (ذا كتاب) أنه مثبت في الكتاب الذي قيل فيه: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الكهف: ٤٩]، وعلى هذا المعنى قرأ أبو جعفر(٢): (ويُخْرَجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا)(٣) أي يُخْرَجُ له الطائر؛ أي عمله، ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، وقرأ ابن عامر: (يُلَقَّاهُ)(٤) من قولهم: لَقَّيْتُ فلانًا

(١) قرأ يعقوب: ﴿وَيَخرُجُ﴾ بالياء مفتوحةً والراء مضمومةً، قال الطبري: وكأن من قرأ هذه القراءة وجَّه تأويل الكلام إلى: ويخرج له الطائرُ الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة، فيصير كتابًا يقرؤه منشورًا، وقال الزمخشري: والضمير للطائر؛ أي يَخْرجُ الطائرُ كتابًا، وانتصاب (كتابًا) على الحال.
انظر تفسير «الطبري» ١٥/ ٥٢، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٧، و«تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٥٤، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٥٠، و«النشر» ٢/ ٣٠٦، و«الإتحاف» ص٢٨٢.

(٢) أبو جعفر يزيد بن القعقاع، أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، انتهت إليه القراءة بالمدينة، قرأ على زيد بن ثابت وسمع ابن عمر ﷺ، توفي سنة ١٣٠هـ. انظر: «وفيات الأعيان» ٦/ ٢٧٤، و«معرفة القراء الكبار» ١/ ٧٢، و«غاية النهاية» ٢/ ٣٨٢، و«النشر» ١/ ١٧٨.

(٣) قرأ أبوجعفر: ﴿وَيُخْرَجْ﴾ بضم الياء وفتح الراء، على ما لم يُسَمَّ فاعله، ونائب الفاعل: ضمير الطائر. قال الطبري: وكأنه وجَّه معنى الكلام إلى: ويُخْرَج له الطائر يوم القيامة كتابًا، يريد: ويخرج الله ذلك الطائر قد صيَّره كتابًا. انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٥٣، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٧، و«النشر» ٢/ ٣٠٦، و«الإتحاف» ص٢٨٢.

(٤) قرأ ابن عامر: (يُلَقَّاهُ) بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، جعل الفعلَ لغير الإنسان؛ أي: الملائكة تلقاه بالكتاب الذي فيه نسخة عمله وشاهده؛ أي: يستقبل به. انظر: «السبعة» ص٣٧٨، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٤، و«علل القراءات» ١/ ٣١٦، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٧، و«النشر» ٢/ ٣٠٦.

الشيءَ، أي: استقبلته به، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الدهر: ١١]، وهو منقول بالتشديد؛ من لَقِّيْتُ الشيءَ ولَقَّانِيهِ زيدٌ(١).

١٤- قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ﴾ قال الفراء والكسائي: (يُقَال) ها هنا مضمرة كقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ﴾ [غافر: ٤٦]، وقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾(٢) [آل عمران: ١٠٦]، وقد مر.

قال الحسن يقرأه أُمِّيًا كان(٣) أو غير أمِّي(٤).

وقال قتادة: سيقرأ يومئذ من لم يكن قارئًا(٥).

وقال بكر بن عبد الله(٦) يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفة حسناته في ظهره يغبطه الناس عليها، وسيئاته [في](٧)جوف صحيفته وهو يقرؤها، حتى إذا ظن أنها قد أوبقته، قال الله له: اذهب فقد غفرتها لك فيما بيني وبينك،

---

(١) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٩٠، بنحوه.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٩ بنصه، ولم أقف عليه منسوبًا إلى الكسائي.

(٣) ساقطة من (د).

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ، بنحوه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٦، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٩، و«القرطبي» ١٠/ ١٥٠.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٥٣ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٢، و«الزمخشري» ٢/ ٣٥٤، و«ابن عطية» ٩/ ٣٥، و«أبي حيان» ٦/ ١٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٤ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، و«تفسير الشوكاني» ٣/ ٣٠٦، والألوسي ١٥/ ٣٣.

(٦) بكر بن عبد الله المزني البصري، أبو عبد الله، ثقة ثبت جليل، روى عن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما وعنه: قتادة وحبيب بن الشهيد مات سنة (١٠٨هـ) انظر: «الجرح والتعديل» ٢/ ٣٨٨، و«الكاشف» ١/ ٢٧٤ (٦٢٨)، و«تقريب التهذيب» ص١٢٨ (٧٤٣)، و«تفسير الطبري» شاكر ١/ ٢٧٤ (٦٢٨).

(٧) إضافة يقتضيها السياق؛ كما في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٩.

فَيُسَرُّ ويُشْرِقُ لونُه ويقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾(١) [الحاقة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾، الحَسِيْبُ بمعنى الحاسب، كالشريك والنديم، وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، أي: محاسبًا.

قال الحسن: عدلٌ واللهُ عليك، مَنْ جعلك حَسِيبَ نَفْسِك(٢).

وقال السدي: يقول الكافر يومئذ: إنك قضيتَ أنك لست بظلام للعبيد، فاجعلني أُحاسبُ نفسي، فيقال: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾(٣).

١٥- قوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ﴾، أي: ثواب اهتدائه له ولنفسه؛ يعني الخير باهتدائه، ﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ﴾، أي: على نفسه عقوبة ضلاله؛ فهُداه له كما أن ضلاله عليه، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن الوليد بن المغيرة قال: اتبعوني وأنا أحمل أوزاركم(٤).

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٩ بنصه تقريبًا، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٢، بنحوه عن ابن عباس.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ بنصه تقريبًا، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٢، و«الزمخشري» ٢/ ٣٥٤، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٦، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٩، و«الخازن» ٣/ ١٥٩، و«أبي حيان» ٦/ ١٦، و«الألوسي» ١٥/ ٣٣.

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٦٩، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٤، وعزاه إلى ابن أبي حاتم، ومثل هذه الأخبار لا تثبت إلا بخبر صحيح عن المعصوم.

(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٨١، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٧، و«القرطبي» ١٠/ ١٥١، و«الألوسي» ١٥/ ٣٥، وورد بلا نسبة في «تفسير ابن عطية» ٩/ ٣٦، و«أبي حيان» ٦/ ١٦، وحمل الآية على العموم أولى من التخصيص.

قال قتادة: لا والله، ما يحمل اللهُ على عبدٍ ذَنْبَ غيرِه، ولا يُؤاخَذ إلا بعمله[١]. قال أبو إسحاق يقال: وَزَرَ يَزِرُ فهو وَازِرٌ وَزْرًا وَوِزْرًا، [و][٢]وِزْرَةً، معناه: أثِمَ يَأْثَمُ إثمًا، قال: وفي تأويل هذه الآية وجهان؛ أحدهما: أن الآثِمَ والمُذْنِبَ لا يؤاخذ بذنب غيره، ولا يؤاخذ بذنبه غيرُهُ، والوجه الثاني: أنه لا ينبغي أن يعمل الإنسانُ بالإثم لأن غيرَه عَمِلَه؛ كما قالت الكفار: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[٣] [الزخرف: ٢٣]، ومضى الكلام في معنى الوِزْر والأَوْزَار في سورة الأنعام[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ قال ابن عباس: يريد اتخاذ الحجة على خلقه.

وقال قتادة: إن الله ليس معذبًا أحدًا حتى يسبق من الله إليه خبرٌ[٥] ويأتيه من الله بَيِّنَة[٦].

وقال أبو إسحاق: أي حتى[٧] نبين ما به نُعَذِّبُ وما من أَجْله نُدْخِلُ الجنَّةَ[٨]، وهذا يدل على أن الواجبات إنما تجب بالشرع لا بالعقل؛ لأن الواجبَ ما لا يؤمن العقاب في تركه، وقد أخبر أنه لا يعذب قبل بعثته

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٥٤ بنصه.

(٢) هذه الواو إضافة يقتضيها المقام؛ كما في «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٧.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣١ بنصه، إلا أنه أورد الآية [٢٢] التي قبلها وهي: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾.

(٤) آية [٣١].

(٥) في جميع النسخ: (خير)، والصحيح المثبت، كما في المصادر.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٥٤ بنصه تقريبًا.

(٧) في جميع النسخ: (حين)، والمثبت هو الصحيح، وموافق للمصدر.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣١ بنصه.

الرسول، فدل أنه إنما يُعرفُ الواجبُ بقول الرسولِ، ولا يجبُ شيءٌ على أحدٍ قبل بَعْثِ الرسولِ[(١)]، ولذا وجبتْ الدعوةُ قبلَ القتالِ، حتى لو أن المسلمين أناخوا بساحةِ قومٍ لم تبلغهم الدعوةُ، لم يجز لهم أن يهجموا عليهم بالقتال والثُّباتِ[(٢)] قبل تقديم الدعوة، ولو فعلوا ذلك ضَمِنوا دماءهم، كذلك قال الشافعي ﷺ[(٣)].

١٦- قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ هذا يُتَأول على وجهين:

أحدهما: أنهم أُمروا بالطاعة فعصوا، وهذا قول سعيد بن جبير[(٤)]، والمعنى على هذا: أَمَرْناهم على لسان رسولٍ بالطاعة ففسقوا، هذا نحو قولك: أمرتُك فعَصَيْتني، فقد عُلِمَ أن المعصية مخالفة للأمر[(٥)]، ولذلك؛

---

(١) وهو بهذا يرد على المعتزلة القائلين بأن الواجبات تجب بالعقل أولًا ثم بالشرع..، انظر: «فضل الاعتزال» ص١٣٩ نقلًا عن كتاب «الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة» ١/ ١٦٦.

(٢) جمعُ ثُبَةٍ، وهي الفرقة، والمقصود النفير بفرق وسرايا. انظر: «عمدة الحفاظ» ١/ ٣١٧.

(٣) كتاب «الأم» ٤/ ١٥٧، بنحوه، وقد نص على ذلك الماوردي، وقال: فإن بدأ بقتالهم قبل دعائهم إلى الإسلام وإنذارهم بالحجة، وقتلهم غرة وبياتًا ضمن ديات نفوسهم وكانت- على الأصح من مذهب الشافعي- كديات المسلمين، وقيل: بل كديات الكفار على اختلافها اختلاف معتقدهم. «الأحكام السلطانية للماوردي» ص٤٦، انظر: «حواشي تحفة المحتاج على المنهاج» ٩/ ٢٤٢، «الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته» ١/ ٢٠٦.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٥٥، بنحوه، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٥ بنصه، و«الطوسي» ٦/ ٤٦١، بنحوه.

(٥) في المصدر: (الأمر).

الفسق مخالفة أمر الله[١]، فقوله: ﴿أَمَرْنا﴾ يدل على أنه أمر بالطاعة وإن لم يُذْكر؛ كما تقول: أمرتك فعصيتني؛ معناه: أمرتك بطاعتي، فإن قيل: لِمَ خص المترفين بالأمر بالطاعة، وأمره بالطاعة لا يكون مقصورًا على المترفين، وقد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف وغيره؟! قيل: لأنهم الرؤساء الذين من عداهم تبع لهم، كما أن موسى بُعث إلى فرعون ليأمره بطاعة الله وكان من عداه من القبط تبعًا له[٢]، هذا إذا قلنا: إن قوله: ﴿أَمَرْنا﴾ من الأمر الذي هو ضد النهي.

الوجه الثاني: أن معنى قوله: ﴿أَمَرْنا﴾ أكثرنا، وهو قول مجاهد في رواية عبد الكريم[٣]، قال: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾: أكثرنا فساقها[٤]، ونحوه روى

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (أمر) ١/ ١٩٧، بنصه تقريبًا.

(٢) في جميع النسخ: (لها)، والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يرجع إلى فرعون، وورد هذا التعليل في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٥، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٤٦٠ بنصه تقريبًا.

(٣) ذكر محقق «تفسير مجاهد» ٣/ ٣٥٩ أن راويين اسمهما عبد الكريم رويا عن مجاهد؛ أحدهما: عبد الكريم بن مالك الجَزَري: تقدمت ترجمته. والآخر: عبدالكريم بن أبي المُخارق: هو أبو أميّة المعلِّم البصري، نزيل مكة، وهو ضعيف، قال يحيى: ليس بشيء، روى عن سعيد بن جبير، وعنه مالك والسفيانان، قال ابن حجر: وقد شارك الجَزَري في بعض المشايخ فربما التبس به على من لا فهم له، مات سنة ١٢٦هـ انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ٥٨-٥٩، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٣٦٠- ٣٦١، و«الكاشف» ١/ ٦٦١ (٣٤٣٢)، و«تقريب التهذيب» ص٣٦١ (٤١٥٦).

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٥٩ بنصه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ٥٥-٥٦، بنحوه عن عكرمة وسعيد، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٤، بنحوه عن مجاهد، و«تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٥، بنحوه عن مجاهد وعكرمة، و«الدر المنثور» ص٣٥٩ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

سِمَاك[١] عن عكرمة وعمر بن ثابت[٢] عن أبيه عن سعيد بن جبير، والعرب: تقول أَمِر القومُ إذا كثروا، وأمرهم اللهُ، أي: كَثَّرَهم، وآمَرَهم أيضًا بالمد[٣].

روى الجَرْميُّ[٤] عن أبي زيد: أَمِرَ اللهُ القومَ وآمرهم أي كَثَّرَهم، قال: مِثلُ نَضَّرَ اللهُ وجهه وأنضره، ومثل أَمِرَ القوم وأَمَرَهم غيرُهم، ورَجَعَ ورَجَعْتُه، وسَلَكَ وسَلَكْتُه، قال الله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢]، وشَتِرتْ[٥] عَيْنُه وشَتَرْتُهَا[٦].

---

(١) سِمَاك بن حرب بن أوس الهُذلي الكوفي، أبو المغيرة، تابعي أدرك ثمانين رجلًا من أصحاب النبي ﷺ، صدوق صالح من أوعية العلم، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وتغير بأخرة، مات سنة (١٢٣هـ) انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٢٧٩، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٤٢٢، و«الكاشف» ١/ ٤٦٥ (٢١٤١)، و«تقريب التهذيب» ص٢٥٥ (٢٦٢٤).

(٢) عمر بن ثابت الأنصاري الخزرجي، ثقة، سمع أبا أيوب الأنصاري ﷺ، وروى عنه الزهري ومالك بن أنس. انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ١٠١، و«الكاشف» ٢/ ٥٦، و«تقريب التهذيب» ص٤١٠ (٤٨٧٠).

(٣) ورد بنحوه في «غريب الحديث» ١/ ٢٠٨، و«تهذيب اللغة» (أمر) ١/ ١٩٦، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩٢ .

(٤) أبو عمر، صالح بن إسحاق الجَرْميّ البصري، مولى جَرْم بن زَبّان؛ من قبائل اليمن، إمام في النحو، ناظر الفراء ببغداد، أخذ عن الأخفش وغيره، ولقي يونس وأخذ عن أبي زيد اللغة، وعن أبي عبيدة والأصمعي. انظر: «أخبار النحويين البصريين» ص٨٤، و«نزهة الألباء» ص١١٤، و«البلغة» ص١١٣، و«البغية» ٢/ ٨.

(٥) الشَّتَرُ: انقلاب في جفن العين قلّما يكون خلقةً. انظر: «اللسان» (شتر) ٤/ ٢١٩٣.

(٦) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٩٢، عن الجرمي مختصرًا، و«المحتسَب» ٢/ ١٧، عن أبي زيد مختصرًا، والمقصود بهذه الأمثلة، التدليل على أن بعض الأفعال يعدى بالهمزة، وبعضها- الذي من باب فَعِل بكسرالعين- يتعدى بفتح العين والمعنى واحد. انظر: «المُوضح في القراءات» ٢/ ٧٥٢، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٦١.

قال أبو عبيدة[١]: وقد وجدنا تثبيتًا لهذه اللغة، وهو قوله ﷺ: «**سِكَّة مَأْبورة، ومُهْرة مَأْمورة**»[٢].

قال أبو زيد: هي التي قد كَثُر نَسْلُها، يقولون: أَمَر اللهُ المُهْرةَ؛ أي كَثَّر ولَدَها[٣]، وأبى قوم أن يكون (أَمَر) بمعنى أكْثَر، وقالوا: أَمِرَ القوم إذا كَثُروا، وآمرهم اللهُ بالمد، أي: أكثرهم، وتأولوا في قوله: (مهرة مأمورة) أنها على الإتْبَاع لمأبورة؛ نحو الغدايا والعشايا[٤].

---

(١) في جميع النسخ (أبو عبيد)، والتصويب من «الحجة للقراء» ٥/ ٩٢.
وهو في «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٣ بمعناه، وورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٩٢ بنصه، وواضح أنه نقله من «الحجة» لا من «المجاز».

(٢) وطرفه: (**خيرُ المال سِكَّة** ..) أخرجه أحمد ٣/ ٤٦٨ بنصه عن سويد بن هبيرة عن النبي ﷺ، والطبري ٨/ ٥١ بنصه، والطبراني في «الكبير» ٧/ ٩١، بنحوه من طريقين عن سويد بن هبيرة، وورد بنصه في «غريب الحديث» ١/ ٢٠٨، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٢، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٥، و«علل القراءات» ١/ ٣١٧، و«تهذيب اللغة» (أمر) ١/ ١٩٧، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٦، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٥/ ٢٥٨ وقال: ورجال أحمد ثقات، والسيوطي في الجامع [فيض القدير] ٣/ ٤٩١ ورمز له بالصحة، وفي بعض هذه المصادر تقديم مهرة على سِكَّة، (السِّكة): السَّطْر من النَّخل، (المأبورة): المُصْلَحةُ المُلقحةُ، يقال: أبَرت النخل آبُره أبْرًا إذا لَقَّحْته وأصلحته، (المُهْرَة): قال الليث: المُهْر ولد الرَّمَكَةِ- البرذون- والفرس، والأنثى مُهرة، والجميع مِهار، وقيل: أول ما نُتِجَ من الخيل والحُمُر الأهلية، قال ابن خالويه: يعني بالمُهرة: الكثيرة النِّتاج. انظر «أمالي القالي» ١/ ١٠٣، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٥، و«تهذيب اللغة» (مهر) ٤/ ٣٤٦٢، و«متن اللغة» ٤/ ٣٣٣٩.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (أمر) ١/ ١٩٧، بنصه.

(٤) ورد بنحوه في «إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٦، و«تهذيب اللغة» (أمر) ١/ ١٩٧، و«الطوسي» ٦/ ٤٦١.

وروى أبو العباس[١] -ختن ليث- عن أبي عمرو أنه قرأ ﴿أَمَّرْنا﴾ بالتشديد[٢]، وهو يوافق تفسير ابن عباس فيما روى عنه الوالبي، يقول: سَلَّطنا شرارها فعَصوا[٣].

وقال أبو إسحاق: أي جعلنا لهم إمْرةً وسلطانًا[٤]، وقال في رواية عطاء: يريد سَلَّطنا مُلُوكَها[٥].

قال أبو علي الفارسي: حَمْلُ أَمَّرْنا على أنه مثل: آمَرْنا؛ نحو: كَثَّرَهُ اللهُ وأَكْثَرَه، ولا يُحْمَل أمَّرْنا على أن المعنى: جعلناهم أُمراءَ؛ لأنه لا يكاد يكون في قرية واحدة عدّةُ أُمراءَ[٦].

وهذا الذي قاله أبو علي لا يقدح في قول ابن عباس؛ لأن القريةَ الواحدة قد يكون فيها أمراء كثير تبعًا لواحد هو أكبرهم، فهم يُسَمَّون أمراء ويكونون مُسَلَّطين، وإن كان فوقهم غيرُهم هو الأعظم، فهؤلاء لا يخرجون

---

(١) أحمد بن محمد بن عبد الله أبو العباس الليثي المعروف بختن ليث، روى القراءة عن أبي عمرو بن العلاء، وروى عنه هارون بن حاتم التيمي. «غاية النهاية» ١/ ١٢١.

(٢) انظر: «السبعة» ص٣٧٩، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٦، و«علل القراءات» ١/ ٣١٧، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩١، و«المُوضح في وجوه القراءات» ٢/ ٧٥٢.

(٣) ورد في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٩- بمعناه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٥٥ بنصه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٦ مختصرًا، و«تهذيب اللغة» (أمر) ١/ ١٩٧ بمعناه، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٧ بنصه وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن ابن عباس.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٢، بنصه.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٨، بنحوه.

(٦) «الحجة للقراء» ٥/ ٩٣، بنصه.

عن سِمَةَ الإمارة، ويُقَوّي ما قاله أبو علي: أن يونس روى عن أبي عمرو أنه قال: لا يكون أمَرْنا مخففة بمعنى كثرنا[(١)]، ولمّا أراد معنى الكثرة شَدَّد الميم ولم يقرأ بمد الألف لمّا لم يكن بالمصحف إلا ألف[(٢)] واحدة.

وروى حماد بن سلمة عن ابن كثير: آمَرْنا بالمد[(٣)]، وهي اللغة العالية[(٤)]؛ يقال: أمِرَ القوم وآمرهم الله، أي: أكثرهم، فهم مؤمَّرُون[(٥)].

ونحو هذا روى خارجة[(٦)] عن نافع[(٧)]، قال أبو إسحاق: ويكون لقوله[(٨)]: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ معنى آخر غير كثرة العدد، وهو أن تكثر[(٩)] جِدَتُهم ويَسَارُهُم[(١٠)].

قال أبو عبيد: الوجه قراءة العامة؛ لاحتماله معنى الأمر والكثرة[(١١)]،

---

(١) «الحجة للقراء» ٥/ ٩٢، بنحوه.

(٢) في (أ)، (د): (الألف).

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٧٩، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٦، و«علل القراءات» ١/ ٣١٦، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩١.

(٤) قاله ابن قتيبة في «غريبه» ١/ ٢٥٣.

(٥) ورد بنحوه في «إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٥.

(٦) خارجة بن عبد الله بن سليمان بن زيد بن ثابت، أبو زيد، وينسب إلى جده، ضعيف الحديث، روى عن أبيه ونافع، وعنه مَعْن والقَعْنبي، مات سنة (١٦٥هـ). انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٣٧٤، و«الكاشف» ١/ ٣٦١ (١٣٠٢)، و«ميزان الاعتدال» ١/ ٦٢٥، و«تقريب التهذيب» ص١٨٦ (١/ ١٦).

(٧) انظر: «السبعة» ص٣٧٩، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٦، و«علل القراءات» ١/ ٣١٦، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩١.

(٨) في جميع النسخ: (كقوله)، والصواب المثبت؛ كما يدل عليه السياق.

(٩) في جميع النسخ: (أن يكون)، وهو تصحيف ظاهر، والتصويب من المصدر.

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٢ بنصه تقريبًا.

(١١) لم أجده في كتابه «غريب الحديث»، وأخرجه ابن خالويه عنه في «إعراب =

فإنه يقال: أمير غير مأمور، أي: غير مؤمّر[(١)].

وأما المترف فمعناه في اللغة: المُنَعَّم الذي قد أبطرته النعمة وسِعةُ العيش[(٢)].

والمفسرون يقولون في تفسيرها: الجبارين والمسلطين والملوك[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ أي تمردوا في كفرهم، إذ الفسق في الكفر: الخروج إلى أفحشه[(٤)].

﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ﴾ قال ابن عباس: يريد استوجبت العذاب[(٥)]، يعني قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ﴾ الآية [القصص: ٥٩]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ

= القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٦، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ، بنحوه، وقد رجّح الطبري القول الأول، وعلله: بأن الأغلب من معنى أمرنا، الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره، ثم قال: وتوجيه معاني كلام الله جلّ ثناؤه إلى الأشهر الأعرف من معانيه أولى- ما وجد إليه سبيل- من غيره. انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٥٤، ٥٧.

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ بنصه.

(٢) انظر: (ترف) في «المحيط في اللغة» ٩/ ٤٢٦، و«الصحاح» ٤/ ١٣٣٣، و«العباب الزاخر» [ف/ ٤٢]، و«اللسان» ١/ ٤٢٩ وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٩، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٧٥.

(٣) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٣، بنحوه، و«تهذيب اللغة» (ترف) ١/ ٤٣٦ بلفظه عن قتادة، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ- بمعناه، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٦ بلفظه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٩.

(٤) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٦١ بنصه تقريبًا، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ١٩.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٣٤، بنحوه، وورد غير منسوب في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦أ، بنحوه، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٧٥ بنصه.

﴿لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ الآية [هود: ١١٧]، والآيات في هذا المعنى كثيرة، فقد قال ﷻ وحكم بأنه لا يُهلك قرية حتى يخالفوا أمره[١] في الطاعة، فإذا خالفوا الأمر حق عليهم قوله بالعذاب.

وقوله تعالى: ﴿فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾، أي: أهلكناها إهلاكَ الاستئصال، والدمارُ هلاكٌ بالاستئصال. وهذه الآية تأكيد لما سبق في الآية الأولى؛ لأن الله تعالى ذَكَرَ وبَيَّنَ أن العقاب إنما يحق على الناس بعد مخالفتهم أمر الله.

١٧- ثم ذكر سُنته في إهلاكِ القرون الماضية تخويفًا لكفار مكة، فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ﴾ الآية. وهذه الآية كقوله[٢]: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ [الأنعام: ٦]، وقد مر.

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ ذَكَرنا الكلام في هذه الباء في مواضع[٣].

وقال الفراء: لو ألقيت الباء كان الحرف مرفوعًا، وإنما يجوز دخول الباء في المرفوع إذا كان يُمدح به صَاحبُه أو يذم؛ كقولك: كفاكَ به، ونهاكَ به، وأكرِم به رجلًا، وبِئس به[٤] رجلًا، ونِعْمَ به رجلًا، وطاب بطعامك طعامًا، وجاد بثوبك ثوبًا، ولو لم يكن مدحًا أو ذمًا لم يجز دخولها، ألا ترى أنه لا يجوز: قام بأخيك، وأنت تريد: قام أخوك، ولا

---

(١) في (أ)، (د): (أمر).

(٢) في جميع النسخ: (لقوله)، وهو تصحيف ظاهر.

(٣) وقد ذكر الواحدي عند قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦] أن استقصاء الحديث عن الباء في السورة نفسها عند قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [آية: ٤٥]، لكن الجزء المتضمن لهذه الآية مفقود -كما ذكر محقق هذا الجزء.

(٤) (به): ساقطة من (د).

قعد به، وأنت تريد: قعد هو[١].

١٨- قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ قال المفسرون: أي الدنيا[٢]، والعاجلة نقيض الآجلة؛ وهي الدنيا عُجّلَت وكانت قَبْل الآخرة، ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾، هذا ذم لمن أراد بعمله وطاعته وإسلامه الدنيا ومنفعتها وعروضها، وقد بين الله تعالى أن من أرادها[٣] لم يدرك منها إلا ما قَدَّره اللهُ له إذا أراد أن يُقَدّر له؛ لأنه قال: ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾، أي: القَدْر الذي نشاء، نُعَجّل له في الدنيا لا الذي يشاء هو.

ثم بَيّن أن ما يُعَجَّل ليس عامًّا لكل أحد، فقال: ﴿لِمَن نُّرِيدُ﴾، أي: لمن نريد أن نعجل له شيئًا قدرناه له، فإذًا قد يخيب كثير ممن يتعب للدنيا ويطلبها بسعيه[٤]، والذي يدركها لا يدرك إلا ما قُدِّر له، ثم يدخل النار في الآخرة ﴿مَذْمُومًا﴾، قال ابن عباس: ملومًا[٥]، ﴿مَّدْحُورًا﴾: منفيًا مطرودًا، وذكرنا معنى ﴿مَّدْحُورًا﴾ في سورة الأعراف [آية ١٨]، ومعنى هذه الآية كقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقد مر،

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١١٩ بتصرف يسير، انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٥٨.

(٢) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٣ب بلفظه، وأخرجه الطبري ١٥/ ٥٩ بلفظه عن ابن زيد، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٨ بلفظه، و«تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٦، والثعلبي ٧/ ١٠٦ب، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٨ وعزاه نسبته إلى ابن أبي حاتم عن الضحاك.

(٣) في جميع النسخ: (أراد بها)، والصواب ما أثبته بإسقاط الباء؛ لأنها تجعل المعنى مضطربًا.

(٤) مطموسة في (ع)، وفي (أ)، (د): (بسعته)، والمثبت من (ش)، وهو الصواب.

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٩ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٩، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

قال أبو إسحاق: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ﴾؛ لأنه لم يرد الله بعمله[١]، ﴿مَدْحُورًا﴾: مباعدًا من رحمة الله.

١٩- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ﴾ قال ابن عباس: يعني الجنة[٢]. وقال أهل المعاني: يريد ثواب الآخرة أو خير الآخرة؛ كما قال: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

﴿وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا﴾ قال ابن عباس: يريد العمل بفرائض الله والقيام بحقوقه[٣]، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فإن الله لا يقبل حسنة إلا من مُصدِّق، ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ قال: يريد: يُضَعِّف لهم الحسنات، ويمحي عنهم السيئات، ويرفع لهم الدرجات.

٢٠- قوله تعالى: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾ يعني من أراد العاجلة، ومن أراد الآخرة، ثم فصل الفريقين، فقال: ﴿هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾، قال الحسن: كلًّا نعطي من الدنيا البرَّ والفاجر[٤].

وقال قتادة: إن الله قَسَّم الدنيا بين البرّ والفاجر، والآخرة خصوصًا عند ربك للمتقين[٥].

وقال أبو إسحاق: أعلم الله أنه يعطي المسلم والكافر، وأنه يرزقهما،

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٣، بنصه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٨، بلفظه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٨، بنحوه.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٠ بنصه، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٤ بنصه، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٨، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وأبي نُعيم في الحلية-لم أقف عليه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٢١.

(٥) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٠ بنصه، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٠٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

فقال: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ﴾، أي: نُمِدَّ المؤمنين والكافرين من عطاء ربك[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾، أي: ممنوعًا[٢]، يقال: حَظَرَه يَحْظُره حَظْرًا وحِظارة وحِظارًا، وكل من حال بينك وبين شيء فقد حظره عليك[٣].

٢١- قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: في الرزق؛ فمن مُقِلٍّ ومِنْ مكثر، ومن مُوَسَّع عليه ومُقَتَّر، ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما: أن هذا خاص في المؤمنين الذين يدخلون الجنة، فتتفاوت درجاتهم في الآخرة أكبر مما تتفاوت درجات المرزوقين في الدنيا في الرزق، وهذا التفضيل بين المؤمنين خاصة.

والثاني: أن هذا التفضيل بين المؤمنين والكافرين، ويكون المعنى: أن المؤمنين يدخلون الجنة، والكافرين يدخلون النار، فتبين درجاتهم، ويَفضل[٤] أحد الفريقين على الآخر، وعلى هذا لا تدل الآية على تفاوت درجات المؤمنين بينهم، وإنما تدل على تفضيلهم على الكفار بدرجات الجنة، والمفسرون على القول الأول:

قال ابن عباس: إذا دخلوا الجنان اقتسموا المنازل والدرجات على

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٣، بنصه.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦١ بلفظه ابن جريج وابن زيد، وورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٣٧، عن ابن عباس.

(٣) انظر (حظر) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٥٦، و«المحيط في اللغة» ٣/ ٥٩، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٨٠، و«اللسان» ٢/ ٩١٨.

(٤) في جميع النسخ: (وتفضيل)، والمثبت أصوب.

قَدْر أعمالهم، ألا تسمع قوله: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا﴾ الآية.

٢٢- قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ﴾ المفسرون على أن هذا خطاب للنبيّ ﷺ، والمعنى عام لجميع المكلفين[(١)]؛ على نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [الطلاق:١]، ويحتمل أن يكون الخطاب للإنسان، كأنه قيل: ﴿لَّا تَجْعَلْ﴾: أيها الإنسان مع الله إلهًا آخر.

وقوله تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ﴾ انتصب؛ لأنه وقع بعد الفاء جوابًا للنهي، وانتصابه بإضمار (أن)؛ كقولك: لا تنقطع عنا فنجفوك، وتقديره: لا يكن منك انقطاع، فإن جوابه[(٢)] فإن تنقطع نجفوك، أي فجفاء[(٣)]، فما بعد الفاء متعلق بالجملة المتقدمة بالفاء التي هي حرف العطف، وإنما سماه النحويون جوابًا -وإن كانت جملة واحدة ولم تكن كالجزاء- لمشابهته له في أن الثاني سببه[(٤)] الأول؛ ألا ترى أن المعنى: إن انقطعت جفوتك، كذلك المعنى في الآية: إن جعلت مع الله إلهًا آخر قعدت ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾، والمخذول: الذي لا عاصم له ولا ناصر؛ يقال: خذله يخذله خِذْلانًا[(٥)] وخذلًا، وقد مر.

٢٣- قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد وأَمَرَ ربك، ليس هو قضاء حكم، ونحو هذا روى عنه

---

(١) ورد بنحوه في الطبري ١٥/ ٦٢، والثعلبي ٧/ ١٠٦ب، والطوسي ٦/ ٤٦٤.

(٢) في جميع النسخ (صوابه)، والصواب ما أثبته، ويدل عليه سياق الكلام بعده.

(٣) في (أ)، (د): (نجفا)، والمثبت من (ش)، (ع).

(٤) في (أ): (سنه)، وفي (د): (سننه)، وفي (ش)، (ع): (شبيه)، والصواب ما أثبته، وهو الأنسب للسياق.

(٥) ساقطة من (د).

الوالبي[١]، وهو قول مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وعامة المفسرين[٢] وأهل اللغة[٣]. قال الفراء: العرب تقول: تركته يقضي أمور الناس، أي يأمر فيها فينفُذ أمرُه[٤].

وقال أبو إسحاق: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ معناه أمَر[٥]؛ لأنه أمرٌ قاطعٌ حَتْمٌ، وذكرنا أن قضى في اللغة على وجوه، كلها ترجع إلى معنى انقطاع الشيء وتمامه[٦].

وروى ميمون بن مِهران عن ابن عباس في هذه الآية، قال: إنما هو (ووصى ربك) فالتصقت إحدى الواوين[٧]، فقرئت: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ ولو كان على القضاء ما عصى الله أحدٌ[٨]، ونحو هذا روى عنه الضحاك وسعيد

---

(١) أخرجه الطبري ١٥/ ٦٢ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد بلفظه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٧، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٠٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٠ بلفظه، وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٦ بلفظه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ٦٢- ٦٣ بلفظه عنهم ما عدا مجاهد، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٩، عن الحسن، و«تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٦، والسمرقندي ٢/ ٢٦٤، وهود الهواري ٢/ ٤١٤، والثعلبي ٧/ ١٠٦ب، عن الحسن وقتادة، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٧، عن الحسن وقتادة.

(٣) انظر: «مجاز القرآن» ١/ ٣٧٤، و«تهذيب اللغة» (قضى) ٣/ ٢٩٨٦، و«الإملاء» ٢/ ٩٠، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٦٦، و«اللسان» (قضى) ٦/ ٣٦٦٥

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٠، بنصه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٣، بلفظه.

(٦) انظر ما تقدم في تفسير سورة البقرة [آية: ١١٧].

(٧) أي التصقت بالصاد.

(٨) ورد في «القراءات الشاذة» لابن خالويه ص٧٩- مختصرًا، وأورده السيوطي في =

ابن جبير[(١)]، وهو قراءة علي وعبد الله: (ووصى ربك)[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ قال الزجاج: أي: وأَمَرَ بالوالدين إحسانًا[(٣)]، والعرب تقول: أوصيك به خيرًا، وآمرك به خيرًا، وكأن معناه: آمرك أن تفعل به، ثم تحذف (أن) فينصب الخبر بالوصية وبالأمر، وأنشد:

عَجِبْتُ مِنْ دَهْمَاءَ أَنْ تَشْكُونَا

= «الدر المنثور» ٤/ ٣٠٩، بنحوه، وعزاه إلى أبي عبيد وابن منيع وابن المنذر وابن مردويه من طريق ميمون عن ابن عباس.

(١) أخرجه «الطبري» ٨/ ٥٨، عن الضحاك، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٦ب، عن الضحاك، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٧) عن الضحاك، وانظر غرائب التفسير ١/ ٦٢٤، عن ابن عباس والضحاك واستغربه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ٢٥٧- وعزاه إلى الفريابي وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن الأنباري في المصاحف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأورده -كذلك- وعزاه إلى ابن أبي حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس، وأورده وزاد نسبته إلى أبي عبيد وابن المنذر عن الضحاك.

(٢) أخرجها عن ابن مسعود: مقاتل ١/ ٢١٣ب، و«عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٦، و«الطبري» ١٥/ ٦٣، والطبراني في «الكبير» ٩/ ١٤٩، ووردت عن ابن مسعود في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٣٩، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٤، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٦ب، عنهما، وهذه القراءة شاذة وقد استنكرت وضعفت، قال الكرماني: وهذه القراءة عند القراء مقبولة في جملة الشواذ، والحكاية مردودة على الراوي، وقال ابن عطية: وهذا ضعيف، وإنما القراءة مروية بسند، ونقل تضعيف ابن أبي حاتم لها وقال: لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا، وقال ابن الجوزي: وهذا على خلاف ما انعقد عليه الإجماع، فلا يلتفت إليه.

انظر: «غرائب التفسير» ١/ ٦٢٤، و«تفسير ابن عطية» ٩/ ٥٢، و«ابن الجوزي» ٥/ ٢٢، و«فتح الباري» ٨/ ٢٤١، و«تفسير الألوسي» ١٥/ ٥٤، وهي أشبه بالتفسير من القراءة، وبذلك فسرها مجاهد، -كما أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٢- ٦٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٤، بنحوه.

ومِـنْ (أبـي) دَهْـمـاء أنْ يُـوصِـيـنـا
خَـيْـرًا (بـهـا كـأنـنـا)[(١)] جـافُـونـا)[(٢)]

فعلى هذا ينصب إحسانًا بمضمر دلَّ عليه الكلام، و(الباء) في: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ من صلة الإحسان، وقُدّمت عليه كما تقول: بزيد فامرر[(٣)]، ويجوز أن يكون العامل فيه ما أُضمر من الإيصاء؛ كأنه: وأوصى بالوالدين إحسانًا.

وقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾، يرفع ﴿أَحَدُهُمَآ﴾ بـ﴿يَبْلُغَنَّ﴾، و﴿كِلَاهُمَا﴾ عطف عليه، وقرأ حمزة والكسائي: (يَبْلُغَانِّ)[(٤)] قال الفراء: ثَنّى؛ لأن الوالدين قد ذُكِرا قبله، فصار الفعل على عددهما، ثم قال: ﴿أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ على الائتناف، كقوله: ﴿فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة: ٧١] ثم استأنف فقال: ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾، وكذلك قوله:

(١) في جميع النسخ (أين) بدل (أبي)، و(بهل كأنها) بدل (بها كأننا)، والتصويب من المصادر.

(٢) ورد ما بين التنصيص بنصه تقريبًا في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٠، و«تفسير الطبري» ١٥/ ٦٣، وبنحوه في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٦٧، وفي جميع المصادر: (إذ) بدل (إن)، والشاهد -كما ذكره الطبري والطوسي: أعمل يوصينا في الخير، كما أعمل في الإحسان.

(٣) أورد الفخر الرازي هذا الوجه وعزاه للواحدي، وتعقبه قائلًا: وهذا المثال الذي ذكره الواحدي غير مطابق؛ لأن المطلوب تقديم صلة المصدر عليه، والمثال المذكور ليس كذلك، وقد أورد السمين القولين وبين أن كلا منهما صحيح من وجه. انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٨٦، و«الدر المصون» ٧/ ٣٣٤.

(٤) انظر: «السبعة» ص٣٧٩، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٦٨، و«علل القراءات» ١/ ٣١٩، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩٦، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٨.

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾، ثم استأنف فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[(١)] [الأنبياء: ٣]، وقال أبو علي: من قرأ: (يَبْلُغَانِّ) جعل قوله: ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ معادًا على التأكيد، وعلى ذكر إفراد كل واحد منهما، ولا يكون الرفع فيهما بمعنى الفعل كما يكون في قراءة الباقين[(٢)].

وقال أبو إسحاق: من قرأ (يَبْلُغَانِّ) [يكون ﴿أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ بدلًا من الألف، وموضع ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ و(يَبْلُغَانِّ)][(٣)] جزمٌ بإمّا؛ لأن أصله (إن) التي للشرط، فأكدت بـ(ما) التي للشرط؛ نحو: ﴿مَا نَنسَخْ﴾ [البقرة:١٠٦] ليكون حرف الشرط مؤكِّدًا مِثل توكيد الفعل بالنون، وعلامةُ الجزم لا تبين مع نون التأكيد[(٤)]؛ لأن الفعل يُثَنّى معها، ألا ترى أنك تقول ليفعلَنَّ بفتح[(٥)] اللام وبترك الضمة، وبترك النون التي تُلْحَق[(٦)] في التثنية والجمع والواحدة المؤنث علامةً للرفع[(٧)]؛ كما تُركت الضمةُ في الواحدة.

ذكرنا هذا [عند][(٨)] قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾ [البقرة: ٩٦] وعند قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعَانِّ﴾ [يونس: ٨٩].

وأمَّا قوله: ﴿كِلَاهُمَا﴾ فإن كلا اسم مفرد يفيد[(٩)] معنى التثنية[(١٠)]،

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٠، بنصه.
(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ٩٦ بتصرف.
(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (د).
(٤) أي المباشرة.
(٥) في جميع النسخ: (ففتح)، والصواب المثبت؛ حيث به يسقيم الكلام.
(٦) في (ش)، (ع): (لحق).
(٧) بسبب توالي النونات والثقل.
(٨) زيادة يقتضيها السياق.
(٩) في (أ)، (د): (بعيد).
(١٠) في جميع النسخ: (للتثنية)، والصحيح المثبت، والتصقت الألف باللام.

ووزنه فِعَل، ولامُه بمنزلة لام حِجَى ورِضَى، وهي كلمة وضعت على هذه الحلقة يُؤَكّدُ بها الاثنان خاصةً، ولا تكون إلا مضافة، والدليل على أنها ليست تثنية: أنها لا تُفردُ فتقومَ بنفسها، ولو كانت تثنيةً لوجب أن تقال بالنصب والخفض، والخفض مررت بكلي الرجلين بكسر الياء، كما تقول بين يدي الرجل، و﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل: ٢٠] و﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ﴾ [يوسف: ٣٩] و﴿طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود: ١١٤]، فدل هذا على أنها ليست بحلقة تثنية، وأنها وضعت دلالة على التثنية لا أنها تثنية، كما تقول في (كل) فإنه اسم واحد موضوع للجماعة، فإذا أخبرت عنه بلفظه، أخبرت كما تخبر عن الواحد؛ كقوله: ﴿وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم: ٩٥] وكذلك إذا أخبرت عن كلا، أخبرت عن الواحد فقلت: كلا أَخَوَيْك كان قائمًا، وكلا عَمَّيْكَ كان فقيهًا، وقال الله تعالى: ﴿كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا﴾ [الكهف: ٣٣]، ولم يقل: آتتا، وقال:

كلا الرَّجُلَيْنِ أَفَّاكٌ أَثِيمُ(١)

وقال لبيد:

فَغَدَتْ كلا الفَرْجَينِ تَحْسَبُ أنَّهُ مَوْلى المخافة خلفُها وأمامُها(٢)

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (كلا) ٤/ ٣١٦٩ بنصه بلا نسبة، والشاهد: أنه أفرد أفّاك وهي تعود على مثنى. وانظر أيضا «لسان العرب» (كلا)، و«تاج العروس» (باب الواو الهاء، فصل الكاف).

(٢) «شرح ديوان لبيد» ص٣١١، وورد في «الكتاب» ١/ ٤٠٧، و«المقتضب» ٤/ ٣٤١، و«شرح القصائد السبع الطوال» ص٥٦٥، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ١٦٦، ٢/ ٥٨٢، و«البسيط في شرح جمل الزجاجي» ١/ ٥٠٢، و«الإيضاح» للعضدي ص٢١١- بلا نسبة. (فغدت): من الغدوّ، وتروى (فعدت): من العدو، (كلا الفرجين): في كلا الفرجين؛ والفرج: الواسع من الأرض أو الثَّغر؛ وهو موضع المخافة، والفروج =

يريد كلا فرجيها، فأقام الألف واللام مقام الكناية، وقال: أنه، ولم يقل: أنهما، ثم ترجم عن كلا؛ فقال: خلفُها وأمامُها، يجوز أن يذهب إلى المعنى فيقول: كلا الرجلين كانا قائمين، كما يقول في كل، كقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل:٨٧]؛ وهذا الذي ذكرنا في كِلا كلام أبي الهيثم الرازي[١] وأبي الفتح الموصلي[٢] وأبي علي الجرجاني، وأمّا كلتا فالكلام فيه يأتي عند قوله: ﴿كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ﴾ [الكهف:٣٣] إن شاء الله.

قال مجاهد في قوله: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ قال: يخريان ويبولان[٣]، و﴿ٱلْكِبَرُ﴾ ها هنا مصدر الكبير في السن.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ قال أبو إسحاق: فيه سبع لغات؛ الكسر بغير تنوين وبتنوين، والضم بغير تنوين وتنوين، وكذلك الفتح بهما[٤]،

= هي الثُّغور، (مولى) قال ثعلب: المولى في هذا البيت معناه: الأَوْلى؛ كأنها تحسب أن كلَّ فرج أولى بالمخافة من الثاني؛ لحيرتها، والضمير يعود على بقرة وحشية، أضلت ولدها أو حُبِست خيفة من صائد، فهي حذرة في خوف، تخال كلا طريقيها من خلفها وأمامها ثغرة له يسلك منها إليها. وخلفُها وأمامُها رفعٌ على البدل من كلا؛ لأن ككلا الفرجين هما خلفُها وأمامُها، والتقدير: وخلفُها وأمامُها تحَسَب أنه يلي المخافة، وجائز رفعه بتقدير: هو خلفُها وأمامُها.

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (كلى) ٤/ ٣١٦٩ بتصرف.

(٢) «المنصف» ٢/ ١٠٧- مختصرًا.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٤، بنحوه.

(٤) ذكر الواحدي عن الزجاج أن في (أف) سبع لغات، ولم يورد إلا ستة، مع أن الزجاج ذكر اللغة السابعة، فقال: وفيها لغة أخرى سابعة لا يجوز أن يقرأ بها، وهي (أُفّي) بالياء. «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٢٤، لكن الواحدي أشار إلى هذه اللغة بعد ذكر كلام الزجاج بقوله: واللغة الشائعة (أُفّي) بالياء.

فأما الكسر فلالتقاء الساكنين، و(أُف) غير متمكن[١] بمنزلة الأصوات، فإذا لم يُنَوَّن فهو مَعْرفة، وإذا نُوِّن فهو نكرة بمنزلة غاقٍ وغاقِ[٢] في الصوت، والفتح لالتقاء الساكنين أيضًا، والفتح مع التضعيف حَسَنٌ؛ لخفةِ الفتحة وثِقَلِ التضعيفِ والضَّمِّ؛ لأن قبله مضمُومًا -حسنٌ[٣] أيضًا- والتنوين فيه على جهة النكرة[٤].

واللغة الشائعة (أُفِّي) بالياء، قال الأخفش: كأنه أضاف هذا القول إلى نفسه[٥]؛ فقال: قَوْلي هذا.

وزاد ابنُ الأنباري لغات ثلاثًا فقال: و(إِفَّ لك) بكسر الألف وفتح الفاء، و(أُفَّة لك) بضم الألف وإدخال الهاء، و(أُفْ لك) بضم الألف[٦] وتسكين الفاء، وأنشد لحسان:

فـأُفًا لـحِـبَـان عـلـى كـلِّ حـالـة ... على ذكرهم في الذكر كلُّ عَفاءِ[٧]

(١) أي غير منصرف. انظر «المعجم المفصل في النحو العربي» ص٩٤٦.

(٢) غاقِ: حكاية صوت الغراب، فإن نكَّرته نوَّنته، ويقال: سمعت غاقِ غاقِ وغاقِ غاقٍ، ثم سمي الغراب غاقًا، فيقال: سمعت صوت الغاقِ. «اللسان» (غوق) ٦/ ٣٣١٧.

(٣) في (أ)، (د): (ما حسن) بزيادة ما.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٤، بنصه تقريبًا.

(٥) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٠، بنصه.

(٦) ما بين التنصيص من (ش)، (ع).

(٧) «ديوانه» ص٢٥٩ وروايته:

فـأفٍ لـلـحـيـان عـلـى كـلّ حـالـةٍ ... فـذكـرهـم فـي الـذكـرِ شـر ثـنـاءِ

وورد في «الزاهر» ١/ ١٨١) وصدره:

فـأُفٌ لـلِـحْـيـانِ عـلـى كـلِّ آلـةٍ

وأنشد لأبي حية:

حَيَاءً وبُقْيَا أَنْ تَشِيعَ نَمِيمَةٌ   بِنَا وبِكُمْ أُفٍّ لأهْلِ النَّمَائِمِ[(١)]

ثم ذكر وجهَ كلٍّ لغة فقال: من قال (أُفَّ) جعله بمنزلة قولهم: مُدَّ يدك، ومن قال: (أُفِّ) جعله بمنزلة مُدِّ، ومن قال: (أُفُّ) جعله بمنزلة مُدُّ، وأنشد[(٢)]:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضُرَّ فَإِنَّمَا   يُرَجَّى الفتى كَيْمَا يَضُرَّ ويَنْفَعَا[(٣)]

قال: كذا رواه يونس بضم الراء[(٤)]، وأنشد:

قال أبو ليلى لحبلي مُدِّه
حتى إذا مددته فشُدِّه
إن أبا ليلى نسيجُ وحدِه[(٥)]

ومن قال: (أُفًّا)، نصبه على مذهب الدعاء؛ كما يقال: ويلًا له، ومن قال: (أُفٌّ لك) رفعه باللام؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾

---

(١) «شعر أبي حَيَّة النُّمَيْري» ص٨٧، وورد في «الكامل» ١/ ١٠٠، و«الزاهر» ١/ ١٨١.

(٢) اختلف في نسبة البيت؛ فنسب للنابغة الجعدي، وهو في «شعر النابغة الجعدي» ص٢٤٦، ونسب لقيس بن الخَطيم، وهو في «ديوانه» ص١٧٠، ونسب في «شواهد المغني» ١/ ٥٠٧ للنابغة الذبياني -وليس في ديوانه- أو النابغة الجعدي، ونسب في «الخزانة» ٨/ ٤٩٩ لهما ولقيس بن الخَطيم، ورجح البغدادي الأخير، وكذلك نُسب في «الصناعتين» ص٣١٥، و«إعجاز القرآن» للباقلاني ص٨٣ لقيس ابن الخَطيم.

(٣) وورد بلا نسبة في «الزاهر» ١/ ١٨١، و«البغداديات» ص٢٩١، ٣٥٢، و«الجنى الداني» ص٢٦٢، و«مغني اللبيب» ص٢٤١.

(٤) أي في كلمة: فَضُرُّ، ووردت بالفتح، وكذلك وردت يضُرُّ وينفعُ بالرفع. انظر المصادر السابقة.

(٥) ورد في «الزاهر» ١/ ١٨٢.

[المطففين: ١] ومن قال [(أُفٍّ) خفضه على التشبيه بالأصوات كما يقال: صَهٍ ومَهٍ][١] ومن قال: (أُفَّةً لك) نصبه أيضًا على مذهب الدعاء، ومن قال (أُفّي لك) إضافة إلى نفسه، ومن قال (أُفْ لك) شبّهه بالأدوات؛ نحو: (مَنْ) و(كم) و(بل) و(هل)[٢].

وقال الفراء: العرب تقول: جَعَل فلان يتأفّف من ريح وجدها، معناه: يقول أُفٍّ أُفٍّ[٣].

وقال الأصمعي: الأُفُّ: وسخ الأذن، والتُّفُّ: وسخ الأظفار، يقال ذلك عند استقذار الشيء، ثم كثر حتى استعملوه عند كل ما يتأذون به.

وقال غيره: أُف معناه: قلّة، وتُف إتْباع، مأخوذ من الأفف؛ وهو الشيء القليل[٤].

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: الأُفُفُ: الضجر.

وقال القتيبي في قوله: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [أي لا تستثقل شيئًا من أمرهما، قال: والناس يقولون لما يكرهون ويستثقلون: أُفٍّ][٥] له.

وأصل هذا نَفْخك للشيء يَسْقط عليك من تراب أو رماد، وللمكان تريد إماطة أذى عنه فقيل لكل مُسْتَثقل[٦].

وقال الزجاج: معنى (أُفّ) النَّتن، ومعنى الآية: ولا تَقُل لهما ما فيه

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (د).

(٢) «الزاهر» ١/ ١٨١-١٨٢ وهو نقل طويل من قوله: وزاد ابن الأنباري.. نقله بنصه تقريبًا.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢١، بنصه.

(٤) ورد في «الزاهر» ١/ ١٨٠ بتصرف، و«تهذيب اللغة» (أف) ١/ ١٧٢، بنصه.

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (أ)، (د).

(٦) «تأويل مشكل القرآن» ص١٤٧، بتصرف يسير.

أدنى تَبَرُّم إذا كَبُرا وأَسَنَّا؛ أُفْ، بل تَوَلَّ خدمتهما[١]، هذا قول أهل اللغة في معنى هذه الكلمة ووجوهها[٢].

قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد بالأُف الرديء من الكلام؛ أن يقول لهما: أماتكما الله، أراحني الله منكما[٣]، فهذا الرديء من الكلام؛ كقول إبراهيم لقومه: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

وروى ليث عن مجاهد: لا تتقذرهما كما كنت تخرأ وتبول فلا يتقذرانك[٤].

وروى أبو يحيى عنه، قال: إذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل لهما: (أُف)[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، يقال: نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره[٦]، قال عطاء عن ابن عباس: يريد الجواب والغلظة[٧].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٤، بنحوه، وورد في «تهذيب اللغة» ١/ ١٧٢، وظاهرٌ أنه نقله من «التهذيب» لا المعاني.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (أف) ١/ ١٧٢ بنصه تقريبًا، من قوله: وقال الأصمعي.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٨٨ بنصه، انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٨ مختصرًا، وورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٤أ مختصرًا.

(٤) ورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٠، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٦، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٨٩.

(٥) انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٥٦، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ١٨٩ بنصه، و«القرطبي» ١٠/ ٢٤٢، و«أبي حيان» ٦/ ٢٧.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (نهر) ٤/ ٣٦٧٤ بنصه، وانظر (نهر) في «المحيط في اللغة» ٣/ ٤٧٦، و«مجمل اللغة» ٢/ ٨٤٥، و«اللسان» ٨/ ٤٥٥٧.

(٧) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٨٩ بنصه، انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٨، بنحوه.

وقال أبو إسحاق: لا يكلمهما ضَجِرًا صائحًا في أوجُهِهِما[١].

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ قال ابن عباس: يريد لينًا لطيفًا[٢].

وقال ابن جريج: أحسن ما تجد من القول[٣].

وقال عمر ﷺ أي لا تمتنع من شيء يريدانه[٤].

وقال عطاء: لا تُسَمِّهما ولا تُكَنِّهما، وقل لهما: يا أبتاه ويا أماه[٥].

وقال أبو الهدَّاج التُّجيبي[٦]: سألت سعيد بن المسيب، فقلت: أصلحك الله، كل ما ذَكر اللهُ في القرآن من بِرّ الوالدين قد عرفته إلا قوله: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ فما هو؟ قال[٧]: قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ[٨].

٢٤- قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال عروة بن

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٤، بنصه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٨.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٥، بنصه.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٥، بنصه.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ بنصه، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٤٣.

(٦) في جميع النسخ (الهداد)، والصحيح -كما في تفسير الطبري و«الدر المنثور» و«الجرح والتعديل»- أبو الهداج التجيبي: سمع سعيد بن المسيب قوله، روى عنه حرملة بن عمران. «الجرح والتعديل» ٩/ ٤٥٥.

(٧) ساقط من (أ)، (د).

(٨) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٥ بنصه تقريبًا، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٧ بنصه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٦، و«ابن عطية» ٤/ ٣١٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ٢٥، و«القرطبي» ١٠/ ٢٤٣، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣١٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

الزبير في هذه الآية: يكون لهما ذلولًا، لا يمتنع من شيء أحَبَّاه[(١)].

وقال عطاء عن ابن عباس: لا يريدان منك أمرًا إلا أجبتهما إليه.

وقال مقاتل: أَلِنْ لهما جانبك واخضع لهما، ولا تستصعب عليهما[(٢)]، هذا قول المفسرين.

والخفض في اللغة ضد الرفع، والجناح ها هنا استعارة، وخفض الجناح: عبارة عن السكون، ويريد ها هنا تَرْكَ التعصب والإباء عليهم، والانقياد لهما، وأضاف الجناح إلى الذُّل؛ لأنه أراد تذَلَّلْ لهما، كما قال أبو إسحاق: أَلِنْ لهما جانبك مُتَذَلِّلًا لهما[(٣)].

وقال عطاء بن أبي رباح في هذه الآية: لا ترفع يدك عليهما[(٤)]، وهذا ظاهر؛ لأن الجناح يُستعار كثيرًا في اليد؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص: ٣٢].

وقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ قال الزجاج: أي من مبالغتك في

---

(١) أخرجه البخاري (٨) «الأدب المفرد»: باب لين الكلام لوالديه، بنحوه، وابن أبي شيبة ٥/ ٢٢٠- بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ٦٦، بنحوه من عدة طرق، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤١، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٥ بنصه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ، بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣١٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، وذكره الألباني في «صحيح الأدب المفرد» رقم (٨) ص ١٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٤أ، بمعناه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٥، بنصه.

(٤) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤١ بنصه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٥، بنحوه، و«الدر المنثور» ٤/ ٣١٠، ونسبته إلى ابن جرير -لم أجده- وابن المنذر وابن أبي حاتم.

الرحمة لهما[١].

وقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ الآية. قال قتادة: هكذا علمتم وبهذا أمرتم فخذوا بتعليم الله وأدبه[٢]، والمعنى: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾: مثل تربيتهما إياي صغيرًا؛ أي مثل رحمتهما [إياي في صغري حتى ربياني، ولكنْ ذكرت التربية لأنها[٣] تدل على رحمتهما][٤]، وتُذَكِّرُ الولدَ شفقة الأبوين وما أصابهما من النصب في تربيته، فكأنه قيل: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾: لرحمتهما[٥] إياي في صغري، والكاف في موضع نصب؛ لأنه نعت مصدر محذوف[٦].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ثم أنزل الله بعد هذا قوله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ﴾[٧] الآية [التوبة: ١١٣]، وقال قتادة: قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ (منسوخ؛ لا ينبغي للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين[٨]، ولا يقول: رب

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٥، بنصه.
(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٧، بنصه.
(٣) في (أ)، (د): (أنها)، والصحيح المثبت؛ لأنها تعليل.
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من: (ش)، (ع).
(٥) في (ش): (كرحمتهما)، ومطموسة في (ع).
(٦) أي الكاف في قوله: ﴿كَمَا رَبَّيَانِي﴾، وقد قدَّر المحذوف الحوفي بقوله: ارحمهما رحمةً مثلَ تربيتهما لي، ووردت أقوال أخرى في الكاف وفي تقدير المحذوف. انظر: «الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٦٩، و«الدر المصون» ٧/ ٣٤٤.
(٧) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٧ بنصه، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣١١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.
(٨) ورد في «الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٤٩٠، بنحوه، انظر: «غرائب التفسير» ١/ ٦٢٥ ذكره واستغربه ورده ورجح عدم النسخ، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٤٤،=

ارحمهما)[(١)].

وذهب قوم إلى تخصيص قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾؛ يعنون أن هذا في الوالدين المسلمين[(٢)]، فالآية عامة، ومعناها خاص في المسلمين، ونحو هذا روى عطاء الخرساني عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ قال: ثم استثنى فقال: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ الآية. فجعل النهي عن استغفار المشركين -وإن كانوا أقارب- استثناءً عن قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾: في المعنى[(٣)]، وهذا أحسن من أن يحكم بالنسخ على الدعاء للوالدين بالرحمة[(٤)].

وقال سفيان، وسئل كم يدعو لوالديه: في اليوم مرةً أو في الشهر أو في السنة؟ قال: نرجو أن يجزيه إذا دعا لهما في دبر الصلوات؛ كما أن الله تعالى قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٦]، وكانوا يرون أن التشهد يجزي من الصلاة على النبيّ ﷺ، وكما أن الله قال:

= و«أبي حيان» ٦/ ٢٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣١١ وعزاه إلى ابن المنذر والنحاس وابن الأنباري في المصاحف، وروي النسخ عن ابن عباس كذلك، انظر: «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٣٣٧، و«تفسير البغوي» ٥/ ٨٦، و«ابن عطية» ٩/ ٥٨، و«ابن الجوزي» ٥/ ٢٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢٤٤.

(١) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٢) ورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ٦٨، و«الناسخ والمنسوخ» للنحاس ٢/ ٤٩٠، و«الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه» ص٣٣٧.

(٣) ورد في «الناسخ والمنسوخ» للهروي ص٢٨٣، بنحوه.

(٤) وهذا القول هو الراجح، وأولى من دعوى النسخ؛ لإمكان الجمع بين الدليلين، ومتى أمكن الجمع فهو أولى من القول بالنسخ؛ لأن في النسخ إبطال أحد الدليلين، وفي القول بالتخصيص جمع بينهما، وعليه فالآية محكمة غير منسوخة. انظر: «الإيضاح» لمكي ص٣٣٨.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة:٢٠٣]، فهم يكبرون في دبر الصلوات[(١)].

٢٥- قوله تعالى: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ الأعلم من قولك: فلانٌ أعلمُ، له معنيان ؛ أحدهما: أكثر معلومًا، والثاني: أثبت علمًا، وهذان يجوز في صفة الله تعالى ؛ فإنه أكثر معلومًا وأثبت علمًا.

قال سعيد بن جبير في قوله: ﴿بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ هو البادرة تكون من الرجل إلى أبويه لا يريد بذلك بأسًا[(٢)]، فقال الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي النِّية صادقة ببرِّه، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾: البادرة التي بدرت منه.

والمعنى: ربكم أعلم بما تضمرون من البرّ والعقوق؛ فمن بدرت منه بادرة وهو لا يضمر عقوقًا فأغفر له ذلك، وهو معنى قوله: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد طائعين لله، ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ قال: يريد الراجعين عن معاصي الله ﷻ، التاركين لسخط الله، النادمين على الزلات[(٣)].

وقال سعيد بن المسيب: هو الذي يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب[(٤)].

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٩٢، بنصه.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٦٨ بنصه تقريبًا من طريقين، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ بنصه تقريبًا، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٨٨، و«الزمخشري» ٢/ ٣٥٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣١١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٠، بلا نسبة.

(٤) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٦ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ٦٩- ٧٠ بنصه من عدة =

وقال الحسن: هو الذي يريد اللهَ بقلبه وعمله[(١)].

وقال سعيد بن جبير: يعني الراجعين إلى الخير[(٢)].

وقال عبيد بن عمير: الذين يذكرون لأبويهم ويستغفرون[(٣)].

ورُوي أنه قال: الأوَّابُ: هو الذي يقول: اللهم اغفر لي [ما][(٤)] أصبت في مجلسي هذا[(٥)].

وقال أبو إسحاق: الأوَّاب: هو الراجع إلى الله سبحانه في كل ما أمر به، المُقْلع عن جميع ما نهى عنه، يقال: آب يؤوب أوْبًا: إذا رجع[(٦)].

= طرق، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٧، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٩، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٤٦٨، بنحوه.

(١) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٥، بنحوه.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٠ بنصه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٢ بنصه، و«تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٧- بمعناه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٩، بنحوه، وأخرجه البيهقي في الشعب (٥/ ٤٣٨ بنصه، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٦٨، بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣١٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي الدنيا.

(٣) لم أقف على هذا القول، والذي ورد عنه في المصادر، أنه قال: الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء فيستغفرون الله. انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٧٠، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٣، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ، و«ابن الجوزي» ٥/ ٢٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢٤٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٣١٨ وعزاه إلى هناد.

(٤) زيادة يقتضها السياق -كما في جميع المصادر- وفي جميع النسخ: أصبت بدون (ما).

(٥) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٧ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ٧١ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٧أ بنصه، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤١.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٥ بنصه، وهذا القول- وهو قول ابن عباس وابن المسيب- هو الذي رجحه الطبري ؛ قال: لأن الأواب إنما هو فعَّال، من قول القائل: آب فلان من كذا ؛ إما من سفره إلى منزله، أو من حال إلى حال.

٢٦- قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ الآية. قال ابن زيد: بدأ الله تعالى بالوالدين، فلما فرغ من الوالدين وحقهما ذكر هؤلاء[١].

وقال ابن عباس: هذه الآية حضٌّ على صلة القرابة، بدأ بحق القرابة لِمَا جعل في الأرحام من الصلة[٢]، ونحو هذا قال الحسن: إن هذه الآية في بر الأقارب وصلة رحمهم بالإحسان إليهم[٣].

وقد فسّر النبيّ ﷺ هذه الآية فيما روى عنه أنس؛ أن رجلًا قال: يا رسول الله: إني ذو مال كثير، وذو أهل وولد، فكيف تحب لي أن أصنع أو أنفق؟ قال: «**أد الزكاة طُهرةً يطهرك، وآت صلة الرحم، واعرف حق السائل والجار والمسكين وابن السبيل، ولا تبذر تبذيراً**»[٤].

ومعنى التبذير في اللغة: إفساد المال وإنفاقه في السرف[٥].

وقال ابن مسعود: التبذير: النفقة في غير حق[٦].

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٤ بنصه.

(٢) انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٦٠، بنحوه.

(٣) انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٦٠، بنحوه.

(٤) أخرجه الحاكم ٢/ ٣٦٠، بنحوه عن أنس، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي، وأورده ابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٤٢، بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٠، بنحوه وزاد نسبته إلى أحمد -ولم أجده، وأورده في «الكنز» ٦/ ٢٩٤، بنحوه وعزاه إلى البيهقي- ولم أجده.

(٥) انظر (بذر) في «تهذيب اللغة» ١/ ٢٩٧، و«المحيط في اللغة» ١٠/ ٧٤، و«اللسان» ١/ ٢٣٧.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٣ بنصه من عدة طرق. وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٤، بنحوه، و«تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٨ بنصه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٧ب بنصه، و«الطوسي» ٦/ ٤٦٩، بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٠.

قال عثمان بن الأسود[(١)]: كنت أطوف مع مجاهد حول الكعبة، فرفع رأسه إلى أبي قُبَيْس[(٢)] فقال: لو أن رجلًا أنفق مثلَ هذا في طاعة الله لم يكن من المسرفين[(٣)].

٢٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ﴾، أي: المنفقين في غير طاعة الله، قاله ابن عباس[(٤)]، ﴿كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ قال: يريد أولياءهم، قال أبو إسحاق: أي يفعلون ما يُسَوِّل لهم الشيطان[(٥)].

وقال أهل المعاني: مؤاخاة الشيطان: موافقته فيما دعا إليه، وكل من أجاب الشيطان إلى ما سَوَّلَ له، فهو من إخوان الشياطين؛ [لأنه يتبع

---

(١) عثمان بن موسى بن باذان المكي، مولى بني جُمَح، ثقة ثبت، روى عن مجاهد وعطاء، وعنه: الثوري وابن المبارك، مات سنة (١٥٠هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» ٦/ ١٤٤، و«الكاشف» ٢/ ٥ (٣٦٨٠)، و«تقريب التهذيب» ص٣٨٢ (٤٤٥١).

(٢) بالتصغير، هو الجبل المشرف على الصفا، قال الأزرقي: وسمي أبا قبيس؛ لأن أول من بنى فيه رجلٌ يقال له: أبو قبيس، هذا هو المشهور، وقيل غير ذلك، وهو أحد الأخشبين، وكان يسمى في الجاهلية (الأمين)، ويقال: إنما سمي الأمين؛ لأن الحجر الأسود كان فيه مستودعًا عام الطوفان.
انظر: «أخبار مكة» للأزرقي ٢/ ٢٦٦، و«معجم البلدان» ١/ ٨٠.

(٣) ورد في «تفسير الطبري» ١٥/ ٧٤ بمعناه، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦٦، بنحوه، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٩٣.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٣- ٧٤ بنصه من طريق العوفي [ضعيفة]، ومن طريق عكرمة [جيدة]، وورد في: «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٨ بنصه، انظر: «تفسير أبي حيان» ٦/ ٣٠.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٥، بنصه.

أثره ويجري على سنته[١].

وقيل: معنى إخوان الشياطين][٢]: الذين يُقْرَنون به في النار[٣].

ثم ذم الشيطان بقوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾؛ ليرتدع المؤمن عن اتباعه فيما يدعو إليه، وفيه أيضًا إشارة إلى ذم المبذّر؛ حيث أخبر أنه أخو الشيطان، ثم ذم الشيطان؛ فإنه كفور لربه، فهو يتضمن أن المنفق في السرف كفور لربه فيما أنعم عليه.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ يريد جاحدًا لأنعمه.

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ﴾ قال [ابن][٤]زيد: أي عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم[٥]، ونحو هذا قال الزجاج؛ فقال: هذه الهاء والميم ترجعان على القُربى والمساكين وابن السبيل[٦].

وقوله تعالى: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ قال الحسن وعكرمة: انتظار رزق من الله يأتيك[٧].

قال الزجاج: وهو نصب؛ لأنه مفعول له، المعنى: وإن أعرضت عنهم لابتغاء رحمة من ربك[٨]، لا يحتمل أن يكون سببًا لإعراضه على ظاهر اللفظ إلا أنْ يُرَدَّ إلى معناه الباطن ؛ ومعناه الباطن أن يكون قوله:

---

(١) ورد بنحوه في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٨، و«الطوسي» ٦/ ٤٦٩.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (د).

(٣) ورد بنصه في «تفسير الجصاص» ٣/ ١٩٨، و«الطوسي» ٦/ ٤٦٩.

(٤) التصويب من الطبري، وفي جميع النسخ: (زيد).

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٥ بنصه.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٥ بنصه.

(٧) أخرجه «الطبري» ٨/ ٧٠ بنصه عن عكرمة.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٥ بنصه.

﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، قد أومئ به إلى الإضاقة والإعسار؛ لأن معناه: رجاء صنيع الله وكفايته، وفيه إشارة إلى الإضاقة، فيكون المعنى أن تُعرض عن السائل إضاقة وإعسارًا.

وذكر الكلبي وغيره: أن النبيّ ﷺ (كان إذا سأله فقراء أصحابه فلا يجد ما يعطيهم، أعرض عنهم حياءً منهم ويسكت، فعلمه الله كيف يصنع، فقال: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾)[1].

وقال الزجاج: يُروى أن النبيّ ﷺ كان إذا سُئل وليس عنده ما يعطي أمسك انتظار الرزق يأتي من الله؛ كأنه يكره الردّ، فلما نزلت هذه الآية: (كان إذا سئل ولم يكن عنده ما يعطي قال: «**يرزقنا الله وإياكم من فضله**»)[2][3]، فذلك قوله: ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، قال ابن زيد: قولًا جميلًا؛ رزقك الله وبارك الله فيك[4].

وقال الكلبي: عِدْهم عِدَةً حسنة[5]، وهو قول الفراء ومجاهد[6].

---

(١) وورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٤أ.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» [مجمع البحرين] ٦/ ١٩٧، بنحوه عن علي، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٧ب بنصه، و«القرطبي» ١٠/ ٢٤٩، و«ابن عطية» ٩/ ٦٢، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٩/ ١٣ وقال: وفيه محمد بن كثير الكوفي، وهو ضعيف. فالحديث ضعيف.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٥ بنصه.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٥- ٧٦ بنصه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٢٩، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٢١ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٥) ورد عن ابن عباس والحسن، كما في «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٢٩، و«تنوير المقباس» ص٢٩٩، وورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٦ بنصه، و«الطوسي» ٦/ ٤٧٠، بنحوه.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٢ بنصه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٢٩، عن مجاهد.

وأما الميسور فقال الكسائي: يَسَرْتُ أَيْسِرُ له القول، أي لَيَّنْتُه[١].

وقال أبو الدُّقيش[٢]: يَسّرَ فلانٌ فرسه فهو مَيْسُور؛ مصنوعٌ سمين[٣]، فالقول الميسور: هو القول المصنوع اللين السهل.

٢٩- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الآية. روى المنهال بن عمرو قال: بعثت امرأة إلى رسول الله ﷺ ابنها فقالت: قل له: اكسني ثوبًا، فقال رسول الله ﷺ: «**ما عندي شيء**»، قالت: فارجع إليه وقل له: اكسني قميصك، قال: فأتاه فقال: إنها تقول: اكسني قميصك، قال: فنزع قميصه فأعطاه إياه، فنزلت هذه الآية.[٤].

---

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ١٩٤.

(٢) أبو الدُّقيش القنانيّ الغنوِيّ، لم أجد له ترجمة، وذكره القفطي في إنباه الرواة ٤/ ١٢١، ولم يترجم له.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (يسر) ٤/ ٣٩٨٠ بنصه، ويعني بالصناعة هنا الاجتهاد في تغذيته وتربيته، وفي «المحيط في اللغة» (صنع) ١/ ٣٣٧: يقال: صنعت الفرس: أحسنت القيام عليه.

(٤) ورد بنحوه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٦، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٧ب، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» ص٢٨٧، بنحوه من طريق ابن مسعود، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٢ وعزاه إلى ابن أبي حاتم، وأورده بنحوه- كذلك- وعزاه إلى ابن جرير من طريق ابن مسعود- لم أجده، وأورده في «لباب النقول» ص١٣٦، بنحوه من طريق ابن مسعود وعزاه إلى ابن مردويه. وهذه الرواية مقطوعة؛ لأن المنهال لم يحفظ له سماع عن الصحابة، إنما روايته عن كبار التابعين- كما في «الميزان»- كما أن إسناد هذا الحديث- من طريق ابن مسعود- ضعيف، بسبب ضعف: سليمان بن سفيان الجهني، وقيس بن الربيع الأسدي. انظر: «الضعفاء» للبخاري رقم (٣٠١) وللنسائي رقم (٢٤٦)، (٤٩٩) و«الضعفاء والمتروكين» للدارقطني رقم (٢٥٤)، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ٢٠٩، ٣/ ٣٩٣.

قال أهل اللغة: معنى الغل: الإدخال[١]، قال امرؤ القيس:

لهـا مُـقْـلَـةٌ حَـدْرَةٌ بَـدْرَةٌ   إلى حاجبٍ غُلّ فيه الشُّفُرْ[٢]

أي عورٌ وأدخل فيه الشُّفُر[٣]، ومنه قولهم: غَلَّ في الغنيمة إذا خان؛ لأن ما خان شيئًا أو سرقه أدخله في كُمِّه، ومعنى غُلَّتْ يدُ فلان: أي أدخلت في الحديد، ولعل هذا مما سبق ذكره[٤].

قال ابن عباس والمفسرون في قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾: يريد البخل ومنع حق الله في الزكاة والصلة[٥].

والمعنى: لا تمسك يدك عن البذل كل الإمساك، حتى كأنها مقبوضة إلى عنقك بالغل لا تُبْسَط لخير.

قال صاحب النظم: لا تكاد العرب تقول جعلت يدي مغلولة، ولا

---

(١) انظر (غلل) في «تهذيب اللغة» (غلل) ٣/ ٢٦٩٠، و«مقاييس اللغة» ٤/ ٣٧٦، و«الصحاح» ٥/ ١٧٨٤، و«اللسان» ٦/ ٣٢٨٨.

(٢) ورد في «الديوان» ص٧٢ برواية أخرى ليس فيها الشاهد وهي:

وعَـيـنٌ لـهـا حَـدْرةٌ بَـدْرةٌ   شُـقّـت مـآقـيـهـا مـنْ أُخُـرْ

وورد - بلا نسبة- في «مقاييس اللغة» ٤/ ٣٧٦، برواية:

وعـيـنٌ لـهـا حَـدْرةٌ بَـدْرَةٌ   إلى حاجبٍ غُلّ فيه الشُّفُر

وورد عجزه- بلا نسبة- في «مجمل اللغة» ٢/ ٦٧٩، (حدْرة): واسعة، (بدْرة): تامَّة، ومنه قيل: ليلة البدر لتمام قمرها، (المأقي): مؤخر العينين، (أُخُر): آخرهما، (الشُّفُر): بالضم شُفْر العين، وهو ما نبت عليه الشعر.

(٣) في جميع النسخ: (الشعر)، والصواب ما أثبته، ويبدو أنها تصحفت على النساخ.

(٤) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١].

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٧ مختصرًا، من طريق ابن أبي طلحة صحيح، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٢٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

جعلت رجلي مقيدة، ولا جعلت رأسي معممًا، إنما يقولون: غَلَلتُ يدي، وقَيَّدتُ رجلي، وعَمَّمتُ رأسي، والعلة في هذا النظم؛ أن الفعل أقل من النعت، والنعت ألزم وأكثر من الفعل؛ كما قلنا في قوله: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؛ لأنه قد كان منه، ولا يجوز أن يقال: آدم عاصٍ غاوٍ؛ لأن هذا نعت لازم، وكانوا يقولون: يد فلان مغلولة، أي أن المنع عادةٌ له، ولا يكادون يقولون: غُلَّت يده؛ لأن هذا فعل غير لازم، والأول لازم، وقد يمنع الإنسان في مواضع المنع ولا يُرْجَع عليه بلوم، فلذلك قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾، أي: لا تكن ممسكًا عن البذل عادة، ولم يُرِدْ أن لا يمسك عند وقت الإمساك، يدل على ذلك قوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾؛ ومما يشبه هذا النظم، قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [إبراهيم: ٤٠] وقد مر، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]، وسنذكره في موضعه إن شاء الله(١).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ قال ابن عباس: يريد في لنفقة والعطية(٢).

وقال مجاهد وقتادة: يعني التبذير والإنفاق في معصية الله تعالى،

---

١) قال الواحدي عند تفسير هذه الآية: وذكر صاحب النظم وجهًا آخر من الهجر؛ فقال: ويجوز أن يكون المهجور مصدرًا؛ كالهجر والهجير، ويكون المعنى: اتخذوا هذا القرآن هُجرًا، أي: إذا سمعوه قالوا فيه الهجير، وقالوا: إنه هجر، كما يقال: اتخذنا فلانًا ضحكة أو سُخرة، أي إذا رأيناه ضحكنا منه وسخرنا منه، وهذا النظم أبلغ من أن لو قيل: هجروا القرآن، أو هجروا فيه؛ لأنه يدل على أنهم جعلوا عادتهم هجر القرآن.

٢) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٦- بمعناه، وتفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٣ بنصه، انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٩ بنصه.

وفيما لا يصلح[١]، فحصل في قوله: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ وجهان من التفسير؛ **أحدهما**: أنه نهي عن بذل جميع ما يملك، حتى لا يبقى له شيء، وإن كان في طاعة الله، على ما ذكر من سبب النزول، وفي معنى قول ابن عباس. **والثاني**: أنه نهي عن التبذير؛ على قول مجاهد وقتادة.

وقوله تعالى: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ قال السدي: تلوم نفسك وتُلام[٢]، ﴿مَّحْسُورًا﴾ قال ابن عباس: ليس عندك شيء[٣]، وقال مجاهد: مقطوعًا بك[٤].

قال الفراء: والعرب تقول للبعير: هو محسور إذا انقطع سَيْرُه، وحَسرتُ الدَّابة إذا سَيَّرتَها حتى ينقطعَ سَيْرُها[٥].

وقال ابن قتيبة: أي تَحْسِرُكَ العطيةُ وتَقْطعك؛ كما يَحْسِرُ السفرُ البعيرَ، فيبقى منقطعًا[٦]، هذا هو الأصل، ثم يُقال: حَسَرْتُ الرجلَ بالمسألة حَسْرَةً: إذا أفنيتَ جميعَ ما عنده، وحُسِرَ فهو يُحْسَرُ: إذا لم يبق عنده شيء، من قولهم: حَسَرَتِ الدابةُ والعينُ[٧]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ٤].

---

(١) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٣ بنصه عن مجاهد، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٦٤، عن قتادة.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٣ بنصه.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٧٧ بمعناه، من طريق العوفي ضعيفة، ورد في تفسيره الوسيط، تح: سيسي (٢/ ٤٩٣ بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٦، بنحوه.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٢ بنصه.

(٦) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٥ بنصه.

(٧) ساقطة من (ع).

وقال قتادة في قوله: ﴿مَّحْسُورًا﴾، (أي نادمًا على ما سلف منك[١]، فجعله من الحَسْرَة، والفاعل من الحسرة يكون حَسْرًا، وحُسْرَان، ولا يقال في الفاعل منه: محسور)[٢].

٣٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ قال المفسرون: يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء[٣]، والقَدْرُ في اللغة: التضيق[٤]، ومنه قوله: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧]، وقوله: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ [الفجر: ١٦] أي ضَيَّقَ، فمعنى الآية: أنه يُوَسِّعُ في الرزق ويُضَيِّقُ بحسب مصالح العباد؛ كما قال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ الآية [الشورى: ٢٧]، وهو معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾، حيث أجرى رزقهم على ما علم فيه صلاحهم.

وقال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: يريد لو أردت أن أبسط[٥] عليك الرزق وأجعل جبال الدنيا لك ذهبًا وفضة لفعلت، ولم أجعل لك الدنيا لكرامتك علي جعلت لك الآخرة.

٣١- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ﴾ الآية. سبق تفسير هذه

---

(١) أخرجه بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٧، والطبري ١٥/ ٧٧، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٦- مختصرًا، والثعلبي ٧/ ١٠٨أ، بنحوه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٥١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (ع).

(٣) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٤ب، و«الطبري» ١٥/ ٧٨، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٨أ، و«الطوسي» ٦/ ٤٧١.

(٤) انظر: قدر في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٩٧، و«اللسان» ٦/ ٣٥٤٧، و«التاج» ١٧/ ٣٧٣.

(٥) في (أ): (أسبط).

الآية في أواخر سورة الأنعام(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ قال أبو إسحاق: معناه: إثمًا كبيرًا(٢)، يقال: خَطِيءَ يُخْطِئ خِطْئًا، مثل: أَثِمَ يَأْثَمُ إثمًا، قال الله تعالى(٣): ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٩٧]، أي: آثمين، وقال: ﴿لَا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَاطِـُٔونَ﴾ [الحاقة:٣٧].

وقرأ ابن عامر ﴿خَطَأً﴾ بالفتح(٤)؛ وهو اسم من أخطأ، يقال: أخطأ يُخْطِئُ، إِخْطَاءً وخِطَاءً، إذا لم يصب عن غير تعمد(٥)، وقد يكون الخطأ الاسم من هذا لا المصدر، ويكون المعنى على هذه القراءة: إن قتلهم كان على غير الصواب، هذا قول أبي إسحاق في معنى هذه القراءة(٦).

---

(١) آية [١٥١].

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٦ بلفظه.

(٣) لعل الأولى أن يقول: قال الله تعالى، عن إخوة يوسف؛ حتى لا يوهم معنى غير مقصود.

(٤) أي بفتح الخاء والطاء وبالهمز من غير مدّ: ﴿خَطَأً﴾. انظر: «السبعة» ص٣٧٩، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩٦، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٨.

(٥) يقول ابن دريد: الخطأ؛ مقصور مهموز؛ يقال خَطِئَ الشيءَ يخطَأ خَطاءً وخِطاءً: إذا أراده فلم يُصبْه؛ ويكون أيضاً خَطِئَ الرجلُ، إذا تعمّد الخَطَأ؛ وأخطأ يُخطئ إخطاءً: إذا لم يتعمّد الخَطَأ فهو مخطئ، والأول خاطئ، ومنه قتل الخَطَأ؛ لأنه لم يُرِدْ قتله. «جمهرة اللغة» ٢/ ١٠٥٤، انظر معاني القرآن للأخفش (٢/ ٦١١، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٧، و«تهذيب اللغة» (خطئ) ١/ ١٠٦٠، و«شرح الهداية» ٢/ ٣٨٦، و«العباب الزاخر» أ/ ٥٠، و«اللسان» (خطأ) ٢/ ١٢٠٥، و«تاج العروس» (خطأ) ١/ ١٤٥.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٦ بتصرف يسير.

وقال أبو علي: قد جاء أخطأ بمعنى خَطِئ أي أثم، كما جاء خَطِئ بمعنى أخطأ، إذا لم يصب الصواب؛ فمن الأول قوله: ﴿إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ [البقرة:٢٨٦] بمعنى خَطِئْنا؛ لأن المؤاخذة عن المخطئ موضوع، وأنشد(١):

عِبادُك يُخْطِئُونَ وأنت ربٌّ كريم لا تَليقُ بك الذمومُ(٢)

ومن الثاني قول امرئ القيس:

يا ويحَ هِنْدٍ إذْ خَطِئْنَ كاهِلًا(٣)

---

(١) لأمية بن أبي الصلت؛ جاهلي من أهل الطائف، قدم على النبي ﷺ وسمع منه، ولم يسلم.

(٢) «ديوانه» ص٤٨١، برواية:

بِكَفَّيْكَ المَنَايَا والحُتُومُ

وورد برواية الديوان في «تهذيب إصلاح المنطق» ص٦٣٢، و«المحتسَب» ٢/ ٢٠، وورد برواية المؤلف بلا نسبة في «تهذيب اللغة» (خطئ) ١/ ١٠٦٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٢١، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٧٢، و«تفسير ابن عطية» ٩/ ٦٨، و«اللسان» (خطأ) ٢/ ١٢٠٥. وبرواية: لا تَمُوتُ. بدل: الحتوم في «أدب الكاتب» ٤٤٤، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٠.

(٣) وعجزه:

تاللهِ لا يذهبُ شيْخي باطلًا

«ديوانه» ص١٣٦، وفيه وفي جميع المصادر: (لهف) بدل (ويح)، وورد في: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١١، و«إصلاح المنطق» ص٢٩٤، و«تهذيب اللغة» (خطئ) ١/ ١٠٦٠، و«تهذيب إصلاح المنطق» ص٦٣٢، و«الأساس» ١/ ٢٣٨، و«العباب الزاخر» أ/ ٥٠، و«التاج» (خطأ) ١/ ١٤٥، وورد غير منسوب في «تفسير الطبري» ١٥/ ٧٩، و«الحجة للقراء» ٢/ ١١٥، ٥/ ٩٨، (يالهف): ياحسرة هند، وهي أخته وقيل: امرأة أبيه، (خطئن): أخطأن ولم يصبن؛ يعني: أن خيله التي أغار بها لم تصب بني كاهل؛ وهم حي من بني أسد، كان فيمن اشترك في قتل حُجْر والد امرئ القيس، (شيخه): أبوه، (باطل): هدر.

وإذا كان أخطأ بمعنى خَطِئ كان خَطَأً بمعنى خِطْأً[١]، فيكون معنى قراءة ابن عامر كمعنى قراءة العامة، وقرأ ابن كثير: (خِطاءً) مكسور الخاء ممدودًا[٢]، وهو مصدر خاطأ وإن لم يسمع خَاطَأ، ولكن قد جاء ما يدل عليه، وهو ما أنشده أبو عبيدة[٣]:

تَخَاطأتِ النَّبْلُ أحشاءَه[٤]

فتخاطأ يدلّ على خَاطَأ ؛ لأن تفاعل مطاوعُ فَاعَل، كما أن تَفَعَّلَ مطاوع فَعَّل، وهذا وجه بعيد ذكره أبو علي[٥]، والقراءة هي الأولى.

٣٣- قوله تعالى: [﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ قال المفسرون[٦]: حقها الذي تُقْتل به: كفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان،

---

(١) «الحجة للقراء» ٥/ ٩٧، بتصرف.

(٢) انظر: «السبعة» ص٣٧٩، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩٦، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٨.

(٣) البيت لأوْفَى بن مَطَر المازنيّ (جاهلي).

(٤) وعجزه:

وأُخِّر يَومِي فلم يَعْجَلِ

«الدِّيباج» لأبي عبيدة ص٣٩، وورد في: «ذيل الأمالي» للقالي ٣/ ٩١، و«العباب الزاخر» أ/ ٥١، و«اللسان» (خطأ) ٢/ ١٢٠٥، وورد غير منسوب في «الحجة للقراء» ٥/ ٩٧، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٧٢، و«ابن عطية» ٩/ ٦٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٥٣، و«أبي حيان» ٦/ ٣٢، و«الدر المصون» ٧/ ٣٤٧.

(٥) «الحجة للقراء» ٥/ ٩٧، بنصه تقريبًا.

(٦) انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٨٠، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٨أ. وقد أخذوا هذه الخصال الثلاث -الموجبة للقتل- من الحديث الصحيح: «**لا يحل دمُ امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيبُ الزاني، والنفسُ بالنفس، والتاركُ لدينه المفارقُ للجماعة**» أخرجه البخاري =

أو قتل نفس بتعمد، ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا﴾][(١)] أي بغير أحد هذه الخصال، ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ يعني وارثه الذي بينه وبينه قرابة توجب له المطالبة بدمه، فإن لم يكن له ولي فالسلطان وليه.

وقوله تعالى: ﴿سُلْطَٰنًا﴾ قال ابن عباس: يريد حجة[(٢)]، قال مجاهد: سلطانه: حجته التي جُعلت له أن يقتل قاتله[(٣)].

وقال الضحاك في قوله: ﴿سُلْطَٰنًا﴾ إن شاء قتل، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدّية[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ﴾ اختلفوا في معنى الإسراف هاهنا؛ فقال ابن عباس: هو أن يقتل غير القاتل[(٥)].

= (٦٤٨٤) كتاب: الديات، باب قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، ومسلم (١٦٧٦) كتاب: القسامة، باب: ما يباح به دم المسلم، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٠ من عدة طرق.

(١) ما بين المعقوفين معظمه مطموس في (ع).

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨١ بمعناه من طريق العوفي(ضعيفة)، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٠ بلفظه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٢.

(٣) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٩ بنصه، ورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٠، بنحوه.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨١، بنحوه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٤٩ بنصه، وورد بنحوه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٠، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٠، و«الطوسي» ٦/ ٤٧٥، وورد بنصه غير منسوب في: «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٤ب، و«السمرقندي» ٢/ ٢٦٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٨أ.

(٥) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩١، و«ابن الجوزي» ٥/ ٣٣، و«الخازن» ٣/ ١٦٣، و«أبي حيان» ٦/ ٣٣، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٧ وعزاه إلى ابن المنذر من طريق أبي صالح (ضعيفة).

وقال مجاهد وسعيد بن جبير: هو أن يقتل بالواحد الاثنين والثلاثة[١].

قال طَلْقُ بن حَبِيب[٢]: هو أن يمثل بالقاتل[٣].

وقال الحسن وابن زيد: هو أن لا يرضى بالقاتل إذا كان خسيسًا فيعمد إلى أشرف قبيلة القاتل فيقتله؛ كفعل أهل الجاهلية[٤]، وهذا معنى قول ابن عباس: هو أن يقتل غير القاتل، والمعنى: فلا يسرف الوليُّ في القتل، أي لا يتجاوز ما حُدَّ له.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾، أي: أن الولي كان منصورًا بقتل قاتل وليه

---

(١) أخرجه عن سعيد: «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٧- بمعناه، وابن أبي شيبة(٥/ ٤٥٤، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ٨٢، بنحوه، والبيهقي في السنن: الجنايات/ إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٨/ ٢٥، بنحوه، وورد بنحوه عن سعيد بن جبير في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٠، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٤١، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٢٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) طلق بن حبيب العَنَزي، الزاهد البصري من صلحاء التابعين، ثقة لكنه كان يرى الإرجاء، روى عن ابن عباس وجندب بن سفيان، وعنه: عمرو بن دينار وسليمان التيمي، مات بعد التسعين. انظر: «الجرح والتعديل» ٤/ ٤٩٠، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٥٩، و«الكاشف» ١/ ٥١٥، و«تقريب التهذيب» ص٢٨٣ (٣٠٤٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٤٥٤، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ٨٢، بنحوه من طريقين، والبيهقي في «السنن» كتاب: الجنايات، باب: إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٨/ ٢٥، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٠، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠١، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٥٥، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٦- ٣٢٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٣، بنحوه عنهما، والبيهقي في «السنن» كتاب: الجنايات، باب: إيجاب القصاص على القاتل دون غيره ٨/ ٢٥، بنحوه عن ابن زيد، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٨أ، بنحوه عنهما، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٣، عن ابن زيد.

والاقتصاص منه، وقد حكم الله تعالى بالسلطان والنصرة لولي المقتول ظلمًا، وقد روي عن زَهْدَم الجَرْمي[١] عن ابن عباس: أنه قال: قلت لعلي ابن أبي طالب: وأيم الله لَيَظْهَرنَّ عليكم ابنُ أبي سفيان؛ لأن الله يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَانًا﴾[٢].

(وقال الحسن: والله ما نُصِرَ معاويةُ على علي إلا بقول الله: ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَانًا﴾)[٣][٤].

وروى العلاء[٥] عن مجاهد في قوله: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾ قال: المسرف: الذي قتل القتيل الأول[٦]؛ فهو الذي أسرف في القتل، وعلى هذا المنهي عن الإسراف القاتل الأول[٧]، ويكون التقدير: فلا يُسرف

---

(١) زَهْدَم بن مضرب أو مُضَرِّس- كما في «التقريب»- الجَرْمي، أبو مسلم البصري، ثقة، روى عن ابن عباس وعمران بن حصين، وعنه: قتادة وأبو التياح.
انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٦١٧، و«الكاشف» ١/ ٤٠٦، و«تقريب التهذيب» (٢٠٣٩).

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٠٣ بنصه، و«ابن كثير» ٣/ ٤٤، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٨ وعزاه إلى الطبراني وابن عساكر- لم أقف عليه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٤) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٠٤ بنصه.

(٥) العلاء بن عبد الكريم اليَامي، أبو عَوْن الكوفي، ثقة عابد، سمع مجاهد ومرة الهمداني، وعنه: الثوري ووكيع، توفي في حدود سنة (١٥٠هـ) انظر: «التاريخ الكبير» ٦/ ٥١٤، و«الجرح والتعديل» ٦/ ٣٥٨، و«تقريب التهذيب» (٥٢٤٨).

(٦) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥١، بنحوه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٣، و«القرطبي» ١٠/ ٢٥٥.

(٧) في هذا القول تكلُّف وبعد عن الظاهر؛ فالخطاب -حسب الظاهر- موجه إلى ولي المقتول وليس للقاتل، وكيف يخاطب القاتل الأول ويقال له: لا تسرف في =

القاتل في القتل، وجاز أن يضمر وإن لم يجر له ذكر؛ لأن الحال تدل عليه، ومعنى نهيه عن الإسراف: نهيه عن القتل؛ لأنه يكون بقتله مسرفًا، ويكون الضمير على هذا في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ للمقتول المذكور في قوله: ﴿وَمَن قُتِلَ﴾، ويكون التقدير: فلا يُسرف القاتل -الذي يبتدئ- بالقتل؛ لأن من قُتل مظلومًا كان منصورًا؛ بأن يقتصَّ له وليُّه، أو[1] السلطان إن لم يكن له ولي، وهذا الاقتصاص إنما هو للمقتول انتقل إلى الولي، بدلالة أن المقتول لو أبرأ من السبب[2] المؤدي إلى الهلاك؛ وهو الجراحة لم يكن للولي أن يقتص، وتكون الآية على هذا ردعًا للقاتل عن القتل[3].

وقرأ حمزة والكسائي: (فَلا تُسْرِفْ) بالتاء[4]، وهذه القراءة تحتمل أيضًا وجهين؛ **أحدهما**: أن يكون الخطاب للمبتدئ؛ القاتل ظلمًا، قيل له: فلا تسرف أيها الإنسان، فتقتل ظلمًا [من ليس][5] لك قتله؛ إن من قتل مظلومًا كان منصورًا بأخذ القصاص له.

والآخر: أن يكون الخطاب للولي، فيكون التقدير: لا تسرف في القتل أيها الولي فتتعدى قاتل وَلِيّك إلى من لم يقتله؛ إن المقتول ظلمًا كان

= القتل؟! لذلك قال الألوسي: إن هذا الوجه غير وجيه فلا ينبغي التعويل عليه. انظر: «تفسير الألوسي» ١٥/ ٧٠.

(١) في (ب)، (ع): (و).

(٢) في جميع النسخ: (النسب)، وبالمثبت يستقيم الكلام.

(٣) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ٩٩-١٠٠ بتصرف.

(٤) انظر: «السبعة» ص٣٨٠، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٢، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٢، و«الحجة للقراء» ٥/ ٩٩، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٨.

(٥) هذه إضافة يقتضيها السياق ليستقيم الكلام، وهي ثابتة في المصدر.

منصورًا، وكل واحد من المقتول ظلمًا ومن ولي المقتول قد تقدم ذكره في قوله: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومًا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنًا﴾[(١)].

وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾، أي: أن المقتول إذا قتل بغير حق فهو منصور في الدنيا والآخرة؛ فأما نصرته في الدنيا فقتل قاتله، وأما في الآخرة فإجزال الثواب له وتعذيب قاتله في النار[(٢)].

٣٤- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ قال الكلبي: يعني بالقيام عليه وأن يُثَمِّر مالَ اليتيم بالأرباح[(٣)].

وقال ابن زيد: يعني الأكل بالمعروف؛ أن تأكل معه إذا احتجت إليه، كان أُبَيّ يقول ذلك[(٤)].

وروى مجاهد عن ابن عباس قال: إن احتاج أكل بالمعروف، (فإذا أَيْسَر قضاه، فإن لم يوسر فلا شيء عليه[(٥)].

وروى الحكم عن إبراهيم قال: يأكل بالمعروف)[(٦)] وإن أتى على آخره[(٧)].

وقال قتادة: هذه الآية كانت جَهْدًا عليهم؛ لا يخالطوهم، ثم أنزل

---

(١) ورد الوجهان في «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٠، بنصه تقريبًا.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٨ بتصرف يسير لكنه مهم؛ إذ غير عبارة الزجاج: ويخلَّد قاتله النار إلى: وتعذيب قاتله في النار، هربًا من قول الوعيدية.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٢٩٩، بنحوه، وورد بنحوه غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٨.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٤، بنصه.

(٥) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٠٤، بنصه.

(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٧) لم أقف عليه.

الله: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، فرُخِّص لهم أن يخالطوهم[١].

فمعنى ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الحالة التي هي أحسن؛ وهو الكف عنه، وتثميره في قول بعضهم، وفي قول آخرين: الأكل بالمعروف عند الحاجة إليه، على ما ذكرنا، وهذه الآية ذكرنا تفسيرها في أواخر سورة الأنعام[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ قال أهل المعاني: كل عقد يُقدَّم للتوثق من الأمر فهو عهد[٣]، فدخل في قوله: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ كُلّ عقد من العقود بين المسلمين؛ كعقد النكاح وعقد الشركة وعقد البيع وعقد اليمين وعقد الصلح بين المسلمين والمشركين، وكل هذا مما يجب حفظه والوفاء به وترك الخيانة فيه.

وقال أبو إسحاق: كل ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد[٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ ذكر صاحب النظم وغيره في هذا وجهين[٥]؛ **أحدهما**: أن المعنى: كان مسئولًا عنه بالجزاء، فحذف الصلة، كقوله: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]، أي: يؤمرون به، وكقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠]، أي: يعدلون بالله.

والثاني: أن العهد يُسأل فيقال: لم[٦] نُقِضت، تبكيتًا للناقض؛ كما

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٤، بنحوه من طريقين.

(٢) آية [١٥٢].

(٣) ورد نحوه في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٧٦.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٨، بمعناه.

(٥) ورد بنحوه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٣، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٢، و«الطوسي» ٦/ ٤٧٧، انظر: «الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٧٤، و«تفسير الألوسي» ١٥/ ٧١.

(٦) في (أ)، (د): (لهم)، والمثبت من (ش)، (ع). وهو الصحيح المنسجم مع السياق.

تُسأل الموؤودة تبكيتًا لوائدها وإنكارًا عليه؛ كما جاء قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ الآية .[المائدة: ١١٦] والمخاطبة لعيسى[١] والإنكار على غيره.

٣٥- وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾، أي: أتموه ولا تبخسوا منه، ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ قال الحسن: هو القَبَّان[٢]، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[٣].

وقال مجاهد: هو العدل، بالرومية[٤].

وقال الليث: هو أقوم الموازين[٥].

---

(١) في (أ)، (د): (بعيسى)، والمثبت من (ش)، (ع). وهو الصحيح.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٥ بلفظه، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٣ بلفظه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب بلفظه، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٢، و«الطوسي» ٦/ ٤٧٦، وورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٨. القَبَّان: الذي يوزن به، وهو عربيٌّ أو معرب. انظر (قبن) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٨٨٠، و«اللسان» ٦/ ٣٥٢٣.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٧ بلفظه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ١٢٢ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ٨٥ بنصه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٤، بنحوه، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٢، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٤٧٦ بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٨ وزاد نسبته إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. واختُلف في أصل كلمة القسطاس: فقال الفخر الرازي٢٠/ ٢٠٦: وقيل إنه بلسان الروم أو السرياني، والأصح أنه لغة العرب، وهو مأخوذ من القسط؛ وهو الذي يحصل فيه الاستقامة والاعتدال، وبالجملة فمعناه المعتدل الذي لا يميل إلى أحد الجانبين، وقال الألوسي ١٥/ ٧٢: وعلى القول بأنه رومي معرب وهو الصحيح، لا يقدح استعماله في القرآن في عربيته المذكورة في قوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢]؛ لأنه بعد التعريب والسماع في فصيح الكلام يصير عربيًا، فلا حاجة إلى إنكار تعريبه أو ادعاء التغليب أو أن المراد عربي الأسلوب.

(٥) انظر: «تفسير الألوسي» ١٥/ ٧٢.

وقال أبو إسحاق: هو ميزان العدل؛ أيُّ ميزان كان من موازين الدراهم وغيرها[١].

[ذكر أبو[٢] علي جواز[٣] اللغتين فيه؛ ضم القاف[٤] وكسرها[٥]، وهذا كقوله: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩]، وكقوله: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ﴾ [هود: ٨٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [هود: ٨٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟﴾ الآية[٦] [المطففين: ٢].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ قال عطاء: يريد أقرب إلى الله[٧]، وقال قتادة: يقول: خيرٌ ثوابًا، ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ قال: وأحسن عاقبة في الخير[٨]، المعنى: أحسن ما يؤول إليه أمر صاحب الوفاء.

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٨، بنصه.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في (ش)، (ع): (جواب).

(٤) أي: (القُسْطاس) قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر. انظر السبعة ص٣٨٠، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٨، و«حجة القراءات» ص٤٠٢، و«التيسير» ص١٤٠، و«النشر» ٢/ ٣٠٧.

(٥) أي: (القِسْطاس) قرأ بها: حمزة والكسائي وحفص عن عاصم. انظر المصادر السابقة.

(٦) «الحجة للقراء» ٥/ ١٠١، بنحوه.

(٧) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٧.

(٨) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٨، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ٨٥، بنحوه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٥، بنحوه، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٥، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

٣٦- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية. تقف من قوله: قفوت أثر فلان، أَقْفُو قَفْوًا[١] وقُفُوًّا، إذا اتَّبَعْتَ أثره، وسُمِّيت قافية الشِّعْر قافية؛ لأنها تَقْفو البَيْت، ثم يُثَقَّل قَفًّا بالتشديد، فيصير واقعًا كقوله: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: ٢٧]، هذا معنى القفو في اللغة[٢].

قال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في هذه الآية: لا تقل ما ليس لك به علم[٣]، وقال مجاهد: لا تَرْمِ[٤].

وقال قتادة: لا تقل: سمعت، ولم تسمع؛ ورأيت، ولم تَرَ؛ وعلمت، ولم تعلمْ[٥].

وقال الحسن: لا تكذب على فؤادك؛ تقول: علمت ما لم تعلم، ولا على سمعك تقول: سمعت ما لم تسمع، ولا على بصرك تقول: أبصرت ما لم تبصر[٦].

---

(١) ساقطة من (أ)، (د).

(٢) انظر: (قفو)، (قفا) في: «تهذيب اللغة» ٣/ ٣٠١٣، و«المحيط في اللغة» ٦/ ٣٨، و«الصحاح» ٦/ ٢٤٦٦، و«اللسان» ٦/ ٣٧٠٨.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٦ مختصرًا من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٥٥ بنصه، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٦ بلفظه من طريقين، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٥، و«تهذيب اللغة» (قفا) ٣/ ٣٠١٥، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٢، و«اللسان» (قفا) ٦/ ٣٧٠٨.

(٥) أخرجه بنصه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٨، و«الطبري» ١٥/ ٨٦ من طريقين، وورد بنصه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٣، و«الطوسي» ٦/ ٤٧٧. وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٦) لم أقف عليه.

وقال ابن عباس في رواية عطاء: لا تشهد إلا بما رأته عيناك وسمعته أذناك ووعاه قلبك، ونحو هذا القول روي عن ابن الحنفية أنه قال: هذه الآية في شهادة الزور[١]، هذا جملة ما ذكره المفسرون في هذه الآية، وحقيقة تأويله ما قاله الزجاج: لا تقولنَّ في شيء بما لا تعلم، والتأويل لا تُتْبِعَنْ لسانَك من القول ما ليس لك به علم[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾ إلى آخرها. قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يسأل الله العباد فيما استعملوها[٣]، وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل، والاستماع إلى ما يحرم، وإرادة ما لا يجوز.

قال صاحب النظم: هذه أحساس هذه الأعضاء التي هي: أذن وعين وقلب؛ فالسمع حس الأذن، والبصر حس العين، والفؤاد حس القلب.

وقوله تعالى: ﴿كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ قال أبو إسحاق: كل جمع أَشَرْتَ إليه من الناس وغيرهم من الموات، فلفظه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾[٤]، ونحو هذا قال الأخفش[٥]، وأنشد لجرير:

ذُمَّ المنازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللِّوَى ... والْعَيْشَ بَعْدَ أولئِكَ الأَيامِ[٦]

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٨٦ بنصه، وورد بنصه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٥، و«تهذيب اللغة» (قفا) ٣/ ٣٠١٥، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٢٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٩، باختصار.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٧، بنصه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٣٩، بنصه.

(٥) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٢، بنحوه.

(٦) «ديوانه» ص٤٥٢ وفيه: (الأقوام) بدل (الأيام) ولا شاهد في هذه الرواية، وورد بهذه الرواية في: «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٢، و«معاني القرآن وإعرابه» =

أشار بأولئك إلى الأيام، وكذلك أُشير في هذه الآية بأولئك إلى البصر والسمع والفؤاد.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ عادت الكناية إلى لفظ (كان) لا إلى معناه.

٣٧- وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ المَرَحُ: شدة الفَرَحِ، يقال: مَرِحَ يَمْرَحُ مَرَحًا، وهو مَرِحٌ مَرُوحٌ[1]، قال ابن عباس: يريد بالكبرياء والعظمة.

وقال عبد الله بن مسلم: أي بالكبر والفخر[2].

وقال الزجاج: تأويل الآية: لا تَمْشِ في الأرض مختالًا ولا فخورًا[3]، قال الأخفش: ولو قُرئ مرِحًا بالكسر كان أحسن في القراءة[4].

قال أبو إسحاق: مَرِحًا اسمُ الفاعل، ومَرَحًا مصدر، وكلاهما في

= ٣/ ٢٤٠، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٤٤، و«ابن الجوزي» ٥/ ٣٥، وورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٥/ ٨٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٨ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٧٨، و«ابن عطية» ٩/ ٨٦، (اللِّوى): اسم وادٍ من أودية بني سُلَيْم. «المحيط في اللغة» (لوى) ١٠/ ٣٧١.

(١) انظر (مرح) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣٣٧١، و«المحيط في اللغة» ٣/ ٩٦، و«مجمل اللغة» ٢/ ٨٢٩، و«اللسان» ٧/ ٤١٧٠.

(٢) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٦، بنصه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٠، بنصه.

(٤) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٢، بنحوه، وخالفه الطبري، فقال: وقيل: ولا تمش مرَحًا ولم يقل: مرِحًا؛ لأنه لم يُردْ بالكلام: لا تكن مرِحًا، فيجعله من نعت الماشي، وإنما أريد لا تمرح في الأرض مرَحًا، ففسّر المعنى المراد من قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ﴾ «تفسير الطبري» ١٥/ ٨٨، انظر كلام الزجاج بعده فقد تضمن الردّ عليه أيضًا.

الجودة سواء، غير أن المصدر أَوْكَدُ في الاستعمال، تقول: جاء زيد رَكْضًا وراكضًا، فركضًا أَوْكَدُ؛ لأنه يدل على توكيد الفعل[(١)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ﴾ الآية. الخرق معناه في اللغة كالشق، يقال: خرق الثوب إذا شَقَّه، وخرق الأرض إذا قطعها حتى بلغ أقصاها[(٢)].

قال ابن عباس: يريد ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾: بِكِبْرِك ومشيك عليها، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾: بعظمتك، وإنما أنت مخلوق عبد ذليل[(٣)].

قال الزجاج: والتأويل: إن قدرتك لن تبلغ هذا المبلغ فيكون لك[(٤)] وُصْلَة إلى الاختيال[(٥)]، وهذا[(٦)] الذي ذكره موافق لتفسير ابن عباس، والمعنى: إنك عبد لا تقدر أن تنقص الأرض حتى تبلغ آخرها، ولا أن تُطاول الجبال، فمن أين تستحق الكبر والفخر؟!

قال ابن قتيبة: يريد أنه ليس ينبغي للعاجز[(٧)] أن يَبْذَخَ[(٨)]

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٠ بتصرف يسير.

(٢) انظر: (خرق) في «تهذيب اللغة» ١/ ١٠١٥، و«المحيط في اللغة» ٤/ ١٩٣، و«اللسان» ٢/ ١١٤١.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٨ بنصه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٦، والقرطبي ١٠/ ٢٦١، بلا نسبة.

(٤) في المصدر: (ذلك).

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٠، بنصه.

(٦) ساقط من (د).

(٧) هذه الكلمة أصح مما في المصدر، وهي: (للفاجر)، ولعل ما في المصدر تصحيف.

(٨) البَذْخُ: الكبر، وتبذَّخ: تطاول وتكبَّر وفَخَر وعلا، والباذخ: العالي، وشرف باذخٌ: عال، والبواذخ من الجبال: الشوامخُ. انظر بذخ في «المحيط في اللغة» ٤/ ٣٢١، و«الصحاح» ١/ ٤١٨، و«اللسان» ٣١/ ٢٣٦.

ويستكبر[١]، ومعنى خَرْق الأرض في هذه الآية: نَقْبُها لا قطعها بالمسافة، وذُكِرَ في هذه الآية معنى آخر، قال قتادة: لا تمش كِبرًا ولا فَخرًا، فإن ذلك لا يبلغ بك أن تبلغ الجبال، ولا أن تخرق الأرض بكبرك وفخرك[٢]، ومعنى هذا أن مشي المرح يكون على ضربين: مَشيٌ باختيال على الأرض وتؤدة؛ بجر قدمه على الأرض كأنه يريد أن يخرقها، ومَشيٌ يتطاول في السماء بذخًا، فنهى الله تعالى في هذه الآية عنهما، وأخبر أنه لا يبلغ مما يريد كبير مبلغ، وإلى هذا أشار مجاهد؛ فقال في قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ قال: الذي يمشي على عقبه، ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ قال: الذي يمشي على صدور قدميه[٣].

٣٨- قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ﴾ أشار إلى جميع ما تقدم ذكره مما أمر به ونهى عنه من قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ و﴿ذَٰلِكَ﴾ يصلح للواحد والجميع، والمؤنث والمذكر، على ما ذكرنا في مواضع.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ قُرئ بالإضافة[٤] والتنوين[٥]، قال أبو

---

(١) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ بنصه تقريبًا.

(٢) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٨ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ٨٨ بنصه تقريبًا، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) أي ﴿سَيِّئُهُۥ﴾ مضافًا مذكرًا، قرأ بها: عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. انظر: «السبعة» ص٣٨٠، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٣، و«الحجة للقراء» ٥/ ١٠٢، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٨، و«تلخيص العبارات» ص١١٣.

(٥) أي ﴿سَيِّئَةً﴾ منونًا مؤنثًا، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو. انظر المصادر السابقة.

إسحاق: والإضافة أحسن[١]؛ لأن فيما جرى من الآيات سيئًا وحسنًا، فسيئُهُ بلا تنوين أحسن[٢]، ويؤكد ما ذكره أبو إسحاق: ما روي أن الحسن كان يقرأ بالإضافة، ويقول قد ذَكَرَ أمورًا قَبلُ؛ منها حسن ومنها سيء، فقال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ لأن ما ذُكر الحَسَنُ، والسَّيِّئُ من المذكور المكروه، ويقوّي ذلك قوله: ﴿مَكۡرُوهًا﴾ والتذكير فيه، ولو كان ﴿سَيِّئَةً﴾ غير مضاف لزم أن يكون مكروهةً، سيّما وقد تقدم ذِكْرُ المؤنث، ألا ترى أن قوله[٣]:

ولا أرضَ[٤] أبْقَلَ إبْقَالَها[٥]

---

(١) هذا مما يؤخذ على النحويين من المفاضلة بين القراءات، مع أن كليهما سبعية متواترة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٠ بنصه تقريبًا.

(٣) البيت لعامر بن جُوَيْن الطائي (جاهلي).

(٤) في جميع النسخ: (والأرض)، والتصويب من المصادر.

(٥) وصدره:

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها

وهو من شواهد سيبويه في «الكتاب» ٢/ ٤٦، وورد في «شرح المفصل» ٥/ ٩٤، و«اللسان» (بقل) ١/ ٣٢٨، وورد غير منسوب في «الخصائص» ٢/ ٤١١، و«المحتسَب» ٢/ ١١٢، و«الحجة للقراء» ٤/ ٢٣٨، و«أمالي ابن الشجري» ١/ ٢٤٢، ٢٤٦، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٦٣، و«الخزانة» ١/ ٤٥، ٤٩، ٥٠، ٧/ ٤٣٧.

(مزْنة): واحد المزن، وهو السحاب يحمل الماء، (الودق): المطر، (أبقل): أخرج البقل، وهو من النبات ما ليس بشجر؛ وهو الذي لا تبق له أُرُومة على الشتاء بعدما يُرعى.

والشاعر يصف أرضًا مخصبة بكثرة ما نزل بها من الغيث، والشاهد: حذف علامة التأنيث مع إسناد الفعل إلى ضمير المؤنث، على تأويل أن الأرض مكان، فكأنه قال: ولا مكان أبقل إبقالها، والمكان مذكر.

مستقبح[١] عندهم، ولو قال: أبقل الأرض، لم يُستقبح، فليس ما تقدّم ذكره مما أُنّث بمنزلة ما لم يتقدم ذِكْره؛ لأن المتقدم الذكر ينبغي أن يكون الراجعُ وَفْقَه، كما يكون وَفْقَه في التثنية والجمع[٢].

وأما من قرأ بالتنوين فقال أبو إسحاق: جعل كلًّا إحاطة بالمنهي عنه قَطْ، المعنى: كل ما نهى الله عنه كان سيئةً[٣]، ومعنى هذا أن من قرأ بالتنوين رأى الكلام انقطع عند قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وكان الذي بعدُ؛ من قوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ لا أمرًا حسنًا فيه، فقال: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ﴾ فأفرد ولم يضف، وعلى هذه القراءة قوله: ﴿مَكْرُوهًا﴾ ليس بنعت للسيئة، وإنما هو بدل منها، على تقدير: كان سَيِّئَةً وكان مكروهًا.

٣٩- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ﴾ يعني ما تقدم ذِكْره، ﴿مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾، قال ابن عباس: يريد من الفرائض والسُّنَن[٤].

وقال المفسرون: يعني من القرآن ومواعظه[٥].

وقال أهل المعاني: الحكمة ها هنا الدلائل التي تؤدي إلى المعرفة بالحَسَن من القبيح، والواجب مما لا يجب[٦]، وذلك يعرف بإخبار الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ إلى آخر الآية. قال ابن عباس: هذا أدب

---

(١) هكذا في جميع النسخ، وفي «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٢ مستقيم، وهو خطأ أو تصحيف.
(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٢، بتصرف واختصار يسير.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤١، بنصه.
(٤) ورد بلا نسبة في «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٩، و«تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٧.
(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٠ بلفظه عن ابن زيد، ورد عند «الثعلبي» ٧/ ١٠٩أ بنصه.
(٦) ورد نحوه في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٧٩.

من الله لخلقه، ومخاطبة للمؤمنين، يعني أن هذا خطاب لكل واحد من المؤمنين؛ كأنه قيل: ولا تجعل أيها الإنسان مع الله إلهًا آخر، وذكرنا معنى الملوم والمدحور في هذه السورة [آية ١٨ و٢٩].

٤٠- قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ يقال: أصفاه بالشيء: أي آثره به، ويقال للضِّياع التي يستخلصها السلطان لخاصَّته: الصَّوافي[١].

قال أبو عبيدة في قوله: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ﴾: خَصَّكم[٢].

وقال المفضل: أخلصكم[٣]. وقال أبو إسحاق: كانت الكفرة من العرب تزعم أن الملائكة بنات الله، فَوُبِّخُوا، وقيل لهم: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم﴾، أي: اختار لكم ربكم صفوة البنين[٤].

وقال النحويون: هذه الألف ألف إنكار على صيغة السؤال عن مذهبٍ ظاهرِ العَوار لا جواب لصاحبه، إلا بما فيه أعظم الفضيحة[٥]، فإن قيل ما معنى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ﴾ مع أن لهم بنات؟ قيل: معناه: أَخْلَصَ لكم البنين دونه، وجعل البنات مشتركة بينكم وبينه، فاختصكم بالأَجَلّ وجعل لنفسه الأدون؟!

٤١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ معنى التَّصْرِيف في

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (صفا) ٢/ ٢٠٢٢، بنحوه، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢١٥، و«اللسان» (صفا) ٤/ ٢٤٦٨.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٠، بنحوه.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٤٩٩، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٧، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ٢١٥.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤١، بنصه تقريبًا.

(٥) ورد نحوه في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٨٠، وانظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢١٥ بنصه، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٧٨، و«الدر المصون» ٧/ ٣٥٨.

اللغة: صَرْفُ الشيء من جهة إلى جهة، نحو تَصْرِيف الرِّيَاحِ، وتصريف الأمور والآيات[(١)]، قال أبو إسحاق: ﴿صَرَّفْنَا﴾، أي: بينا[(٢)]، وهو قول ابن عباس[(٣)]، والأصل ما ذكرنا، ثم يصير بمعنى التَّبْيِين؛ لأن تصريفه إنما هو لِيَتَبَيَّن، ومفعول التصريف محذوف.

قال صاحب النظم: تأويله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾: بما أوجب تصريفه، كما قال في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ﴾ [الكهف: ٥٤] قال: وفيه وجه آخر، وهو أن تكون (في) زائدة، كما في موضع آخر: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ﴾ [الأحقاف: ١٥]، أي: أصلح لي ذريتي[(٤)].

وقال أبو علي: أي صَرَّفنا ضروبَ القولِ فيه؛ من الأمثال وغيرها مما يوجب الاعتبار به والتفكر فيه؛ كما قال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ الآية[(٥)] [القصص: ٥١]، فعند أبي علي تقدير الآية: ولقد صَرَّفنا القول[(٦)] في هذا القرآن.

---

(١) انظر: (صرف) في «المحيط في اللغة» ٨/ ١٢٨، و«العباب الزاخر» ف/ ٣٤٩، و«اللسان» ٤/ ٢٤٣٤.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤١ بلفظه.

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٠، وورد بلا نسبة في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢١٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢٦٤.

(٤) وقد رد هذا القول أبو حيان، وقال: وهذا ضعيف لأن (في) لا تزاد. «تفسير أبي حيان» ٦/ ٣٩.

(٥) «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٤، مختصرًا.

(٦) ساقط من (أ)، (د).

قوله تعالى: ﴿لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ قال ابن عباس: يريد ليتعظوا[١]، والأصل ليتذكروا، فأدغمت التاء في الذال لقرب مخرجيهما، هذا قراءة العامة[٢]، وقرأ حمزة والكسائي: لِيَذْكُرُوا[٣] من الذكر، والتَّذَكُّرُ ها هنا أشبه[٤] من الذكر؛ لأنه كأنَّ يُرادُ به التَّدَبُّر وليس التذكر الذي بعد النسيان، ولكن كما قال: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، أي: ليتدبروه بعقولهم، وليس المراد ليتذكروه بعد نسيانهم، ويدل على هذا، أن التذكر قد لا يكون من النسيان، كقوله[٥]:

تَـذَكَّـرَ مِـنْ أَنَّـى ومِـنْ أَيْـنَ شِـرْبُـهُ ... يُؤَامِرُ نَفْسَيْهِ كَذِي الهَجْمَةِ الأَبِلْ[٦]

يعني تَدَبَّر في ذلك وتفكَّر من أين يشرب، وأمّا [مَنْ][٧] قرأ

(١) ورد بلفظه بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٩، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٩أ، و«الخازن» ٣/ ١٦٥.

(٢) انظر: «السبعة» ص٣٨٠، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٤، و«الحجة للقراء» ٥/ ١٠٤، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٩، و«التبصرة» ص١٤٠، و«تلخيص العبارات» ص١١٣.

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) أي: أولى.

(٥) للكميت بن زيد (ت١٢٦هـ).

(٦) «ديوانه» ١/ ٣٩٦، وورد في: «الحجة للقراء» ١/ ٣١٧، و«اللسان» أبل ١/ ١٠، والشاعر يذكر حمارًا أراد وورود الماء، (يؤامر نفسيه): المؤامرة هي المشاورة، والمعنى: يشاور نفسه مترددًا بين ورود الماء أو تركه، فكأنه يشاور نفسين؛ إحداهما تريد الورود، والأخرى تأباه. (الهجمة): الهجمةُ من الإبل: ما بين التسعين إلى المائة، وجمعها هَجَمَاتٌ وهِجَامٌ، (أَبِلَ): قال الأصمعي: أَبِلَ الرجُل يأبل أبالةً، إذا حَذِق مصْلحة الإبل والشاء، والأبِلُ والآبلُ: الحاذق برِعْيةِ الإبلِ الرفيقُ بسياستها، انظر: «تهذيب اللغة» (أبل) ١/ ١٠٩، و«المحيط في اللغة» (هجم) ٣/ ٣٨٥، (أمر) ١٠/ ٢٨٤، (أبل) ١٠/ ٣٥٠، و«اللسان» (أبل) ١/ ٩.

(٧) زيادة يقتضيها السياق، ولعلها سقطت.

بالتخفيف، فإن التخفيف قد جاء بهذا المعنى؛ كقوله: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ﴾ [البقرة: ٦٣] هذا ليس على لا تنسوه ولكن تَدَّبروه[1]، ويجوز أن يكون المراد ذكر اللسان، والمعنى: صَرَّفنا في هذا القرآن ليذكروه، وإذا كان الكلام مُصَرَّفًا فيه على أنواع، كان أقرب من الذكر وأبعد من السأمة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ قال ابن عباس: يريد ينفرون من الحق ويتبعون الباطل[2]، قال أبو علي: أي ما يزيدهم تصريف الآيات إلا نفورًا[3]، أضمر الفاعل بدلالة ما تقدم عليه؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، أي: مجيء النذير.

قال أهل المعاني: إنما زادهم نفورًا؛ لأنهم اعتقدوا أنها شُبَه وحِيَل، فنفروا منها أشد النفور؛ لهذا الاعتقاد الفاسد، ومنعهم ذلك من التَدبُّر لها، وإدراك منزلتها في عظم الفائدة وجلالة المنزلة[4].

وقال أبو علي: هذا على أنهم ازدادوا نفورًا عند تفصيل الآي لهم؛ [لا][5] لأن تصريف الآي نَفَّرهم[6]؛ ولكنهم لما ازدادوا نفورًا عند تصريف الآي نُسب ذلك إليه على الاتساع؛ كما قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر: ٤٢]، والمعنى: ازدادوا هم نفورًا عند مجيئه فَنُسب ذلك إلى

---

(١) في جميع النسخ: تذكروه وهو تصحيف ولا يؤدي المعنى المستشهد له، وما أثبته هو الصواب ويؤيده ورودها في «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٤، وهو مصدره .

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٨، بنصه.

(٣) «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٥، بتصرف يسير.

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٩أ، بنحوه مختصرًا، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٠ بنصه تقريبًا.

(٥) إضافة من المصدر ليستقيم الكلام، وبدونها يضطرب المعنى.

(٦) «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٥ بنصه.

مجيء النذير.

٤٢- قوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ وقرأ ابن كثير بالياء[١] والمعنى: كما يقول المشركون من إثبات الآلهة من دونه، فهو مثل قوله: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ﴾[٢]؛ لأنهم غيب[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ ذكر المفسرون في هذا **قولين**؛ قال ابن عباس في رواية عطاء: يريد منازعة وقتالًا؛ كما يفعل ملوك[٤] الدنيا[٥].

وقال سعيد بن جبير: لأزالوا ملكه[٦].

وقال أبو بكر الهذلي: إذًا لابتغت الآلهة أن تزيل مُلك صاحب العرش[٧]، والمعنى على هذا القول: إذًا لابتغوا سبيلًا إلى ممانعته ومضادته ومعاداته؛ كما قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

القول الثاني: ما ذهب إليه السدي وقتادة؛ قال السدي: إذًا لابتغت

---

(١) وكذلك قرأ حفص عن عاصم بالياء، وقرأ الباقون بالتاء (كَمَا تَقُولُونَ)، انظر: «السبعة» ص٣٨١، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٥، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٣، و«الحجة للقراء» ٥/ ١٠٦، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٩.

(٢) [آل عمران: ١٢] قرأ حمزة والكسائي بالياء. انظر: «السبعة» ص٢٠٢، و«علل القراءات» ١/ ١٠٦، و«المبسوط في القراءات» ص١٤٠.

(٣) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١٠٦، بنصه تقريبًا.

(٤) (أ)، (د): (مملوك).

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٦٥.

(٦) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٩، بنحوه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٨، و«القرطبي» ١٠/ ٢٦٥.

(٧) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٩ب.

الآلهة الحوائج من الله[١]، وقال قتادة: لابتغوا التقرب إليه، وعرفوا فضله ومرتبته ومنزلته عليهم[٢]، والمعنى على هذا القول: لابتغوا ما يقربهم إليه لِعُلُوِّه إليهم[٣] وعِظَمِه عندهم، وهذا كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٩]، والأول هو قول الحسن والكلبي[٤].

٤٤- قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ الآية. في هذه الآية مذهبان:

أحدهما: أن المراد بالتسبيح ها هنا حقيقة التسبيح، فعلى هذا السموات السبع والأرضون تسبح لله تسبيحًا حقيقيًا، ﴿وَمَن فِيهِنَّۚ﴾: من الملائكة والجن والإنس، والمراد بهذا التخصيص؛ لأن الشياطين وعبدة الأصنام لا يسبحون لله تسبيحًا حقيقيًّا.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرجه بنحوه مختصرًا «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٨، و«الطبري» ١٥/ ٩٢، من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٩- بمعناه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٦٩- بمعناه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٩ب، بنحوه، والطوسي ٦/ ٤٨١- بمعناه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٥، و«القرطبي» ١٠/ ٢٦٦.

(٣) الأصوب عليهم؛ لأنه هو الأظهر في المعنى، وقد جاءت في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٨١: عليهم .

(٤) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٨١، بنحوه عن الحسن، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٨، عن الحسن.

وقد رجح هذا القول الخازن والألوسي، والشنقيطي وقال: ولا شك أن المعنى الظاهر المتبادر من الآية بحسب اللغة العربية هو القول الأول؛ لأن في الآية فرض المحال ؛ والمحال المفروض الذي هو وجود آلهة مع الله مُشَارِكة له لا يظهر معه أنها تتقرب إليه، بل تنازعه لو كانت موجودة، ولكنها معدومة مستحيلة الوجود. انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٦٥، و«الألوسي» ١٥/ ٨٢، والشنقيطي ٣/ ٥٩٤.

وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ قال عكرمة: كل شيء حي[١]، ونحوه قال الحسن والضحاك: كل شيء فيه الروح[٢]، وقال قتادة: يعني الحيوانات والنَّامِيات[٣]، وقال بعضهم: هذا عام في كل شيء، وكل ما خلق الله فهو يسبح بحمده، وأن صَرِيرَ السَّقْفِ وصَرِيرَ البَابِ من التسبيح لله[٤]، ولكل شيء تسبيح لا نفقه نحن ذلك؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

المذهب الثاني: أن المراد بالتسبيح ها هنا: الدلالة على أن الله ﷻ

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٢، بنحوه، وورد بمعناه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٥٩، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٩ب، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٣ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٢ بنصه عنهما، وأبو الشيخ في العظمة ص٥٢٣ بنصه عن الضحاك، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٩ب بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٥- بمعناه، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٣- بمعناه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٣٩، عنهما، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٣ وعزاه إلى أبي الشيخ عن الحسن-لم أجده.

(٣) أخرجه بمعناه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٩، و«الطبري» ١٥/ ٩٣، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٠- بمعناه، و«الثعلبي» ٧/ ١٠٩ب بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٦.

والنَّامِيات: جمع نَامٍ، والنَّامِي؛ مثل: النبات والشجر ونحوه؛ أي كل ما ينمو ويكبر، ويقابله الصامت؛ كالحجر والجبل ونحوه. انظر (نمي)، (نمو) في «المحيط في اللغة» (١٠/ ٤١٧، و«اللسان» ٨/ ٤٥٥٢.

(٤) وهو قول النخعي-كما في البغوي وغيره- وورد بنحوه في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٢، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٨٣، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٦ بلفظ: صرير الباب ونقيض السقف، و«ابن الجوزي» ٥/ ٣٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٦٨.

خالقٌ حكيمٌ مُبَرَّأٌ من الأَسْوَاءِ[(١)]، فالمخلوقون والمخلوقات كلها تدل على أن الله ﷻ خالقها؛ كما قال في قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾، أي: يخشع له ويخضع[(٢)]، وقد ذكرنا هذا المعنى مستقصى عند ذكر سجود الجمادات في آيات قد مضت في هذا المعنى[(٣)]، وعلى هذا قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ﴾ مخاطبة للكفار؛ لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون.

٤٥- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ في هذه قولان؛ أحدهما: أن هذه نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول الله إذا قرأ القرآن؛ قال الكلبي: وهم أبو سفيان، والنضر بن الحارث، وأبو جهل، وأم جميل بنت حرب بن أمية؛ امرأة أبي لهب، وحويطب، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءة القرآن، فكانوا يأتونه ويمرون به ولا يرونه[(٤)].

---

(١) ورد في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٢، بنحوه، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٠٩ب بنصه.

(٢) والقول الأول هو الراجح، لموافقته لظاهر القرآن، وتأييد السنة له، فقد أسمع الله نبيه ﷺ وصحابته تسبيح الجمادات، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إنكم تعدون الآيات عذابًا، وإنا كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ بركة، لقد كنا نأكل الطعام مع النبيّ ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام... أخرجه مالك في الموطأ [التمهيد] ١/ ٢١٩، والترمذي (٤٦٣٣) كتاب: المناقب، باب: آيات إثبات نبوة النبي ﷺ واللفظ له، وقال: حسن صحيح، وذكره الألباني في «صحيح الترمذي» (٤٦٣٣)، انظر أمثلة أخرى في هذا الباب في «الشفا» ١/ ٥٨٨.
وقد رجح هذا القول كثير من العلماء؛ منهم: القرطبي ١٠/ ٢٦٨، و«الخازن» ٣/ ١٦٦، و«ابن كثير» ٣/ ٤٨ و«الألوسي» ١٥/ ٨٤، وغيرهم.

(٣) سورة الرعد: آية [١٥]، وسورة النحل: آية [٤٩].

(٤) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٤١ بنصه، و«أبي حيان» ٦/ ٤١، بنحوه، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧١- بلا نسبة، وورد بلا نسبة ودون ذكر المؤذين للنبيّ ﷺ في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٠أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٦، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٣، و«ابن=

وقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ قال الأخفش: أراد: ساترًا، والفاعل قد يكون في لفظ المفعول كما تقول: إنك لمَشْؤوم علينا ومَيْمُون، وإنما هو شَائِم ويَامِن؛ لأنه من قولهم: شأَمَهُم ويَمَنَهم، والحجابُ ها هنا هو الساتر، فقال: ﴿مَّسْتُورًا﴾[1]، وهذا نادرٌ أن يكون الفاعل في لفظ المفعول[2]، هذا قوله، وتابعه على هذا كثير من أهل اللغة[3].

= الجوزي» ٥/ ٤١، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٢٠. وأورد بعضُ المفسرين عند هذه الآية حادثة أم جميل مع النبي ﷺ التي شهدها أبو بكر، وحجب الله رسوله عنها لمّا جاءت تريد إيذاءه، قال أبو بكر ﷺ: وقرأ قرآنًا اعتصم به منها، وهو هذه الآية. وهذا الخبر لا يعد من قبيل أسباب النزول عند أهل الفن، بل ولا هو من صيغه، أما قول الواحدي وغيره: نزلت في قوم.. فأيضًا لا يمكن عدّه سببًا في النزول؛ لعدم تحقق شروط قبوله؛ وهي:

١- أن يثبت عن صحابي بإسناد صحيح فيكون له حكم الرفع.

٢- إن ثبت عن تابعي فهو مرسل، ويشترط لقبوله صحة الإسناد وأن يكون صريحًا، ويرد من طريقين عن أئمة التفسير؛ كمجاهد وعكرمة.

ويؤيّد ردّه أن الرواية وردت عن الكلبي، وهو مُضَعَّفٌ عند العلماء، ودليل آخر أن الواحدي -نفسه- لم يوردها في أسباب نزوله، وكما قال ابن عطية: الآية إخبار من الله لنبيّه أنه يحميه من الكفرة الذين كانوا يؤذونه، في وقت قراءته القرآن وصلاته في المسجد. فلا يلزم إذًا أن يكون للآية سببُ نزول خاص. انظر: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٠، و«الثعلبي» ٧/ ١١٠أ، و«البغوي» ٥/ ٩٧، و«ابن عطية» ٩/ ٩٨، و«أبي حيان» ٦/ ٤٢، و«ابن كثير» ٣/ ٤٩، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٦-٣٣٧، وعزاه إلى أبي يعلى وابن أبي حاتم وصححه وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي معًا في الدلائل، و«الإتقان» ١/ ٩٠-٩١، و«التحبير» ص٨٦، و«مباحث في علوم القرآن» ص٨٣.

(١) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٣، بتصرف يسير.

(٢) هذه الجملة ليست في معانيه، والظاهر أن الواحدي أراد تلخيص قوله؛ لأنه يفهم من قد هذا، ولأنه قال بعده: هذا قوله، لا أنه تقرير قاعدة.

(٣) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٢، و«جمهرة اللغة» ١/ ٢٦٣، و«تهذيب =

وقال آخرون: ﴿مَّسْتُورًا﴾ ها هنا مفعول، والمعنى أنه حجابٌ مستورٌ لا يُبْصَر[١]، وإنما كان قُدْرةً من قُدَرِ الله تعالى وأُخْذَةً من أُخَذِه[٢] حجبَ النبيّ ﷺ بحجاب[٣] يحجبه عنهم، بحيث لا يرى النبيُّ ﷺ ذلك الحجابَ ولا المشركون، حكى هذا صاحب النظم، وهو حسن.

وقال الزجاجي: يجوز أن يكون المستور ها هنا بمعنى النسب، كما تقول في الفاعل في مثل: لابِن وتَامِر[٤][٥]، وتأويله: حجابٌ ذو سِتْرٍ؛

= اللغة» (ستر) ٤/ ١٦٢٥، و«الإملاء» ٢/ ٩٢، و«البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٩١، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٧٩.

ولم يرتض ابن عطية هذا التأويل وعدّه تكَلُّفًا من غير حاجة داعية إليه، وقال: وليس مثاله بمُسلَّم، وكذلك رده السمين، وقال: هو على بابه كما حققناه. انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ٩٩، و«عمدة الحفاظ» ٢/ ١٤، ١٩٦.

(١) ورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ٩٣، و«الثعلبي» ٧/ ١١٠أ، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٧، و«الزمخشري» ٢/ ٣٦٣، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٨٠ وهذا القول هو الذي مال إليه الطبري- ولم يرد الأول- فقال: وهذا القول الثاني أظهر بمعنى الكلام؛ أن يكون المستور هو الحجاب، فيكون معناه: أن لله سترًا عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم، وإن كان للقول الأول وجه مفهوم.

(٢) الأُخْذةُ، بالضم: رُقية تأخذُ العين ونحوها كالسحر، ويقال بعينه أُخُذٌ: وهو الذي لا يقدر صاحبه على النظر. انظر المنتخب من غريب كلام العرب ٢/ ٤٨٢، و«اللسان» (أخذ) ١/ ٣٦، و«التاج» (أخذ) ٥/ ٣٤٦.

(٣) في جميع النسخ: (حجاب)، ولا معنى لها، وما أثبته هو الصواب وبه يستقيم الكلام.

(٤) أي: ذو لبن، وذو تمر.

(٥) لم أقف على مصدره، وورد نحوه بلا نسبة في «البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٩١، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٧٩، و«تفسير أبي حيان» ٦/ ٤٢، و«الدر المصون» ٧/ ٣٦٢.

كقولهم: جاريةٌ مَغْنُوْجة[١]، أي ذات غُنْجٍ، ولا يقال: غَنَجْتُها؛ ومكان مَهُول: فيه هَوْل، ولا يقال: هُلْتُ المكان؛ جعلت فيه الهَوْل؛ ورجلٌ مَرْطُوب: ذو رُطوبة، ولا يقال: رَطَبْتُه[٢].

القول الثاني: أن معنى الحجاب ها هنا: الطبع الذي على قلوبهم، والمنع الذي منعهم عن أن يدركوا ما يأتي به من الحكمة في القرآن فينتفعوا به، وهذا قول قتادة؛ قال: هو الأكنة[٣]، وعلى هذا قوله: ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ﴾، أي: بين قولك وقراءتك وفهم ما تأتي به، ﴿وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾، وهو ما لا يرونه ولا يعلمونه من الطبع على قلوبهم، وإن شئت قلت: حجابًا ساترًا، على ما ذكرنا.

٤٦- قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ جمع كنان، وهو ما ستر الشيء[٤]، قال ابن عباس: يريد مثل كنانة النبل[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، أي: كراهية أن يفقهوه، وأن لا يفقهوه، وقد ذكرنا هذا في مواضع، كقوله: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟﴾ [النساء: ١٧٦]، ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾: ثقلًا وصممًا، وفيه إضمار حذف لدلالة الكلام

---

(١) الغُنْجُ: الدَّلّ، والغنج في الجارية: تكسُّرٌ وتدلُّلٌ، وقيل: الغنج: ملاحةُ العينين. انظر: «اللسان» (غنج) ٦/ ٣٣٠٥.

(٢) وردت هذه الأمثله في «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٢٢، و«أبي حيان» ٦/ ٤٢، و«الدر المصون» ٧/ ٣٦٢.

(٣) أخرجه بلفظه: «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٩، و«الطبري» ١٥/ ٩٣، وورد بلفظه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٠، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٧، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤٠.

(٤) انظر: (كنن) في «تهذيب اللغة» ٤/ ٣١٩٦، و«المحيط في اللغة» ٦/ ١٤٤، و«الصحاح» ٦/ ٢١٨٨، و«اللسان» ٧/ ٣٩٤٢.

(٥) ورد غير منسوب في «تفسير ابن عطية» ٩/ ٩٩، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٢٢.

عليه، وهو: أن يسمعوه، ودلّ عليه قوله: ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾، وهذا صريح في الرد على القدرية؛ إذ أخبر تعالى أنه حال بين قلوبهم وبين فهم القرآن؛ بما جعل عليها من الأكنة بين آذانهم وبين استماع الوحي استماعًا ينتفعون به، بما جعل فيها من الوَقْر، وهذه الآية مما سبق تفسيره في سورة الأنعام(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ﴾ قال المفسرون: يعني قلت: لا إله إلا الله، وأنت تتلو القرآن(٢).

﴿وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ قال ابن عباس: يريد: كارهين أن يُوَحَّدَ(٣) الله(٤).

وقال قتادة: إن النبيّ ﷺ لما قال: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبر عليهم(٥).

وقال أبو إسحاق في قوله: ﴿نُفُورًا﴾ يحتمل مذهَبَيْن؛ أحدهما: المصدر، المعنى: وَلَّوْا نافرين نُفُورًا، والثاني: أن يكون نفورًا جمع نافر مثل شاهد وشهود(٦).

---

(١) آية [٢٥].

(٢) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٥أ، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ٩٤ بنصه، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧١، بنحوه، و«هود الهواري» ٢/ ٤٢٢، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١١٠ب بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٧، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤١.

(٣) في الوسيط: يُوحِّدوا، أي هم الكارهون، وعلى رواية البسيط: الضمير عام يعود عليهم وعلى غيرهم.

(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٤ بنصه تقريبًا.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٤، بنحوه، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٤٩، وورد بنحوه بلا نسبة في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٢.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٣ بتصرف يسير.

٤٧- قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ الآية. قال المفسرون: أمر رسولُ الله ﷺ عليًّا ﷺ أن يتخذ طعامًا ويدعو إليه أشراف قريش من المشركين ففعل ذلك علي، ودخل عليهم رسول الله ﷺ وقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى التوحيد، وقال: «قولوا: لا إله إلا الله، لتطيعكم العرب وتدين لكم العجم، فأبوا ذلك عليه»[1].

وكانوا يسمعون من النبيّ ﷺ ويقولون -بينهم متناجين-: هو ساحرٌ، وهو مسحور، وما أشبه ذلك من القول[2]، فأخبر الله نبيه ﷺ بذلك، وأنزل عليه: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ﴾[3] يحتمل أن تكون التاء زائدة.

---

(١) في جميع النسخ: (عليهم)، والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يعود على الرسول ﷺ.

(٢) ورد هذا المقطع في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٣ بنصه.

(٣) ورد بنحوه مختصرًا - ودون ذكر قول النبيّ ﷺ - في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٠ب، وورد بنصه -ودون قول النبيّ ﷺ- في «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٥، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٤٢، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٢٣ بنصه، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٢، ولم أقف على أثر -في كتب أسباب النزول ولا في كتب التفسير المتقدمة المتداولة- غير الثعلبي- بأن الآية نزلت في هذه الحادثة، والمعلوم أن إثبات سبب نزول آية ما يفتقر إلى دليل صحيح. وورد نحوٌ من هذه الحادثة- وفيها قول النبيّ ﷺ- في سبب نزول صدر سورة (ص)؛ جاء في السيرة أن أشراف قريش جاؤوا أبا طالب في شأن النبيّ ﷺ فبعث إليه أبو طالب، فجاءه فقال: يا ابن أخي، هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك، فقال رسول الله ﷺ: «**يا عمِّ، كلمةٌ واحدةٌ يُعْطُونيها تملكون بها العرب وتدِينُ لكم بها العجم**»، فقال أبو جهل: نعمْ وأبيك وعَشْر كلمات، قال: تقولون: لا إله إلا الله، فنفروا وقالوا ما حكاه القرآن: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [ص: ٥]، فأنزل الله صدر سورة (ص). ورواية الطبري فقال أبو طالب: وإلام تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدينُ لهم بها العربُ ويملكون بها العجم. وفي رواية أحمد والترمذي والبيهقي: «**تدين لهم بها العربُ وتؤدي إليهم بها العجمُ الجزية**». قال =

والمعنى: نحن أعلم بما يسمعون إذ يسمعون إليك، وأنت تقرأ القرآن وتدعوهم إلى الإسلام، أخبر الله تعالى أنه عالمٌ بتلك الحالة، وبذلك الذي كانوا يسمعونه إذ يستمعون إلى الرسول.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ قال ابن عباس: يريد يتناجون بينهم بالتكذيب والاستهزاء[(١)] قال أبو عبيدة:

نجوى مصدر ناجيت[(٢)]، وذكرنا هذا الحرف عند قوله: ﴿خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾ [يوسف: ٨٠] قال أبو إسحاق: النجوى اسم المصدر، والمعنى: وإذ هم ذَوُو[(٣)] نجوى[(٤)]؛ أي يتناجون ويُسَارّ[(٥)] بعضهم بعضًا.

﴿إِذْ يَقُولُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، قالوا: يعني الوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وأبا جهل وحويطبًا، وقرناءهم من المشركين[(٦)].

= الترمذي: هذا حديث حسن، وصححه أحمد شاكر، ورواية الحاكم والواحدي في «أسباب النزول»: تَذِلّ، بدل: تدين. قال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. انظر سيرة النبي لابن هشام ٢/ ٢٧، و«المسند» ١/ ٢٢٧، ٣٦٢، و«سنن الترمذي» (٣٢٣٢): تفسير، سورة ص، و«تفسير الطبري» ط. شاكر ١٠/ ٥٥٣، و«المستدرك» ٢/ ١٠٨، و«دلائل البيهقي» ٢/ ٣٤٥، و«أسباب النزول» ص٣٨٠، و«تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٠، و«شرح المسند» ٢/ ٣١٤، وكل الروايات جاءت عن ابن عباس- ما عدا رواية الطبري فهي عن السدّي.

(١) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٥، بنصه.

(٢) «مجاز القرآن» ١/ ٣٨١، بنصه.

(٣) في (ع) مطموسة، وفي باقي النسخ (ذوي)، وهو خطأ نحوي ظاهر، والمثبت موافق للمصدر.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٣ بتصرف يسير.

(٥) من الإسرار، وهو: الكتم والإخفاء.

(٦) ورد بنحوه مختصرًا في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٥ب، و«الثعلبي» ٧/ ١١٠ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٣٧.

﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾: ما تتبعون، ﴿إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾، كلام المفسرين في هذه الآية يدل على أنهم قالوا هذا القول فيما بينهم مُسَارِّين، فأطلع الله نبيه على ذلك، وعلى هذا يحتاج إلى تقدير محذوف في الآية؛ لأن هؤلاء لم يتبعوا رسول الله ﷺ فيصحَّ أن يقال لهم: ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾، ولكن التقدير: إذ يقول الظالمون، إذا تبعتموه لم تتبعوا إلا رجلًا مسحورًا، وإن كان هذا القول منهم للمسلمين فهو ظاهر ولا يحتاجون إلى إضمار، والمسحور[1]: الذي قد سُحِرَ فاختلط عليه أمرُه، وأُزيل عن حدّ الاستواء، هذا قول أكثر أهل اللغة[2].

وقال ابن الأعرابي: المسحور: الذاهبُ العَقْلِ المُفْسد، وأنشد[3]:

فقالتْ: يَمينُ اللهِ أفعَلُ إنّني
رأيتُكَ مَسْحورًا يمينُكَ فاجِرَهْ[4]

قال: وطعامٌ مَسْحورٌ إذا أُفْسِدَ عَمَلُه، وأرضٌ مسحورة: أصابها من المطر أكثرُ مما ينبغي فأفْسَدَها[5]. وقال أبو عبيدة: يريد بشرًا ذا رِئَةٍ[6].

---

(١) في جميع النسخ: (المستحق)، والصواب ما أثبته.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (سحر) ٢/ ١٦٤٠، بنحوه، انظر: (سحر) في «جمهرة اللغة» ١/ ٥١١، و«المحيط في اللغة» ٢/ ٤٧٩، و«مجمل اللغة» ١/ ٤٨٧، و«مقاييس اللغة» ٣/ ١٣٨، و«الصحاح» ٢/ ٦٧٨، و«المحكم» ٣/ ١٣١.

(٣) للنابغة الذبياني.

(٤) «ديوانه» ص١٢١، وورد في «تهذيب اللغة» (سحر) ٢/ ١٦٤٠، و«اللسان» (سحر) ٤/ ١٩٥٢.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (سحر) ٢/ ١٦٤٠، بنصه تقريبًا.

(٦) «مجاز القرآن» ١/ ٣٨١- باختصار، وواضح أنه اقتبسه من «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ لوروده بنصه. وبقية كلام أبي عبيدة -كما في «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٧٢ =

قال ابن قتيبة: ولست أدري ما الذي اضطره إلى هذا التفسير المُسْتَكْرَه، وقد سبق التفسير من السلف بما لا استكراه فيه. قال مجاهد في قوله: ﴿رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾: أي مخدوعًا[١]؛ لأن السحر حيلة وخديعة[٢].

وروى عطاء عن ابن عباس، في قوله: ﴿مَّسْحُورًا﴾ قال: يريد مخلوقًا[٣].

وهذا يؤكد قول أبي عبيدة: ذو سحْر[٤]، ويجوز أن يكون من السَّحْر بمعنى: الغذاء[٥]، ومنه قول امرئ القيس:

ونُسْحَرُ بالطَّعام وبالشرابِ[٦]

= فهو لا يستغني عن الطعام والشراب، فهو مثلكم وليس بمَلَك، وتقول العرب للجبان: قد انتفخ سَحْره، ولكل من أكل من آدمي وغيره أو شرب مسحور ومُسَحَّر، انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٩٦، و«أبي حيان» ٦/ ٤٤.

(١) ورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦١، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧١، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٧، انظر: «تفسير السمعاني» ٣/ ٢٤٦، و«البغوي» ٥/ ٩٨.

(٢) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٦ بنصه.

(٣) أي بشرًا مخلوقًا.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٣٨١ بمعناه، والظاهر أن القول مقتبس من «الغريب» لابن قتيبة ص٢٥٦ لوروده بنصه.

(٥) وهو قول الليث؛ ورد في «تهذيب اللغة» (سحر) ٢/ ١٦٤١ بلفظه.

(٦) صدره:

أَرَانا مُوْضِعِين لأمْر غَيْب

«ديوانه» ص٤٣، وورد في: «البيان والتبيين» ١/ ١٩٨، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٦، و«جمهرة اللغة» ١/ ٥١١، و«تهذيب اللغة» (سحر) ٢/ ١٦٤١، «الصحاح» (سحر) ٢/ ٦٧٩، و«المحكم» (سحر) ٣/ ١٣٢، و«تفسير ابن عطية» ٩/ ١٠٢، و«ابن الجوزي» ٦/ ٤٢، و«اللسان» (سحر) ٤/ ١٩٥٢، وفي بعض المصادر (لحَتْم) بدل =

والاختيار هو القول الأول؛ لقوله تعالى إخبارًا عن فرعون: ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا﴾ [الإسراء:١٠١] لا يجوز أن يكون أراد مخلوقًا، وذا سَحْر، وإنما أراد: مخدوعًا، والمشركون كانوا يذهبون إلى أن النبيّ ﷺ يُعَلَّم ما يأتي به ويُخْدع بذلك، يدلّ على هذا قوله: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ﴾ [النحل:١٠٣]، فلذلك قالوا له: ﴿مَسۡحُورًا﴾.

٤٨- قوله تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾، أي: بينوا لك الأشباه؛ حين شبهوك بالكاهن والساحر والشاعر والمعلَّم والمجنون.

قال ابن قتيبة: وهذه الآية تدل على أن المسحور في الآية الأولى بمعنى المخدوع؛ لأنهم لو أرادوا رجلًا ذا رِئَةٍ لم[1] يكن في ذلك مَثَلٌ ضربوه، ولكنهم لما أرادوا رجلًا مخدوعًا -كأنه بالخديعة سُحِر- كان مثلًا ضربوه وتشبيهًا شبهوه[2].

وقوله تعالى: ﴿فَضَلُّواْ﴾: أي عن الحق والطريق المستقيم، ﴿فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾، قال مجاهد: مخرجًا[3]، وقال ابن عباس: يريد سبيل الهدى[4].

= (لأمر)، قال ابن بري: (مُوضِعِين): سائرين مسرعين، و(لأمر غيب): يريد الموت، وأنه قد غُيِّب عنا وقتُه، ونحن نُلْهَى عنه بالطعام والشراب؛ فكأنَّما نُخدع.

(١) في جميع النسخ، (ولم)، وهذه الواو زائدة أدت إلى اضطراب المعنى، ويستقيم بدونها؛ كما في المصدر.

(٢) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٧، بنصه.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٣ بلفظه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٧ بلفظه، وورد بلفظه في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٣.

(٤) ورد بلا نسبة في «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٠٤، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٣، و«أبي حيان» ٦/ ٤٤.

٤٩- وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا﴾، الرَّفَتُ: كَسْرُ الشيء بيدك، يقال: رَفَتُّه، أرْفِتُه بالكسر، كما تَرْفِتُ المدَرَ والعَظْمَ البالي، والرُّفاتُ: الحُطامُ من كل شيء تَكَسَّر، ويقال: رَفَتَ عظامَ الجَزُور رَفْتًا إذا كسَرَها ليَطْبُخَها، ومن هذا يقال للتِّبْن: الرُّفَتُ[١]؛ لأنه دُقَاقُ[٢] الزرع.

وقال الأخفش: يقال: رُفِتَ رَفْتًا فهو مرفوت؛ نحو حُطِم حطمًا فهو محطوم[٣]، والرُّفات والحُطام الاسم؛ كالجُذاذ والرُّضاض[٤].

وقال الفراء: الرفات لا واحد له؛ نحو الدُّقاق والحُطام[٥].

وقال ابن قتيبة: الرفات مثل الفُتَات[٦]، هذا كلام أهل اللغة.

قال ابن عباس في رواية عطاء: أي إذا ذهب اللحم والعروق والدم و[٧]

---

(١) انظر: (رفت) في «جمهرة اللغة» ١/ ٣٩٣، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٣٦، و«مجمل اللغة» ١/ ٣٩٠، و«اللسان» ٣/ ١٦٨٦.

(٢) الدُّقَاقُ: فُتَاتُ كُلِّ شيء دُقَّ، وقيل: هو التراب اللَّيِّن الذي كسحته الريح من الأرض، ومنه الدَّقيقُ: الطحين. انظر دقق في «المحيط في اللغة» ٥/ ١٩٧، و«اللسان» ٣/ ١٤٠١.

(٣) ليس في معانيه، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٢٤ بنصه، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٣، وورد نحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٢ منسوبًا للكسائي وأبي عبيدة وهو بمعناه في المجاز.

(٤) الرَّضُّ: دقُّك الشيءَ، ورُضاضُ الشيء: فتاته، وكلُّ شيء كسّرته فقد رَضَضْتَه. «اللسان» (رضض) ٣/ ١٩٥٦.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٥ بنصه تقريبًا.

(٦) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٧ بنصه.

(٧) الواو ساقطة من (أ)، (د).

بقيت عظام قد رَثَّتْ[١] وبَلِيَتْ ورَمَّتْ[٢]، فإذا مسسته وجعلته بين إصبعيك انسحق[٣].

وقال في رواية الوالبي في قوله: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ قال: غبارًا[٤].

وقال مجاهد: ترابًا[٥]، وهو قول الزجاج[٦] والفراء[٧].

وقوله تعالى: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ انتصب خلقًا على المصدر؛ لأنه بمعنى: بعثًا جديدًا، أي: أَنُبْعثُ إذا صرنا ترابًا ؟!.

٥٠، ٥١- قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ﴾ الآية. اختلفوا في معنى قوله: ﴿خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى

---

(١) الرَّثُّ: الخَلَقُ الخَسيسُ البالي من كل شيء، ورثَّ الشيءُ وأرثَّ: أي خَلُقَ. انظر: «المحيط في اللغة» (رث) ١٠/ ١٢٤، و«اللسان» (رثث) ٣/ ١٥٨٠.

(٢) قال ابن الأثير: أصل هذه الكلمة من رَمَّ الميّتُ، وأرَمَّ: إذا بَلِيَ، والرِّمَّة: العظمُ البالي. «النهاية» ٢/ ٢٦٦.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٦ بنصه.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٧ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة صحيحة، وورد بلفظه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٠ب، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٠٥، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٣، و«ابن كثير» ٣/ ٥١، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٣ بلفظه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٧ بلفظه من طريقين، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٢، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٣، و«الثعلبي» ٧/ ١١٠ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٦، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٤، بلفظه.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٥، بلفظه.

﴿صُدُورِكُمْ﴾ فقال ابن عباس في رواية عطاء: يعني الموت[(١)]، وهو قول مجاهد في رواية خُصَيف وعكرمة والحسن وابن جريج وسفيان وأبي صالح وابن عمر والكلبي، قالوا: ليس شيء أكبر في صدور بني آدم من الموت، يقول: لو كنتم الموت لأماتكم الله ثم أحياكم[(٢)].

قال الكلبي: قالوا: يا محمد، أرأيت لو كنا الموت، من يميتنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾[(٣)]: يعني الموت.

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٨ من طريق العوفي (ضعيفة) قال: إن كنتم الموت أحييكم، والحاكم: تفسير، الإسراء ٢/ ٣٦٢ بلفظه من طريق مجاهد (صحيحة) وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وورد بلفظه في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٤٨، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٧، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد.

(٢) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٩، بنحوه عن الكلبي، وابن أبي شيبة ٧/ ١٣٤، بنحوه عن ابن عمر، و«الطبري» ١٥/ ٩٨، بنحوه عن ابن عمر وابن جريج عن ابن جبير، وعن أبي صالح والحسن قالا: الموت، وأبو الشيخ في «العظمة» ص٢١٢ مختصرًا عن الحسن، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٣- مختصرًا عن ابن عمر ومجاهد وعكرمة وأبي صالح، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٢، بنحوه عن الكلبي والحسن وعكرمة، و«هود الهواري» ٢/ ٤٢٤، بنحوه عن الحسن، و«الثعلبي» ٧/ ١١٠ب مختصرًا عن مجاهد وعكرمة، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٨ مختصرًا عن ابن عمر، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩، بنحوه، وزاد نسبته إلى عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر.

(٣) لم أقف عليه، وقد انفرد المؤلف بإيراد هذا القول على أنه سببٌ في النزول، ولم يورده في كتابه: «أسباب النزول» أو تفسيره الوسيط، وهذا القول لا يعتد به- في باب أسباب النزول- لعدم وروده بسند، وحتى مع إسناده فإن الرواية عن طريق الكلبي ضعيفة كما هو معلوم.

وروي عن مجاهد أيضًا أنه قال: يعني السماء والأرض والجبال[١].

وروي عن ابن [أبي][٢] نجيح عنه قال: ما شئتم فكونوا، سيعيدكم الله كما كنتم[٣].

قال أبو إسحاق: ومعنى هذه الآية فيه غموض؛ لأن القائل يقول: كيف يقال لهم: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ وهم لا يستطيعون ذلك، فالجواب في ذلك أنهم كانوا يُقِرُّون أن الله خالقهم وينكرون أن الله يعيدهم[٤]، فقيل لهم: إن تستشعروا أنكم لو خلقتم من حجارة أو حديد أو كنتم الموت- الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم- لأماتكم الله ثم أحياكم؛ لأن القدرة التي بها أنشأكم[٥] بها يعيدكم[٦]، وهذا معنى قوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ من

---

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٩ بنصه، وورد بنصه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٠ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٨، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٧، انظر: «تفسيرالسمعاني» ٣/ ٢٤٨، و«ابن عطية» ٩/ ١٠٧، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤٤.

(٢) ساقطة من جميع النسخ.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٢٦٣ بنصه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ٩٨ بنصه من طريقين، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٣، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧١، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وهذا القول هو الصحيح، وهو الذي رجحه الطبري وتبعه ابن عطية ونصره، وحجته أن الله عز وجل أطلق القول ولم يخصصه بشيء، لذلك فكل ما كبر في صدور بني آدم من خلقه يكون مقصودًا.

انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ٩٩، و«ابن عطية» ٩/ ١٠٧.

(٤) في جميع النسخ: (يعيدكم)، والصواب ما أثبته، وبه يستقيم الكلام وتنسجم الضمائر.

(٥) ساقطة من (أ)، (د).

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٤ بتصرف يسير.

يُعِيدُنَا﴾، فقل: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ قال الفراء: نَغَض فلان رأسَه يَنْغُضه إنغاضًا؛ إذا حرّكه إلى فوق وإلى أسفل، ونَغَض رأسُه إذا تَحَرَّك، ونَغَضَتْ سِنُّهُ، تَنْغَضُ وتَنْغُضُ وتَنْغِضُ، نَغْضًا ونَغَضانًا ونُغُوضًا، وسُمِّيَ الظَّلِيمُ[(١)] نَغْضًا لأنه يُحَرِّك رأسه[(٢)]، وأنشد[(٣)] للعَجّاج:

أَسَكَّ نَغْضًا لا يَنِي مُسْتَهْدَجًا
مُسْتهرِجٌ يحمل على أن يَهْرِجَ هَرْجَانًا[(٤)]

---

(١) الظليم: هو الذَّكر من النَّعَام، وجمعه: ظِلْمان. انظر: «التلخيص» ٢/ ٦٤١، و«الصحاح» (ظلم) ٥/ ١٩٧٨.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٥، بنحوه بعض الفقرات، وورد بعضها بنحوه في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤، و«تهذيب اللغة» (نغض) ٤/ ٣٦٢١، ولعله قد ركب النص من هذه المصادر الثلاث، ولمّا كان أغلب النقل عن الفراء نسبه إليه من دونهم- والله أعلم.

(٣) الضمير يعود على الفراء، لكن الذي أنشد البيت هو الزجاج وليس الفراء.

(٤) «ديوانه» ٢/ ١٧، وروايته مختلفة ومقلوبة:

واستبدلت رُسومُهُ سَفَنَّجا   أصَكَّ نَغْضًا لا يَنِي مستهدجًا

وورد برواية الديوان في: «المعاني الكبير» ١/ ٣٢٩، والاقتضاب ص٤٢٠، وورد صدره في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٥، و«تهذيب اللغة» (هدج) ٤/ ٣٧٣٨، و«الصحاح» (نغض) ٣/ ١١٠٩، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٨٧، و«اللسان» (هدج) ٨/ ٤٦٣٠، (نغض) ٨/ ٤٤٨٩، وفي بعض هذه المصادر: (أصكَّ) بدل (أسكَّ)، (أسكَّ)؛ السَّكَكُ: الصمم، يقال: ظليم أسكّ؛ لأنه لا يسمع، وقيل: السكك: صِغَرُ الأذن ولزوقها بالرأس، (أصك)؛ الصكك: اضطراب الركبتين والعرقوبين، وظليم أصكّ: لتقارب ركبتيه؛ يصيب بعضها بعضًا إذا عدا، (سفنَّجًا): يعني بالسفنج الظليم؛ وهو ذكر النعام، (لا يَني): لا يزال، (مستهدَجا): يُحمل على الهدَج؛ وهو تقارب الخطو مع سرعة المشي. قال ابن الأعرابي: مستهدِجا: =

وهو[١] ضرب من العَدْو.

وقال أبو الهيثم: يقال للرجل إذا أُخْبِر بشيء فحَرَّك رأسَه إنكارًا له: **قد أَنْغَضَ** رأسه[٢].

قال ابن عباس في رواية الوالبي، في قوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ﴾ قال: **يهزون**[٣]. وقال مجاهد: [فسيحركونها[٤].

وقال عطاء عن ابن عباس: يحركون رؤوسهم تكذيبًا لهذا القول[٥].

وقال الزجاج][٦]: فسيحركون رؤوسهم تحريك من يبطل الشيء **ويَسْتبطئه**[٧]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾.

وقال ابن قتيبة: أي يحركونها تحريك المستبعدِ رأسَه[٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾، أي: البعث أو الإعادة، وقد

= مستعجلًا؛ أي أُفْزِعَ فمرّ، ومن رواه بكسر الدال أراد أنه لا يزال عَجْلان في عَدْوِه، (مستهرج): الهَرْجُ: الاختلاط؛ وأصل الهرج: الكثرة في الشيء. انظر: «اللسان» (هرج، سكك، صكك).

(١) الضمير يعود على الاسْتِهْدَاج.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (نغض) ٤/ ٣٧٣٨، بنصه تقريبًا.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٠ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة).

(٤) «تفسير مجاهد» ص١/ ٣٦٤، بنحوه.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٠، بنحوه، عن عطاء الخرساني (منقطعة)، وورد بنحوه في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٤٨، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٧، وورد بنحوه عن عطاء في «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٤، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ش)، (ع).

(٧) في جميع النسخ: (يستطيعه)، ولا معنى لها، والتصويب من المصدر، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٤، بنصه.

(٨) «الغريب» لابن قتيبة ص٢٥٧، بنحوه.

تَقدّم الفعل منهما[١]، والفعل يدل على المصدر، ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ قال المفسرون: يعني هو قريب[٢]، قال ابن عباس: وعسى من الله واجب[٣]، وذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢١٦].

٥٢- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ انتصب يومَ على البدل من قوله: ﴿قَرِيبًا﴾ على معنى: قل عسى أن يكون يوم يدعوكم، ويكون تأويله: عسى أن يكون البعث قريبًا يوم يدعوكم، وهذا معنى قول أبي إسحاق: أي يعيدكم يوم القيامة[٤]، ومعنى يدعوكم: أي بالنداء الذي يُسْمِعُكم؛ وهو النفخة الأخيرة؛ كما قال: ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق:٤١].

وقوله تعالى: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾، أي: تجيبون، والاستجابة: موافقة الداعي فيما دَعا إليه؛ وهي الإجابة، إلا أن الاستجابة تقتضي طلب الموافقة، فهي أوكد من الإجابة[٥].

وقوله تعالى: ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، يقول: بأمره[٦]، وهو قول سفيان[٧]، ولا أدري وجه هذا القول من

---

(١) في قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾، وقوله: ﴿فَسَيَقُولُونَ من يُعِيدُنَا﴾

(٢) ورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٠١، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧٢، و«الثعلبي» ٧/ ١١١أ، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٨.

(٣) أورده السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٨ بنصه، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي في سننه -لم أقف عليه- من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٥، بنصه.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٨٩، بنصه تقريبًا.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠١ بلفظه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١أ بلفظه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٩، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤٥، و«ابن كثير» ٣/ ٥٣، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٧) ورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٥، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٩.

اللغة، وقال سعيد بن جبير: يخرجون من قبورهم يقولون: سبحانك وبحمدك، فهو قوله: ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾[(١)]، وقال قتادة: يقول: بمعرفته وطاعته يوم القيامة[(٢)]، ومعنى هذا أنهم إذا أجابوا بالتسبيح والتحميد كان ذلك معرفة منهم وطاعة، ولكنه لا ينفعهم الحمد.

وقال أبو إسحاق: يستجيبون مقرّين بأنه خالقهم[(٣)]، وهذا معنى قول قتادة.

قال أهل المعاني: تستجيبون بحمده: تستجيبون حامدين[(٤)]، كما تقول: جاء بغضبه، أي: جاء غضبان، وخرج زيد بثيابه، وركب الأمير بسيفه، أي: وسيفه معه[(٥)].

وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال ابن عباس في رواية

---

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١أ، بنحوه، انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٦٤، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤٥، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٣٩ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠١ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١أ بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٥ بنصه.

(٤) وقد ذكر الزمخشري (٢/ ٣٦٣) هذا القول وزاده بيانًا فقال: (بحمده) حال منهم؛ أي حامدين، وهي مبالغة في انقيادهم للبعث، كقولك لمن تأمره بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع: ستركبه وأنت حامد شاكر، يعني أنك تُحمل عليه وتُقسر قسرًا، حتى أنك تلين لين المسمح الراغب الحامد عليه. وإلى هذا القول نحا «أبو حيان» ٦/ ٤٧ أيضًا.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٨٩ بنصه تقريبًا، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٢٧.

عطاء: يريد بين النفختين الأولى والثانية يُكَفُّ عنهم العذاب فينامون[١]، مثل قوله في سورة يس: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [آية: ٥٢] وهم يعذبون من حين يموتون إلى النفخة الأولى، فعلى هذا القول ظنهم اللَّبْثَ القليل يعود إلى لُبْثهم بين النفختين، وقيل: معنى هذا: تقريب وقت البعث؛ كما قال الحسن: كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تَزَل[٢]، فهؤلاء إذا رأوا يوم القيامة وشاهدوا البعث، استقصروا مدة لُبْثِهم مع ما يعلمون من طول لَبْثِهم في الآخرة، وعند الحسن وقتادة: هذا اللَّبْثُ يعود إلى لَبْثهم في الدنيا لا إلى لَبْث البرزخ.

قال قتادة في قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ذاكم والله لَمّا تحاقرت الدنيا في أنفسهم وقلَّت؛ حين عاينوا يوم القيامة[٣].

وقال الحسن: ﴿إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلًا﴾: في الدنيا بطول لُبْثِكم في الآخرة[٤]، وهذه ثلاثة أقوال في معنى استقصارهم اللَّبْث[٥].

---

(١) ورد بنحوه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٢، و«الثعلبي» ٧/ ١١١أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٩، وقال السمرقندي والثعلبي: هذا أصح ما قيل فيه؛ لأن بعض المبتدعة قالوا: إذا وضع الميت في قبره لا يكون عليه العذاب إلى وقت البعث، فيظنون أنهم مكثوا في القبر قليلًا.

(٢) ورد بنصه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٤، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٩، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٨.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٢، بنحوه، وورد بنحوه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٤، و«الماوردي» ٣/ ٢٤٩، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٩، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٠ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ورد بنصه في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٤٩، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٩.

(٥) وأظهرها القول الثالث؛ قول قتادة وقول الحسن الثاني، وقد اقتصر الطبري وابن كثير على ذكره، وأيّده ابن كثير بعدة شواهد قرآنية، أما القول الثاني فهو قريب =

ومن المفسرين من ذهب إلى أن هذا الخطاب للمؤمنين دون الكافرين، قال: وهذا أظهر في المؤمنين؛ لأنهم يستجيبون[١] الله بحمده، ويحمدونه على إحسانه إليهم، ويستقلون مدة لَبْثِهم في البرزخ؛ لأنهم كانوا غير معذبين[٢]، والمفسرون على الأول.

٥٣- قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ قال الأخفش: جعل﴿يَقُولُوا۟﴾ جوابًا للأمر[٣] -في اللفظ- كما قال: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١].

قال الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب النبيّ ﷺ بمكة[٤] بالقول والفعل، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله، ائذن لنا في قتالهم، فيقول لهم رسول الله ﷺ: «**لم أؤمر فيهم بشيء**»، فأنزل الله هذه الآية[٥].

= من هذا، وأما القول الأول فطريقه إلى ابن عباس ضعيفة، لذلك نجد السمرقندي مع ترجيحه لهذا القول فقد أورده بصيغة التمريض.

(١) في جميع النسخ: (لا يستجيبون) بزيادة لا، ويضطرب المعنى بذلك، والتصويب من تفسيره «الوسيط» ٢/ ٥٠٨.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٠٨ بنصه، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٢٨، و«أبي حيان» ٦/ ٤٨.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٤ بنصه.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١أ بنصه تقريبًا، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» ص٤٩٥، بنحوه دون إسناد، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٢، بنحوه عن ابن عباس، والظاهر أن الكلبي يرويه عنه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٩، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤٦، عن أبي صالح عن ابن عباس، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٧، عن الكلبي.

ومعنى الآية: قل لعبادي المؤمنين يقولوا للكافرين الكلمة التي هي أحسن. قال الحسن: يقول له: يهديك الله[(١)]، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: هو الذي يفسد بينهم[(٢)].

٥٤- قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾ الآية. فيها قولان؛ أحدهما: أن هذا الخطاب للمشركين، يقول: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: يوفقكم فتؤمنوا، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: بأن يميتكم على الكفر فيعذبكم، هذا قول ابن جريج[(٣)].

القول الثاني: أن الخطاب للمؤمنين يقول: ﴿إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ﴾: بالإنجاء من كفار مكة وأذاهم، ﴿أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾: بتسليطهم عليكم، وهذا قول الكلبي[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ أي حافظًا وكفيلًا، يعني

= والحادثة تفتقر إلى إسناد لإثبات أنها سبب في النزول، وهو ما لم أقف عليه، وحسبك أنها رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، ومصدرها الثعلبي! وهذه الطريق هي أوهى الطرق إلى ابن عباس.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٢ بمعناه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١أ، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٩- بمعناه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٩ بنصه، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤٧ بنصه، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٧، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٠.

(٢) ورد بلفظه في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٠٢، و«الثعلبي» ٧/ ١١١أ، و«الطوسي» ٦/ ٤٨٩.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٢، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» بنصه تقريبًا، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ٩٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٨، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١أ، بنحوه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٠، بنحوه، انظر: «تفسير البغوي» ٢/ ١٠٠، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٨، وورد غير منسوب في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٢.

لا شيء عليك من كفرهم، فإن عليك التبليغ، وما وُكل إليك إيمانهم، والله أعلم بهم إن شاء هَدْيَهم(١) وإن شاء خَذْلَهم.

٥٥- وقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال ابن عباس: هو أعلم بهم؛ لأنه خلقهم، فهدى بعضهم، وأضل بعضهم؛ كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢].

وقال أهل المعاني: إنما ذكر أنه أعلم بهم بعد قوله: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾؛ ليدل به على أن تفضيل الأنبياء بعضهم على بعض وقع موقع الحكمة؛ لأنه من عالم بباطن الأمر(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كلام المفسرين في هذا يدل على أن المعنى فيه: أن كل واحد منهم خُصّ بفضيلة؛ فقال قتادة: نعم فضّل الله بعض النبيين على بعض؛ فاتخذ إبراهيم خليلًا، وكلّم موسى تكْليمًا، وجعل عيسى كلمته وروحه، وآتى سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وآتى داود زبورًا، وغفر لمحمد ما تقدم من ذنبه وما تأخر(٣).

وقال الكلبي: فضّل موسى بالكلام، وإبراهيم بالخُلَّة، واصطفى محمد ﷺ، وآتى داود زبورًا(٤).

وقال ابن عباس في هذه الآية: يريد لذلك فَضَّلت ولد آدم؛ فمنهم من

---

(١) مطموسة في (ع)، وفي (د): (يهديهم).
(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٠ بنصه.
(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٣، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١أ، بنحوه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٠، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤١، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.
(٤) انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠١ مختصرًا.

عَصَمْتُ، ومنهم من خَذَلْتُ، وفَضَّلتُ داود حيث أعطيته الزبور، يعني أن ذكر تفضيل النبيين ها هنا يكون(١) يدلّ على تفضيل ولد آدم.

وقال أبو إسحاق: معنى ذكر داود ها هنا، أن الله أعْلَمَ أنه فضَّل بعض النبيين على بعض، أي فلا تُنْكِروا تفْضِيلَ محمد، وإعطاءه القرآن، فقد أعطى الله داود الزبور(٢)، وقرأ حمزة ﴿زُبُورًا﴾ بضم الزاي(٣)، وذكرنا وجه ذلك في أواخر سورة النساء(٤).

٥٦- قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾ قال المفسرون: ابتلى الله قريشًا وأهلَ مكة بالقحط سنين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ﴾(٥) قال ابن عباس: كل شيء (زَعَمَ) في كتاب الله فهو كَذَبَ(٦)، فعلى هذا نظم الآية: الذين ادّعيتم كذبًا من دونه، أي ادّعَيتم أنهم آلهة.

وقال أبو إسحاق: أي ادْعُوا الذين زعمتم أنهم آلهتكم(٧)، ثم أخبر

---

(١) يكون ثابتة في جميع النسخ، وقد أدت إلى اضطراب المعنى، والأولى حذفها؛ لأن الكلام يستقيم بدونها.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٥ بنصه.

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٨٢، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٦، و«الحجة للقراء» ٥/ ١٠٨.

(٤) آية [١٦٣].

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١ب مختصرًا، انظر: «تفسير السمعاني» ٣/ ٢٥٠، و«البغوي» ٥/ ١٠٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ٤٨، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٩، ولا يُعدّ هذا سببًا في النزول - وإن عبر عنها بالصيغة الصريحة- لعدم تحقق شروطه.

(٦) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٣١، و«الألوسي» ١٥/ ٩٧.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٥ بنصه.

عن الآلهة فقال: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾، أي: فهم لا يملكون، ﴿كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ﴾، يعني البؤس والشدة.

﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ قال ابن عباس: يريد من السقم والفقر إلى الصحة والغنى(١)، وفي هذا احتجاج عليهم وبيان أنهم في عبادتهم على الباطل، **والتَّحْويل**: النقل من حال إلى حال، ومكان إلى مكان، يقال: حَوَّلَه **فتحوَّل**، ويُذكر تمام هذا الحرف عند قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، إن شاء الله.

٥٧- قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾، أي: أولئك الذين يدعونهم المشركون، واختلفوا فيهم؛ من هم؟ فرُوي بطرق مختلفة عن ابن مسعود أنه قال: كان نفر من الإنس -قال المفسرون: وهم خزاعة(٢)- يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم النفر من الجنّ، واستمسك الإنس بعبادتهم، فنزلت: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ الآية(٣). روى هذا قتادة عن عبدالله بن معبد

---

(١) ورد غير منسوب في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١ب، و«السمعاني» ٣/ ٢٥٠، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٩.

(٢) ورد في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٥، انظر: «تفسير أبي حيان» ٦/ ٥١.

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٧٩، بنحوه من طريقين، والبخاري (٤٧١٥) كتاب: التفسير، الإسراء، باب: قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ﴾ بنحوه من طريق الأعمش، وليس فيه التصريح بالنزول، ومسلم (٣٠٣٠) كتاب: التفسير باب: في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بنصه من طريق الأعمش، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٦٥٢، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ١٠٤ بنصه وبنحوه من عدة طرق ورجحه، والحاكم: التفسير/ الإسراء ٢/ ٣٦٢، بنحوه من طريق الأعمش، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٥، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٣، و«هود الهواري» ٢/ ٤٢٦، و«الثعلبي» ٧/ ١١١ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٠، و«الطوسي» ٦/ ٤٩١، انظر: «لباب النقول» ص١٣٧.

الزِّمَّاني[١] عن ابن مسعود.

وقال أبو صالح عن ابن عباس في هذه الآية: هم عيسى وعزير والملائكة، وما كان عُبِدَ من دون الله وهو لله مطيع[٢]، ونحو هذا قال مجاهد والسدي والحسن[٣]، قال الفراء: قوله: ﴿يَدْعُونَ﴾ فِعلُ الآدميين العابدين، وقوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ﴾ فِعلٌ للمعبودين الذين عبدوهم[٤].

ومعنى ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال ابن عباس: يتضرعون إلى الله في طلب الجنة[٥]، والوسيلة: الدرجة العليا[٦].

---

(١) عبد الله بن معبد الزِّمَّاني البصري، من جِلّة التابعين، ثقة، روى عن أبي هريرة وعبد الله بن عتبة ﷺ وعنه قتادة وثابت. انظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ١٧٣، و«ميزان الاعتدال» ٣/ ٢٢١، و«الكاشف» ٢/ ٦٠٠ (٢٩٩٧)، و«تقريب التهذيب» ص٣٢٤ (٣٢٤).

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٥ من طريق أبي صالح (واهية) بروايتين، وفيهما قال: عيسى وأمه وعُزير، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٦ مختصرًا، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٣ بنصه، و«الثعلبي» ٧/ ١١١ ب بزيادة وأمه والشمس والقمر والنجوم، و«الماوردي» ٣/ ٢٥١ مختصرًا، و«الطوسي» ٦/ ٤٩١، بنحوه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠١، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٤٣ بزيادة وحذف، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٤، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٦، عن السدي ومجاهد من طريقين، وورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٦، عن الحسن، و«الثعلبي» ٧/ ١١١ب عن مجاهد، و«الماوردي» ٣/ ٢٥١ عن مجاهد، و«الطوسي» ٦/ ٤٩١ عن الحسن، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٣، عن السدي.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٥ بمعناه.

(٥) ورد بنصه غير منسوب في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١ب، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٩.

(٦) ومن ذلك ماورد في حديث الأذان: (..آت محمدًا **الوسيلة والفضيلة**..) أخرجه البخاري (٤٧١٩) كتاب: التفسير، باب: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم=

وقال الزجاج: الوسيلة والسؤال والطِّلْبَةُ في معنى واحد[١]، وقد مرَّ ذكر الوسيلة[٢]، و﴿أُوْلَـٰٓئِكَ﴾ رُفع بالابتداء، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة لهم، و﴿يَدْعُونَ﴾ صلة، و﴿يَبْتَغُونَ﴾ خبر الابتداء.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قال الزجاج: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ لأنه بدل من الواو في ﴿يَبْتَغُونَ﴾، والمعنى: يبتغي أيهم هو أقرب الوسيلة إلى الله؛ أي يتقرب إليه بالعمل الصالح[٣]، ونحو هذا قال ابن عباس في قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ قال: يتقربون إلى الله بصالح الأعمال؛ فيرجون رحمته، ويريدون جنته، ويخافون عذابه.

قال أبو إسحاق: أي الذين يزعمون أنهم آلهة يرجون ويخافون[٤].

وقرأ ابن مسعود: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ بالتاء[٥]، ﴿يَبْتَغُونَ﴾ بالياء،

= الوسيلة...، (٦١٤) كتاب: الأذان، الدعاء عند النداء، قال ابن الأثير: وسل في الأصل: ما يُتَوَصَّلُ به إلى الشيء ويُتقرَّبُ به، والمراد بها في الحديث: القرب من الله تعالى، وقيل: هي الشفاعة يوم القيامة، وقيل: هي منزلة من منازل الجنَّة. انظر: «النهاية» ٥/ ١٨٥.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٦ بنصه تقريبًا.

(٢) في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٦، بنصه.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٦، بنصه.

(٥) ورد في إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٤٥، انظر: «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١ب- وذكر أن ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أيضًا بالتاء، وهو مما انفرد به، وقد قال القرطبي: ولا خلاف في ﴿يَبْتَغُونَ﴾ أنه بالياء، و«تفسير السمعاني» ٣/ ٢٥٠، و«البغوي» ٥/ ١٠١، و«ابن عطية» ٩/ ١١٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٧٩، ووردت ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء مبنيًا للمجهول=

قال أبو عبيد: ولولا كراهة الخلاف لكانت هذه القراءة آثر عندي؛ للخطاب الذي قبلها(١)، وذهب بعضُ المفسرين إلى أن هذه الآية من صفة الأنبياء الذين تقدم ذكرهم(٢).

وروى عطاء عن ابن عباس في هذه الآية، قال: ثم ذكر أولياءه، فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ الآية. وعلى هذا القول الآية صفة المؤمنين.

٥٨- قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن قَرۡيَةٍ إِلَّا نَحۡنُ مُهۡلِكُوهَا﴾ الآية. قال مجاهد: كل قرية في الأرض سيصيبها بعضُ هذا(٣)؛ هلاكٌ أو عذابٌ بالقتل والبلاء، وقال قتادة: قضاء من الله كما تسمعون، ليس منه بُدّ؛ إما أن يهلكها بموت، فقد قال: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وإما أن يهلكها بعذاب مُستأصِل إذا تركوا أمره وكذبوا رسله(٤).

وقال ابن مسعود: إذا ظهر الزنا والربا في أهل قرية أذن الله في هلاكها(٥).

= في «القراءات الشاذة» لابن خالويه ص٨٠، و«إعراب القراءات الشاذة» ١/ ٧٩٢، والقراءة بالتاء في (تدعون) و(تبتغون) شاذة أيضًا.

(١) لم أقف عليه، ويُردّ عليه بأن الالتزام بالقراءة السبعية المتواترة مقدم على مراعاة السياق.

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩١- منسوبًا إلى أبي علي، ونسب لابن فُورك في «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٢١، و«أبي حيان» ٦/ ٥١.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٤ بنصه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٦ بنصه، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٤ بنحوه.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٧ بنصه.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٧ بنصه عن عبد الرحمن بن عبد الله، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١ب بنصه، انظر: «تفسيرالسمعاني» ٣/ ٢٥٢، و«القرطبي» ١٠/ ٢٨٠، و«الخازن» ٣/ ١٦٨.

وقال مقاتل: أما الصالحة فبالموت، وأما الطالحة فبالعذاب[(١)].

وقال ابن عباس في هذه الآية: فَهَلْكُ أهلها قبل يوم القيامة أو يعذبهم مثل ما فعل بأهل مكة؛ عذبهم بالجوع حتى أكلوا العلهز[(٢)].

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ قال: يريد مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

وقال أبو إسحاق: أي ما من أهل قرية إلا سَيُهلك[(٣)]؛ إما بموت وإما بعذاب يستأصلهم[(٤)].

٥٩- قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْأَيَٰتِ﴾ قال ابن عباس وقتادة والمفسرون: «سأل أهل مكة النبيّ ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهبًا وأن يُنَحّي الجبال عنهم فيزْدرعوا[(٥)] فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان ما سأل قومك، ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يناظروا، وإن شئت استأنيت بهم، قال: لا بل أستأن بهم، فأنزل الله هذه الآية»[(٦)].

---

(١) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٦أ، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١ب بنصه.

(٢) العلهز: هو الوبر يعجن بالدم والقُراد يأكلونه. والقراد: دويبة متطفلة. انظر: «تفسير الطبري» ١٤/ ١٨٦- ١٨٧.

(٣) في المصدر: (سيهلكون) مراعاة لمعنى ما، أما الواحدي فقد راعى لفظها.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٧ بنصه.

(٥) يقال: ازْدرع إذا زرع أو أمر به لنفسه خُصوصًا. «المحيط في اللغة» (زرع) ١/ ٣٨٣)

(٦) أخرجه -بنحوه عن ابن عباس من طريق ابن جبير(جيدة)- أحمد ١/ ٢٥٨، والبزار [كشف الأستار] (٣/ ٥٥، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٥٥، و«الطبري» ١٥/ ١٠٨، والحاكم: التفسير/ الإسراء ٢/ ٣٦٢ وقال: صحيح الإسناد وأقره الذهبي، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٧١ بعدة روايات، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٨، بنحوه عن قتادة، وأخرجه المؤلف في «أسباب النزول» ٢٩٥، وأورده ابن كثير في «البداية والنهاية» ٣/ ٥٢- بروايتين عن ابن عباس وقال: وهذان إسنادان جيدان، =

قال أبو إسحاق: (أن) الأولى نصب والثانية رفع، المعنى: ما منعنا الإرسالَ إلا تكذيبُ الأولين، والتأويل: أنهم سألوا الآيات التي استوجب بها الأولون العذاب لما كذبوا بها[(١)]، وحقيقة المعنى: إنّا لم نرسل بالآيات؛ لئلا يكذب بها هؤلاء كما كذب مَنْ قبلهم، فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة.

فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ﴾ والله تعالى لا يجوز أن يكون ممنوعًا عن شيء؟! قلنا: معناه ها هنا المبالغة في أنه لا يفعل ذلك، فكأنه قد مُنع منه؛ وذلك أن الإرادة الأزلية قد سبقت بتدبير الأمور وإمضائها؛ لا يؤخرُ منها مَقدّم ولا يُقدمُ مؤخّر، فإذا منعت الإرادة والمشيئة أمرًا جاز إطلاق لفظ المنع على الوجه الذي ذكرنا، والباء في قوله: ﴿بِٱلْأَيَٰتِ﴾ زيادة[(٢)]، والمعنى: أن نرسل الآيات، والآية مختصرة؛ لأن التقدير: ﴿إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ فأهلكناهم، قال المفسرون: وسنة الله في الأمم إذا سألوا الآيات فأتتهم ثم لم يؤمنوا أن يعذبهم ولا يمهلهم[(٣)].

= وأورده الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٥٠، عن ابن عباس بروايتين وقال: ورجال الروايتين رجال الصحيح، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس، وقال شاكر في «شرح المسند» ٢/ ٩٦: إسناده صحيح، وورد بنحوه في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٤، عن ابن عباس، و«هود الهواري» ٢/ ٤٢٧، و«الثعلبي» ٧/ ١١١ب، انظر: «لباب النقول» ص١٣٧.

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٧ بنصه.

(٢) يقصد زيادة للتأكيد، انظر التعليق على القول بالزيادة في القرآن، عند آية [١٠] من سورة إبراهيم.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١١ب بنصه تقريبًا، انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٦٩.

وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ قال ابن عباس: يريد كانت لهم عيانًا، وقال قتادة: بينة[(١)]، وقال مجاهد: آية مبصرة[(٢)].

قال الأخفش: المُبْصِرةُ: البَيِّنَة؛ كما تقول: المُوضِحَة والمُبَيِّنَة[(٣)]، فعلى هذا أبصر واقع بمعنى بصر[(٤)].

وقال الفراء: جعل الفعل لها، ومعنى﴿مُبْصِرَةً﴾: مضيئة، كما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]، أي: مضيئًا[(٥)].

قال الأزهري: والقول ما قال الفراء؛ أراد: آتينا ثمود الناقة آية مبصرة، أي مضيئة[(٦)]، وقد ذكرنا هذا في سورة يونس[(٧)] وفي هذه السورة عند قوله: ﴿ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [آية: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ قال الزجاج: أي فظلموا بتكذيبها[(٨)]، وعلى هذا المعنى: ظلموا أنفسهم بتكذيب تلك الآية، ويكون المضاف محذوفًا، وقال المفسرون: كذبوا وجحدوا بها[(٩)].

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٨ بلفظه، انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٦٩ بلا نسبة.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٤ بلفظه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٩ بلفظه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٦٧ بلفظه، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٧ بلفظه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٢٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٤ بنصه.

(٤) ساقطة من (أ)، (د).

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٦، باختصار.

(٦) «تهذيب اللغة» (بصر) ١/ ٣٤٢، بلفظه.

(٧) آية [٦٧].

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٧ بنصه.

(٩) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٧أ، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧٤، و«الثعلبي» ٧/ ١١١ب.

قال ابن قتيبة: ويكون الظلم: الجَحْد؛ كقوله: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾، أي: جحدوا بأنها من الله، وكقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]، أي: يجحدون[١]، وذكرنا معاني الظلم في سورة البقرة[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَـٰتِ﴾، أي: العبر والدلالات، ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾: للعباد؛ ليتعظوا ويخافوا، قال قتادة: إن الله يخوف الناس بما يشاء من آياته؛ لعلهم يعتبرون[٣] أو يتذكرون أو يرجعون[٤].

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ﴾ قال مجاهد: أحاط بالناس فهم في قبضته[٥]، وقال قتادة: يقول: يمنعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك[٦]، وقال الحسن: أي حال بينهم وبين أن يقتلوك[٧]؛ كما

(١) «تأويل مشكل القرآن» ص٤٦٨، بنصه.

(٢) آية [٣٥].

(٣) في جميع النسخ: يعينون، وفي «الدر المنثور» والألوسي: (يعتبون)، والتصويب من تفسير الطبري والثعلبي، ويحتمل الرسم أنها يفيئون؛ والله أعلم.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٠٩ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٢أ بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٢، و«ابن كثير» ٣/ ٥٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٤٥، و«تفسير الألوسي» ١٥/ ١٠٤.

(٥) «تفسير مجاهد» ص٤٣٨ بنصه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٠ بنصه من طريقين، وورد بنصه في «معاني القرآن» للنحاس ١/ ٣٦٤، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٨، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٣.

(٦) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٠ مختصرًا، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٠ بنصه وبنحوه، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٤ بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٣، بنحوه.

(٧) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٠- بمعناه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٨- بمعناه، والماوردي ٣/ ٢٥٣- بمعناه. انظر: «تفسير السمعاني» =

قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

فعلى هذه الأقوال: معنى الآية: أن الخلق في قبضة الله وأنه محيط بهم بالعلم والقدرة، فهو مانعك منهم وحافظك، فامض لما أمرك من تبليغ الرسالة ولا تهتم.

وروي عن ابن عباس من طريق عطاء أن المراد بالناس ها هنا: أهل مكة[١]، وإحاطته بهم إهلاكه إيّاهم عن قريب؛ إمّا موتًا وإمّا قتلًا، وإلى هذا القول ذهب مقاتل والفراء وقالا: أي أنها ستفتح لك[٢]، وعلى هذا القول معنى الإحاطة بهم: الإهلاك؛ لقوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمۡۖ﴾ [يوسف: ٦٦] وقوله: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١] وقد مرّ، والمعنى: أن الله أهلكهم؛ أي سيهلكهم، ولكن ذُكر بلفظ الماضي لتحقق كونه، وفي إهلاكه إياهم فتحها لمحمد ﷺ ثم أهلكهم يوم بدر قتلًا بالسيف، وأكثر ما يُذْكر أهلُ مكة في القرآن بلفظ الناس.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلنَّاسِ﴾ اختلفوا في معنى هذه الرؤيا؛ فأكثر المفسرين على أن المراد بها: ما أراه الله تعالى ليلة الإسراء[٣].

قال عكرمة: أمَا إنه ليس برؤيا ولكنّه رَأْيُ عَين، وهي رؤيا يقظة

= ٣/ ٢٥٣ بنصه، و«ابن الجوزي» ٥/ ٥٣، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٣٥.

(١) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٨٢، وورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٦ب، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٣٥.

(٢) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٦ب، بنحوه، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٦ بنصه.

(٣) وهذا القول رجّحه «الطبري» ١٥/ ١٨٣، و«الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٣٦.

ليست رؤيا[١] في المنام[٢]، وهو قول سعيد بن جبير وأبي مالك وإبراهيم والسدي ومجاهد وقتادة والحسن والضحاك وابن زيد وابن جريج[٣]، وابن عباس في رواية عكرمة: قال: هي رؤيا عين أُرِيَهَا النبيّ ﷺ ليلة أُسري به إلى بيت المقدس[٤]، وهذا القول اختيار الفراء وابن قتيبة[٥]، وعلى هذا يصح أن يقال: رأيت بعيني رؤية ورؤيا[٦].

ومعنى قوله: ﴿إِلَّا فِتۡنَةً لِّلنَّاسِ﴾ هو أنه ارتد بعضهم حين أعلمهم قصة الإسراء، وأنكروا وكذبوا، وازداد المؤمنون المخلصون إيمانًا.

وقال ابن عباس في رواية الوالبي: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة وأخبر بذلك أصحابه، فلما صُدّ عن البيت عام الحُدَيْبِيَة[٧] كان ذلك فتنة

---

(١) في جميع النسخ: (ليسترونا)، والظاهر أنها كلمتان اشتبكتا في الرسم، والصحيح المثبت.

(٢) ورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٨، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٤.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٥، أخرجه «الطبري» ٥/ ١١٠-١١٢، عنهم كلهم عدا السدي، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٨، عن ابن جبير ومجاهد والضحاك، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٢أ، عنهم عدا إبراهيم والسدي، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٣، عنهم عدا أبي مالك وإبراهيم والسدي وابن جريج، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٤، عنهم-عدا أبي مالك والسدي.

(٤) أخرجه بنصه: «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٠، والبخاري (٤٧١٦) كتاب: التفسير، الإسراء، و«الطبري» ١٥/ ١١٠ من ثلاث طرق، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧٤، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٢أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٣، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٤.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٦، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٨.

(٦) قال ابن الأنباري: لا فرق بين أن يقول القائل: رأيت فلانًا رؤية، ورأيته رؤيا، إلا أن الرؤية يقل استعمالها في المنام، والرؤيا يكثر استعمالها في المنام، ويجوز كل واحد منهما في المعنيين. «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٥٣.

(٧) عام الحديبية كان في السنة السادسة من الهجرة، والحديبية: قرية متوسطة =

لهم، فلما كان العام المقبل دخلها وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾[(١)] [الفتح: ٢٧]، غير أن هذا القول يَضْعُف من حيث إن هذه الرؤيا كانت بالمدينة، وهذه السورة مكية، والله أعلم.

وقال سعيد بن المسيب: أُري بني أمية يَنْزُون[(٢)] على منابرهم فساءه ذلك، فقيل له: إنما هي الدنيا أُعْطُوها فسُرِّي عنه[(٣)]، ونحو هذا روي عن سهل بن سعد قال: «رأى رسول الله ﷺ بني أمية يَنْزُون على منبره نَزْوَ القِرَدَةِ فساءه ذلك»[(٤)].

= سميت باسم بئر كانت هناك، عند الشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان، قال الخطابي: وسميت الحديبية بشجرة حدباء كانت في ذلك الموضع، وبين الحديبية ومكة مسافة (٢٥) كم تقريبًا، ويقع بعضها في الحل وبعضها في الحرم، وتعرف الآن باسم الشميسي، وتقع في طريق مكة جدة القديم. انظر: «الروض المعطار» ص١٩٠، و«معجم البلدان» ٢/ ٢٢٩.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٢، بنحوه من طريق العوفي(ضعيفة)، وورد بنحوه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٢أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٣، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٤، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٢٧، و«ابن الجوزي» ٥/ ٥٤.

(٢) النَّزْو: هو الوَثَبَان، والمقصود يتعاقبون. انظر: «المحيط في اللغة» (نزو) ٩/ ٩٣، و«اللسان» (نزا) ٧/ ٤٤٠٢.

(٣) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٤، بنحوه، وأخرجه البيهقي في «الدلائل» ٦/ ٥٠٩- بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٢أ- بنصه، وأورده «ابن الجوزي» ٥/ ٥٤ وقال: وإن كان مثل هذا لا يصح، ولكن ذكره عامة المفسرين، كذلك أشار ابن حجر إلى هذا القول ورواياته، وقال: وأسانيد الكل ضعيفة. «فتح الباري» ٨/ ٢٥٠.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٢ بنصه تقريبًا، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٢أ- بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٣ بنصه تقريبًا، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٤، بنحوه، وهذا الأثر ضعيف كما قال ابن كثير٣/ ٥٥ قال: وهذا السند ضعيف جدًا؛ فإن محمد=

وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال: رأى رسول الله ﷺ في المنام أن ولد مروان يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة[١]، وهذه الآية مكية، ولم يكن للنبيّ ﷺ بمكة منبر، غير أنه لا يبعد أن يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة، كأنه رأى أن له بالمدينة منبرًا يتداوله بنو أمية.

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ هذا على التقديم والتأخير، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ﴾، ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾، ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾، واختلفوا في هذه الشجرة؛ فالأكثرون أنها شجرة الزقوم التي ذكر في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤] وهذا قول مسروق وسعيد بن جبير وأبي مالك وإبراهيم ومجاهد وقتادة والكلبي وعكرمة والضحاك، وقول ابن عباس في رواية عكرمة من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عنه[٢]، وكانت فتنتهم في هذه الشجرة ما ذكر

= ابن الحسن بن زبالة متروك، وشيخه -أي عبدالمهيمن بن عباس- أيضًا ضعيفٌ بالكلية، وأورد الشوكاني الأثر وضعفه، وقال: وفيه ضعف؛ فإنه لا فتنة للناس في هذه الرؤيا، إلا أن يراد بالناس رسول الله ﷺ وحده، ويراد بالفتنة ما حصل من المساءة لرسول الله ﷺ، أو يحمل على أنه قد كان أخبر الناس بها فافتتنوا. «تفسير الشوكاني» ٣/ ٣٤٢، وظاهرٌ أن هذا القول وأمثاله من المُحدث.

(١) ورد بنصه بلا نسبة في: «تفسير الخازن» ٣/ ١٦٩، و«أبي حيان» ٦/ ٥٥.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٥، أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨١، عن ابن عباس وابن جبير، والبخاري (٤٧١٦) كتاب: التفسير، الإسراء، عن ابن عباس، و«الطبري» ١٥/ ١١٣- ١١٥، عنهم كلهم عدا الكلبي، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٦٩، عن ابن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، عنهم عدا مسروق وأبي مالك والكلبي وعكرمة، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٩، عن مجاهد، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٣، عن مجاهد وقتادة والضحاك وابن جبير، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٤، عنهم عدا الكلبي وعكرمة.

قتادة قال: خَوَّفَ الله بها عباده ففتنوا[١] بذلك، حتى قال أبو جهل: زعم صاحبكم أن في النار شجرًا، والنار تأكل الشجر، وقال ابن الزِّبَعْري[٢]: ما نعلم الزقوم إلا التَّمْر والزُّبْد، فتزقموا منه، فأنزل الله حين عجبوا أن يكون في النار شجرًا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾ الآيات.[٣] [الصافات: ٦٣-٦٦].

وروى السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: الشجرة الملعونة في القرآن بنو أمية[٤].

وقال في رواية عطاء: يعني الحكم بن أبي العاص[٥]، قال: «وكان

---

(١) في جميع النسخ: (فَنُبِؤا) والتصويب من تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥١٥.

(٢) عبد الله بن الزِّبَعْري بن قيس السهمي، أحد شعراء قريش، كان شديدًا على المسلمين في الجاهلية، يهجوهم ويحرِّض عليهم كفار قريش في شعره، فلما فتحت مكة هرب إلى نجران، فقال فيه حسان بيتًا فلما بلغه عاد إلى مكة وأسلم، واعتذر إلى النبي ﷺ فقبل عذره وحسن إسلامه، وشهد ما بعد الفتح.
انظر: «الأغاني» ١٥/ ١٧٤، و«الاستيعاب» ٣/ ٣٦، و«أسد الغابة» ٣/ ٢٣٩.

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨١ مختصرًا، و«الطبري» ١٥/ ١١٤، بنحوه، وورد بنحوه بلا نسبة في: «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٦ب، و«الثعلبي» ٧/ ١١٢أ.

(٤) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢٠/ ٢٣٧ بنصه، و«القرطبي» ١٠/ ٢٨٦ وقال: وهذا قول ضعيف محدَث. وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٤ بنصه عن أبي جعفر، وقال ابن كثير ٣/ ٥٥: وقيل: المراد بالشجرة الملعونة بنو أمية، وهو غريب ضعيف.

(٥) الحكم بن أبي العاص الأموي القرشي، عمّ عثمان بن عفان ﷺ، وهو أبو مروان بن الحكم، من مسلمة الفتح، أخرجه رسول الله ﷺ من المدينة وطرده عنها، فنزل في الطائف مع ابنه مروان، ولم يزل بها حتى رده عثمان ﷺ إلى المدينة في خلافته، وبقي فيها، وتوفي في آخر خلافة عثمان. انظر: «الاستيعاب» ١/ ٤١٤، و«أسد الغابة» ٢/ ٤٨، و«الإصابة» ١/ ٣٤٥.

رأى رسول الله ﷺ في المنام ولد مروان يتداولون منبره، فقصّ رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما، فلما تفرقا سمع رسول الله ﷺ، فاشتد ذلك عليه، واتهم عمر في إفشاء سره، ثم ظهر أن الحكم كان يَتَسَمَّعُ إليهم، فنفاه رسولُ الله ﷺ»[١]، وهذه القصة كانت بالمدينة والسورة مكية، فيبعد هذا التفسير، إلا أن تكون هذه الآية مدنية، ولم يقل ذلك أحد، والله أعلم. ويؤكد أن يكون المراد بالشجرة الملعونة: الحكم، قول عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه، فأنت فَضَضٌ[٢] من لعنة الله[٣]. والأكثرون على القول الأول، وهو الظاهر[٤].

قال أبو إسحاق: فإن قال: قائل ليس في القرآن ذكر لعنها، فالجواب في ذلك أنه لُعِنَ الكفارُ وهم آكلوها -فعلى هذا يكون التقدير: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾: آكلوها- قال: وجواب آخر: وهو أن العرب تقول لكل طعام مكروه ضَارّ: ملعون[٥].

---

(١) انظر: «تفسيرالسمعاني» ٣/ ٢٥٥، بنحوه، وأشار ابن حجر إلى هذا القول، وقال: وإسناده ضعيف. «فتح الباري» ٨/ ٢٥١.

(٢) قال ثعلب: معناه: أي خرجت من صُلْبه متفرقًا، يعني ما انفضَّ من نطفة الرجل وتردد في صُلبه، وقيل في قولها: فأنت فَضَضٌ من لعنة الله: أرادت إنك قِطعة منها وطائفة منها. «اللسان» (فضض) ٦/ ٣٤٢٧.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (فضض) ٣/ ٢٨٠٠، بنحوه، و«الاستيعاب» ١/ ٤١٥، بنحوه، انظر: «أسد الغابة» ٢/ ٣٨ بنحوه، و«اللسان» (فضض) ٦/ ٣٤٢٧ بنصه، وأورده الألوسي ١٥/ ١٠٧ بمعناه وعزاه إلى ابن مردويه عنها.

(٤) وهو ما رجحه «الطبري» ١٥/ ١١٥، وقال ابن حجر: وهذا هو الصحيح، وذكره ابن أبي حاتم عن بضعة عشر نفسًا من التابعين. «فتح الباري» ٨/ ٢٥١.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٨- بنصه- الكلام المعترض.

وقال بعضهم: يعنى الشجرة الملعونة التي ذُكرت في القرآن؛ وهي شجرة الزقوم(١)، وعلى هذا (في) ها هنا ظَرَفٌ للذِّكر لا لِلَّعن.

وروى عكرمة عن ابن عباس في قوله: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ قال: المذمومة(٢)، ويدل أن المراد بالشجرة ها هنا شجرة الزقوم: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَـٰنًا كَبِيرًا﴾، أي: نخوفهم بالزَّقوم فما يزدادون إلا كفرًا وعتوًا، وهو ما زادوا من التكذيب والإنكار حين سمعوا بذكر هذه الشجرة في القرآن، وقد روي عن ابن عباس: أنه فسر الشجرة الملعونة بالكَشُوث(٣)، وهو قول ضعيف وتفسير لا يليق بالآية.

٦١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ الآية. ذكر أهل المعاني في وجه اتصال هذه الآية بما قبلها وجهين؛ أحدهما: أنه على معنى ما يزيدهم إلا طغيانًا كبيرًا، محققين لظن(٤) إبليس فيهم، مخالفين موجب نعمة ربهم على أبيهم وعليهم(٥)، والثاني: أن المعنى: واذكر بتمادي هؤلاء المشركين وازديادهم عتوًّا قصة إبليس حين عصى وأبى السجود(٦)، وذكرنا معنى هذه الآية وهذه القصة في سورة البقرة(٧).

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٤].

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٥٥، بلفظه.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٥، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٢أ، بنحوه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٤ بلفظه، انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٦٦، و«ابن الجوزي» ٥/ ٥٦، و«القرطبي» ١٠/ ٢٨٦، و«الخازن» ٣/ ١٧٠.

(٤) في (أ)، (د): (بظن)، والمثبت من (ش)، (ع) وهو الصحيح، والأصح ظن كما في تفسير الطوسي.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٦، بنصه تقريبًا.

(٦) ورد نحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ١١٦، و«الثعلبي» ٧/ ١١٣أ، و«القرطبي» ١٠/ ٢٨٧.

(٧) آية [٣٤].

وقوله تعالى: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قال المفسرون وأهل المعنى: امتنع إبليس من السجود لآدم وأنكر أن يسجد له وقال: أنا ناري، وهذا طيني(١)، (وذلك أن الفروع ترجع إلى الأصول؛ فتكون على قدرها في التكبير أو التصغير، فلما اعتقد إبليس لعنه الله أن النار أكرم أصلًا من الطين خامنه أنه أكرم ممن خلق من طين، وذهب عليه بجهله أن الجواهر كلها من جنس واحد، وأن الله يُعرِّفُها بالأعراض كيف شاء، مع كرم جوهر الطين بكثرة ما فيه من المنافع التي تقاوم منافع النار أو تُوفِي عليها)(٢)، وقال أبو إسحاق: المعنى: لمن خلقته طينًا، وطينًا منصوب على الحال، المعنى: أنك أنشأته في حال كونه من طين(٣).

٦٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني إبليس، ﴿أَرَءَيْتَكَ﴾ قال الزجاج: هو في معنى أخبرني، والكاف لا موضع لها؛ لأنها ذكرت في المخاطبة توكيدًا(٤)، وذكرنا الكلام في هذا الحرف مستقصى في سورة الأنعام(٥)، ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾: لِمَ كرمته عليّ؟! قال: موضع هذا نصب بأَرَأَيْتَ، والجواب محذوف، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرمت عليّ لم كَرَّمْتَه عَليَّ، وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟! فَحُذف هذا؛ لأن في الكلام دليلًا عليه(٦)، ومعنى ﴿كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾: أي فَضَّلت، قال

---

(١) ورد بنحوه في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٦ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٦، انظر: «تفسير السمعاني» ٣/ ٢٥٦، و«ابن الجوزي» ٥/ ٥٧، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٣.

(٢) ما بين القوسين ورد بنصه تقريبًا في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٦.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٩، بتصرف.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٩، بنصه.

(٥) آية [٤٠].

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٩، بنصه.

ابن عباس: والكرم اسم جامع لكل ما يحمد[١].

وقوله تعالى: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: لأستولين[٢].

وقال الحسن: لأغوينَّ[٣]، وقال مجاهد: لأحتوينَّ[٤]، وروي عنه أنه قال مثل الزِّيَاق[٥]، هذا قول المفسرين.

وقال ابن زيد: لأضلنهم[٦]، وقيل: لأستأصلنَّهم بالإغواء[٧].

فأما كلام أهل اللغة في هذا الحرف، فروى محمد بن سَلاَّم أنه سأل يونس عن هذه الآية فقال: يقال: كأن في الأرض كلأً فاحتنكه الجراد؛ أي

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٨٧، بلا نسبة.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٧ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، وورد بلفظه في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٥٤، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٧، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٦، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) لم أقف على هذا القول، وورد عنه تفسيره بـ: لأستأصلن ذريته، في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٩.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٥ بلفظه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٧ بلفظه من طريقين، وورد بلفظه في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٢٩، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٧، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٥) لم أقف عليه، والزياق: هو ما أحاط بالعنق من القميص. انظر (زيق) في: «الصحاح» ٤/ ١٤٩٢، و«اللسان» ٣/ ١٩٠، و«متن اللغة» ٣/ ٨٠.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٧ بنصه، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٧- بلفظه، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٥٧، و«القرطبي» ١٠/ ٢٨٧، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٧ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٧) ورد بنصه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٣ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٤، انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٦٦، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٤.

أتى عليه، ويقول أحدُهُم: لم أجد لِجامًا فاحْتَنَكْتُ دَابَّتي؛ أي ألقيتُ في حَنَكها حبلًا قُدْتُها به[(١)].

وتفسير هذا الحرف لا يخرج عن هذين الأصلين الذين ذكرهما يونس، فمن قال: لأستأصلنهم ولأستولين عليهم، فأصله من احتِناكِ الجرادِ الزرعَ، وهو أن يأكلها ويستأصلها باحتناكها فيفسدها، ومن هذا يقال للجماعة المنتجعين: الحنك، يقال: ما تركَ الأحْنَاكُ في أرضنا شيئًا، يعنون: الجماعات المارة، ومنه قول أبي نُخَيْلَة[(٢)]:

إنا وكُنَّا حَنَكًا نَجْدِيًّا[(٣)(٤)]

هذا هو الأصل، ثم يُسمى الاستيلاء على الشيء وأخذ كله احتناكًا، حتى يقال: احتَنَكَ ما عند فلان، أي أخذه كله من علم أو مال أو غير ذلك[(٥)]، واحتنكت السَّنَةُ [أموالنا][(٦)] إذا استأصلتها، وأنشد أهل اللغة:

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (حنك) ١/ ٩٤٤، بنصه.

(٢) الرَّاجز أبو نُخيلة، اسمه يَعْمر، وكني أبا نُخَيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة- كما قال ابن قتيبة- وفي «الأغاني» عن الأصمعي وابن حبيب أنه لا يعرف له اسم غيره، وله كنيتان: أبو الجُنيد وأبو العِرماس، كان عاقًا لأبيه فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج إلى الشام وأقام هناك إلى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكًا في نسبه، مطعونًا عليه، مات سنة (١٤٥هـ) انظر: «الشعر والشعراء» ص ٣٩٩، و«الأغاني» ٢٠/ ٤٠٣، و«الخزانة» ١/ ١٦٥.

(٣) وعجزه:

لـمَّا انْتَجَعْنا الورقَ المرْعِيَّا

ورد في «الأساس» ص٢٠٣، و«اللسان» (حنك) ٢/ ١٠٢٨.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (حنك) ١/ ٩٤٣، بنصه.

(٥) ورد نحوه في «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٤.

(٦) زيادة يقتضيها السياق؛ كما في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٩.

نَـشْـكُـو إلـيْـك سَـنَـةً قـد أجْـحَـفَـتْ
واحْـتَـنَـكَـتْ أمـوالَـنَـا وجـلَّـفَـتْ[(١)]

ومن قال: لأغوينّهم ولأقودنّهم إلى المعاصي؛ كما روي عن مجاهد أنه قال: مثل الزِّياق، فأصله من قولهم: حَنَكَ الدابةَ يَحْنُكُها، إذا ربط في حَنَكِها الأسفل حَبْلًا يقودها به[(٢)]، ومثله: احتنك، وأنشد ابن الأعرابي[(٣)]:

فـإنَّ لـدَيـنـا مُـلْـجِـمِـيـنَ وحـانِـكًـا[(٤)]

والمعنى على هذا الأصل: لأقودنّهم حيث شئت، كمن يُربط في حَنَكه الزياق فيقاد.

قال الأخفش في قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾: لأستأصلَنَّهم ولأستميلَنَّهم[(٥)]،

---

(١) ورد بلا نسبة في «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٤، و«تفسير الطبري» ١٥/ ١١٦، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٩، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٣ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٤، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٧، و«ابن عطية» ٩/ ١٣٤، و«القرطبي» ١٠/ ٢٨٧، و«الدر المصون» ٧/ ٣٨٠، في بعض الروايات: جَنَّفَتْ واجتلفت بدل جلَّفَتْ؛ (الجَلْفُ): القَشْرُ، والجالفةُ: السَّنة التي تذهبُ بأموال الناس؛ من جلفت الشيءَ: إذا قلَعْتَه واستأصلْتَه. «العباب الزاخر» ف/ ٦٧.

(٢) ذكره ابن السكيت في «الإصلاح» ص٧١ بنصه، وورد بنحوه في «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٥٨، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧١، انظر (حنك) في: «تهذيب اللغة» ١/ ٩٤٤، و«المحيط في اللغة» ٢/ ٣٨٣.

(٣) البيت لزَبَّان بن سَيَّار الفزَاري، كما في «تهذيب اللغة» (حنك) ١/ ٩٤٤، وتصحفت في اللسان إلى: زياد، والصحيح أنه زبان، كما في «الاشتقاق» ص٢٨٣.

(٤) صدره:

فإن كنتَ تُشْكَى بالجِماع ابنَ جعفر

ورد في «تهذيب اللغة» (حنك) ١/ ٩٤٤، و«اللسان» (حنك) ٢/ ١٠٢٨.

(٥) ليس في معانيه، وورد في «تهذيب اللغة» (حنك) ١/ ٩٤٤، بنصه.

فذكر القولين، ونحوه قال أبو عبيدة سواءً[١]، واختار الفراء والزجاج وابن قتيبة الأول[٢]، وهو أنه مأخوذ من احتناك الجراد الزرع، وكلا القولين مأخوذ من الْحَنَك على ما بَيَّنَّا.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني المعصومين، قال ابن عباس: يريد بالقليل أولياء الله الذين عصمهم[٣]، وهم الذين استثناهم الله ﷻ في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

فإن قيل: كيف ظن إبليس هذا الظن الصادق بذرية آدم؟ فالجواب عن هذا: أن الله تعالى كان قد أخبر الملائكة أنه سيجعل في الأرض من يفسد فيها ويسفك[٤] الدماء، على قول بعض المفسرين[٥]، وكان إبليس قد علم بذلك، وقيل: إنما قال ذلك لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزمًا، فقال بَنُو هذا مِثْلُه في ضعف العزيمة، وهذا معنى قول الحسن[٦].

---

(١) «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٤، بنصه.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٧، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٩، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦٠.

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٥٧، بنصه.

(٤) في (أ)، (د): (ولا يسفك) بزيادة (لا) والمثبت من (ش)، (ع) وهو الصحيح المتسق مع السياق.

(٥) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٧، بنصه.

(٦) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٨ بنصه، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٢٨٧، و«أبي حيان» ٦/ ٥٨ وقال: وهذا ليس بظاهر؛ لأن قول ذلك كان قبل وسوسته لآدم في أكل الشجرة. وما قاله أبو حيان متوجه، إلا أن يكون الحسن أراد بقوله ما ورد عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَمَّا صوَّر الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يُطيف به ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خُلق خلقًا لا يتمالك**» أخرجه مسلم (٢٦١١) كتاب: البر والصلة، باب: خلق الإنسان خلقًا لا يتمالك.

٦٣- قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ﴾ أي قال الله تعالى لإبليس: اذهب، وهذا اللفظ يتضمن معنى إنظاره وتأخير أجله، ﴿فَمَن تَبِعَكَ﴾ أي أطاعك واتبع أمرك وتسويلك ﴿مِنْهُمْ﴾: أي من ذرية آدم، ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ﴾ الفاء تتضمن ها هنا جواب الشرط، وهذه المسألة قد مضت في مواضع، ﴿جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ من وَفَرْته أفِره وَفْرًا وفِرَةً، وهذا مُتعد، واللازم قولك: وَفر المالُ يفر وُفُورًا فهو وافر[١]، قال الزجاج: ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾، أي: مُوَفَّرًا، يقال: وَفَرْته أَفِرُهُ وهو مَوْفُورٌ، وأنشد لزهير:

ومن يَجْعَلِ المعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٢][٣]

وانتصب جزآءً على المصدر.

٦٤- قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم﴾ قال الفراء: اسْتَخِف[٤].

وقال أبو إسحاق: معناه: استدعه استدعاءً تستخفه به إلى جانبك[٥]، ويقال له: فَزَّه[٦] الخوف واستفزه، أي أزعجه واستخفه، قال أبو ذؤيب:

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (وفر) ٤/ ٣٩٢٥ بنصه.

(٢) «شرح ديوان زهير» ص٣٠، و«شرح القصائد السبع» ص٢٨٧، وورد في «الأغاني» ٢/ ١٦٠، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٧، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٥، و«الدر المصون» ٧/ ٣٨١، وورد بلا نسبة في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٢، و«الخزانة» ٢/ ٤١٠، (٨/ ١٢٧، (يَفِرْه): يجعله وافرًا، ومعناه: من اصطنع المعروف إلى الناس وقَى عرضه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٤٩، بنصه.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٧، بلفظه.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٠ بنصه تقريبًا، وقد نقله من «تهذيب اللغة» (فز) ٣/ ٢٧٨٥ لوروده بنصه.

(٦) في (أ)، (د): (أفزوه)، والمثبت من (ش)، (ع) هو الصواب.

شَـبَـبٌ أفـزَّتْـهُ الـكـلابُ مُـرَوَّعُ[١]

ومعنى صيغة الأمر ها هنا: التهدد، كما يقال للإنسان: اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك[٢].

وقال الزجاج: الأمر إذا تقدمه نهي عما يؤمر به، كان المعنى في الأمر: الوعيد؛ لأنك قد تقول: لا تدخل هذه الدار، فإذا حاول أن يدخلها قلت: ادخلها، فَلَسْتَ تأمره بدخولها، ولكنك تُوعِده، وهذا في الاستعمال كثير، ومثله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]، وقد نهوا أن يتبعوا أهواءهم[٣].

ومعنى الآية: يقول: ازعج واستخفف من استطعت من بني آدم.

﴿بِصَوْتِكَ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: صوته كلّ داعٍ دعا[٤] إلى معصية الله تعالى[٥]، وقال عطاء عنه: كل متكلم في غير ذات

---

(١) صدره:

والـدّهـرُ لا يـبـقـى عـلـى حَـدَثَـانِـهِ

«ديوان الهذليين» ص١٠، وورد في «الصحاح» (فز) ٣/ ٨٩٠، و«اللسان» (فزز) ٦/ ٣٤٠٩، و«التاج» (فزز) ٨/ ١٢٣، وورد بلا نسبة في «تهذيب اللغة» (فز) ٣/ ٢٧٨٥، و«المخصص» ٨/ ٣٣، (الشَّبب): الثور المسنّ، (أفزّته): استخفته وطردته.

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٤٩٩، بنصه تقريبًا.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥١، بتصرف يسير.

(٤) انقلب الكلام في جميع النسخ كالتالي: صوته دعا كل داعٍ إلى. والتصويب من «تفسير الطبري» و«الدر المنثور».

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٨ بنصه، وورد بنحوه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، و«الثعلبي» ٧/ ١١٣ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٩، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٨ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

الله فهو صوت الشيطان[١].

وقال مجاهد: هو الغناء والمزامير[٢]، وهو قول عكرمة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ قال الفراء في كتاب المصادر، يقال: أجلب إجلابًا، والجلَبة: الصوت، وربما قالوا: الجَلَبُ، كما قالوا: الغَلَبَةُ والغَلَبُ، والشَّفَقَةُ والشَّفَقُ[٤].

وقال الليث: أجْلَبُوا وجَلَّبوا من الصّياح[٥]، ونحوه قال أبو عبيدة[٦].

وقال أبو إسحاق في (فعل وأفعل): وأجلب على العدو إجلابًا إذا جمع عليه الخيول[٧].

وقال ابن السكيت: يقال: هم يُحْلِبون عليه، ويُجْلِبون عليه بمعنى؛ أي يُعينون عليه[٨].

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: أجْلَبَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ، إذا تَوَعَّدَه الشر وجَمَعَ عليه الجمع، بالجيم[٩]، هذا قول أهل اللغة في معنى

---

(١) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥١٨، بنصه.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٨، بنحوه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٢، بنصه، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١١٣ب، بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٥، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٩، بنحوه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف عليه، وورد بنحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ١١٨، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٦.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (جلب) ١/ ٦٢٦ بنصه.

(٦) ليس في «مجاز القرآن».

(٧) «فعلت وأفعلت» ص٢١، بنصه تقريبًا.

(٨) و(٩) ورد في «تهذيب اللغة» (جلب) ١١/ ٩٠ بنصه.

الإجلاب، ومعنى الآية على قول الفراء وأبي عبيدة: (صِح عليهم بخيلك ورجلك)[١]، وأخْبِثهم[٢] عليهم بالإغواء، وعلى قول أبي إسحاق، معناه: ما ذُكِر؛ أي اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك[٣]، وتكون الباء في: ﴿بِخَيْلِكَ﴾ زائدة في هذا القول، وعلى قول ابن السكيت، معنى الآية: أعن عليهم بخيلك ورجلك؛ أي أعن نفسك عليهم بخيلك، ومفعول الإجلاب على هذا القول محذوف؛ كأنه يستعين على إغوائهم بخيله ورجله، وهذا معنى قول مقاتل في هذه الآية[٤].

واختلفوا في تفسير الخيل والرجل، فروى أبو الضحى عن ابن عباس قال: كل راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده[٥]، ونحو هذا القول روى مجاهد عنه، والوالبي وعطاء[٦]، وروى ليث عن مجاهد قال: خيله: من استخف منهم معه على الخيل في المعاصي، ورجله: من استخف منهم معه على رجليه في المعاصي[٧].

وقال الفراء: يعني خيل المشركين ورجالهم[٨]، ويدخل في هذا كل

---

(١) تكررت العبارة ما بين القوسين في (أ)، (د)، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٥.

(٢) يقال: أخبث فهو مُخبث؛ إذا صار ذا خُبثٍ وشرّ. «تهذيب اللغة» (خبث) ١/ ٩٧٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٠، بنصه.

(٤) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٧أ، بنحوه.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١١٨، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٧٣، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، و«الثعلبي» ٧/ ١١٣ب، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٩.

(٦) لم أقف عليه.

(٧) أخرجه «الطبري» ٨/ ١٠٨، بنحوه.

(٨) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٧، بنصه.

راكب وماش في معصية الله، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٥] والجند يَعُمُّ الفارسَ والراجلَ، هذا قول جماعة أهل التفسير وعامتهم، ومن أهل التأويل من يقول: يجوز أن يكون هذا مَثَلًا؛ كما تقول للرجل المجدّ في الأمر: جئت بِخيلك ورجْلك[1]، والرَّجْلُ جمع رَاجِل، كما قالوا: تَاجرٌ وتَجْرٌ، وصاحِبٌ وصَحْبٌ، وراكِبٌ ورَكْبٌ[2]، ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

وروى حفص عن عاصم ﴿وَرَجِلِكَ﴾ مكسورة الجيم[3]، قال أبو زيد: يقال: رَجْلٌ ورَجِلٌ بمعنى واحد، ومثله: حَذْرٌ وحَذِرٌ، ونَدْسٌ ونَدِسٌ[4]، وأنشد[5]:

أما أُقَاتِلُ عن دِيني على فَرسٍ ... ولا كذا رَجُلًا إلا بأصْحَابِ[6]

---

(١) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١١، بنصه.

(٢) ورد في «تفسير الطبري» ١١٩/٥، بنحوه، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١٠، بنصه.

(٣) انظر: «السبعة» ص٣٨٢، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٧، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٤، و«الحجة للقراء» ١٠٩/٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٩، وقرأ أبو بكر عن عاصم والباقون ساكنة الجيم.

(٤) النَّدْس: الصوت الخفي، ورجل نَدْسٌ ونَدُسٌ ونَدِسٌ أي فَهِمٌ سريع السمع فَطِن، وقال يعقوب: هو العالم بالأمور والأخبار. وقال الليث: السريع الاستماع للصوت الخفي. «اللسان» (ندس) ٧/ ٤٣٨٣.

(٥) البيت لحيي بن وائل.

(٦) ورد في «النوادر» ص١٤٨، و«اللسان» (رجل) ٣/ ١٥٩٧، وورد بلا نسبة في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٠، و«شرح ديوان الحماسة» للمرزوقي ١/ ٤٦٤، و«تفسير ابن عطية» ١٣٧/٩، و«شرح المفصل» ٥/ ١٣٣، وفي النوادر، قال أبو حاتم: وقوله رجُلًا: معناه رَاجلا، كما تقول العرب: جاءنا فلان حافيًا، ورَجُلَا أي راجلًا.

كأنه قال: أمَا أقاتل فارسًا ورَاجِلًا[١]، وعلى هذه القراءة: ﴿وَرَجِلِكَ﴾ واحدٌ يعني به الكثرة، وقال ابن الأنباري: أخبرنا ثعلب عن سلمة عن الفراء قال: يقال هو رَاجِلٌ ورَجِلٌ ورَجْلٌ ورَجْلان بمعنى[٢]، وأنشد[٣]:

عَلَيَّ إذا أبْصَرتُ ليلى بِخَلْوَةٍ ... أن ازدار بيتَ اللهِ رَجْلانَ حافيًا[٤]

وقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ اختلفت الروايات في تفسير مشاركة الشيطان بني آدم في الأموال والأولاد عن ابن عباس؛ فقال في رواية الوالبي: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ﴾ وهو كل مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام، ﴿وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ ما قَتَلوا منهم وأتوا فيهم الحرام[٥]، ونحو هذا

---

(١) «النوادر» ص١٤٨. ذكر البيت والتعليق، وورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٠، بنحوه، والظاهر أنه نقله من الحجة.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٦، وفي «اللسان» (رجل) ٣/ ١٥٩٧ رَجلَ الرَّجُلُ رَجَلًا، فهو راجل ورَجُلٌ ورَجِلٌ ورَجِيلٌ ورَجْلٌ ورَجْلان.

(٣) البيت لمجنون بني عامر، وهو قيس بن الملّوح (ت٦٨هـ).

(٤) ورد في «ديوانه» ص ٣٠١، ٣٠٦. بروايتين:
الأولى:
حلفت لئن لاقيت ليلى بخلوة ... أطوف ببيت الله رَجْلاَنَ حافيا
والثانية:
عليّ لئن لاقيتُ ليلى بخلوة ... زيارةُ بيت الله رَجْلان حافيا
وورد بلا نسبة في «اللسان» (رجل) ٣/ ١٥٩٧، و«مغني اللبيب» ص٦٠١، و«شرح التصريح» ١/ ٣٨٥، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٨٥٩، و«شرح الأشموني» ٢/ ٣١٢، وفي بعض الروايات: لاقيت، وزُرتُ وجئتُ بدل أبصرت، و بخُفْيةٍ بدل بخلوة.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢١، من طريق ابن أبي طلحة صحيحة ولفظه: ما قتلوا من أولادهم وأتوا فيهم الحرام، ومن الطريق نفسها في رواية أخرى ١٥/ ١١٩. قال: =

روى عنه مجاهد؛ فقال: كل مال أُخذ بغير حقه، وكل ولد زنا[(١)]، وهو معنى ما روى عنه عطاء، ويدخل في هذا: الزنا والغصوب والمعاملات الفاسدة والربا وقتل الأولاد والوأد، وروى عنه عكرمة في مشاركته في المال: بتبتكهم آذان الأنعام[(٢)].

وقال في رواية العوفي: هو ما كانوا يحرمونه من الأنعام[(٣)]، وهو قول قتادة قال: أما في الأموال: فأمرهم أن يجعلوا بحيرة وسائبة، وأما في أولادهم: فإنهم هودوهم ونصّروهم ومجّسوهم[(٤)].

وقال في رواية أبي صالح: مشاركته إياهم في الأولاد: تسميتهم أولادهم [عبد][(٥)] الحارث وعبد شمس وعبد فلان[(٦)].

= كل مال في معصية الله، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٣ب وفيه ذكر الأموال فقط، وفي رواية أخرى ذكر الأولاد فقط، فلعل الواحدي -رحمه الله- جمع الروايتين في سياق واحد.

(١) ورد عن مجاهد في «تفسيره» ١/ ٣٦٦ قال: شركته في الأموال: الحرام، وفي الأولاد: الزنا، وأخرج الطبري ١٥/ ١٢٠ من عدة طرق عن مجاهد قال: أولاد الزنا.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٦، بنصه.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٠ بنصه (ضعيفة)، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٣ب- بمعناه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٥) بمعناه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٥٨.

(٤) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨١، بنحوه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢١ في روايتين، ذكر في إحداهما الأموال ١٥/ ١٢١، وفي الثانية الأولاد، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٣ب. دون ذكر الأولاد.

(٥) إضافة يقتضيها السياق.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢١ بنصه (ضعيفة)، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، بنصه، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٣ب، بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٦، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٤٩٩، بنحوه، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٨ وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

قال أبو إسحاق: أي أمرهم بأن يجعلوا من أموالهم شيئًا لغير الله، كما قال الله: ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، والشركة في الأولاد: قولهم: عبد العزى وعبد الحارث(١).

وقوله تعالى: ﴿وَعِدْهُمْ﴾ قال الفراء: أي قل لا جنة ولا نار(٢)، قال الزجاج: ﴿وَعِدْهُمْ﴾: بأنهم لا يبعثون(٣)، ثم قال الله: ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

٦٥- قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ قال عطاء عن ابن عباس والكلبي: يريد أوليائي ليس لك عليهم حجة في الشرك(٤).

وقال قتادة: عباده الذين لا سلطان له عليهم المؤمنون، وقال في آية أخرى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾(٥) [النحل: ١٠٠].

وقوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ قال أبو إسحاق: وكيلًا لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس(٦)، وهذا يدل على أن المعصوم من عصمة الله.

٦٦- قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ﴾ الإزجاء: سوق الشيء حالًا بعد حال، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يوسف:

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٠، بتصرف يسير.
(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٧، بنصه.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٠، بنصه.
(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٠، بنصه عن ابن عباس.
(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٢، بنصه.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥١، بنصه.

٨٨]، قال السدي: يُسَيِّر[١]، ونحوه قال الزجاج[٢]، ﴿لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾: في طلب التجارة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ قال ابن عباس: يريد بأوليائه وأهل طاعته[٣]، والخطاب في قوله: ﴿رَّبُّكُمُ﴾ عام، وفي آخر الآية خاص.

٦٧- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ﴾ قال ابن عباس: يريد يا معشر المشركين، يعني أن الخطاب للمشركين، وفَسَّرَ الضر ها هنا بخوف الغرق.

وقوله تعالى: ﴿ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ﴾، أي: زال وبطل من تدعون من الآلهة، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾: إلا الله تعالى، و﴿إِيَّاهُ﴾: استثناء بعد الإيجاب، فيكون موضعه نصبًا كما تقول: بطلت الآلهة إلا الله، قال ابن عباس: نسيتم اتخاذ الأنداد والشركاء وتركتموهم وأخلصتم لله[٤]، ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ﴾: من الغرق والبحر وأخرجكم ﴿إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ﴾: عن الإيمان والإخلاص، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة[٥].

وقال أبو إسحاق: الإنسان ها هنا يعني به الكفار خاصة[٦]، وفي هذا احتجاج على الكفار حيثُ لمَّا وقعوا في الشدة التي لا يُطْمَع في قدرة أحد على كشفها أخلصوا الدعاء لله بكشف ذلك البلاء، فلما نَجَّاهم بطروا

(١) لم أقف عليه.
(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥١، بلفظه.
(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٠، بنصه.
(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٢١، بنصه.
(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٣، بلفظه.
(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥١، بنصه.

النعمة وكفروا به.

٦٨- ثم بَيَّن أنه قادر أن يهلكهم في البر بمثل ما يهلك في البحر، فقال: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ﴾ قال الليث: الخسف سُؤُوخُ الأرض بما عليها[١]، يقال: خسف الله به الأرض، أي غاب به فيها، ومعنى الخسف والخسوف: الدخول في الشيء، يقال: عين خاسفة؛ وهي التي غابت حدقتها في الرأس، وعين من الماء خاسفة، أي: غائرة الماء، والشمسُ تُخْسَفُ خُسُوفًا، وهو دخولها في السماء كأنها تكون في جُحْرٍ[٢]، فمعنى قوله: ﴿يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ﴾: يُغَيِّبُكم ويُذْهِبُكم في جانب البر، وهو الأرض، وإنما قال: ﴿جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ لأنه ذكر البحر في الآية الأولى، فهو جانب، والبر جانب، أخبر الله تعالى أنه[٣] كما قدر أن يغيبهم في الماء قادر أن يغيبهم في الأرض، قال ابن عباس في قوله: ﴿أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ﴾ يريد: حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ معنى الحَصْبِ في اللغة الرمي، يقال: حَصَبَ أحْصُبُ حَصْبًا إذا رميت، والحَصْبُ: الرمي[٤]، ومنه قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] أي تلقون فيها، ومعنى قوله: ﴿حَاصِبًا﴾ عذابًا يحصبهم، أي: يرميهم بحجارة، ويقال للريح التي

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (خسف) ١/ ١٠٢٩ بنصه.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (خسف) ١/ ١٠٣٠، بنحوه، انظر: (خسف) في «المحيط في اللغة» ٤/ ٢٦٧، و«اللسان» ٢/ ١١٥٧.

(٣) في (أ)، (د): (أنه قال)، والظاهر أن (قال) زائدة، وقد أدت إلى اضطراب المعنى، والمثبت من (ش)، (ع).

(٤) انظر: (حصب) في «تهذيب اللغة» ١/ ٨٣٤، و«الصحاح» ١/ ١١٢، و«اللسان» ٢/ ٨٩٤.

تحمل التراب والحصباء: حاصب، وللسحاب يرمي بالثلج والبرد: حاصب؛ لأنه يرمي بهما رميًا، ومنه قول الفرزدق:

مُسْتَقْبِلِينَ شَمالَ الشَّأْمِ تَضْرِبُنا بِحاصِبٍ كَنَدِيفِ القُطْنِ مَنْثُورِ[(١)]

أي سحاب حاصب ثلجًا كنديف القطن، فحذف الموصوف والمشبه وأقام المشبه به، وهو قوله: كنديف القطن، وقال أبو إسحاق: الحاصب: التراب الذي فيه حصباء[(٢)]، والحاصب على هذا ذو الحصباء، مثل: اللابن والتامر، وعلى هذا فُسِّرَ بيتُ الأخطل:

تَرْمي الخصال[(٣)] بِحَاصِبٍ مِنْ ثَلْجها
حتى يَبِيتَ على العِضَاهِ جِفالا[(٤)]

أي ترميها بذي حصباء من ثلجها، يعني: سحابًا فيه ثلج، فهو يرمي بها.

---

(١) «ديوانه» ١/ ٢١٣، وورد في «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٥، و«الكامل» ٣/ ٥٧، و«الموشح» ص١٢٧ وفيه: تضربهم، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، و«السمعاني» ٣/ ٢٦٢، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦١، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٢، وورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٢٤، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٢، و«ابن عطية» ٩/ ١٤٢.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥١، بنصه.

(٣) في الديوان وجميع المصادر: (العِضَاهُ)، والمعنى واحد.

(٤) «ديوانه» ١/ ١٠٨، وورد في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٢٤، و«ابن عطية» ٩/ ١٤٢، و«شرح ديوان الأخطل» ص٣٨٧ (ترمي): الضمير يعود على ريح الشمال، (الخصال): جمع خَصْلة وخُصْلة ؛ وهو العُنقود، والخَصْلة والخُصْلة والخَصَلة كل ذلك: عُودٌ فيه شوك، (العضاه): من شَجر الشوك؛ وهو ما كان له أُرومَةٌ تبقى على الشتاء، قيل: واحده عِضة وعِضَهَة وعِضاهَة، (جفالًا)؛ الجفال: ما تراكم من الثلج بعضه فوق بعض. انظر: «المحيط في اللغة» (عضه) ١/ ١٠٩، و«اللسان» (خصل).

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ قال قتادة: يقول: مانعًا ولا ناصرًا[١]، والمعنى: لا تجدوا أحدًا وكلتم إليه أموركم أو تكلون إليه أموركم فهو يمنعكم وينصركم.

٦٩- قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾، أي: في البحر، ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾، أي: مرة أخرى، قال الليث: ﴿تَارَةً﴾ ألفها واو وجمعها تِيَرٌ، وتجمع تارات أيضًا[٢]، قال الفراء: والفعل منها: أترت، أي: أعدت تارة وتارتين وتِيَرًا، مثل: قَامَة وقِيَم[٣]، وقال لبيد يصف عِيرًا:

يُديم سَحِيلَهُ وَيُتِيرُ فيه وَيُتْبِعُها خِنَافًا في زِمَالِ[٤]

أي يديم نهيقه ويعيده مرة أخرى.

وقوله تعالى: ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ﴾، القاصف: الكاسر، يقال: قَصفَ الشيءَ يقصفه قصفًا، إذا كسر[٥] كسرًا بشدّة، والقاصف من الريح التي[٦] تكسر الشجر وتدق كل شيء وتحطمه[٧]، وأراد ها هنا ريحًا

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٣ بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٤٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (تار) ١/ ٤١٨، بنصه.

(٣) لم أقف عليه، انظر: «الشامل لجموع التصحيح والتكسير» ٣/ ٣١٩.

(٤) «شرح ديوان لبيد» ص٨٤، وورد في «تهذيب اللغة» ١/ ٤١٩، و«اللسان» (تور) ١/ ٤٥٥، وفي الجميع (يُجِد) بدل (يديم)، (يُجِدُّ): من أجدَّ يجد من الجد في الأمر، (سحيلًا)؛ السحيل: الصوت يقطّعه في جوفه، (خنافًا): يقال خنفت الدابة: مالت بيديها في أحد شقيها من النشاط، والخانف: الذي يشمخ بأنفه من الكبر، (زمال)؛ الزمال: العدو في جانب. انظر: «اللسان» (خنف) ٢/ ١٢٧٩.

(٥) هكذا في جميع النسخ، والأولى كسره.

(٦) ساقطة من (أ)، (د).

(٧) انظر (قصف) في «تهذيب اللغة» ٣/ ٢٩٧٨، و«المحيط في اللغة» ٥/ ٢٧١، و«الصحاح» ٤/ ١٤١٦، و«اللسان» ٦/ ٣٦٥٤.

شديدة تقصف الفلك وتغرقهم.

وقوله تعالى: ﴿فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾، أي: بكفركم، حيث سَلِمتم ونجوتم في المرة الأولى، ويُقرأ قوله: ﴿أَن يَخْسِفَ﴾ وأخواته من الأفعال[(١)] بالياء والنون، فمن قرأ بالياء[(٢)] لأن ما قبله على الواحد الغائب، وهو قوله: ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ﴾، ومن قرأ بالنون[(٣)] فلأن هذا النحو قد ينقطع بعضه من بعض، وهو سهل؛ لأن المعنى واحد، ألا ترى أنه قد جاء: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٢]، فانتقل من الجمع إلى الإفراد، كذلك ها هنا يجوز أن ينتقل من الغيبة إلى الخطاب، والمعنى واحدٌ، وكلٌّ حَسَنٌ[(٤)]، ويؤكد النون:

٧٠- قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ قال ابن عباس: يريد فضلنا[(٥)]، وهو كقوله: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] روى ميمون بن مهران عنه في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ قال ابن عباس: كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم يأكل بيديه[(٦)].

---

(١) هي: (أو نرسل)، (أن نعيدكم)، (فنرسل عليكم)، (فنغركم)

(٢) هم: نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي. انظر: «السبعة» ص٣٨٣، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٧، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١١، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٩.

(٣) هم: ابن كثير أبو عمرو، انظر المصادر السابقة.

(٤) «الحجة للقراء» ٥/ ١١١ بتصرف يسير، وهناك توجيه آخر لابن خالويه: فالحجة لمن قرأه بالنون: أنه جعله من إخبار الله عن نفسه، والحجة لمن قرأه بالياء: أنه جعله من إخبار النبي ﷺ عن ربه. «الحجة في القراءات» ص٢١٩.

(٥) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٢.

(٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» ٥/ ٧٧- مختصرا، وهو في «تفسير الثعلبي» =

وروى عنه أيضًا أنه قال: بالعقل[١].

وقال الضحاك: بالنطق والتميز[٢].

وقال عطاء: بامتداد القامة وتعديلها[٣].

وقال يمان: بحسن الصورة[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: يريد في البحر على السفن، وفي البر على الإبل والخيل والبغال والحمير[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ قال: يريد الثمار والحبوب والمواشي.

وقال مقاتل: السمن والزُّبْدُ والحلاوى، وجعل رزق غيرهم ما لا يخفى عليكم[٦].

= ٧/ ١١٤أ، بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وورد بنحوه منسوبًا للكلبي في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٥٧.

(١) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ- بلفظه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٦٣، و«الخازن» ٣/ ١٧٢.

(٢) ورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٧، لكنه قال: بالعقل والتمييز، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، بنصه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٦٣، و«الفخر الرازي» ٢١/ ١٣، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٤.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ. لكنه قال: بتعديل القامة وامتدادها، انظر المراجع السابقة.

(٤) ورد في «الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، بنصه، وانظر: «زاد المسير»، و«القرطبي».

(٥) ورد بنصه بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، وتفسيره «الوسيط» ٢/ ٥٢٣.

(٦) ليس في تفسيره، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٨، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٥.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾، روى مكحول عن ابن عباس في هذا، قال: البهائم تأكل بأفواهها، وابن آدم يأكل بيده[(١)]، ونحو هذا قال عكرمة[(٢)].

وقال محمد بن جرير: فضلناهم بتسليطهم على البهائم والوحوش، وكثيرٌ من خلق الله سخرناها لهم[(٣)]. وقال السدي: فُضِّلوا على البهائم والدواب والوحوش، وهم الكثير[(٤)].

وقال الكلبي: فضلوا على الخلائق كلهم إلا[(٥)] عن طائفة من الملائكة؛ جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وأشباههم[(٦)].

وقال أبو إسحاق: قال: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ﴾، ولم يقل: على كل من خلقنا؛ لأن الله فضل[(٧)] الملائكة[(٨)]، ولكن ابن آدم مفضل على سائر الحيوانات التي لا تعقل ولا تميز.

---

(١) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٦، بنحوه.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» ٥/ ٧٧ مختصرًا، عن عكرمة عن ابن عباس.

(٣) «تفسير الطبري» ١٥/ ١٢٥، بنحوه.

(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٢٣، بنصه.

(٥) ساقطة من (د)، وفي (ش)، (ع): (غير).

(٦) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، بنصه، انظر: «تفسير السمعاني» ٣/ ٢٦٣، و«البغوي» ٥/ ١٠٨، و«الخازن» ٣/ ١٧٢، وورد عن ابن عباس في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٧، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦٢.

(٧) في جميع النسخ: (لأن الله فضل الملائكة)، بزيادة لفظ الجلالة بعد فضّل.

(٨) لم ينقل الدليل على هذه الدعوى مع أنه أشار إليها في المصدر، وهو قوله: ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، ودلالته ليست صريحة، ولعل هذا السبب في عدم نقله إيّاه. ولذلك قال ابن عطية في تفسيره ٩/ ١٤٦: وهذا غير لازم من الآية، بل التفضيل بين الإنس والجن لم تعن له الآية، بل يحتمل أن الملائكة أفضل، ويحتمل التساوي.

ونحو هذا روى عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا﴾، قال: يريد غير[1] الملائكة في هذا الموضع، لم يُفَضَّل ولدُ آدم عليهم.

وذهب قوم إلى تفضيل ولد آدم على الملائكة، واحتجوا بما روي عن زيد بن أسلم في هذه الآية، قال: قالت الملائكة: ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا؛ يأكلون فيها ويتمتعون، ولم تعطنا ذلك، فأعطناه في[2] الآخرة فقال: **«وعزتي وجلالي، لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له: كن فكان»**[3].

---

(١) في (أ)، (د): (عزل)، والمثبت هو الصحيح المتسق مع السياق.

(٢) ساقطة من (د).

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٢، بنصه، و«الطبري» ١٥/ ١٢٦ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، بنصه، وانظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٨، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. قال ابن كثير ٣/ ٥٨: وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه، وقد روي من وجه آخر متصلًا وذكره، وكذلك أورده في «التاريخ» ١/ ٥٥، عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا، وقال: هو أصح، والحديث المرفوع رواه الطبراني بسنده عن عبد الله بن عمرو وهو بنحوه، وللحديث طريقان يلتقيان عند صفوان بن سليم فمن بعده، قال الطبراني [كما في مجمع البحرين(١/ ١١٩)]: لم يروه عن صفوان إلا طلحة وأبو غسان محمد بن مطرف. والحديث ضعيف بالروايتين؛ قال الهيتمي في «المجمع» ١/ ٨٢: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إبراهيم بن عبد الله المصيصي، وهو كذاب متروك، وفي سند الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب أيضًا، وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» بذيل الكشاف ٤/ ١٠٠: وقد لفقوا أخبارًا منها: أن الملائكة قالت..الحديث. وذكر رواياته وعزاها إلى أصحابها. وللحديث شاهد عن ابن عمر، وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» ١/ ٣٦، بنحوه وقال: هذا حديث لا يصح. والخلاصة أن الحديث بجميع رواياته وشواهده ضعيف لكونه مرسلًا -كما هنا- والموصول ضعيف لضعف رواته، وحسبك إيراد ابن الجوزي له في العلل، وقول ابن حجر فيه.

قال أبو هريرة: المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده[١]، وهذا الخلاف في التفضيل إنما يجري بين الناس في تفضيل صالحي المؤمنين على الملائكة - ما عدا الرسل والأنبياء من بني آدم (وجبريل وميكائيل وإسرافيل[٢] وعزرائيل[٣] من الملائكة، فإن هؤلاء في الملائكة كالرسل من بني آدم)[٤]- وأصحابنا أيضًا مختلفون في هذه المسألة؛ فمنهم من قال بتفضيل المؤمنين على الملائكة، ومنهم من يأبى ذلك، كما ذكرنا عن ابن عباس والسدي، وهو اختيار أبي إسحاق.

قال العلماء من أصحابنا: هذه من المسائل التي لا يستحب الخوض فيها والإبلاغ، وكذلك الكلام في تفضيل الأنبياء على مشاهير الملائكة[٥]،

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» ١/ ١٧٤ بنصه تقريبًا، وورد في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٧، بنصه، و«الثعلبي» ٧/ ١١٤أ، بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٩، و«ابن عطية» ٥/ ٦٤. مرفوعًا، و«الخازن» ٣/ ١٧٣، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٠، وورد في «الكنز» ١/ ١٤٥، ومثل هذا القول مما لا يقال بالعقل فله حكم الرفع، وقد أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٤): الفتن، كتاب: باب: المسلمون في ذمة الله من طريق أبي المُهَزِّم عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه. وهو ضعيف لضعف أبي المهزم، قال عنه في «التقريب» ص٦٧٦ رقم (٨٣٩٧): متروك، وقد ضعف الحديث الألباني وذكره في «ضعيف ابن ماجه» ص٣١٨ (٨٥٧).

(٢) في (أ): (اسرآيل)، والمثبت من (د)

(٣) قال ابن كثير: وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، والله أعلم. «البداية والنهاية» ١/ ٤٧.

(٤) ما بين القوسين ساقط من (ش)، (ع).

(٥) مسألة المفاضلة بين الملائكة والبشر مما تنازع فيها العلماء قديمًا، قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١/ ٥٤: وقد اختلف الناس في تفضيل الملائكة على البشر على=

= أقوال، فأكثر ما توجد هذه المسألة في كتب المتكلمين، والخلاف فيها مع المعتزلة ومن وافقهم، وأقدم كلام رأيته في هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة أمية بن العاص. ثم ساق حادثة جرت بين يدي عمر بن عبدالعزيز في المسألة. وقد فَصَّل شارح العقيدة الطحاوية القول في المسألة وصَنَّفَ الذين تكلموا في المسألة، فقال: وقد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيلُ الملائكة، وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضلُ الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولًا، وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية، وقالت الشيعة: إن جميع الأئمة أفضل من جميع الملائكة، ومن الناس من فصَّل تفصيلًا آخر، ولم يقل أحد ممن له قول يؤثر: إن الملائكة أفضل من بعض الأنبياء دون بعض. ثم بَيّنَ أن الإمام الطحاوي لم يتعرض إلى هذه المسألة بنفي أو إثبات، وعزا ذلك إلى متابعة أبي حنيفة -رحمه الله- حيث توقف في الجواب عن هذه المسألة، وقد مال هو كذلك إلى التوقف وقال: فالسكوت عن الكلام في هذه المسألة نفيًا وإثباتًا.. أولى. «شرح العقيدة الطحاوية» ص**٢٧٥**، وإذا كان بعض السلف قد أمسك عن الحديث في هذه المسألة فإن آخرين قد تكلموا فيها، وقد أشار ابن تيمية إلى ذلك فقال: قد كان السلف يحدثون الأحاديث المتضمنة فضل صالحي البشر على الملائكة، وتروى على رؤوس الناس، ولو كان هذا منكرًا لأنكروه، فدل على اعتقادهم ذلك «مجموع الفتاوى» **٤/ ٣٧١**، ومن هؤلاء الذين تحدثوا في هذه المسألة: إمام أهل السنة أحمد بن حنبل فقد كان يقول: بنو آدم أفضل من الملائكة ويقول أيضًا: يخطئ من فضل الملائكة، ومنهم الإمام أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي، فقد قال: الصحيح تفضيل الأنبياء والصالحين على الملائكة، والملائكة أفضل من الفسقة، وقال أيضًا: الأنبياء أفضل من الملائكة، وجبريل وإسرافيل وميكائيل أفضل من الأولياء. انظر: «لوامع الأنوار» **٢/ ٣٩٨-٣٩٩**. وقد ذهب ابن تيمية إلى تفضيل صالحي البشر على الملائكة، وذكر ثلاثة عشر دليلًا على ذلك، ثم قال: فهذا -هداك الله- وجه التفضيل بالأسباب المعلومة، ذكرنا أنموذجًا نهجنا به السبيل، وفتحنا به الأبواب إلى درك =

كما لا يستحب الكلام في المخايرة بين الأنبياء؛ لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «**لا تخايروا بين الأنبياء و**[١] **لا تفضلوني على يونس بن متى**»،

= فضائل الصالحين، من تدبّر ذلك وأوتي منه حظًا رأى وراء ذلك ما لا يحصيه إلا الله، وإنما عدل عن ذلك قوم لم يكن لهم من القول والعلم إلا ظاهره، ولا من الحقائق إلا رسومها؛ فوقعوا في بدع وشبهات، وتاهوا في مواقف ومجازات، ثم رد على حججهم قائلًا: وها نحن نذكر ما احتجوا به. «مجموع الفتاوى» ٤/ ٣٥٠-٣٩٢.

وقال ابن القيم: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن صالحي بني آدم أيهما أفضل؟ فأجاب بأن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية؛ فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة. قال ابن القيم: وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه. انظر: «لوامع الأنوار البهية» ٢/ ٣٩٨- ٤٠٩. نقلًا عن بدائع الفوائد. ويضاف إلى هذا أن الملائكة خلقوا للعبادة لذلك لا يعصون الله ما أمرهم، في حين أن البشر خلقوا للعبادة أيضًا مع ابتلائهم بالشر والخير فتنة، فهم معرضون للشهوات والأهواء فلا يصل أحدهم إلى الطاعة إلا بجهد جهيد وصبر طويل، بخلاف الملائكة الذين جبلوا على الطاعة، فهل يستوي من طبع على الطاعة بمن يتكلف الطاعة وتتجاذبه الأهواء والشهوات الصارفة له عن الطاعة ؟! أملاه عليّ شيخي.

(١) لم يتبين لي إن كانت هذه الواو عاطفة لمقطعين أو لحديثين، وهو الأرجح لعدم ورود حديث واحد يجمع بين النهي عن التخيير بين الأنبياء والنهي عن تفضيل رسولنا ﷺ على يونس عليه السلام -فيما وقفت عليه في كتب التخريج- ولم أجد هذا التركيب إلا ما ذكره ابن كثير -على سبيل الحكاية- في «البداية والنهاية» ١/ ٢٣٧، قال: كما قد ورد في بعض الأحاديث: «**لا تفضلوني على الأنبياء ولا على يونس بن متى.**» أما على اعتبار أنهما مقطعين لحديثين فقد وردت عدة =

وحديث اليهودي الذي قال: لا والذي اصطفى موسى على البشر فَلُطم، ثم أتى النبيّ ﷺ، مشهور في الصحيح[1]، فالأحسن التأدب بأدب رسول الله

= روايات للمقطعين كل على حدة؛ فمن روايات المقطع الأول: قول رسول الله ﷺ: «**لا تخيروا بين الأنبياء**» أخرجه مسلم (**٢٣٧٣/ ١٦٠**) كتاب: الفضائل، باب: فضائل موسى ٤/ ١٨٤٥، عن أبي سعيد الخدري، وأبو داود (**٤٦٦٩**) كتاب: السنة، باب: في التخيير بين الأنبياء ٥/ ٥١، و«مشكل الآثار» ١/ ٤٥٢، و«شرح السنة»: كتاب: الفضائل، باب: فضائل سيد الأولين والآخرين ١٣/ ٢٠٤، وورد برواية: (**لا تفضلوا بين أنبياء الله**) في: «مشكل الآثار» ١/ ٤٥٢، و«دلائل النبوة» للبيهقي ٥/ ٤٩٢، و«شرح السنة» ١٣/ ٢٠٤. أما المقطع الثاني: قوله ﷺ: (**لا تفضلوني على يونس بن متى**) فقد ورد في «الشفا» ١/ ٢٦٥، و«إتحاف السادة المتقين» للزبيدى ٢/ ١٠٥، و«مناهل الصفا» ص٢٢. قال السيوطي: لم أقف عليه بهذا اللفظ، والذي في صحيح البخاري: (لا يقولن أحدكم أني خير من يونس بن متى). وفي الصحيحين من حديث ابن عباس وأبي هريرة: (ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متى). ولأبي داود من حديث عبد الله بن جعفر: (**لا ينبغي أن يقول أنا أفضل من يونس بن متى**). انظر الروايات الأخرى بنحوها في: «صحيح البخاري» (**٣٤١٣**) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، ومسلم (**٢٣٧٦**)، (**٢٣٧٧**) كتاب: **الفضائل**، **باب**: في ذكر يونس ﵇، و«دلائل النبوة» للبيهقي **٥/ ٤٩٤**.

(١) ونصه؛ قال رسول الله ﷺ: «**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يَصْعَقُون يوم القيامة، فأكون أول من يُفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صَعِق فأفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله**»، ولهذا الحديث عدة روايات، أخرجه أحمد **٣/ ٤١**، والبخاري في عدة أماكن، منها (**٣٤٠٨**) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: وفاة موسى، الرقاق، باب: نفخ الصور (**٧٤٧٢**) كتاب: التوحيد باب: في المشيئة والإرادة، ومسلم (**٢٣٧٣/ ١٦٠**) كتاب: الفضائل. فضائل موسى، وأبو داود: السنة باب: في التخيير بين الأنبياء، و«دلائل النبوة» للبيهقي **٥/ ٤٩٣**، وورد في «الشفا» ١/ ٤٣٩، و«الكنز» ١١/ ٥٠٧.

ﷺ، ومِثلُ هذه الطريقة حَسَنٌ في الصحابة؛ بترك الخوض في تفضيل بعضهم على بعض[١]، وإن كنت تعلم بالدليل والاعتقاد ما تعلم[٢]، فالأحسن ترك الخوض والإبلاغ، والجري على مثل عادة بعضهم مع بعض.

٧١- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ قال أبو إسحاق: يعني به يوم القيامة، وهو منصوب على معنى: اذكر يوم ندعو، قال: ويجوز أن يكون منصوبًا بمعنى يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو[٣].

قال أبو علي الفارسي: الظرف ها هنا بمنزلة إذا؛ لأنه لا يجوز أن

---

(١) دلَّت نصوص القرآن على وجود التفاضل بين الناس، كما في قوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١]، كما وردت نصوص في الكتاب والسنة تدل على وقوع التفاضل بين الصحابة ﷺ، لذلك ذهب أهل السنة والجماعة إلى القول بالتفاضل بين الصحابة ﷺ عمومًا والخلفاء الأربعة خصوصًا، بعد إثبات فضيلة الصحبة لكل صحابي. يقول شيخ الإسلام -في بيان أصول أهل السنة والجماعة في الصحابة-: ويقبلون ما جاء في الكتاب والسنة والإجماع؛ من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة-كما أخبر النبي ﷺ ؛ بل قد ﷺ ورضوا عنه.. ، ويقرون بما تواتر به النقل عن علي ﷺ وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي ﷺ كما عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة ﷺ على تقديم عثمان في البيعة. انظر: «مجموع الفتاوى» ٣/ ١٥٢، ٤/ ٤٢١.

(٢) الظاهر من كلام الواحدي -رحمه الله- إثبات التفاضل على النحو السابق، لكنه يرى عدم الخوض في هذه المسألة على سبيل التعصب لأحدهم مما قد يؤدي معه إلى انتقاص الآخرين.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٢، بنصه تقريبًا.

يكون العامل فيه ما قبله من قوله: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ﴾؛ لأنه فعل ماض، وليس العامل أيضًا يدعو؛ لأنه فعل مستقبل، فإذا لم يكن في هذا الكلام فعل ظاهر يتعلق به الظرف تعلق بما دلّ عليه قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[(١)]؛ كما أن قوله: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢] على تقدير: أإذا متنا بعثنا، كذلك ها هنا يُجعل الظرفُ بمنزلة إذا، فيصير التقدير: إذا دُعي كل أناس لم يُظْلموا، ومثل هذا سُوّي قوله: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ﴾ الآية [فصلت: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿بِإِمَٰمِهِمْ﴾ الإمام في اللغة معناه: كل من ائتَمَّ به قوم كانوا على هدى أو ضلالة، والنبيّ إمام أُمّته، والخليفة إمام رعيته، والقرآن إمام المسلمين، وإمام الغلام في المكتب: ما يتعلمه كل يوم[(٢)]، واختلفوا في معنى الإمام ها هنا؛ فروى معمر عن قتادة، وشبل عن أبي نجيح عن مجاهد: بنبيهم[(٣)]، ورُوي ذلك مرفوعًا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ[(٤)].

ويكون المعنى على هذا: أن ينادي يوم القيامة فيقول: هاتوا متبعي

---

(١) لم أقف عليه، وذُكر هذا القول في: «الإملاء» ٢/ ٩٤، و«البيان في غريب إعراب القرآن» ٢/ ٩٤.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (أم) ١/ ٢٠٥، بنصه، انظر: «العين» (أمم) ٨/ ٤٢٨، و«مقاييس اللغة» ١/ ٢٨، و«اللسان» (أمم) ١/ ١٣٣.

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٢ بلفظه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ١٢٦ بلفظه عنهما من طرق، وورد بلفظه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، عنهما، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧٧، عن مجاهد، و«الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٨، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٤، عنهما، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٥١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن مجاهد.

(٤) لم أقف عليه مسندًا، وورد عنه بلفظه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، و«الفخر الرازي» ٢١/ ١٧.

إبراهيم، هاتوا متبعي موسى، هاتوا متبعي محمد ﷺ، فيقومُ أهلُ الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ثم يقال: هاتوا متبعي الشيطان، هاتوا متبعي الطغاة في عبادة الأوثان، هاتوا متبعي رؤساء الضلالة في اعتقاد الجهالة، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال: إمام هدى أو إمام ضلالة[(١)]، ونحو هذا روى علي بن أبي طلحة فقال: بأئمتهم في الخير والشر[(٢)].

وقال في رواية أبي صالح: برئيسهم[(٣)]، ويدخل في هذا كل من كانوا يأتمون به في الدنيا، وعلى هذا التفسير قال أبو علي: الباء في بإمامهم تكون على ضربين؛ أحدهما: أن تكون متعلقة بالفعل الذي هو ندعو في موضع المفعول الثاني؛ كأنه قيل: ندعو كل أناس بكونهم تبعة وشيعة لإمامهم؛ كما تقول: أدعوك باسمك، فيكون كقولك: أدعوك زيدًا، ويجوز أن تتعلق بمحذوف، ذلك المحذوف في موضع الحال؛ كأنه ندعو كل أناس مُخَلَّطين بإمامهم، أي يُدعون وإمامهم فيهم[(٤)]؛ نحو: ركب شأنه[(٥)]، وجاء في جنوده[(٦)]، فيكون الدعاء على هذا الوجه متعديًا إلى

---

(١) ورد في «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٥٢ بنصه، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، بنحوه، انظر: «تفسير السمعاني» ٣/ ٢٦٣، بنصه، و«البغوي» ٥/ ١٠٩، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٥١ وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، بنصه.

(٣) ورد في «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦٠ بلفظه (ضعيفة)، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٦٤.

(٤) في جميع النسخ: (فيه) والصحيح المثبت؛ لأن الضمير يعود على جمع.

(٥) أي قصده. «القاموس» (شأن) ص ١٢٠٨.

(٦) لم أقف عليه، وذُكر نحوه في «مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٣٢، و«البيان في غريب =

مفعول واحد خلاف الوجه الأول.

وقال الضحاك وابن زيد: يعني بكتابهم الذي أنزل عليهم[١].

وهو رواية وَرْقَاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد[٢]، ونحوه قال أبو صالح[٣].

ويكون المعنى على هذا: أن ينادى يا أهل القرآن، يا أهل التوراة، يا أهل الإنجيل، وتقدير الباء على ما ذكرنا.

وقال الحسن: بكتابهم الذي فيه أعمالهم[٤]، وهو قول الربيع وأبي العالية[٥]، وابن عباس في رواية عطية قال: إمَامُه ما عمل وأملى فكُتب

= إعراب القرآن» ٢/ ٩٤، و«تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ١٧، و«الإملاء» ٢/ ٩٤، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٩١، و«الدر المصون» ٧/ ٣٩٠.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٧ بلفظه عنهما، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٧، بلفظه عن الضحاك، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب بنصه عنهما، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٨ بنصه عن ابن زيد، انظر «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٩.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٧ بلفظه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٧ بلفظه، وورد بلفظه في: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٥٢، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٥٩.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٩، بنصه.

(٤) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٢، بنصه، و«الطبري» ١٥/ ١٢٧، بنصه، وورد في «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦٠، بنصه، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٧- بلفظه، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٣٢، بنصه، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، بنحوه، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧٧، بنصه.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٧ بلفظ بأعمالهم عنهما، وورد بهذا اللفظ في «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٤٣٤، عن أبي العالية، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٧، عن أبي العالية، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٠٩، عن أبي العالية.

عليه[١]، وعلى هذا سُمِّي الكتاب إمامًا (لأنه يؤتم بما أحصاه، قاله ابن قتيبة[٢]، وهذا كقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] فسمى الكتاب إمامًا)[٣]، وأمَّا تقدير الباء على هذا القول، فهو بمعنى مع، أي يدعى كل أناس ومعهم كتابهم؛ كقولك: ادفعه إليه برُمَّته[٤]، أي ومعه رُمَّته، قاله أبو علي[٥]، وهذا القول اختيار أبي إسحاق، قال: ويدل عليه سياق الآية[٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، الفتيل: القشرة التي في شق النواة، وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء وعكرمة[٧]، وهو قول أكثر المفسرين[٨].

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٦ بنصه (ضعيفة)، وورد في «الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، بنصه.

(٢) «تأويل مشكل القرآن» ص٤٥٩، بنحوه.

(٣) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٤) الرُّمّة: هي القطعة من الحبل، وأصله البعير يُشد في عنقه حبل، فيقال أعطاه البعير برُمَّته، قال الجوهري: أصله أن رجلًا دفع إلى رجل بعيرًا بحبل في عنقه، فقيل ذلك لكل من دفع شيئًا بجملته.

انظر: «المحيط في اللغة» (رم) ١٠/ ٢١٦، و«الصحاح» (رمم) ٥/ ١٩٣٦، و«اللسان» (رمم) ٣/ ١٧٣٦.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) ليس في معانيه.

(٧) ورد في «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٥٢، بنحوه من طريق عكرمة (جيدة).

(٨) أخرجه بنحوه عن قتادة: «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٢، و«الطبري» ١٥/ ١٢٧، وورد بنحوه في «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦٠، و«نزهة القلوب» ص٣٥١، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٧، و«المفردات» ص٦٢٣، و«تفسير المشكل» ص٢٣٠، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، بنصه.

وأهل اللغة قالوا: وهذا يضرب مثلًا للشيء الحقير التافه[١]، ومثله: القطمير والنقير في ضرب المثل به، والمعنى: لا يُنْقَصون من الثواب بمقدار فتيل. قال عطاء عن ابن عباس: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، يريد: لا يُنقصون فتيلًا من الثواب، وروى مجاهد عن ابن عباس قال: الفتيل: ما خرج بين إصبعك فتفتله؛ كالشيء الحقير[٢]، وهو فعيل، من الفتل.

٧٢- قوله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ﴾ الآية. قال عكرمة: جاء نفر من أهل اليمن إلى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الآية، فقال: اقرأ ما قبلها: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى﴾ إلى قوله: ﴿تَفْضِيلًا﴾ فقال ابن عباس: من كان أعمى في هذه النِّعَم -التي قد رأى وعاين- فهو في أمر الآخرة -التي لم ير ولم يعاين- أعمى وأضل سبيلًا[٣].

وروى أبو رَوْق عن الضحاك عن ابن عباس قال: من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي في خلق السماء والأرض والبحار والجبال والناس والدواب، فهو عما وصفت لك في الآخرة ولم تره أعمى وأضل سبيلا[٤]،

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (فتل) ٣/ ٢٧٣٨ بنصه، انظر: (فتل) في «مقاييس اللغة» ٤/ ٤٧٢، و«الصحاح» ٥/ ١٧٨٨، (اللسان» ٦/ ٣٣٤٤.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (فتل) ٣/ ٢٧٣٨، بنحوه، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ١٨/٢١، و«تنوير المقباس» ص٣٠٣.

(٣) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٧٧، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١١٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦٦، و«الفخر الرازي» ١٨/٢١، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٥٧ وعزاه إلى الفريابي وابن أبي حاتم، من طريق عكرمة جيدة.

(٤) أخرجه أبو الشيخ في العظمة ص٣٦،٥٦ بنصه من طريق الضحاك، (منقطعة)، ورد بمعناه في: «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٤، انظر: «تفسير =

يقول: وأبعد حجة، قال قتادة: من عاين الشمس والقمر فلم يؤمن فهو أعمى عما يغيب عنه أن يؤمن به(١)؛ هذا قول المفسرين في هذه الآية.

وقوله تعالى: ﴿فِي هَٰذِهِ﴾ الإشارة إلى النِّعَم التي ذكرها على رواية عكرمة، وبه قال السدي(٢)، وعلى قول الآخرين: الإشارة إلى الدنيا(٣)، وبه قال مجاهد(٤).

وقوله تعالى: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأَخِرَةِ﴾، أي: في أمرها على تقدير المضاف، وقال الحسن: من كان في الدنيا ضالًّا كافرًا فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلًا؛ لأنه(٥) في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته(٦).

واختار أبو إسحاق هذا القول، فقال: تأويله أنه إذا عَمِيَ في الدنيا وقد عَرَّفَه الله الهدى وجعل له إلى التوبة وُصْلَةً، وفَسَحَ له في ذلك إلى وقت

= ابن عطية» ٩/ ١٥٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦٦، و«الفخر الرازي» ٢١/ ١٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٥٢ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٨ بمعناه، وأبو الشيخ في «العظمة» ص٥٥، بنحوه، وورد بمعناه في: «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، و«السمرقندي» ٢/ ٢٧٨، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٤، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٥٠، و«ابن كثير» ٣/ ٥٩ .

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٦٦.

(٣) وقد رجح هذا القول «الطبري» ١٥/ ١٢٩، و«ابن عطية» ٩/ ١٥١.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٢٨ بلفظه، وورد بلفظه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٥، و«السمرقندي» ٣/ ٢٧٧، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٥، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٥٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦٥، و«ابن كثير» ٣/ ٥٩.

(٥) في (أ)، (د): (الآية)، والمثبت من (ش)، (ع) وهو الصحيح.

(٦) ورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٣٣- بمعناه، و«الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، بنصه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١١٠، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦٦، و«الفخر الرازي» ٢١/ ١٩، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٨.

مماته، فعمي عن رشده ولم يَتُبْ، ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾، أي: أشد عمى، ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأنه لا[1] يجد طريقًا إلى الهداية[2].

وقال أبو علي: معنى قوله: ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾، أي: أشد عمى، إنه في الدنيا كان مُمَكَّنًا من الخروج عن عَمَاه بالاستدلال، ولا سبيل له في الآخرة إلى الخروج من عماه؛ لأنه قد حصل على عمله، ولذلك قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾؛ لأن ضلاله في الآخرة لا سبيل له إلى الخروج منه[3].

وعلى هذا القول: لا يُحتاج إلى تقدير المضاف في قوله: ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ﴾، وهذا قول الحسن وقتادة؛ روينا ذلك عنه في مسند التفسير، والعمى في الآية المراد منه: عمى القلب، ولذلك جاز ﴿فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ بمعنى أشد عمى، ولو كان من عمى العين لم يجز أعمى بمعنى أشدّ عمى.

قال الفراء: [العرب إذا قالوا: هو أفعل منك، قالوه فيما كان فعله على ثلاثة أحرف، فإذا زاد على ثلاثة أحرف لم يقولوا: هو أفعل منك، حتى يقولوا: هو أشدّ حمرة منك ؛ لأنه يقال في الفعل منه: أحمر، وأما في العمى فإنه يقال: فلان أعمى من فلان في القلب، ولا يقال: هو أعمى منه في العين؛ وذلك أنه لما جاء على مذهب أحمر وحمراء تُرك فيه أفعل منه كما ترك][4] في كثير من أشباهه.

قال: وبعض النحويين يقول: أجيزه في الأعمى والأعشى والأعرج

---

(١) في (د): (لم).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٣، بتصرف يسير.

(٣) «الحجة للقراء» ٥/ ١١٣، بتصرف.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (د).

والأزرق[١]؛ لأنا نقول: عَمِي وزَرِق وعَرِج وعَشِي، ولا نقول: حَمِر ولا بَيِض ولا صَفِر.

قال الفراء: وليس ذلك بشيء؛ إنما يُنظر في هذا إلى ما يجوز أن يكون أقل أو أكثر، فيكون أفعل دليلًا على قلة الشيء وكثرته، ألا ترى أنك تقول: فلان أجمل من فلان؛ لأن جماله يزيد على جماله، ولا تقول للأعشى: هذا أعمى من ذلك، ولا لميتين هذا أموت من ذا، فأمّا قول الشاعر[٢]:

أمّا الملوكُ فأنتَ اليومَ ألأَمُهُم   لُؤمًا وأبيضُهُم سِرْبالَ طبَّاخِ[٣]

فهو شاذ؛ هذا كلامه[٤]، وعلى هذا التحديد إنما يجوز أن يقال: أفعل منك فيما يكون فعله على ثلاثة أحرف، وذلك الشيء مما يقل ويكثر، وما عدا هذا فإنما يقال فيه: أفعل منه، شاذًّا.

---

(١) هذه من مسائل الخلاف المشهورة بين البصريين والكوفيين، فذهب الكوفيون إلى جواز استعمال ما أفعله في التعجب من البياض والسواد خاصة من بين سائر الألوان، وذهب البصريون إلى أن ذلك لا يجوز فيهما كغيرهما من سائر الألوان. انظر التفصيل حول هذه المسألة في: «الإنصاف» ص ١٢٤، و«شرح المفصل» ٦/ ٩٣، و«المقرب» ١/ ٧٢، و«الخزانة» ٨/ ٢٣٠.

(٢) هو طرفة بن العبد (جاهلي).

(٣) «ديوانه» ص١٨، و«اللسان» (بيض) ١/ ٣٩٧، وورد بلا نسبة في «إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٩، «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٤ب، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٥، و«القرطبي» ١٠/ ٢٩٩، و«اللسان» (عمي) ٥/ ٣١١٥، و«شرح التصريح» ١/ ٣٢٤، وله رواية أخرى استشهد بها النحاة في باب أفعل التفضيل، وهي:

إذا الرجالُ شتَوْا واشتدَّ أكلهُم   فأنت أبيضهُم سِربالَ طبَّاخ

ورد هذه الرواية في: «الإنصاف» ص١٢٤، و«شرح المفصل» ٦/ ٩٣، و«المقرب» ١/ ٧٣، و«الخزانة» ٨/ ٢٣٠.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٨، نقل طويل تصرف فيه.

وقرأ أبو عمرو ﴿في هذه أعمِي﴾ بكسر الميم، ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾ بفتح الميم[1]، قال أبو علي الفارسي: أمال الألف من الكلمة الأولى ولم يملها من الثانية؛ لأنها بمعنى أفعل من كذا، مثل أبْلَه من فلان، وليست عبارة عن الموؤفِ[2] الجارحةِ المصاب ببصره، فإذا كان كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة ؛ لأن آخرها إنما هو من كذا، وإنما تحسنُ الإمالةُ في الأواخر؛ لأنها موضع الوقف، والألف تخفى في الوقف، فإذا أمالها نحا بها نحو الياء ليكون أظهر لها وأبين، ومما يقوِّي ذلك أن من العرب من يقلب هذه الألفات ياءات في الوقف فيقول: أَفْعي، بإظهار الياء في اللفظ، وحُبْلي، وقد حذف في الآية من أفعل -الذي هو للتفضيل- الجار والمجرور، وهما مرادان في المعنى مع الحذف، وذلك نحو قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى﴾ [طه: ٧]، المعنى: وأخفى من السر، فلذلك قوله: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾، أي: منه في الدنيا.

ومعنى العمى في الآخرة: أنه لا يهتدي إلى طرق الثواب، ويدل على أن المراد بقوله: ﴿فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ﴾: أشد عمى، قوله: ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾، فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعل من كذا، كذلك المعطوف عليه، انتهى كلامه.[3] فأراد أبو عمرو أن يفرق بين ما هو اسم وبين ما هو بمعنى أفعل منه، فغاير بينهما بالإمالة وتركهما.

---

(١) انظر: «السبعة» ص٣٨٣، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٧٨، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١٢، و«المبسوط في القراءات» ص٢٢٩.

(٢) في (ش)، (ع): (المألوف)، وفي هامش (ش) كتب: (أحسبه المؤوف).

(٣) «الحجة للقراء» ٥/ ١١٢، وهو نقل طويل تصرف فيه بالحذف والإضافة والتقديم والتأخير والاختصار.

٧٣- قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ﴾ الآية. قال ابن عباس في رواية عطاء: نزلت في وفد ثقيف، أتوا رسول الله ﷺ فسألوه شططًا، وقالوا: متعنا باللات سنة وحرّم وادينا كما حَرَّمت مكة؛ شجرها وطيرها ووحشها، فأبى ذلك رسول الله ﷺ ولم يجبهم، فأقبلوا يردون على النبيّ ﷺ مسألتهم ويكررون، وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم، فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل: الله أمرني بذلك، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وداخلهم الطمع، فصاح عليهم عمر ﷺ: أما ترون رسول الله قد أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون(١) به، وقد هَمّ رسول الله ﷺ ليعطيهم ذلك فأنزل الله هذه الآية.(٢)

قال أبو إسحاق: معنى الكلام: كادوا يفتنونك، ودخلت (إن) واللام للتوكيد(٣)، وذكرنا معنى (إن) إذا دخل على الفعل أنها مخففة من الثقيلة في قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]، وقيل: إنه بمعنى قد، وقد مرّ هذا في مواضع(٤)، ومعنى كادوا: هَمّوا وقاربوا ذلك.

وقوله تعالى: ﴿لَيَفْتِنُونَكَ﴾، أي: ليستزلونك عن الذي أوحينا إليك، أي: يزيلونك ويصرفونك عن الذي أوحينا إليك، يعني القرآن، والمعنى

---

(١) في جميع النسخ: (تحبون) والتصويب من أسباب النزول للمؤلف.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٣٠ مختصرًا من طريق العوفي (ضعيفة)، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٥أ، بنحوه، و«الماوردي» ٣/ ٢٥٩ مختصرًا، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» ص ٢٩٧ بنصه- بلا سند- من طريق عطاء (منقطعة)، انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١١١، و«ابن الجوزي» ٥/ ٦٧، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٢٠، والأثر ضعيف من الطريقين؛ طريق العوفي وعطاء.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٣، بنصه.

(٤) في (أ)، (د): (موضع).

عن حكمه، وذلك في إعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن.

وقوله تعالى: ﴿لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾، أي: لتختلق علينا غير ما أوحينا إليك، وهو قولهم: قل: الله أمرني بذلك، ﴿وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾، قال أبو إسحاق: أي لو فعلت ما أرادوا لاتخذوك[(١)] (خليلًا.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾، أي: على الحق بعصمتنا إياك، ﴿لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ)[(٢)] إِلَيْهِمْ﴾، أي: تميل، ﴿شَيْئًا قَلِيلًا﴾، شيئًا: عبارة عن المصدر، أي ركونًا قليلًا.

قال ابن عباس: يريد: حيث سكت عن جوابهم، والله أعلم بنيته[(٣)].

وروي عن قتادة: أن النبيّ ﷺ قال -لما نزلت هذه الآية-: «**اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[(٤)].

٧٥- ثم توعده في ذلك أشدّ التوعد لو فعله، فقال: ﴿إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ

---

(١) في (أ)، (د): (اتخذوك).

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٣) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٦٨، بنصه، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٢١.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٣١ بنصه، وورد بنصه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٥ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٠، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٧، و«البغوي» ١٥/ ١١٢، و«الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف» [ذيل الكشاف] ٤/ ١٠١، وهذا الأثر مرسل كما قال ابن حجر، وورد في «المجمع» ١٠/ ١٨١ متصلًا عن ابن عمر، وقال رواه البزار -لم أجده- وفيه راوٍ متروك، وورد في: «كشف الخفاء» ١/ ٢١٧، و«الكنز» ٢/ ١٨٦، وورد نحوٌ من هذا الدعاء ضمن حديث أبي بكرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دعوات المكروب: اللهم رحمتك أرجو، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كله.**» أخرجه أحمد ٥/ ٤٢، والبخاري في «الأدب المفرد»: باب الدعاء عند الكرب، ص ٢٤٢، وأبو داود (٥٠٩٠) في الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» ص ٢٤٢ (٧٠١).

ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾، أي: ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات، يريد عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قال ابن عباس والمفسرون كلهم[(١)]، ومعنى ضِعفِ العذاب: ضِعفُ ما يعذب غيره.

قال أبو إسحاق: لأنه نبيّ يضاعف له العذاب على عذاب غيره لو جنى هذه الجناية؛ كما قال: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب: ٣٠] لأن درجة النبيّ ﷺ ودرجة آله الذين وصفهم الله فوق درجة غيرهم[(٢)]، قال ابن عباس: ورسول الله معصوم، ولكن هذه مخاطبة لأمته لئلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين في شيء من أحكام الله وشرائعه[(٣)].

٧٦- قوله تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ الآية. قال قتادة: هَمَّ أهلُ مكة بإخراج نبي الله ﷺ من مكة، ولو فعلوا ذلك ما نوظروا؛ ولكن الله كَفَّهم عن إخراجه[(٤)] حتى أمره الله بالخروج، ولَقَلَّ ما

---

(١) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٨أ، بنصه، وأخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٣ بنصه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ١٣١ بنصه عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة)، وعن قتادة ومجاهد والضحاك، وورد بنصه في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٧٩، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٧٩، عن ابن عباس ومجاهد وأبي الشعثاء، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٥ب، والماوردي ٣/ ٢٦٠، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٦ في الأخيرين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٤، بنصه تقريبًا.

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٠٠، و«أبي حيان» ٦/ ٦٥، وحمل الآية على ظاهرها أولى، ولها نظائر في القرآن وهو ما أشار إليه «الطبري» ١٥/ ١٣١، و«البغوي» ٥/ ١١٢، و«القرطبي» ١٠/ ٣٠١.

(٤) في جميع النسخ: إخراجهم والصواب ما أثبته؛ لأن الضمير يعود على الرسول ﷺ.

لبثوا بعد خروج النبيّ ﷺ من مكة حتى بعث الله عليهم القتل يوم بدر[(١)]، وهذا قول مجاهد[(٢)].

وقال ابن عباس في رواية عطاء: حسدت اليهود مقام النبيّ ﷺ بالمدينة فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام فإن كنت نبيًا فالحق بها، وإن خرجت إليها صدقناك وآمنا بك، فوقع ذلك في قلبه لما يحب من إسلامهم، فرحل من المدينة على مرحلة، فأنزل الله هذه الآية[(٣)]، وهذا قول الكلبي وعبد الرحمن بن غنم، واختيار الفراء[(٤)].

---

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٣- بمعناه، و«الطبري» ١٥/ ١٣٢، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٥ب، بنحوه، و«الماوردي» ٣/ ٢٦١- مختصرا، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٨- مختصرا، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» ص ٢٩٨ مختصرًا، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٣٥٣ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٣٣ بمعناه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٥ب، بنحوه، و«الماوردي» ٣/ ٥٠٨ مختصرا، والمؤلف في «أسباب النزول» ص٢٩٨ مختصرا.

(٣) أورده المؤلف في «أسباب النزول» ص٢٩٨ بنصه -بلا سند- بهذه الرواية (منقطعة)، وقد ضعف هذا القول ابن عطية، وقال: وهذا ضعيف لم يقع في سيرة ولا كتاب يعتمد عليه. كما ضعف ابن كثير القولين قائلًا: قيل: نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الأنبياء وترك سكنى المدينة، وهذا القول ضعيف؛ لأن هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك، وقيل إنها نزلت بتبوك، وفي صحته نظر. انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٥٧، و«ابن كثير» ٣/ ٦٠.

(٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» ٥/ ٢٥٤، عن ابن غنم بزيادة منكرة؛ هي: فصدَّق ما قالوا، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله الآية، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٥ب، بنحوه عنهما، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» ص٢٩٨، بنحوه عن ابن غنم، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١١٢، عن الكلبي. وذكره ابن كثير ٣/ ٦٠ وقال: وفي هذا الإسناد نظر، والأظهر أن هذا ليس بصحيح، فإن النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود، وإنما غزاها امتثالًا لقوله =

والقول الأول اختيار أبي إسحاق[١]، وهو الوجه؛ لأن السورة مكية[٢]، فإن صح القول الثاني كانت الآية مدنية، وقد قال عبد الرحمن بن غنم: هذه الآية أنزلت بعد ما ختمت السورة[٣]، والأرض في قوله: ﴿لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ على القول الأول: مكة، وعلى القول الثاني: المدينة، وكثر في التنزيل ذكر الأرض، والمراد منها مكان مخصوص؛

= تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]، وغزاها ليقتص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه، والله أعلم. وأورده السيوطي في «لباب النزول» ص١٣٩ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم، وقال: هذا مرسل ضعيف الإسناد وله شاهد من مرسل سعيد بن جبير عند ابن أبي حاتم.

وعبد الرحمن بن غَنْم الأشعري، اختلف في صحبته، فأثبت له الصحبة البخاري وابن لهيعة والليث ورجحه ابن حجر، وذكره ابن سعد وابن حبان في ثقات التابعين ورجحه ابن عبدالبر وابن الأثير، وقالا: كان مسلمًا على عهد النبي ﷺ ولم يره، ولم يفد عليه، وقال الذهبي: ويحتمل أن تكون له صحبة، ويعرف بصاحب معاذ، لملازمته له، وهو أفقه أهل الشام، وكانت له جلالةٌ وقَدْر، مات سنة (٧٨هـ).

انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٣٩٠، و«أسد الغابة» ٣/ ٤٨٢، و«سير أعلام النبلاء» ٤/ ٤٥، و«الإصابة» ٢/ ٤١٧، و«تهذيب التهذيب» ٢/ ٥٤٣، انظر: «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩.

(١) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ١٥٤.

(٢) وهو ما رجحه جمهور المفسرين، وقال الطبري: لأن الآية جاءت في سياق خبر الله ﷻ عن قريش وذكره إياهم، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر...فهو بأن يكون خبرًا عمن جرى له ذكر أولى من غيره. «تفسير الطبري» ١٥/ ١٣٣.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٥ب، بنصه، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٠١، وهو بهذا القول يؤكد مدنية السورة، وفي القرطبي زيادة بيان وهو قوله: وأنها نزلت في تبوك.

كقوله: ﴿أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] يعني: من حيث كانوا يتصرفون فيه لمعاشهم، وقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ [يوسف: ٨٠] يعني: الأرض التي كان قَصَدَها للامتيار[١] منها، ومثله كثير[٢].

فإن قيل: أليس قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ﴾ [محمد: ١٣] يعني مكة، والمراد أهلها فذكر أنهم أخرجوه، وقال في هذه الآية: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ فكيف الجمع بينهما، على قول من قال: الأرض في هذه الآية: مكة ؟!

قلنا هَمُّوا وقصدوا إخراجه، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، ثم قبل أن يُتِمُّوا ذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالخروج، فخرج منها بأمر الله خائفًا منهم ومن مكرهم، وكان خروجه بأمر الله سببًا لسلامته مما كانوا يدبرونه فيما بينهم، ألا ترى أن قتادة قال: هموا بإخراجه ولو فعلوا ذلك ما نوظروا على ما حكينا عنه في هذه الآية، وجاز إضافة الإخراج إليهم في قوله: ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾؛ لأنهم هموا بذلك وأُمر بالخروج منها لقصدهم إخراجه، فلما كانوا سببًا في خروجه أضيف ذلك إليهم.

﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أعلم الله أنهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا بعده إلا قليلًا، أي لو أخرجوك لاستأصلناهم كسنتنا فيمن قبلهم،

(١) في جميع النسخ: (الامتيار)، والتصويب من الحجة للقراء. (المِيرَةُ): جلب الطعام للبيع وللعيال، قال الأصمعي: يقال: ماره يَمُورُه إذا أتاه بمِيرة؛ أي بطعام. انظر: (مير) في «المحيط في اللغة» ١٠/ ٢٨٥، و«اللسان» ٧/ ٤٣٠٦.

(٢) ورد نحوه في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٥.

وقرئ ﴿خَلْفَكَ﴾(١)، و﴿خِلَـٰفَكَ﴾(٢)، وهو في القراءتين جميعًا على تقدير حذف المضاف كأنه؛ لا يلبثون بعد خروجك.

وزعم الأخفش: أن خلافك في معنى خلفك، وروى ذلك يونس عن عيسى(٣)، وهذا كقوله: ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَـٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٨١]، وقد مرّ.

قال أبو علي الفارسي: الآية على تقدير حذف المضاف؛ كقول ذي الرُّمَّة:

له واحفٌ فالصُّلْبُ حتى تَقَطَّعَتْ   خِلَافَ الثُّرَيَّا من أرِيكٍ مآرِبُه(٤)

المعنى: خلاف طلوع الثريا(٥)، وذكرنا الكلام في إذا وإلغائها في سورة النساء(٦).

---

(١) بفتح الخاء وسكون اللام، قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر.

انظر: «السبعة» ٣٨٣، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٦، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١٣٨٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١٣، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣٠.

(٢) بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها ألفٌ، قرأ بها: ابن عامر حمزة والكسائي وحفص عن عاصم. (المصادر السابقة).

(٣) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٣ بنصه، وزاد: وأن معناه: بَعْدَكَ.

(٤) «ديوانه» ٢/ ٨٤٢، وورد في: «الحجة للقراء» ٥/ ١١٤، (واحف والصلب): هما موضعان للرعي، (خلاف الثريا): يريد بعد طلوع الثريا، (أريك): اسم جبل بالبادية، يقول: تقطعت حوائج هذا الحمار من هذا الموضع؛ لأنه يبس مرعاه، فتحوَّل إلى غيره.

(٥) «الحجة للقراء» ٥/ ١١٤، بنصه تقريبًا.

(٦) أشار الواحدي- رحمه الله- في سورة النساء: [٦٧] أنه استوفى الكلام في أحكام (إذًا) عند قوله تعالى: ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ [آية: ٥٣]، وهذه الآية داخلة في السقط الذي وقع في التفسير.

وقد ذكر السمين ثلاثة أوجه في رفع ﴿لَّا يَلْبَثُونَ﴾ وإعمال (إذًا) فقال: =

٧٧- قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا﴾ قال الفراء: نصب سُنّة على العذاب المضمر، أي يعذبون كسنة من قد أرسلنا[١].

وقال الزجاج: سُنَّة منصوب بمعنى لا يلبثون[٢]، هذا كلامهما ويحتاج إلى شرح وبيان في هذا، وهو أن يقول: سُنَّة منصوبة؛ لأنها وضعت موضع المصدر، ومعنى السنّة ها هنا: التعذيب، وتأويل الآية: أنهم يعذبون تعذيب الأمم قبلهم إذا أخرجوا رسلهم أو قُتلوا، ودل قوله: ﴿وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ﴾: على تعذيبهم، وكأنه قيل: وإذًا يعذبون تعذيب غيرهم، ومعنى قول الزجاج: سُنَّة منصوب بمعنى لا يلبثون، هو ما ذكرنا من أنه يدل على يعذبون، ومعنى قول الفراء: أنه منصوب بالعذاب المضمر هو هذا سواء، فاعرفه فإنه مشكل الظاهر.

وقال صاحب النظم: أضاف هذه السنة إلى الرسول، والسنة لله ﷻ كما قال في أثره: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، وإنما حسن أن ينسبها إلى

= أحدهما: أنها توسطت بين المعطوف والمعطوف عليه، فيكون ﴿لَّا يَلْبَثُونَ﴾ عطفًا على قوله ﴿لِيَسْتَفِزُّونَكَ﴾.

الثاني: أنها متوسطة بين قسم محذوفٍ وجوابه فألغيت لذلك، والتقدير: ووالله إذا لا يلبثون.

الثالث: أنها متوسطة بين مبتدأ محذوف وخبره، فألغيت لذلك، والتقدير: وهم إذًا لا يلبثون.

وفي قراءة أبي شاذًا (لا يلبثوا) على إعمال (إذا) ووجه النصب أنه لم يجعل الفعل معطوفًا على ما تقدم ولا جوابًا ولا خبرًا، لأنه قد يقع مستأنفًا، والتقدير: إن فعلوا ذلك إذا لا يلبثوا خلافك. انظر: «الدر المصون» ٧/ ٣٩٤، و«الفريد في إعراب القرآن» ٣/ ٢٩٣، و«القراءات الشاذة» لابن خالويه ص٨٠.

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩، بنصه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٥، بمعناه.

الرسل؛ لأنه من أجلهم سَنَّها، فأضافها إليهم، هذا كلامه، وهو على ما قال، فإن التعذيب يقع بالأمم لا بالرسل، ولكن أضيف إلى الرسل لما كان بسببهم ومن أجلهم، وتحقيق هذا أن يقال: إنه حذف المضاف، على معنى: سنة أمم من قد أرسلنا، فحذف المضاف، وحَسّن حذف المضاف ها هنا ما ذكره صاحب النظم، وهو: أن هذه السنة كانت لأجلهم، يدل على صحة ما ذكرنا قول ابن عباس والمفسرين في هذه الآية.

قال ابن عباس: يريد هذه سنتي فيمن كذب أوليائي، وتَقوَّل عليّ الباطل.

وقال سفيان بن عيينة: يقول: لم نرسل قبلك رسولًا فأخرجه قومه إلا أُهلكوا[١].

وقال أبو إسحاق: يقول: إنا سننا هذه السُّنّة فيمن أرسلنا قبلك إليهم أنهم إذا أخرجوا نبيهم من بين أظهرهم وقتلوه[٢]، لم يلبثهم العذاب أن ينزل بهم[٣]، والسُّنّة لله ﷻ في الأمم، ولما كان المراد بالسُّنّة ها هنا التعذيب أضيف مرة إلى المفعول على حذف المضاف -كما بينا-، ومرة إلى الفاعل في قوله: ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾، قال ابن عباس: يريد لا خُلف لسُنّتي ولا لقضائي ولا لموعدي[٤].

وقال أهل المعاني: أي ما أجرى الله به العادة لم يتهيأ[٥] لأحد أن

---

(١) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠، بنصه.

(٢) في (ش): (قتلوهم)، وفي (ع): (قتلوا).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٥، بنصه.

(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠، بنصه.

(٥) في (أ)، (د): (تنهنا).

يقلب تلك العادة[١].

٧٨- قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ اختلف أهل المعاني والمفسرون في معنى (دلوك الشمس) على قولين؛ أحدهما: أن دلوكها غروبها، وهو اختيار الفراء[٢] وابن قتيبة[٣]، واحتج الفراء بقول الشاعر[٤]:

غُـدْوَةً حـتـى دَلَـكَـتْ بِـرَاحِ[٥]

(١) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠، بنصه بلا نسبة.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩.

(٣) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦١.

(٤) نسب لقطرب في: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٠٣، و«اللسان» (برح) ١/ ٢٤٥.

(٥) وصدره:

هـذا مَـقَـامُ قَـدَمَـيْ رَبَـاحِ

ورد بلا نسبة في «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٧، و«نوادر أبي زيد» ص٣١٥، و«تفسير الطبري» ١٥/ ١٣٦، و«جمهرة اللغة» ١/ ٢٧٤، و«الأزمنة والأمكنة» ص٢٨٦، و«المخصص» ٩/ ٢٥، و«تهذيب الألفاظ» ص٣٩٣ وفيه: (اليوم) بدل (غدوة)، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٦أ، و«ابن عطية» ٩/ ١٦٣، و«أبي حيان» ٦/ ٦٨، وورد برواية (ذبَّبَ) بدل (غُدْوَة) في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩، و«تهذيب اللغة» (برح) ١/ ٣٠٢، (دلك) ٢/ ١٢٢٠، و«الصحاح» (برح) ١/ ٣٥٦، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٦٣، و«شرح المفصل» ٤/ ٦٠، و«تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٠٣، و«اللسان» (برح) ١/ ٢٤٥، وورد برواية: (للشمس) بدل (غدوة) في «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٥، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٥٠٩، (رباح): اسم ساقٍ على بئر، قال الفراء: يعني الساقي (ذَبَّب): طرد الناس، (براح)؛ يقول: حتى قال بالراحة على العين، فينظر هل غابت، وقال «الطبري» ١٥/ ١٣٦: (براح) يروى بفتح الباء، فمن روى ذلك بكسرها، فإنه يعني: أنه يضع الناظر كفه على حاجبه من شعاعها

أي غابت، واحتج ابن قتيبة بقول ذي الرُّمَّة:

ولا بـالآفـــــلات[١] الـدَّوالِـكِ[٢]

القول الثاني: أن دلوك الشمس زوالها وزيغوغتها عن كبد السماء، والصحابة مختلفون في هذا، فروى نافع وسالم عن ابن عمر قال: دلوك الشمس: زيغها حين تزول[٣]، هذا قول ابن عباس في رواية داود بن الحصين[٤] قال:

= لينظر ما لقي من غبارها، وهذا تفسير أهل الغريب...ومن روى بفتح الباء، فإنه جعله اسمًا للشمس، (دلكت): مالت للغُيوب.

(١) في جميع النسخ: (بالأفلاق)، والتصويب من الديوان وجميع المصادر.

(٢) وتمامه كما في «الديوان» ٣/ ١٧٣٤:

مصابيحُ ليست باللَّواتي تقودُها نُـجـومٌ .. ..

ورد في «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦١، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٦أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٢، و«ابن عطية» ٩/ ١٦٣، و«ابن الجوزي» ٥/ ٧٢، و«القرطبي» ١٠/ ٣٠٣، و«اللسان» (دلك) ٣/ ١٤١٢، و«تفسير أبي حيان» ٦/ ٦٨، وفي «اللسان» (صبح) ٤/ ٢٣٨٩: المصباح من الإبل: الذي يبرك في معرَّسه فلا ينهض حتى يصبح وإن أثير، وقيل: المِصْبَحُ والمِصْباح من الإبل: التي تُصبحُ في مبركها لا ترعى حتى يرتفع النهار، وهو مما يستحب من الإبل؛ وذلك لقوتها وسمنها. والمقصود هنا: أنها من الشبع لا تبالي ألَّا ترحل، (الآفلات): الغائبات.

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٤ بمعناه من طريق سالم، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٤ بمعناه من طريق نافع، و«الطبري» ١٥/ ١٣٥ بمعناه من طريق نافع، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨١ بمعناه من طريقها، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٠، بنحوه من طريق سالم.

(٤) داود بن الحصين، أبو سليمان المدني، مولى عثمان بن عفان، محدّث مشهور، ثقة إلا في عكرمة، رُمي برأي الخوارج، روى عن أبيه والأعرج، وعنه: إسحاق ومالك، مات سنة (١٣٥هـ). =

دلوكها إذا فاء الفيء[(١)].

وقال في رواية عطاء: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ يريد لزوالها[(٢)]، ونحو هذا روى مجاهد عنه، وهذا قول الحسن وعمر بن عبدالعزيز والشعبي وعطاء ومجاهد وقتادة[(٣)].

ويدل على هذا ما روي عن جابر أنه قال: طعم عندي رسول الله ﷺ وأصحابه ثم خرجوا حين زالت الشمس، فقال النبيّ ﷺ: **«هذا حين دلكت الشمس»**[(٤)].

= انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٤٠٨، و«ميزان الاعتدال» ٢/ ١٩٥، و«الكاشف» ١/ ٣٧٩، و«تقريب التهذيب» ص١٩٨ (١٧٧٩).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤) بنصه من هذه الطريق، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٤ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢) ورد في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩- بمعناه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٣٥ بلفظه من طريق الشعبي، وورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٥٠٨- بلفظه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٤ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٨ بمعناه، وأخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٤- بمعناه عن قتادة وعطاء، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٥، بلفظه عن الشعبي، وبنحوه عن مجاهد، و«الطبري» ١٥/ ١٣٥ بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس والحسن وقتادة، وبنحوه عن مجاهد، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨١ بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٠ بمعناه عن قتادة والشعبي عن ابن عباس، و«الثعلبي» ٧/ ١١٦أ بلفظه عن مجاهد والحسن وعطاء، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٢- بلفظه عن الشعبي عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٨، عن الحسن ومجاهد وقتادة.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٣٧، بنحوه، من طريق ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر ﷺ قال: دعوت نبي الله ﷺ ومن شاء من أصحابه، فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس، فخرج النبي ﷺ فقال: «**اخرج يا أبا بكر قد دلكت الشمس**»، وفيه=

وروى جماعة عن ابن مسعود أنه قال حين غربت الشمس: هذا والذي نفسي بيده وقت الصلاة حين دلكت الشمس، ثم قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾[1].

وروى زِرّ بن حُبَيْش[2] أن عبد الله بن مسعود قال: دلوك الشمس غروبها[3]، وقال علي ﷺ: دلوك الشمس غيبوبتها[4]، وهذا قول ابن عباس

= رجل مجهول، وأخرجه -كذلك- من طريق الأسود بن قيس عن نُبيح العَنزي عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ بنحوه. ورجاله ثقات، لكن الطبري لم يجزم بصحته؛ حيث قال في ترجيح هذا القول: وبذلك ورد الخبر عن رسول الله ﷺ وإن كان في إسناد بعضه بعض نظر، وقال بعد إيراد هذه الأخبار: فإذا كان صحيحًا ما قلنا بالذي به استشهدنا.. ، وقد استشهد بالحديث كذلك: «ابن عطية» ٩/ ١٦١، و«ابن الجوزي» ٥/ ٧٢، و«أبي حيان» ٦/ ٧٠، و«ابن كثير» ٣/ ٦١، والحديث ضعيف.

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٤ بمعناه، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٥، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ١٣٤، بنحوه من طرق، والطبراني في «الكبير» ٩/ ٢٦٢، بنحوه من عدة طرق، والحاكم: التفسير، الإسراء ٢/ ٣٦٣، بنحوه وصححه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٦أ، بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٤ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه من طرق.

(٢) أبو مريم زِر بن حبيش الأسدي الكوفي، ثقة جليل مخضرم، سمع عمر وعليًّا ﷺ وعنه: عاصم بن أبي النجود والشعبي، مات سنة (٨٢هـ) وله (١٢٧) سنة. انظر: «الجرح والتعديل» ٣/ ٦٢٢، و«الكاشف» ١/ ٤٠٢، و«تقريب التهذيب» ص٢١٥ (٢٠٠٨).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٩/ ٢٦٣ بلفظه من هذه الطريق، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨١، و«تهذيب اللغة» (دلك) ٢/ ١٢٢٠، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٦، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٠، و«هود الهواري» ٢/ ٤٣٦، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٢، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٨.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٥) عنه بمعناه، قال: دلوكها غروبها، وانظر: «تفسير أبي حيان» ٦/ ٧٠- بمعناه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٤ بمعناه =

في رواية سعيد بن جبير، وإبراهيم والسدي وابن زيد[١]، وهذا قول المفسرين واختلافهم.

وأما المحققون من أهل اللغة: فإنهم ذهبوا إلى أن دلوك الشمس ميلها في الوقتين.

قال الزجاج: دلوك الشمس زوالها ومَيْلها في وقت الظهر، وكذلك ميلها للغروب، وهو دلوكها أيضًا[٢].

وقال المبرد: دلوك الشمس من لدن زوالها إلى غروبها عند العرب[٣].

وقال الأزهري: القول عندي في دلوك الشمس أنه زوالها نصف النهار لتكون الآية جامعة للصلوات الخمس، والمعنى: أقم الصلاة؛ أي أدمها من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فيدخل فيها الأولى والعصر وصلاتا غسق الليل؛ وهما العشاءان، ثم قال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾، فهذه خمس صلوات، وإذا جعلت الدلوك: الغروب، كان الأمر في الآية مقصورًا على ثلاث صلوات.

= وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

وفي جميع النسخ: (غيبوبته) مذكرًا، وحقها التأنيث؛ لأن الضمير يعود على الشمس وهي مؤنثة.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٣٤ بمعناه عن ابن عباس من طريق مجاهد (صحيحة)، وابن زيد، وورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٦٢- بمعناه عن ابن عباس وابن زيد، و«الطوسي» ٦/ ٥٠٨ بمعناه عن ابن عباس وابن زيد، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٧٢، عنهم- ما عدا السدي، و«الخازن» ٣/ ١٧٤، عن إبراهيم والسدي.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٥، بنصه.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٠، بنصه.

قال: ومعنى الدلوك في كلام العرب: الزوال، ولذلك قيل للشمس إذا زالت نصف النهار: دالكة، وقيل لها إذا أفلت: دالكة؛ لأنها في الحالتين زائلة، انتهى كلامه.(١) واللام في قوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ لام الأجل والسبب؛ وذلك أن الصلاة إنما تجب بزوال الشمس، فيجب على المصلي إقامتها لأجل دلوك الشمس.

وقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾، غسق الليل: سواده وظلمته، قاله الفراء والزجاج وأبو عبيدة وابن قتيبة(٢).

قال الكسائي: غسق الليل غسوقًا، والغسق الاسم بفتح السين(٣).

وقال ابن شميل: غَسقُ الليلِ دخولُ أولِه، وأتيته حين غسق الليل، أي حين يختلط ويَسُدُّ المناظر(٤).

وقال الفراء في المصادر: أغسق الليل إغساقًا وغسق غسوقًا(٥).

---

(١) «تهذيب اللغة» (دلك) ٢/ ١٢٢٠ بتصرف يسير. وقد رجح الطبري هذا القول، قائلًا: وأولى القولين بالصواب قول من قال: عنى بقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾: صلاة الظهر؛ وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل. ثم قال: فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل، فلا شك أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء، فقد مالت للغروب، وذلك وقت صلاة الظهر، وكذلك رجحه البغوي ٥/ ١١٤، و«ابن عطية» ٩/ ١٦٢، وذهب بعضهم إلى أن اللفظ يشمل الأمرين؛ لأن أصل الدلوك في اللغة هو الميل، والشمس تميل عند زوالها وغروبها، فلذلك انطلق على كل واحدٍ منهما. انظر: «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٦٣.

(٢) جاء بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٥، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٨٨، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦١ .

(٣) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٢٦، و«أبي حيان» ٦/ ٦٨، و«القرطبي» ١٠/ ٣٠٤ بلا نسبة.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (غسق) ٣/ ٢٦٦٤، بنصه.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٠٤، و«أبي حيان» ٦/ ٦٨.

وقال الزجاج في باب الوفاق: غسق الليل وأغسق[١].

وأصل هذا الحرف من السَّيَلان، قال أبو زيد: غَسَقت العينُ تَغْسِقُ، وهو هَملانُ العينِ بالغَمَص والماء[٢]، والغاسق السائل، وأنشد شمر:

أبْكي لِفَقْدِهِمُ بِعَيْنٍ ثَرَّةٍ   تَجْرِي مَسَارِبُها بِعَيْنٍ غاسِقٍ[٣]

أي سائلٍ، وليس من الظلمة في شيء، ومن هذا قيل لما يسيل من أهل النار: الغَسَّاق، فمعنى غسق الليل: أي انصب بظلامه، وذلك أن الظلمة تنزل من فوق.

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: الغَسَقان: الانْصِبَابُ، وغَسَقَتِ السماء: أرشَّتْ[٤].

ومنه قول عُمرَ حين غسقَ الليلُ على الظِّرابِ[٥]، أي انصَّبَ الليلُ على الجبال[٦].

وأما قول المفسرين؛ فقال ابن عباس: غسق الليل: اجتماع الليل وظلمته[٧]. وقال ابن جريج: قلت لعطاء: ما غسق الليل؟ قال: أوله حين

---

(١) «فعلت وأفعلت» ص٦٩، بنحوه.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (غسق) ٣/ ٢٦٦٤، بنصه.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (غسق) ٣/ ٢٦٦٤، و«اللسان» (غسق) ٦/ ٣٢٥٥.

(٤) الراء والشين أصلٌ واحد يدلّ على تفريق الشيء، والرشُّ يكون للماء والدم والدمع، ويقال: رشَّت السماءُ وأرشت، وكذلك أرشّت الطعنةُ الدم، وأرشّت العينُ الدمع. انظر: «مقاييس اللغة» ٢/ ٣٧٣، و«اللسان» (رشش) ٣/ ١٦٥٠.

(٥) ورد أثر عمر ﷺ في: «النهاية» ٣/ ١٥٦، و«اللسان» (ظرب) ٥/ ٢٧٤٥، (غسق) ٦/ ٣٢٥٥. والظِّراب: جمع ظَرِبٍ بوزن كَتِفٍ، وهي الروابي الصغار. قال الليث: الظَّربُ من الحجارة ما كان ناتئًا في جبلٍ أو أرض خَربةٍ.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (غسق) ٣/ ٢٦٦٤، بنصه.

(٧) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٢ بنصه، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٦=

يدخل[١].

وقال ابن مسعود: غسق الليل إظلام الليل[٢].

وسأل نافع بن الأزرق ابن عباس: ما الغسق؟ قال: دخول الليل بظلمته، وأنشد بيت زهير:

ظَلَّتْ تَجُوب يَدَاهَا وهي لاهِيَةٌ حتى إذا جَنَحَ الإظلامُ والغَسَقُ[٣][٤]

وقال الأزهري: غسق الليل عندي: غَيْبُوبةُ الشَّفق الأحمر حين تحِلُّ صلاةُ عِشاء الآخرة، يدل على ذلك سِيَاقُ الآية في الأمر بالصلوات الخمس، فيدخل الظهر والعصر والمغرب والعشاء في قوله: ﴿لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾ قال ابن عباس: يريد صلاة الصبح[٦]، وكذلك قال ابن مسعود ومجاهد ومسروق وقتادة وجميع

= بنصه، انظر: «تفسير ابن العربي» ٣/ ١٢١٩، و«القرطبي» ١٠/ ٣٠٤، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٤ وعزاه إلى ابن المنذر.

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٤ بنصه، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٢٧.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣١.

(٣) لم أجده في ديوانه، وورد في: «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٨٩، و«الإتقان» ٢/ ٨٦، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٥٤، وبرواية تجود في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٦٣، و«القرطبي» ١٠/ ٣٠٤، و«أبي حيان» ٦/ ٦٨، و«شرح القصائد السبع الطوال» ص٥٥٩ بلا نسبة.

(٤) ورد في «إيضاح الوقف والابتداء» ١/ ٨٩، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٢٧، و«أبي حيان» ٦/ ٦٨ بدون الشعر فيهما، و«الإتقان» ٢/ ٨٦، و«تفسير الألوسي» ١٥/ ١٣٢، و«مسائل ابن الأزرق» [ذيل الإعجاز البياني لبنت الشاطئ] ص٥٧٤.

(٥) «تهذيب اللغة» (غسق) ٣/ ٢٦٦٤، بتصرف.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٤٠، بنصه من طريق العوفي (ضعيفة)، وأورده في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٥.

٧٩- قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ﴾، أصل معنى الهجود في اللغة النوم[(١)]، وهو معروفٌ كثيرٌ في الشعر، وأهجدته وهجدته أي أنمته، ومنه قول لبيد قال:

هـجِّـدْنـا فـقـد طـال الـسُّـرى[(٢)]

كأنه قال: نَوِّمْنَا فإن السُّرى قد طال علينا النوم، هذا هو الأصل، وروى أبو عبيد عن أبي عبيدة: الهاجد النائم، والهاجد: المصلِّي بالليل[(٣)].

وروى أبو العباس عن ابن الأعرابي: هجَّد الليلَ الرجلُ إذا صلى من الليل، وهَجَّد: إذا نام بالليل، قال: والمتهجد يكون مصليًا ويكون

---

(١) انظر: (هجد) في «المحيط في اللغة» ٣/ ٣٧٠، و«الصحاح» ٢/ ٥٥٥، و«اللسان» ٨/ ٤٦١٦.

(٢) وتمامه:

قـال هَـجِّـدْنـا .. .. وقَـدَرْنَـا إن خَـنَـا الـدَّهْـرِ غَـفَـل

«شرح ديوان لبيد» ص١٨٢، وورد في: «الأضداد» لابن السِّكِّيت [ثلاثة كتب في الأضداد] ص١٩٤، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٨٩، و«معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٦، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٥١، و«تهذيب اللغة» (هجد) ٤/ ٣٧١٦، و«الصحاح» (هجد) ٢/ ٥٥، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٥١١، و«تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٧٤، و«اللسان» (هجد) ٤/ ٤٦١٦ (خنا) ٣/ ١٢٨٣، (السُّرى): سير الليل عامة، (قدرنا): أي وقدرنا على ورود الماء، وذلك إذا قربوا منه، (الخنى): الآفة والفساد، أي إن غفل عنا فساد الدهر فلم يعقنا، وقيل قدرنا: أي على التهجد، وقيل: على السير، والشاعر يصف نفسه بالجلد في السفر وكثرة السهر حتى تأذى رفيقه بذلك وقال له: خلنا ننام ونستريح، قد قدرنا على ما نريد ووصلنا إلى ما نحب إن غفل عنا الدهر ولم يفسد علينا أمرنا.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (هجد) ٤/ ٣٧١٦، بنصه.

نائمًا[١].

وروى عمرو عن أبيه قال: هَجد وهَجَّد: إذا قام مصلّيًا، وهَجَد: إذا نام[٢]، وقال الليث: تهجد إذا استيقظ للصلاة[٣].

وقال ابن بُزُرْج: هَجّدْتُه: أيقظته[٤]، وهذا قول أهل اللغة[٥] في تفسير هذا الحرف، وعلى ما ذكروا هو من الأضداد[٦]؛ كما بيّنا، وأجاد الأزهري في تفسير التهجد فقال: المعروف في كلام العرب: أن الهاجد: النائم، وقد هجد هجودًا إذا نام، وأما المتهجِّد فهو القائم إلى الصلاة من النوم، وكأنه قيل له: متهجد؛ لإلقائه الهجود عن نفسه؛ كما قيل للعابد: متحنث؛ لإلقائه الحِنْثَ عن نفسه، وهو الإثم[٧]، وعلى ما ذكر، التهجد: بمعنى الصلاة، هو من باب تَحَرَّج وتأَثَّم وتحوَّب، وهو ترك الهجود، ثم صار بمعنى الصلاة لمّا كان المصلي بالليل يترك النوم.

قال ابن عباس في قوله: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِۦ﴾ فَصَلِّ بالقرآن[٨]، وقال مجاهد: التهجد: بعد النوم[٩]، وهذا قول عبدالرحمن بن الأسود[١٠]

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (هجد) ٤/ ٣٧١٦، بنصه تقريبًا.

(٢) و(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (هجد) ٤/ ٣٧١٦، بنصه.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (هجد) ٤/ ٣٧١٦ بلفظه، انظر: «تفسير الألوسي» ١٣٨/١٥.

(٥) في (أ)، (د): (الليل)، وهو خطأ ظاهر، والمثبت من (ش)، (ع) هو الصواب.

(٦) انظر: «ثلاثة كتب في الأضداد»: للأصمعي ص٤٠، والسجستاني ص١٢٣، وابن السكيت ص١٩٤، و«الأضداد» لابن الأنباري ص٥٠.

(٧) «تهذيب اللغة» (هجد) ٤/ ٣٧١٦، بنصه.

(٨) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٧٤، بنصه.

(٩) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٧٤، بنصه.

(١٠) عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو حفص، ثقة، روى عن أبيه =

المفسرين[١]، وانتصابه على أنه معطوف بالعطف على الصلاة في قوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قاله الفراء[٢] والزجاج، قال الزجاج: أي: وأقم قرآن الفجر، قال: وفي هذا الموضع فائدة عظيمة؛ تدل على أن الصلاة لا تكون إلا بقراءة؛ لأنه قال: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وأقم قرآن الفجر، فأمر أن يقيم الصلاة بالقراءة، حيث سميت الصلاة قرآنًا، فلا تكون صلاةٌ إلا بقراءة؛ انتهى كلامه[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾، كلهم قالوا: صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار[٤].

وروى أبو هريرة أن النبيّ ﷺ قال: «**تجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح**»، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ الآية.[٥]

---

(١) «تفسير مجاهد» ص٣٦٨ بنصه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٣٩- ١٤٠، عنهم- عدا مسروق، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن مجاهد.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩، بمعناه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٥، بنصه.

(٤) انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ١٣٩، و«ابن عطية» ٩/ ١٦٦.

(٥) وطرف الحديث: «**فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل..**» الحديث، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» ١/ ٥٢٢ بنصه، وأحمد ٢/ ٤٧٤، بنحوه، والبخاري (٤٧١٧) كتاب: التفسير، سورة الإسراء، باب: قوله ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون...﴾ بنصه، ومسلم (٦٤٩/ ٢٤٦) كتاب: المساجد، فضل الجماعة، وابن ماجه (٦٧٠) كتاب: مواقيت الصلاة، وقت صلاة الفجر، بنحوه، والترمذي (٣١٣٥) كتاب: التفسير، الإسراء، بنحوه وقال: حسن صحيح، والنسائي: الصلاة، فضل صلاة الجماعة -

وقال ابن مسعود: يتدارك الحارسان؛ حارس الليل وحارس النهار من الملائكة في صلاة الفجر، وإن شئتم فاقرءوا: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[1].

وقال الكلبي: ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلاة الغداة خلف الإمام، تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلاة الغداة قبل أن تعرج ملائكة الليل، فإذا فرغ الإمام من صلاته عرجت ملائكة الليل ومكثت ملائكة النهار، فتقول ملائكة الليل إذا صعدت إلى ربها: ربنا إنا تركنا عبادك يصلون لك، ويقول الآخرون: ربنا أتينا عبادك وهم يصلون، فيقول الله لملائكته: اشهدوا أني قد غفرت لهم[2]، وهذا معنى قول ابن عباس، ويريد أن ذلك كفارة لما صنعت، وفي هذا أيضًا دليل على أن السُنَّة التبكير بهذه الصلاة؛ لأنه إنما يشهدها القبيلان من الملائكة إذا بُكِّرَ بها، فإذا لم يُبَكَّر بها في أول الفجر كانت ملائكة الليل قد عرجت فلم تشهدها، والسُنَّة أن يصلى في الوقت الذي يشهدها القبيلان جميعًا.

= ١/ ٢٤١ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ١٤١، بنحوه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٣، بنحوه، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٧أ، بنصه، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٤١، بنحوه، والطبراني في «الكبير» ٩/ ٢٦٥، بنحوه، وورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٣٧، بنحوه، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر.

(٢) لم أقف عليه، وقد ورد بهذا المعنى حديث صحيح مشهور، رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وطرفه: (**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار..**) أخرجه البخاري (٥٥٥) كتاب: مواقيت الصلاة، باب: فضل صلاة العصر، ومسلم (٦٣٢) كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر.

وعلقمة وإبراهيم وجميع المفسرين[(١)].

قال الحجاج بن عمرو المازني[(٢)]: أيحسب أحدكم إذا قام من الليل فصلى حتى يصبح أنه قد تهجد؟! إنما التهجد: الصلاة بعد رقدة ثم صلاة بعد رقدة ثم صلاة بعد رقدة، وتلك كانت صلاة[(٣)] رسول الله ﷺ[(٤)]، وهذا يدل على صحة قول الأزهري في تفسير التهجد، حيث لم يجعلوا الساهر ليله كله متهجدًا، وجعلوا التهجد بعد النوم، ولو كان ضدًا للنوم لكان الساهر جميع ليله متهجدًا.

= وعلقمة، وعنه الأعمش وهارون بن عنترة، مات سنة (٩٩هـ)، انظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ٢٠٩، و«الكاشف» ١/ ٦٢١ (٣١٤١)، و«تقريب التهذيب» (٣٨٠٣).

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٤١- ١٤٢ بنصه من طرق عنهم، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٣ بنصه عن علقمة والأسود، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٧ بنصه عن الأسود وعلقمة، و«الثعلبي» ٧/ ١١٧أ بنصه، و«الطوسي» ٦/ ٥١١ بنصه عن الأسود وعلقمة، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦١، عنهم، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة عن علقمة والأسود.

(٢) الحجاج بن عمرو المازني الأنصاري الخزرجي ﷺ، له صحبة، روى عن النبي ﷺ حديثين؛ أحدهما في الحج والآخر في التهجد، وهو الذي ضرب مروان يوم الدار -يوم حصر عثمان ﷺ في داره- فأسقطه، وشهد صفين مع علي.
انظر: «الاستيعاب» ١/ ٣٧٨، و«أسد الغابة» ١/ ٦٩٢، و«الإصابة» ١/ ٣١٣، و«تقريب التهذيب» ص١٥٣ (١١٣٢).

(٣) ساقطة من (د).

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٤٢ مختصرًا، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٧ بنصه، وانظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٦٨، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٣٠، و«القرطبي» ١٠/ ٣٠٨، و«الألوسي» ١٥/ ١٣٨.

وقوله تعالى: ﴿بِهِۦ﴾ قالوا: بالقرآن نافلة لك، معنى النافلة في اللغة: ما كان زيادة على الأصل، ذكرنا هذا في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ﴾ [الأنفال: ١]، ومعناها أيضًا في هذه الآية: الزيادة.

قال مجاهد: النافلة للنبيّ ﷺ خالصة؛ من أجل أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما عمل من عمل سوى المكتوبة فهي نافلة له، من أجل أنه لا يعمل ذلك في كفارة الذنوب، فهي نوافل له خاصة وزيادة، والناس يعملون ما سوى المكتوبة لذنوبهم في كفارتهم فليس لهم نوافل[(١)].

وقال السدي: نافلة لرسول الله ﷺ خاصة؛ لأنه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وليست لنا بنافلة لكثرة ذنوبنا إنما نعمل لكفاراتها[(٢)]، وهذا قول أكثر المفسرين.

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٤٣ بنصه، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٤٨٧بنصه تقريبًا، وورد في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٨٤، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٠ مختصرا، و«الثعلبي» ٧/ ١١٧أ، بنحوه، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٤ مختصرًا، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢ مختصرا، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ومحمد بن نصر، ولم ير الطبري هذا القول، ورده وحكم عليه بالفساد، وقال: لا معنى له؛ لأن النبي ﷺ -فيما ذكر عنه- أكثر ما كان استغفارًا لذنوبه بعد نزول قول الله عز وجل: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وكان يعد له في المجلس الواحد استغفار مئة مرة، ومعلوم أن الله لم يأمره أن يستغفر إلا لما يغفر له باستغفاره ذلك. ا.هـ. نعم كان النبي ﷺ يكثر من الاستغفار، لكن لا على أنه استغفار من الذنوب كذنوبنا، بل كما قال: «**إنه ليُغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**» رواه مسلم (٢٧٠٢) كتاب: الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار، قال ابن الأثير: الغين: الغيم، أراد ما يغشاه من السّهو الذي لا يخلو منه بشر؛ لأن قلبه أبدًا كان مشغولًا بالله تعالى. «النهاية» ٣/ ٤٠٣ .

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٣٠، بنحوه، و«أبي حيان» ٦/ ٧١.

قال أبو أمامة: إنما النافلة للنبيّ ﷺ(١).

وقال الحسن: لا تكون نافلة إلا للنبيّ ﷺ(٢).

وقال ابن عباس خاصة(٣)، وهذا كله مما ذكره مجاهد والسدي: أن صلاة الليل كانت زيادة للنبيّ ﷺ للدرجات لا للكفارات.

ولا يدل قوله: ﴿نَافِلَةً﴾ على أنها لم تكن واجبة عليه، فقد روى عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿نَافِلَةً لَّكَ﴾ يريد فريضة عليك زائدة على الفرائض خُصِصتَ بها من بين أمتك(٤)، هذا الذي ذكرنا مذهب أكثر أهل التفسير(٥).

وذهب قوم إلى أن معنى النافلة: التطوع الذي يتبرع به الإنسان، وقالوا: إن صلاة الليل كانت واجبة عليه ثم نُسخت عنه فصارت نافلة، أي تطوعًا وزيادة على الفرائض يتبرع بها، وهو قول قتادة والمبرد وعبدالله بن

---

(١) أخرجه الطيالسي ص١٥٥بنصه تقريبًا، و«الطبري» ١٥/ ١٤٣ بنصه، والطبراني في «الكبير» ٨/ ١٤٥، بنصه، والبيهقي في الشعب ٣/ ٢٨، بنصه، وورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٧ بنصه، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٠- بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن نصر وابن مردويه.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٧٥، بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٦ وعزاه إلى محمد بن نصر.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٧أ- بلفظه، انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٤.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٤٢، بنحوه من طريق العوفي(ضعيفة)، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٧أ، بنحوه، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٤- مختصرا، و«الطوسي» ٦/ ٥١١، بنحوه، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٥) انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ١٤٢- ١٤٣ ورجحه، و«هود الهواري» ٢/ ٤٣٧، و«الثعلبي» ٧/ ١١٧أ، و«السمعاني» ٣/ ٢٦٩، و«البغوي» ٥/ ١١٥ .

مسلم[١]، وانتصب نافلة بوقوع التهجد عليه؛ لأن معنى التهجد: صل بالليل نافلة، أي صلاة نافلة.

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ﴾ قال ابن عباس: عسى من الله واجب[٢]، وكذلك قال المفسرون كلهم في عسى من الله[٣].

قال أهل المعاني: وإنما كان كذلك لأن معنى عسى في اللغة: التقريب والإطماع، ومَنْ أطمع إنسانًا في شيء ثم حَرَمَه كان غارًّا، والله أكرم من أن يُطمع أحدًا في شيء ثم لا يعطيه ذلك[٤].

قوله تعالى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ أجمع المفسرون على أنه مقام الشفاعة[٥]؛ كما قال النبيّ ﷺ في هذه الآية: **«هو المقام الذي أشفع فيه**

---

(١) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦١ قال: تطوعًا، وأخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٦، و«الطبري» ٨/ ١٣٠، عن قتادة، قال: تطوعًا وفضيلة لك، وورد عن قتادة- كرواية الطبري- في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٧، و«الثعلبي» ٧/ ١١٧أ، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم ومحمد بن نصر عن قتادة.

(٢) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٥، بنحوه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٤، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ١/ ٤٣٨ بنصه، وعزاه إلى ابن المنذر والبيهقي في سننه.

(٣) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٨ب، و«الطبري» ١٥/ ١٤٣، و«هود الهواري» ٢/ ٤٣٧، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢.

(٤) ورد نحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٤٣، و«الثعلبي» ٧/ ١١٧أ، انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٣١، و«الخازن» ٣/ ١٧٥.

(٥) انظر: «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٩، و«تفسير مقاتل» ١/ ٢١٨ب، و«عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٦، و«الطبري» ٨/ ١٣١-١٣٢، و«هود الهواري» ٢/ ٤٣٧، و«الثعلبي» ٧/ ١١٧أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٥، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢، وأورده السيوطي في =

لأمتي»[١]، رواه أبو هريرة.

قال ابن عباس: عسى من الله واجب، يريد أعطاك الله يوم القيامة مقامًا محمودًا يحمدك فيه الأولون والآخرون، تَشْرُف فيه على جميع الخلائق، وتَسأل فتُعطى وتَشفع فتُشفَّع، ليس أحدٌ إلا تحت لوائك[٢].

وروي عن مجاهد في تفسير قوله: ﴿يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: يجلسه معه على العرش[٣].

وروي عن ابن مسعود أنه قال في هذه الآية: يقعده على العرش[٤]،

= «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٦- ٣٥٩ بعدة روايات عن: ابن عمر وأبي هريرة وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحذيفة وابن مسعود وأبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وسلمان ﷺ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٢٣ بمعناه، وأحمد ٢/ ٤٤١، ٥٢٨ بنصه، والترمذي (٣١٣٧) كتاب: التفسير، باب: ومنه سورة بني إسرائيل. بمعناه وحسنه، و«الطبري» ١٥/ ١٤٦ بنصه، والبيهقي في «الدلائل» ٥/ ٤٨٤- بمعناه، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٥، بنصه، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم وابن مردويه. والحديث ضعيف- كما قال شاكر في «شرح المسند» ٩/ ٢٠٤- لضعف داود الأَوْديّ الذي روى الحديث عن أبيه عن أبي هريرة، وقد ضعفه كثير من العلماء، انظر: ترجمته في «ميزان الاعتدال» ٢/ ٢١١، و«تهذيب التهذيب» ١/ ٥٧٢.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٤، انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٧٢، و«تنوير المقباس» ص٣٠٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٦/ ٣٠٨، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ١٤٥ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٨أ بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٥، بنحوه، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢١، و«ابن الجوزي» ٥/ ٧٦، و«العلو» للذهبي ص٩٤.

(٤) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٨أ بنصه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٧٦، و«العلو» للذهبي ص ٧٥.

وهذا تفسير فاسد وقول رذل، وقول مجاهد: معه، قولٌ موحش فظيع، ونص الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير؛ وهو قوله: ﴿يَبۡعَثَكَ﴾ والبعث لا يكون بمعنى الإجلاس، ومن فَسَّر البعث بالإجلاس فقد فَسَّره بضد ما وُضع له؛ لأن البعث وضع للإثارة؛ يقال: بعثت البارك والقاعد فانبعث، هذا هو الأصل، ثم يقال: بعث الله الميت، وبعث بمعنى أرسل راجع إلى هذا، لأنه يقيمه إلى ما يرسله إليه وله، ولأن الله تعالى قال: ﴿مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ ولم يقل: مقعدًا، والمقام موضع القيام، يدل على هذا قوله: ﴿مَّقَامِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهو موضع قدميه في حال قيامه، وقول الشاعر:

هــذا مــقــام قــدمــي ربــاح[١]

وإذا فسد هذا الفساد الظاهر لم يُعتد به[٢].

---

(١) سبق.

(٢) لقد أجاد الواحدي -رحمه الله- في رد هذا القول، لكن الغريب أن الطبري -مع ترجيحه لقول الجمهور- لم يستنكر هذا القول، بل قال: إن ما قاله مجاهد قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر، وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، ولا عن التابعين بإحالة ذلك. «تفسير الطبري» ١٥/ ١٤٧، ومعلوم أن عدم ورود الخبر عن المعصوم بذلك يكفي لإبطال هذا القول لا العكس، ولأن هذا الخبر غيبي عقدي فلا يثبت إلا بالخبر الصحيح ولا يجدي النظر في إثبات هذه القضية، لذلك لا محيد عن قول الجمهور في هذه القضية، وهو الذي أيّدته الأخبار الصحيحة، وكذلك الأخبار التي اعتمد عليها الطبري في تسويغ الجلوس لا تثبت؛ فقد ردها علماء الحديث، وفي مقدمتهم الذهبي، فقد أورده في «العلو» ص٧٥ من طريقين عن أحمد بن يونس عن سلمة الأحمر عن أشعث بن طليق عن ابن مسعود بنحوه، ثم قال: هذا حديث منكر لا يفرح به، وسلمة هذا متروك الحديث، وأشعث لم يلحق ابن مسعود، وذكر الذهبي للأثر شاهدًا بنحوه عن عبد الله بن سلام موقوفًا عليه، وقال: هذا موقوف ولا=

وفي القول الذي عليه الناس معنى قوله: ﴿يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك في ذلك

= يثبت إسناده، وإنما هذا شيء قاله مجاهد. كما أن له شاهدًا آخر من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٢/ ٦١- بنحوه، من طريق ابن لهيعة عن عطاء بن دينار عن ابن جبير عن ابن عباس، وأورده الهيثمي في «المجمع» ٧/ ٥١ وقال: وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف إذا لم يتابع، وعطاء بن دينار قيل لم يسمع من سعيد بن جبير.

أما أثر مجاهد فقد أورده الذهبي في «العلو» ص٩٤ وقال: لهذا القول طرق خمسة، وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروزي مصنفًا. وفي سند الطبري ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف مختلط- كما في «ميزان الاعتدال» ٣/ ٤٢٠، وهذا الأثر مما أُنكر على مجاهد حتى قُرن في ترجمته، قال الذهبي في ترجمة مجاهد في «ميزان الاعتدال» ٤/ ٣٥٩: ومن أَنْكَر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قوله: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: يُجلسه معه على العرش. وقال ابن عبدالبر: مجاهد وإن كان أحد الأئمة بالتأويل، فإن له قولين مهجورين عند أهل العلم؛ أحدهما هذا القول، والثاني في تأويل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] قال: معناه تنتظر الثواب. انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣١١، و«أبي حيان» ٦/ ٧٢، والشوكاني٣/ ٣٦٠.

فالحديث باطل لا يثبت لا من جهة الخبر ولا النظر، والأغرب من قول الطبري تشبث بعض المحدثين بهذا الخبر والمبالغة في قبوله إلى حد الغلو، فقد ذكر الذهبي في «العلو» ص١٠٠-١٠١، ١١٧-١١٨ أن بعض المحدثين قال: لو أن حالفًا حلف بالطلاق ثلاثًا أن الله يقعد محمدًا ﷺ على العرش واستفتاني، لقلت له: صدقت وبررت! وعقب الذهبي قائلًا: فابصر -حفظك الله من الهوى- كيف آل الغلو بهذا المحدث إلى وجوب الأخذ بأثر منكر.. ، وذكر النقاش عن أبي داود السجستاني أنه قال: من أنكرَ هذا الحديث فهو عندنا متهم، ما زال أهل العلم يتحدثون بهذا. انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٧١، و«القرطبي» ١٠/ ٣١١، و«أبي حيان» ٦/ ٧٢، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٦٥ حاشية رقم (٤٤٩)، و«سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (٨٦٥) ٢/ ٢٥٥.

المقام، يدل على هذا ما رُوي في حديث الشفاعة: «.. **فأكون أول من يدعى وأول من ينادى فأقول: لبيك وسعديك..**» الحديث[(١)].

وانتصب قوله: ﴿مَقَامًا﴾ على الظرف؛ كأنه قيل في مقام.

وقوله تعالى: ﴿مَّحْمُودًا﴾ يجوز أن يكون انتصابه على الحال مِنْ ﴿يَبْعَثَكَ﴾، أي: يبعثك محمودًا يحمدك فيه الخلق، ويجوز أن يكون نعتًا في اللفظ؛ وهو في المعنى لمحمد ﷺ، تقديره: مقامًا محمودًا فيه أنت، ويدل على هذا الوجه ما رُوي في الحديث: «**وابعثه المقام المحمود حتى يغبطه به الأولون والآخرون**»[(٢)]، والمعنى: ابعثه المقام المحمود فيه هو.

---

(١) أحاديث الشفاعة كثيرة وبعدة روايات في الصحيحين وغيرهما، لكني لم أقف على حديث بهذا اللفظ، وأقرب لفظ وجدته حديثان؛ أحدهما: موصول، والآخر: مرسل، أما الحديث الموصول، فعن حذيفة ﷺ قال: (**يُجْمَعُ الناس في صعيد، فلا تكلم نفسٌ، فأول من يتكلم محمد ﷺ فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك.. قال حذيفة: فذلك المقام المحمود**) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٧، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٢٣، ٧/ ١٥٣، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٦٦٠، والبزار [البحر الزخار] ٧/ ٣٢٩، و«الطبري» ١٥/ ١٤٤، والحاكم: التفسير/ الإسراء ٢/ ٣٦٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» ١/ ٢٧٨، وأورده الهيثمي في «المجمع» ١٠/ ٣٧٧ وقال: رواه البزار موقوفًا ورجاله رجال الصحيح، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٥٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق. أما الحديث المرسل؛ فأخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٧، عن معمر عن الزهري عن علي بن الحسين، أن النبي قال: (**إذا كان يوم القيامة مدّ الله الأرض مد الأديم**.. قال النبي ﷺ: **فأكون أول من يدعى، وجبريل عن يمين الرحمن، والله ما رآه قبلها..**) الحديث.

(٢) لم أجد حديثًا بهذا اللفظ، وأقرب لفظ لهذا الحديث ما ورد في فضل الدعاء عند النداء، وروايته: عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع** =

٨٠- قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ الآية. روى قابوس[١] عن أبيه عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ بمكة، ثم أُمر[٢] بالهجرة، وأُنزل عليه هذه الآية[٣]، فعلى هذا يريد ﴿أَدْخِلْنِى﴾: المدينة واصرفني من مكة، وهذا قول الحسن وقتادة[٤].

وقال الكلبي: هذا حين خرج من المدينة يريد الشام لقول اليهود،

= النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة» أخرجه أحمد ٣/ ٣٥٤، والبخاري (٦١٤): الأذان، الدعاء عند النداء، والنسائي: الأذان، الدعاء عند الأذان ٢/ ٢٧، سنن البيهقي: الصلاة، ما يقول إذا فرغ من ذلك ١/ ٤١٠.

(١) قابوس بن أبي ظِبْيان بالكسر والفتح، وأبو ظبيان والده هو حُصين بن جُنْدب الجَنْبي الكوفي، ضعيف الحديث، قال أبو حاتم: لين يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال ابن حبان: كان رديء الحفظ؛ ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، وربما رفع المراسيل وأسند الموقوف، روى عنه الثوري وجرير، مات سنة (١٢٩هـ).
انظر: «المجروحين» لابن حبان ٢/ ٢١٥، و«الجرح والتعديل» ٧/ ١٤٥، و«الكاشف» ٢/ ١٢٦، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ٢٨٧، و«تقريب التهذيب» (٤٤٩).

(٢) في (د): (أمرنا).

(٣) أخرجه الترمذي (٣١٣٩): التفسير، الإسراء ٥/ ٣٠٤ وقال: حديث حسن صحيح، و«الطبري» ١٥/ ١٤٨- ١٤٩ بنصه (طريق ضعيفة لضعف قابوس)، وورد عند الثعلبي ٧/ ١١٨ب بمعناه، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢ بمعناه، وأورده المصنف في «أسباب النزول» ص ٢٩٨ بلا سند عن الحسن، وورد في «لباب النقول» ص١٣٩.

(٤) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٩، بنحوه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ١٤٩، بنحوه عنهما، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٥، عنهما، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨١، عن الحسن، و«الثعلبي» ٧/ ١١٨ب، عنهما، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٦، عن قتادة، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢، بنحوه عنهما.

وقد ذكرنا القصة[١]، فقال الله له: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ يعني المدينة، ﴿وَأَخْرِجْنِى﴾: (منها إلى مكة)[٢]، ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾، أي: افتحها، واختار الفراء هذا القول[٣].

وقال مجاهد: أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مُدْخل صدق، وأخرجني منه مُخْرج صدق[٤]، ومُدخل بضم الميم مصدر الإدخال؛ يقال: أدخلته مُدخلًا، كما قال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ [المؤمنون: ٢٩]، ومعنى إضافة المدخل والمخرج إلى الصدق: مزجهما؛ كأنه سأل الله تعالى إدخالًا حسنًا لا يرى فيه ما يكره، وكذلك الإخراج.

قال الليث: يقال: هذا رجل صدق، مضافٌ، بكسر الصاد، معناه: نِعْم الرجل هو، وامرأة صدق؛ كذلك[٥].

وذكرنا فيما تقدم أن موضوع (ص د ق) للصحة والكمال، فكأنه سأل الله أن يخرجه من مكة إخراجًا لا يلتفت إليها قلبُه، ويدخله المدينة إدخالًا يطمئن فيها قلبُه، ولذلك كان يدعو فيقول: «اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة»[٦]، وكل شيء أضفت إلى الصدق، فقد مدحته وجودته.

---

(١) عند آية [٧٦].

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٢٩، وهو ما رجحه «الطبري» ١٥/ ١٥٠ وأيّده بالسياق.

(٤) «تفسير مجاهد» ص٤٤١، بنحوه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٤٩، بنحوه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٦ بمعناه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨١، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١١٨ب، بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٦، بنحوه.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (صدق) ٢/ ١٩٩٠، بنصه.

(٦) أخرجه أحمد ٦/ ٥٦، والبخاري (١٨٨٩): فضائل المدينة، كراهية النبي ﷺ أن تُعْرَى المدينة، ومسلم (١٣٧٦): الحج، الترغيب في سكنى المدينة واللفظ له، =

وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾ قال ابن عباس ومجاهد: أي حُجَّة بينة تنصرني بها على جميع من خالفني[1].

وقال الحسن وقتادة: ملكًا قويًا تنصرني به على من ناوأني، وعزًا ظاهرًا أقيم به دينك[2]، وهذا معنى قول الحسن: اجعلني أقيم الحدود[3]، وعلى هذا القول: سأل الله تعالى سلطان القدرة، وعلى القول الأول: سأل الحجة. وقد جمع بينهما أبو إسحاق فقال: أي اجعل نصرتي من عندك تسليطي بالقدرة والحجة.

وقد أجاب الله دعاءه وأعلمه أنه يعصمه من الناس فقال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وقال: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[4] [الصف: ٩]، وذهب

= والبيهقي: الجنائز، قول العائد للمريض: كيف تجدك ٣/ ٣٨٢، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٥٦٦، والبغوي في «شرح السنة» ٧/ ٣١٧، وكلهم عن عائشة، وكلهم- إلا مسلم- بلفظ: «**اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة**..».

(١) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٨ مختصرا، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥١ مختصرا عن مجاهد من طريقين، وورد مختصرًا عن مجاهد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٦، عن مجاهد، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٣٨، و«الثعلبي» ٧/ ١١٨ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٧، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥١ بمعناه عنهما، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٦ بمعناه عن الحسن، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٨ب بنصه عن الحسن، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٧ بمعناه عن قتادة، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢ بمعناه عنهما، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٢ بنصه عن الحسن.

(٣) ورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٦٧ بمعناه، انظر: «تفسير أبي حيان» ٦/ ٧٣، وفيهما تقيد إقامة الحدود على المنافقين، وفيه نظر!

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٧، بنصه.

الكلبي أيضًا إلى سلطان القدرة، فَفسَّر السلطان النصير هاهنا بِعَتَّاب بن أَسيد حين استعمله نبيّ الله ﷺ على أهل مكة، فاشتد عليهم وقال: لا يبلغني من محتلم ترك الصلاة إلا ضربت عنقه[١].

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

٨١- قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾ قال المفسرون في معنى ﴿وَزَهَقَ﴾: بطل واضمحل[٢]، وأصله من قولهم: زَهَقَتْ نَفْسُه تَزْهَقُ زُهُوقًا، وأزهقتها أنا، أي: أهلكتها[٣]، فكأن معنى: ﴿وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ﴾: خرج إلى الهلاك، قال الليث: وكل شيء هلك وبطل فقد زهق[٤].

واختلفوا في معنى الحق والباطل ها هنا؛ فقال السدي: الحق: الإسلام، والباطل: الشرك[٥].

وقال قتادة: الحق: القرآن، والباطل: الشيطان[٦].

---

(١) أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» ٤/ ٣٣٩ مختصرا من طريق الكلبي عن ابن عباس، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٨ب، بنحوه، انظر: «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٧٢، و«تفسير مبهمات القرآن» للبلنسي ٢/ ١٣٣، و«الإصابة» ٢/ ٤٥١.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (زهق) ٢/ ١٥٧١ بنصه، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٣٨- بمعناه، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢، بنحوه.

(٣) انظر (زهق) في «المحيط في اللغة» ٣/ ٣٣٨، و«الصحاح» ٤/ ١٤٩٣، و«مجمل اللغة» ١/ ٤٤٣، و«اللسان» ٣/ ١٨٧٩.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (زهق) ٢/ ١٥٧١، بنصه.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩أ بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٢، بنصه.

(٦) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٩، بنصه، و«الطبري» ١٥/ ١٥٢ بنصه، وورد بنصه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٦، و«الثعلبي» ٧/ ١١٩أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٧، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال ابن جريج: الحق: الجهاد والقتال، والباطل: الشرك وما هم فيه[(١)].

قال ابن عباس[(٢)]: أمر الله نبيه ﷺ إذا دخل مكة أن يقف على الأصنام التي كانوا يعبدونها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾.

وروي عن ابن مسعود أنه دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون نُصُبًا، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾، فجعل الصنم ينكب لوجهه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ قال ابن عباس: يريد كل ما كان من الشيطان كان خارجًا من الحق[(٤)].

٨٢- قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (من) ها هنا ليست للتبعيض بل هو للجنس، [كقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾ [الحج: ٣٠]، والمعنى: ﴿وَنُنَزِّلُ﴾: من هذا الجنس][(٥)] الذي

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٢ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩أ مقتصرًا على معنى الحق بنصه، والماوردي ٣/ ٢٦٧، بنصه.

(٢) في (أ)، (د)، (ش): (قال الله تعالى)، والصواب المثبت من (ع)

(٣) أخرجه بنحوه: «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٨، وابن أبي شيبة ٧/ ٤٠٣، عن جابر، والبخاري (٤٧٢٠) كتاب: التفسير، باب: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ﴾، ومسلم (١٧٨١) كتاب: الجهاد، باب: إزالة الأصنام من حول الكعبة، والترمذي (٣١٣٨): التفسير، الإسراء، والنسائي في تفسيره ١/ ٦٦٥، و«الطبري» ١٥/ ١٥٢، و«البغوي» ٣/ ١٣٣، وورد بنصه تقريبًا في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨١، و«الثعلبي» ٧/ ١١٩أ، و«الطوسي» ٦/ ٥١٢، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن مردويه.

(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٧، بنصه.

(٥) ما بين معقوفين ساقط من (أ)، (د).

هو قرآن، ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾، فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، قال قتادة: إذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه[(١)]، فعلى هذا، معنى كونه شفاءً: أنه[(٢)] ببيانه يزيل عمى الجهل وحَيْرَة الشك، يُستشفى به من الشبهة، ويهتدى به من الحيرة، فهو شفاء من داء الجهل.

وقال ابن عباس: يريد شفاءً من كل داء[(٣)]، وعلى هذا، معناه: أنه يُتَبَرَّك به؛ فيدفع الله به كثيرًا من المكاره والمضار، ويؤكد هذا الوجه ما روي أن النبيّ ﷺ قال: «**من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله**»[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: يريد ثوابًا من الله لا انقطاع له[(٥)]، يعني: في تلاوته، يرحمهم الله بها ويثيبهم عليها.

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٣ بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩أ بنصه، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٦، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق -لم أجده- وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ساقطة من (ع).

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٧، وورد بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩أ.

(٤) وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩أب نصه عن رجاء الغنوي، و«الزمخشري» ٢/ ٣٧٣، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٣٤، و«أسد الغابة» ٢/ ٢٧١ في ترجمة رجاء، وورد في «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣١٥، و«كنز العمال» ١٠/ ٩ وعزاه إلى الدارقطني في الأفراد، وقد أشار إلى ضعف الحديث الذهبي- فيما نقله المناوي عنه في «الفيض» ١/ ٤٩١ في تاريخ الصحابة- فقال في ترجمة رجاء: هذا له صحبة، نزل البصرة، وله حديث لا يصح في فضل القرآن. أما الشوكاني فقد ذكره في «الموضوعات» [الفوائد المجموعة] ص٢٩٦ وقال: هو موضوع، وقال الألباني: ضعيف جدًا. «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (١٥٢) (١/ ٢٨٣).

(٥) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٧.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ يعني لا يزيد ما هو شفاء للمؤمنين إلا خسارًا للظالمين، والفعل الذي هو (يزيد) مسند إلى ما في قوله: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾، المراد بـ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المشركين، قاله ابن عباس.

قال قتادة: لأنه لا يحفظه ولا ينتفع به ولا ينتفعون بمواعظه[١]، فالقرآن سبب لهداية المؤمنين وزيادة لخسار الكافرين.

٨٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ قال ابن عباس: يريد الوليد بن المغيرة[٢]، ﴿أَعْرَضَ﴾، معنى أعرض في اللغة: وَلَّى عَرْضَه، أي ناحيته[٣]، والمعنى: أنه لا يُقْبِل على الدعاء والابتهال على حسب ما يُقْبل في حال البلوى والمحنة[٤].

﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾، قال مجاهد وابن عباس: تباعد[٥].

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٣، بنحوه، انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٧، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٠ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق -لم أجده- وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٨، وانظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٨٠، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٣٥، والآية عامة في كل من اتصف بما فيها، وذكر الوليد من قبيل التفسير بالمثال.

(٣) انظر عرض في «المحيط في اللغة» ١/ ٣٠٦، و«الصحاح» ٣/ ١٠٨٤، و«اللسان» ٥/ ٢٨٨٩.

(٤) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٦، بنصه تقريبًا.

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٨ بلفظه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٣ بلفظه عن مجاهد من طريقين، وورد بلفظه عن مجاهد في «معاني القرآن» للنحاس٤/ ١٨٧، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٣٨، و«الطوسي» ٦/ ٥١٤، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وروى شِبْل عن مجاهد: بَعُدَ مِنّا[١]، وقال عطاء: تَعَظَّم وتَكَبَّر[٢].

وقال أهل المعاني: بَعَّد نفسه عن القيام بحقوق نعم الله ﷻ[٣]، ومعنى النَّأْي في اللغة: البُعْد، ونَأَى الشيءَ إذا بَعّده[٤]، وذكرنا الكلام في النَّأْي عند قوله: ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ومعنى ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ كمعنى أعرض، وفيه زيادة معنى البعد، وفي قوله: ﴿وَنَـَٔا﴾ وجوه من القراءة؛ أحدها: وهو قراءة العامة (نَـَٔا) بفتحتين[٥]، وقرأ ابن عامر (نآء) مثل بَاعَ[٦]، وهذا على القلب، وتقديره: فلعَ[٧]، ومثل هذا في القلب: رأى وراءَ، قال كثير:

وكلُّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ ... مِن أجلِكِ هذا هامَةُ اليومِ أو غَدِ[٨][٩]

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» ٣/ ٦٧.

(٢) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩أ، بنصه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٣، و«تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٨٠ بلا نسبة.

(٣) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٥١٤، بنصه، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٢١.

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (ناء) ٤/ ٣٤٧٢، و«المحيط في اللغة» (نأى) ١٠/ ٤١٩، و«اللسان» (نأي) ٧/ ٤٣١٤.

(٥) قرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وحفص وغيرهم. انظر: «السبعة» ص٣٨٤، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٧، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٨٢، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣٠.

(٦) انظر المصادر السابقة.

(٧) أي مقلوب الميزان فعل: فلع.

(٨) «ديوانه» ص١٣٣، وورد في «الكتاب» ٣/ ٤٦٧، و«الكامل» ٢/ ٨٠٦، و«الحلبيات» ص٤٧، و«أمالي ابن الشجري» ٢/ ٢٠٢، و«اللسان» (هوم) ٨/ ٤٧٢٣، (رأي) ٣/ ١٥٤٥، (هامةُ اليوم أو غد): كناية عن اقتراب المريض من أجله؛ أي سيموت اليوم أو غدًا، وذلك من تأثير الشوق والحزن فيه، وأصل الهامة: طائر يخرج من رأس الميت -كما تزعم العرب. والشاهد: راءني يريد رآني، ولكنه قلب فأخّر الهمزة.

(٩) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٧، بنصه.

قال أبو عبيدة: والعرب تقول ذلك؛ تُقَدّم الهمزة وتؤخرها[١]، وأنشد[٢]:

وَلَقَدْ أراكَ تُشَآءُ بالأَظْعَانِ[٣]

أراد تُشَاء فأَخَّر الهمزة، ومما[٤] قدَّموا قولهم في جمع البِئْر: آبار، وأصلها: أبآر[٥]، فقدَّموا الهمزة مثل: جِذْع وأجْذَاع، وقِطع وأقطاع.

وقرأ حمزة والكسائي: (نِئى) بإمالة الفتحتين[٦]، ووجه ذلك: أنه أمال فتحة الهمزة لأن الألف منقلبة من الياء التي في (النَّأي)، فأراد أن

---

(١) ليس في مجازه.

(٢) للحارث بن خالد المخزومي (جاهلي).

(٣) وصدره:

مرّ الحُمُولُ فما شَأَوْنَكَ نَقْرَةً

«شعر الحارث بن خالد» ص١٠٧، وورد في: «المعاني الكبير» ١/ ٧٠، و«تهذيب اللغة» (شأي) ٢/ ١٨١٧، و«المنصف» ٣/ ٧٧، و«اللسان» (شأي) ٤/ ٢١٧٩، و«المزهر» ١/ ٤٧٩، و«نوادر أبي زيد» ص٢٢٤ نسبه للأصمعي، وورد بلا نسبة في «المخصص» ١٤/ ٢٧، و«الخزانة» ٨/ ١٦٧ (الحمول): الإبل عليها النساء، (شَأَوْنَكَ): شَآني الشيءُ شَأْوًا: أعجبني، وقيل: حَزَنَني، (نقرة): النقر هو الصوت العالي، كضرب الرّحى والحجر، (الأظعان): واحده ظعينة، وهو الهودج تكون فيه المرأة، يقول: مرت الحمول فما هيجن شوقك وكنت قبل ذلك يهيج وجدك بهن إذا عاينت الحمول. انظر: «اللسان» (نقر) ٨/ ٤٥١٨، (ظعن) ٥/ ٢٧٤٨.

(٤) ساقطة من (ع).

(٥) ساقط من (أ)، (د).

(٦) انظر: «السبعة» ص٣٨٤، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٧، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٨٢، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١٥، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣٠.

ينحو نحوها، فأمال فتحة النون لإمالة فتحة الهمزة، ولم يمل خلَّاد[١] عن سُلَيْم[٢] فتحة النون لأجل إمالة فتحة الهمزة، وقرأ (نَئِيَ) بفتح النون وكسر الهمزة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ قال ابن عباس: يريد إذا أصابه مرض أو فقر يئس من رحمة الله[٤].

وقال أهل المعاني: هذا من صفة الجاهل بالله، وهو ذمّ له بأنه لا يثق بفضل الله على عباده، فيطمع في كشف تلك البلية من جهته، وحَسِبَ أن الشَّرّ ضَرْبَة لازب[٥]، ويؤوس: فعول من اليأس، ومضى الكلام في اليأس

---

(١) في جميع النسخ: (خلف)، والصحيح (خلَّاد)، كما ورد في المصدر «الحجة»، و«السبعة» ص٣٨٤، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣٠، أما رواية خلف عن سُليم فهي: بإمالة النون وكسر الهمزة، كما في السبعة والحجة.
وخلَّاد هو: ابن خالد، أبو عيسى الصَّيرفي الكوفي، الأحول، إمام في القراءة ثقة عارف محقق أستاذ، أخذ القراءة عرضًا عن سليم، وهو من أضبط أصحابه وأجلهم، روى القراءة عنه عرضًا أحمد الحلواني وعنبسة بن النضر، حدث عنه أبو زرعة وأبو حاتم، مات سنة (٢٢٠هـ).
انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ٢١٠، و«غاية النهاية» ١/ ٢٧٤، و«النشر» ١/ ١٦٦.

(٢) سُلَيْم بن عامر بن غالب، أبو عيسى الحنفي الكوفي، المقرئ صاحب حمزة الزيات وأخص تلامذته وأحذقهم بالقراءة، وهو الذي خلف حمزة في الإقراء بالكوفة، قرأ عليه خلف وخلاد، ولد سنة (١٣٠هـ)، وتوفي سنة (١٨٨هـ) انظر: «معرفة القراء الكبار» ١/ ١٣٨، و«غاية النهاية» ١/ ٣١٨، و«النشر» ١/ ١٦٦.

(٣) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٧، باختصار وتصرف.

(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٣٩، انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٤.

(٥) أي لازم، يقول الفراء: اللَّازب واللَّاتب واللاصق واحد، والعرب تقول: ليس هذا بِضَرْبَةِ لازم ولازب، يبدلون الباءَ ميمًا. ورد في «تهذيب اللغة» (لزب) ٤/ ٣٢٥٨.

عند قوله: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ﴾ [يوسف: ٨٠].

٨٤- قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ اختلفت العبارة في تفسير الشاكلة؛ فقال ابن عباس في رواية الوالبي وعطاء: على ناحيته(١)، وهو قول الأخفش(٢)، والفراء قال: ومِثْلُه الطريقة والجَدِيلة(٣).

وقال مجاهد: على جديلته(٤)، وروي عنه: على طبيعته(٥).

قال شمر: ما رأيت تصحيفًا أشبه بالصواب مما قرأ مالك بن سليمان الهروي(٦) في التفسير عن مجاهد في قوله: ﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ أي جديلته، فصَحَّفَ وقال: حَدِ يليه، وهو قريب بعضه من بعض(٧).

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٤ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩ب- بلفظه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٣، و«ابن عطية» ٩/ ١٧٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ليس في معانيه، وورد في «تهذيب اللغة» (شكل) ٢/ ١٩١٥، بلفظه.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٠، بلفظه.

(٤) أخرج الطبري عنه١٥/ ١٥٤ بمعناه، قال: على ناحيته. (الجديلة): هي الشاكلة والناحية. انظر: (جدل) في «المحيط في اللغة» ٧/ ٤٣، و«القاموس المحيط» (٩٧٧).

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٤ بلفظه، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٨، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٧، و«الطوسي» ٦/ ٥١٤، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٢٢.

(٦) في المصدر سليمان بن مالك والصحيح ما ذكره الواحدي، ومالك بن سليمان الهروي، قاضي هراة، روى عن إسرائيل وشعبة، قال عنه العقيلي: فيه نظر، وضعفه الدارقطني، وقال أبو حاتم: لا أعرفه. انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٢١٠، و«الضعفاء الكبير» ٤/ ١٧٣، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ٣٤٧.

(٧) ورد في «تهذيب اللغة» (جدل) ١/ ٥٦٠، بنصه تقريبًا.

وقال الحسن وقتادة: على نيته[(١)]، وقال ابن زيد: على دينه[(٢)].

وقال الزجاج: على مذهبه[(٣)].

وقال أبو عبيدة والقتيبي: على خليقته[(٤)]، هذا كلامهم، وأصل هذا في اللغة من المشابهة؛ يقال لِشِبْهِ الشيء: شَكْلُه، يقال: في فلان شَكْلٌ من أبيه، وأَشْكَلَةٌ وشُكْلَةٌ وشاكلٌ ومشاكلةٌ[(٥)]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ﴾ [ص: ٥٨]، أي: من مثل ذلك الأول.

وقال الأخفش: يقال: هذا من شكل هذا، أي: من ضربه ونحوه[(٦)].

وقال الليث: الشاكلة من الأمور ما وافق فاعله[(٧)]، والمعنى: أن كل أحد يعمل على طريقته التي تُشاكل أخلاقه، وعبارات المفسرين في تفسير الشاكلة متقاربة، والكل ينبئ عما يشاكل طبيعة الإنسان، وكل إنسان يجري على مذهبه وطريقته وعادته التي أَلِفَها وجُبِل عليها، والإشارة في هذا؛ أن الكافر يعمل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرخاء، والصبر والاحتساب

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٤، بنحوه عن قتادة، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٨، عن الحسن، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩ب، عن قتادة، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٩، انظر: «تفسير البغوي» ٣/ ١٣٣، عنهما، و«ابن الجوزي» ٥/ ٨٠، عن الحسن، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦١ وعزاه إلى هناد وابن المنذر عن الحسن.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٤ بلفظه، وورد بلفظه في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٦٩، انظر «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٧٨، و«ابن الجوزي» ٥/ ٨٠، و«القرطبي» ١٠/ ٣٢٢.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٧، بلفظه.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٣٨٩- بلفظه، و«الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦١، بلفظه.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (شكل) ٢/ ١٩١٥، بنصه.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (شكل) ٢/ ١٩١٦، بنصه.

(٧) ورد في «تهذيب اللغة» (شكل) ٢/ ١٩١٦، بنحوه.

عند البلاء، ألا ترى أنه قال: ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا﴾، أي: بالمؤمن الذي لا يعرض عند النعمة ولا ييأس عند المحنة.

٨٥- قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية. قال ابن عباس في رواية عطاء: اجتمعت قريش فقال بعضهم لبعض: والله ما كان محمد بكذاب، ولقد نشأ فينا بالصدق والأمانة، فإن شئتم فأرسلوا منكم جماعة إلى يهود يثرب حتى يسألوهم عنه، فخرج منهم طائفة حتى لقوا أحبار اليهود فسألوهم عنه، فقال لهم اليهود: سلوه[1] عن ثلاثة، فإن أخبركم عن اثنين وأمسك عن الثالثة فهو نبي؛ سلوه عن فتية فُقِدوا، وسلوه عن ذي القرنين، وسلوه عن الروح، فقدم النفر من قريش إلى مكة ثم اجتمعوا فسألوا النبيّ ﷺ فقال لهم رسول الله ﷺ: «**غدًا أخبركم**» ولم يستثن، فأبطأ عنه الوحي أربعين يومًا لِمَا أراد الله، ثم نزل الوحي عليه بعد أربعين يومًا: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] ثم فَسَّر لهم أمر الفتية الذين فُقِدوا في سورة الكهف، وفَسَّر لهم قصة ذي القرنين، وأبهم قصة الروح؛ وذلك أنه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره إلا ذكر اسمه الروح، وأنزل قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية[2]، فعلى هذا القول سألته قريش عن الروح، ونحو هذا روى عكرمة

---

(١) في (أ)، (ش)، (د): (سلوهم)، والمثبت من (ع) وهامش نسخة (أ) هو الصحيح.

(٢) ورد في «السيرة» لابن هشام ١/ ٣٢١، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٥ مطولًا من طريق عكرمة، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٧٠ من طريق سعيد بن جبير، وورد في «دلائل النبوة» للأصبهاني ص٢١٦، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وفي «لباب النقول» ١٤٣، والحديث ضعيف بسبب الجهالة والاضطراب؛ إذ رواه ابن إسحاق في رواية الطبري عن رجل من أهل مصر، وفي رواية البيهقي عن رجل من أهل مكة، لكن في سورة الكهف آيات تشير إلى حدوث الأسئلة.

عن ابن عباس[١].

وقال ابن مسعود: سألته اليهود عن الروح وذكر في[٢] ذلك قصة[٣]، ونحو هذا قال مجاهد[٤].

---

(١) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٥، والترمذي (٣١٤١) في التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، وقال حسن صحيح، وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٢٦٤، وأبو يعلى في «مسنده» ٤/ ٣٨١، وأبو الشيخ في «العظمة» ص١٩٢، والحاكم ٢/ ٥٣١ وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الدلائل» ٢/ ٢٦٩، وأورده المصنف في «أسباب النزول» ص ٢٩٩.

(٢) في (أ)، (د): (وذكرو ذلك)، والمثبت من: (ش)، (ع).

(٣) ورد لهذه القصة عدة روايات، منها ما رواه الشيخان، البخاري (١٢٥) كتاب: العلم، باب قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ومسلم (٢٧٩٤)، في الجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح. عن ابن مسعود ﷺ قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرْثٍ وهو متكئٌ على عسيب إذ مرّ اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه ؟ [أي ما إربكم وحاجتكم إلى سؤاله] وقال بعضهم: لا يستقبلُكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يردّ عليهم شيئًا، فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحيُ قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أخرجه أحمد ١/ ٣٨٩، والبخاري (٤٧٢١) التفسير، الإسراء، ومسلم (٢٧٩٤) الموضع السابق، والترمذي (٣١٤١) في التفسير، باب ومن سورة بني إسرائيل، وابن أبي عاصم في «السنة» ١/ ٢٦٣، والنسائي في «تفسيره» ١/ ٦٧٠، و«الطبري» ١٥/ ١٥٥، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٥٩، وأبو نعيم في «الدلائل» ٢/ ٣٥٧، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٨٩، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٢، و«الثعلبي» ٧/ ١١٩ب، وأوردها المصنف في «أسباب النزول» ص٢٩٩، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن حبان وابن مردويه والبيهقي في الدلائل، وليس فيها؛ بل في «الأسماء والصفات».

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٦٩، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٦ من طريقين.

واختلفوا في الروح المسؤول عنه؛ فقال علي بن أبي طلحة: هو مَلَك[١]، وهو قول علي ﷺ قال: هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه، لكل وجه سبعون ألف لسان، لكل لسان سبعون ألف لغة يُسَبّح الله ﷻ بتلك اللغات كلها، يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة[٢]، ونحو هذا قال سعيد بن جبير، قال: ولم يخلق الله خلقًا أعظم من الروح غير العرش، لو شاء أن يبلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل، وهو المذكور في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[٣] [النبأ: ٣٨].

وقال الحسن وقتادة: هو جبريل[٤]، قال أبو إسحاق: ومن تأول ذلك

---

(١) أخرجه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة «الطبري» ١٥/ ١٥٦، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٦٢.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٦ بنصه، وابن الأنباري في «الأضداد» ص٤٢٣، بنصه، وأبو الشيخ في «العظمة» ص١٩٤، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٦٢، بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩ب، بنصه، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٩- بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٥١٥، بنحوه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم، والأثر ضعيف، لجهالة أحد الرواة، وهو شيخ أبي هران الذي لم يسم، حيث قال: ... حدثني أبو هران يزيد بن سمرة القيساري عمن حدثه عن علي ﷺ أنه قال: الحديث. وقال ابن عطية: وما أظن القول يصحُ عن علي ﷺ، وقد ضعفه الفخر الرازي -كذلك- من عدة وجوه، وقال ابن كثير: وهذا أثر غريب عجيب. انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٨١، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٣٩، و«ابن كثير» ٣/ ٦٩.

(٣) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٠أ مطولًا، وانظر: «البغوي» ٥/ ١٢٥، و«الخازن» ٣/ ١٧٩، وقد ورد في هذا الأثر أشياء غيبية غريبة لا يصح القول بها إلا بخبر صحيح عن المعصوم، وهو ما لم أقف عليه، وحسبك لرده أن مصدره الثعلبي!

(٤) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٨ بلفظه عنهما، و«الطبري» ١٥/ ١٥٦ بلفظه عن =

فدليله قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال مجاهد: الروح: خَلْقٌ ليسوا بالملائكة على صورة بني آدم، يأكلون، ولهم أيد وأرجل ورؤوس(١).

وقال أبو صالح: يشبهون الناس، وليسوا بالناس(٢).

وقال قوم: هو القرآن(٣)، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد، من أتاك بهذا القرآن، فبين الله أنه من عنده، فقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾. قال أبو إسحاق: ودليل هذا القول قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]، وتأويل تسمية القرآن بالروح أن القرآن حياة القلوب

= قتادة، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٠، عن الحسن، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٢، عنهما، و«الثعلبي» ٧/ ١١٩ب، عنهما، ولا وجه البتة لتفسيره بجبريل هنا.

(١) أخرجه «الطبري» ٣٠/ ٢٣، بنحوه، وأبو الشيخ في «العظمة» ص١٩٧، بنحوه، وورد بنحوه في: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٢، و«الثعلبي» ٧/ ١١٩ب، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٥، قال الفخر الرازي -تعقيبًا على هذا القول والذي يليه-: ولم أجد في القرآن ولا في الأخبار الصحيحة شيئًا يمكن التمسك به في إثبات هذا القول، وأيضًا فهذا شيء مجهول فيبعد صرف هذا السؤال إليه. «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٣٩.

(٢) أخرجه «الطبري» ٣٠/ ٢٣ بنصه، وأبو الشيخ في «العظمة» ص١٩٥ بنصه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٦٣، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١١٩ب، بنحوه، وهو كسابقه.

(٣) أخرجه بلفظه «الطبري» ٣٠/ ٢٣، عن ابن زيد، وأبو الشيخ في «العظمة» ص١٩٦، عن الضحاك، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٠، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٢، و«هود الهواري» ٢/ ٤٤٠، عن الحسن، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٠أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٦٩، عن الحسن، و«الطوسي» ٦/ ٥١٥، عن الحسن، وهو أيضًا بعيد هنا.

وحياة النفوس[١] فيما تصير إليه من الخير عند الله ﷻ[٢].

وقال آخرون: هو روح الحيوان[٣]، وهو الأظهر في الكلام الذي يسبق إلى الأفهام[٤]، ونذكر ها هنا الكلام في الروح واشتقاقه ومعناه وبالله التوفيق، الروح الذي يحيا به البدن يُذَكّر ويُؤَنث، وأكثر الناس على أن اشتقاقه من الريح، والريح في الأصل روح، والعرب تسمي النفخ والنفس الذي يخرج من الإنسان روحًا.

قال ذو الرُّمَّة:

فقلتُ له ارفعها إليك وأحْيِها   برُوحك واجعله لها قِيتَةً قدْرا[٥]

---

(١) في (د): (النفس).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٨، بنصه تقريبًا.

(٣) ورد في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٧، بلفظه، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٠، بمعناه، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٠، بلفظه، و«الطوسي» ٦/ ٥١٥، بلفظه.

(٤) وهذا هو القول المشهور والصحيح، وعليه أكثر المفسرين، ذكره البيهقي في «الأسماء والصفات» ص٤٥٩، والسمعاني في «تفسيره» ٣/ ٢٧٤، وقال أبوحيان ٦/ ٧٥ هو قول الجمهور، وقد ذهب إليه: «الجصاص» ٣/ ٢٠٧، والطوسي ٥/ ٥١٥، والسمعاني ٣/ ٢٧٤، و«البغوي» ٥/ ١٢٦، و«الخازن» ٣/ ١٧٩، وابن حجر في «الفتح» ٨/ ٢٥٥ وقال: وجنح ابن القيم- في كتاب «الروح» ٢/ ٥٢٤- إلى ترجيح أن المراد بالروح المسؤول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨] قال: وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفسًا. ثم قال: ولا دلالة في ذلك لما رجحه، بل الراجح الأول، وأيّده بما رواه «الطبري» ١٥/ ١٥٦، عن ابن عباس رضي الله عنهما من طريق العوفي في هذه أنهم سألوه عن الروح: وكيف يعذب الروح الذي في الجسد، وإنما الروح من الله؟ فنزلت الآية.

(٥) «ديوانه» ٣/ ١٤٢٩برواية: (واقْتَتْهُ) بدل: (واجعله)، وورد في «تهذيب اللغة» (راح) ٢/ ١٣١٣، و«الأسماء والصفات» ص٤٦١، و«الأساس» ١/ ٣٧٨، =

يذكر نارًا ناولها صاحبه، وقوله: (أحيها بروحك)، أي: بنفخك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩] وقال آخرون: سمي روحًا لأنه يهتز وينبسط وينتشر في جميع البدن، من قولهم: رجْلٌ أروح، ورِجلٌ روحاء، هي التي في صَدْرِ قدمها انبساط، وقَصْعَةٌ رَوْحَاءُ قريبة القَعْرِ منبسطة، وإناء أروح[1]، وسميت الخمر رَاحًا لاهتزاز البدن وخفته وانبساطه عند شربها[2].

واختلفوا في ماهية[3] الروح[4]؛ فقال قوم: إن الروح هو الدم، ألا ترى أن من نزف دمه مات، والميت لا يفقد جِسْمُه إلا الدم[5]، وزعمت

= و«اللسان» (روح) ٣/ ١٧٦٦، و«المفردات» ص٦٨٧ بلا نسبة.
(ارفعها): أي ارفع النار، (اقتته): افتَعِلهُ من القوت، وقاته يقوته قُوتًا: أطعمه قُوتَه، وأقاته يُقِيتُهُ: جعل له ما يقوته، ويقال: ما له قوت ليلة، وقِيتُ ليلة، وقيتَةُ ليلة، نحوُ: الطعْم والطِّعْمَةِ.

(١) انظر: راح في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٣١٣، و«المحيط في اللغة» ٣/ ١٩٨، و«مقاييس اللغة» ٢/ ٤٥٤، و«الصحاح» ١/ ٣٦٧، و«اللسان» ٣/ ١٧٦٦ .

(٢) انظر: «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» ٢/ ٥٠٤.

(٣) في جميع النسخ: (مائية)، والصواب المثبت كما دلّ عليه التفصيل بعده.

(٤) ليت الواحدي -رحمه الله- لم يخض في هذا الموضوع الفلسفي الذي لا طائل من ورائه ولا يقوم عليه عمل، وبحث لا يستند إلى علم، لذلك كان الأولى، بل الواجب أن يفوض أمر ماهية الروح ومسكنه ومدخله ومخرجه- مما تكلم عنه- إلى الله تعالى، كما قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، وما أحسن ما قاله ابن الجوزي، قال: وقد اختلف الناس في ماهية الروح. . ولا يُحتاج إلى ذكر اختلافهم ؛ لأنه لا برهان على شيء من ذلك، وإنما هو شيء أخذوه عن الطب والفلاسفة، فأما السلف فإنهم أمسكوا عن ذلك، لقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ انظر: «البغوي» ٥/ ١٢٦، و«ابن الجوزي» ٥/ ٨٣.

(٥) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٦، و«الخازن» ٣/ ١٧٩.

طائفة أن الروح هو استنشاق الهواء، ألا ترى أن المخنوق ومن مُنع عن استنشاق الهواء يموت[١].

وأخبرني العروضي عن الأزهري قال: سمعت المنذري يقول: سمعت أبا الهيثم يقول: الروح إنما هو النَّفَسُ الذي يتنفسه الإنسان، وهو جار في جميع الجسد، فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه، وإذا تَتَامَّ خروجه بقي بصره شاخصًا نحوه حتى يُغْمض، وهو بالفارسية جان[٢].

وزعم ابن الروندي[٣] أنه جسم لطيف أُسكن البدن[٤].

وقال عامة المعتزلة والنجارية[٥]:

---

(١) انظر: «تفسير الخازن» ٣/ ١٧٩.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (راح) ٢/ ١٣١٣، بنصه.

(٣) أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، وقيل: الرِّيوَنْديّ، الزنديق الشهير، كان من متكلمي المعتزلة ثم تزندق واشتهر بالإلحاد، وقيل: كان لا يستقر على مذهب، كان غاية في الذكاء ولم يك زكي النفس، صنف كتبًا كثيرة يطعن فيها على الإسلام، وألَّف لليهود والنصارى يحتجُّ لهم في إبطال نبوة سيد البشر، وكان يلازم الرافضة والملاحدة، قيل: كان أبوه يهوديًا فأسلم هو، فكان بعض اليهود يقول للمسلمين: لا يفسد هذا عليكم كتابكم كما أفسد أبوه علينا التوراة، قال ابن الجوزي: وإنما ذكرته ليعرف قدر كفره، وقال ابن حجر: إنما أوردته لألعنه، مات سنة (٢٩٨هـ).

انظر: «المنتظم» ١٣/ ١٠٨، و«وفيات الأعيان» ١/ ٩٤، و«سير أعلام النبلاء» ١٤/ ٥٩، و«لسان الميزان» ١/ ١٩٤.

(٤) ورد في «مقالات الإسلاميين» ص٣٣٢، بنحوه، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٦، و«الخازن» ٣/ ١٧٩ بلا نسبة فيهما.

(٥) هم أتباع الحسين بن محمد النجّار، من فرق المرجئة، يعتقدون أن الإيمان بالقول دون العمل، وأن من كان مؤمنا لا يزول عنه اسم الإيمان إلا بالكفر، ويثبتون للفعل فاعلين؛ الله تعالى والعبد، واتفقوا مع المعتزلة في نفي بعض الصفات =

الروح عرض[١]، ومثله حكى القلانسي[٢] من أصحابنا عن عبدالله ابن سعيد[٣].

وقال بعض الحكماء: إن الله تعالى خلق الأرواح من ستة أشياء: من جوهر النور والطِّيبِ والبقاء والحياة والعلم والعلو، ألا ترى أنه ما دام في الجسد كان الجسد نورانيًا؛ تبصر العينان وتسمع الأذنان، ويكون طَيبًا فإذا خرج نَتِنَ الجسدُ، ويكون باقيًا فإذا زايله الروح لم يعلم شيئًا، ويكون الجسد علويًّا لطيفًا مادام فيه الروح، فإذا خرج صار سفليًّا كثيفًا[٤].

وقال محمد بن موسى الواسطي[٥]: خلق الله الأرواح

= والقول بخلق القرآن، وهم أكثر من عشر فرق بالري. انظر: «مقالات الإسلاميين» ١٣٥، و«الفرق بين الفرق» ٢٥، و«البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» ٣٩.

(١) ورد في «مقالات الإسلاميين» ص٣٣٤ بلا نسبة، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٦ بلا نسبة، و«الروح» لابن القيم ٢/ ٥٧٣ بلا نسبة.

(٢) أبو أحمد مصعب بن أحمد البغدادي القلانسي [نسبة إلى القلانس-جمع قلنسوة- وعملها]، شيخ الصوفية، صاحب أبي حمزة وعليه تخرج، وكان أبو حمزة والجنيد وجماعة المشايخ يكرمونه ويقدمونه على غيره، وكان أبو سعيد ابن الأعرابي ينتمي إليه في التصوف وصحبه إلى أن مات، حج سنة (٢٧٠هـ) فمات بمكة. انظر: «حلية الأولياء» ١٠/ ٣٠٦، و«اللباب في تهذيب الأنساب» ٣/ ٦٧، و«سير أعلام النبلاء» ١٣/ ١٧٠.

(٣) عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي المفسّر، أبو سعيد الأشج، حدث عن هُشيم وأبي بكر بن عياش، وعنه الأئمة الستة وابن خزيمة، قال الذهبي: رأيت تفسيره مجلدٌ، مات سنة (٢٥٧هـ) انظر: «الجرح والتعديل» ٥/ ٧٣، و«سير أعلام النبلاء» ١٢/ ١٨٢، و«طبقات المفسرين» للداوودي ١/ ٢٣٥.

(٤) انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٢٦ مختصرًا، و«الخازن» ٣/ ١٧٩ مختصرًا.

(٥) محمد بن موسى الواسطي، قاضي الرملة، قال ابن يونس -في تاريخ مصر- كان =

من[١] بين الجمال والبهاء، فلولا أنه سترها لسجد لها كل كافر[٢].

وقال أبو قِلابَة: ما خلق الله شيئًا أطيب من الروح وما انتزع من شيء إلا نتن[٣]، والاختيار في ماهية الروح أنه جسم لطيف توجد به الحياة، وقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ﴾ إلى قوله: ﴿يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] يدل على أن الروح جسم؛ لأن الارتزاق والفرح من صفات الأجسام، والمراد بهذا أرواحهم لأن أبدانهم قد بليت في التراب، وكذلك ما روي: «**أن أرواح الشهداء تَعْلُقُ من شجر الجنة وتأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش**»[٤]، وهذا الفعل لا يتأتى من العَرَض.

= عالمًا بالفقه والتفسير، ويتفقه على مذهب أهل الظاهر، وقد رمي بالقدر، مات سنة (٣٢٠هـ). انظر: «طبقات المفسرين» للسيوطي ص١١٧، و«طبقات المفسرين» للداوودي ٢/ ٢٦٤.

(١) في د: (ما).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لم أقف على هذه الرواية بنصها، بل وردت مفرداتها في أحاديث متفرقة، أقربها: عن ابن كعب بن مالك عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أرواح الشهداء في طير خُضرٍ تَعْلُقُ من ثمرة الجنة أو شجر الجنة..**» أخرجه أحمد ٦/ ٣٨٦، والترمذي (١٦٤١) كتاب فضل الجهاد، باب ما جاء في ثواب الشهداء ٤/ ١٧٦ وقال: حديث حسن صحيح، والطبراني في «الكبير» ١٩/ ٦٦، بنحوه، وفي رواية عن ابن مسعود أن النبي ﷺ سئل عن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩] فقال: «**أرواحهم في جوف طير خُضرٍ لها قناديل معلقة بالعرش..**» أخرجه مسلم (١٨٨٧) في الأمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ٣/ ١٥٠٢، والترمذي (٣٠١١) كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٢٨٠١): الجهاد، باب فضل الشهداء

وأما مدخل الروح ومخرجه، فقال قوم: يدخل من المنافذ كلها ويخرج من المنافذ كلها، وقال بعضهم: يدخل من الأنف ويخرج من الفم.

وحكى علي بن مهدي[(١)] -من أصحابنا- أنه يدخل من حيث شاء الله ويخرج من الأنف، لقولهم: مات حتف أنفه[(٢)]، وأما مسكنه فقال قوم: مسكن الروح القلب، وعمله شائع في جميع البدن كقرصة الشمس مسكنها الفلك ونورها ينتشر في الدنيا.

وقال آخرون: مسكنها الدماغ، وقيل: مسكنه الدم، وقال بعضهم:

= في سبيل الله، والبيهقي: السير، باب فضل الشهادة في سبيل الله ٩/ ١٦٣، (تَعْلُقُ): أي تتناول.

(١) علي بن محمد بن مهدي الطبري الأشعري، أبو الحسن، تلميذ أبي الحسن الأشعري، صحبه بالبصرة وأخذ عنه، كان من المبرزين في علم الكلام والقوّامين بتحقيقه، وله كتاب تأويل الأحاديث المشكلات الواردات في الصفات، كان حافظًا للفقه والتفاسير والمعاني وأيام العرب، فصيحًا مبارزًا في النَّظر، توفي في حدود سنة(٣٨٠هـ) انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي٣/ ٤٦٦، و«تبيين كذب المفتري» ص١٩٥، و«الوافي بالوفيات» للصفدي ٢٢/ ١٤٣، و«طبقات الفقهاء الشافعية» للعبادي ص٨٥.

(٢) جزء من حديث رواه عبد الله بن عتيك ﷺ، وطرفه: «**من خرج من بيته مجاهدًا في سبيل الله**..-إلى أن يقول- **أو مات حتف أنفه، فقد وقع أجره على الله ﷻ**» ثم يقول الرواي: والله إنها لكلمة ما سمعتها من أحد من العرب قبل رسول الله ﷺ.. .، أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٢١٠، وأحمد ٤/ ٣٦، والطبراني في «الكبير» ٢/ ١٩١، والحاكم ٢/ ٨٨، وصححه ووافقه الذهبي، وورد في «تهذيب اللغة» (حتف) ١/ ٧٣٧، وأورده في «المجمع» ٥/ ٢٧٧ وقال: وفيه محمد بن إسحاق مدلس، وبقية رجال أحمد ثقات، انظر: «مجمع الأمثال» ٢/ ٢٦٦، و«المستقصى» ٢/ ٣٣٨، ويُروى: حتف أَنْفَيْه، ومعناه: أي مات بلا ضرب ولا قتل، قال أبو عبيد: هو أن يموت موتًا على فراشه من غير قتل ولا غرق ولا سبْع ولا غيره.

هو يشتمل جميع البدن، ففي كل بعضٍ من أبعاضِ البدن بعضٌ مِن أبعاضِ الروح، واحتج بقوله: ﴿وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]، وهذا كله إذا رجعت إلى التحقيق ضرب من التكلُّف[١]؛ لأن الله تعالى أبهم على ذلك[٢].

قال عبد الله بن بُريدة: ما يبلغ الجن والإنس والملائكة والشياطين علم الروح، ولقد مات رسول الله ﷺ وما يدري ما الروح[٣].

وقال الفراء: الروح هو الذي يعيش به الإنسان، لم يخبر الله به أحدًا من خلقه، ولم يعط علمه أحدًا من عباده[٤].

وقال في قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ من علم ربي لا تعلمونه[٥]، وقيل: من خلق ربي، أي: أنه مخلوق له.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أي: بالإضافة إلى علم الله تعالى، وذلك أن اليهود كانت تدّعى علم كل شيء بما في كتابهم التوراة، فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قال أبو إسحاق: وقليل وكثير لا يصلح إلا بالإضافة، وإنما يَقِلُّ الشيء عند ما هو أكثر منه، وكذلك يكثر عند ما هو أقل منه[٦]، ويجوز أن يكون الخطاب في قوله:

---

(١) في جميع النسخ: (التكليف). والصواب ما أثبته.

(٢) لذلك كان الأولى أن لا يخوض في هذه المسألة أصلًا.

(٣) ورد في «الأضداد» لابن الأنباري ص٤٢٦ مختصرا، وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ص١٩٣، بنصه، انظر: «تفسيرالسمعاني» ٣/ ٢٧٥، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٢ مختصرا، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤) ورد في «تهذيب اللغة» (راح) ٢/ ١٣١٣، بنصه تقريبًا.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٠، بنحوه.

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٨، بتصرف يسير.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ للنبيّ ﷺ والمؤمنين، وذلك حين لم يعرف رسول الله ﷺ علم الروح، ولم يبين الله له ذلك، قال له: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، يدل على هذا: قوله: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾.

٨٦- قال أبو الفتح الموصلي: ليست اللام في: ﴿لَئِنْ﴾ بجواب القسم، وإنما الجواب: لنذهبنّ، وعليه وقع الحَلِف، واللام في ﴿لَئِنْ﴾ زائدة مؤكدة، ويدل على أن اللام الأولى زائدة أن الثانية هي التي تلقت القسم[(١)]، [ونظير][(٢)] جواز سقوط الأولى في قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المائدة: ٧٣]، وإذا قلتَ: والله لئن[(٣)] قمت لأقومن، كان اعتماد القسم على اللام في لأقومن، واللام في لئن[(٤)] زائدة مؤكدة[(٥)].

ومعنى الآية: أي إني أقدر أن آخذ (ما أعطيتك؛ كأنه يقول: لم تؤت إلا قليلًا من العلم، وإن شئتُ أن آخذ ذلك)[(٦)] قدرت.

قال أبو إسحاق: لو شئنا لمحونا من القلوب ومن الكتب حتى لا يُوجَد له أثر[(٧)]، ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾، أي: لا تجد من يُتوكَّل عليه في رد شيء منه، كقوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٨].

---

(١) في (أ)، (د)، (ش): (الاسم)، والمثبت من (ع) وهو الصواب.
(٢) هذه إضافة يقتضيها السياق، وقد وردت هذه الكلمة في المصدر بنحو هذا السياق.
(٣) و(٤) في (أ)، (د)، (ش): (لأن)، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر.
(٥) «سر صناعة الإعراب» ١/ ٣٩٦-٣٩٧، باختصار وتصرف.
(٦) ما بين القوسين ساقط من (أ)، (د).
(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٨، بنصه.

٨٧- ثم قال: ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ قال الفراء: هو استثناء، كقوله: ﴿إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾(١) [يوسف: ٦٨].

وقال أبو إسحاق: ﴿رَحْمَتَ﴾ استثناء ليس من الأول(٢)، المعنى لكن الله رَحِمَك، فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ قال ابن عباس: يريد حيث جعلتك سيدَ ولد آدم، وختمت بك النبيين، وأعطيتك المقام المحمود(٤).

٨٨- قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا﴾ الآية. هذا احتجاج من الله تعالى عليهم بالمعجزة، أعلمهم -وهم أهل البيان وتأليف الكلام- عجزهم عن الإتيان بمثل ما أتى به الرسول ﷺ وإن تعاونوا عليه، قال المفسرون: هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا﴾(٥) [الأنفال: ٣١].

وقال مقاتل: إن نبيّ الله ﷺ تحداهم أولًا فقال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: ١٣]، فعجزوا عن ذلك، فتحداهم وقال: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، فعجزوا، فآيسهم الله تعالى عن معارضته بمثل ما أتى به في هذه الآية(٦).

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٠، بنصه.
(٢) أي أنه ليس متصلًا، بل هو استثناء منقطع.
(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٩، بنصه.
(٤) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٤٦ بنصه، وبلا نسبة في «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٥٤، و«القرطبي» ١٠/ ٣٢٥، و«الخازن» ٣/ ١٨٠.
(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٠ب، بنحوه، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٨٤.
(٦) «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٩أ، بنحوه.

قال أهل المعاني: والمثل الذي طُلب منهم في التحدي كلام له نظم كنظم القرآن في أعلى طبقات البلاغة، إذا قُوبل به ظهر أنه في تلك المنزلة، كما يكون بين الشعراء من معارضة القصيدة بالقصيدة؛ كمعارضة علقمة[(١)] لامرئ القيس، ومعارضة جرير للفرزدق[(٢)]، ثم لمّا عرضوا القرآن على جميع أجناس كلامهم عجزوا عن المعارضة في النظم بَلْهَ البلاغة، وذلك أن كلامهم لم يخرج من أجناس ثمانية؛ أربعة معقودة وأربعة منثورة؛ فالمنثورة منها أربعة أجناس: منها الكلام الذي يدور بين الناس فيما يحتاجون إليها، ومنها الرسائل، ومنها الخُطَب، ومنها السجع، فلم يكن واحد من هذه الأجناس يشبه نظم القرآن، وبعض ما يُحتَاج إليه في هذه الآية قد ذكرنا في قوله: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ في سورة البقرة[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾ هذا جواب (لئن) بالرفع[(٤)].

قال الفراء: والعرب إذا أجابت (لئن) بـ(لا) جعلوا ما بعد (لا) رفعًا، لأن (لئن) كاليمين، وجواب اليمين بـ (لا) مرفوعٌ، وربما جزم الشاعر

---

(١) علقمة بن عَبَدَة بن النعمان، شاعر جاهلي من بني تميم، لقب بالفحل لأنه خلف على امرأة امرئ القيس لما حكمت له بأنه أشعر منه، فطلقها، عدّه الجمحي في الطبقة الرابعة من فحول شعراء الجاهلية، وله قصيدة طويلة في معارضة امرئ القيس. انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٣٧، و«الشعر والشعراء» ص١٢٥، و«الأغاني» ٢١/ ٢٠٥، و«المنتخب في محاسن أشعار العرب» ١/ ١٧، و«الخزانة» ٣/ ٢٨٢.

(٢) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٥١٧، بنحوه.

(٣) آية: [٢٣].

(٤) قال الطوسي ٦/ ٥١٧: وإنما رفعه لأنه غلب جواب القسم على جواب (إن) لوقوعه في صدر الكلام.

بـ(لئن) وجوابِها؛ لأن (لئن): (إن) التي يجازى بها زيدت عليها لام، وأنشد للأعشى:

لئن مُنِيْتَ بنا عن غِبِّ معركة لا تُلْفِنا من دماء القوم ننتَفِلُ[1]

فجزم الجواب بـ (لا)[2].

قال: وأنشدني الكسائي[3]:

لَئِنْ تَكُ قد ضَاقتْ عليكم بلادُكُم لَيَعْلَمْ ربي[4] أن بيتي لواسعُ[5][6]

فجزم بلئن[7].

---

(١) «ديوانه» ص١٤٩ وفيه: لم تلفنا، وورد في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٥٩، و«الطوسي» ٦/ ٥١٧، و«ابن عطية» ٩/ ١٨٦، و«اللسان» (نفل) ٨/ ٤٥١٠، و«تفسير أبي حيان» ٦/ ٧٨، و«الدر المصون» ٧/ ٤٠٧، و«الخزانة» ١١/ ٣٢٩، وورد بلا نسبة في: «شرح ابن عقيل» ٤/ ٤٥، و«شرح الأشموني» ٤/ ٦٩، (منيت): ابتليت، ننتفل، الانتفال: التبرؤ، يقال: انتفل من الشيء تبرأ منه.

(٢) وكان حقه الرفع لا تلفينا بإثبات الياء، جوابًا للقسم المتقدم على الشرط، لكنه جزمه بحذفها لأنه جعله جوابًا للشرط بإنْ ولم يُجِب القسم، بل حذفه لدلالة جواب الشرط عليه. انظر: «شرح ابن عقيل» ٤/ ٤٥.

(٣) البيت للكميت بن معروف.

(٤) ساقطة من (د).

(٥) ورد في «الخزانة» ١٠/ ٦٨، ١١/ ٣٣١ وفيه: بيوتكم، و واسع، وورد بلا نسبة في: «الدر المصون» ٢/ ٤٦، و«شرح التصريح» ٢/ ٢٥٤، و«شرح الأشموني» ٣/ ٣٩٧، ٤/ ٧٢.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣١، بتصرف واختصار.

(٧) يقول السمين: ولا يحذف جواب الشرط إلا وفعله ماضٍ، وقد يكون مضارعًا. وهنا قد حذف للضرورة -كما قال البغدادي- لأن القياس يقتضي أن يقول: لئن كانت. وأن يقول في الجواب: ليعْلَمنّ . انظر: «الدر المصون» ٢/ ٤٦، و«شرح التصريح» ٢/ ٢٥٤، و«شرح الأشموني» ٤/ ٧٢. و«الخزانة» ١٠/ ٦٨، ١١/ ٣٥١.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ الظهير: المعين المظاهر لك، وهو فعيل بمعنى المظاهر.

قال ابن عباس: يريد معينًا(١)، مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه.

٨٩- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ أي بيّنا، وذكرنا الكلام في هذا في هذه السورة(٢)، قال ابن عباس: وأراد بالناس أهل مكة(٣)، ﴿مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾، أي: من كل نوع وشِبْه، يريد من الأمثال التي يجب بها الاعتبار، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ قال ابن عباس: يريد أكثرَ أهلِ مكة(٤).

﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ يريد جحودًا للحق وإنكارًا، وذلك أنهم أنكروا القرآن وكونه معجزة بعد قيام الحجة عليهم، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وهو قوله: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ قال ابن عباس: لن نصدقك(٥).

٩٠- قال المفسرون: نزلت في رؤساء مكة اقترحوا عليه ما ذكر الله عنهم في هذه الآيات(٦).

---

(١) لم أقف عليه منسوبًا إليه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٩، عن ابن جريج، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٣، وبلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٣.

(٢) عند آية [٤١].

(٣) انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٥، و«تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٥٥، و«الألوسي» ١٥/ ١٦٧ بلا نسبة فيهما.

(٤) ورد بلا نسبة في «زاد المسير» ٥/ ٨٥، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٥٥، و«القرطبي» ١٠/ ٣٢٧.

(٥) انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٥، وورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٥٩، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٣.

(٦) ورد في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٩ب، و«السيرة» لابن هشام ١/ ٣١٥ مطولا، =

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا﴾ وذلك أنهم سألوه أن يُجري لهم نهرًا كأنهار الشام والعراق، وقرئ ﴿تَفْجُرَ﴾ بالتخفيف(١)، يقال: فَجَرْتُ الماءَ فَجْرًا وفَجَّرتُه تفجيرًا وتَفْجرةً، (فمن ثَقَّل(٢) أراد كثرة الانفجار من الينبوع، وهو وإن كان واحد فَلِتَكَرُّر الانفجار فيه يحسن أن يثقل، كما تقول: ضُرِّب زيد، إذا كثر الضرب فيه، فيُكَثُّر فِعْلُه وإن كان الفاعل واحدًا، ومن خفف فلأن الينبوع واحد، ودليل التشديد من التنزيل قوله: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣]، ودليل التخفيف قوله: ﴿فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠] والانفجار مطاوع الفجر)(٣).

ومضى الكلام في الفجر والانفجار في سورة البقرة(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَنۢبُوعًا﴾ يعني عينًا يَنْبَع الماء منه، وهو مفعول من نَبَع

= أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٥٩ من طريق عكرمة عن ابن عباس، وورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٤٢، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٠ب، وأورده المصنف -بلاسند- في «أسباب النزول» ص ٣٠٠، و«تفسير البغوي» ٥/ ١٢٨، و«ابن الجوزي» ٥/ ٨٥، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٥٦، و«القرطبي» ١٠/ ٣٢٨، و«ابن كثير» ٣/ ٧٠، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم. والحديث في إسناده رجل مجهول، فقد رواه ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر قدم منذ أربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس- كما في رواية الطبري.

(١) أي بفتح التاء وتسكين الفاء وضم الجيم مع التخفيف، قرأ بها: عاصم وحمزة والكسائي، انظر: «السبعة» ص٣٨٥، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٨، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١٨، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣٠، و«النشر» ٢/ ٣٠٨.

(٢) أي بضم التاء وفتح الفاء وتشديد الجيم، وقرأ بها: ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر. انظر المصادر السابقة.

(٣) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٩، بتصرف.

(٤) آية [٦٠].

الماءُ يَنْبَعُ ويَنْبُعُ نَبْعًا ونُبوعًا ونَبْعَانًا، ذكره الفراء[(١)] والليث[(٢)].

قال أهل المعاني: وإنما لم يجابوا إلى ما سألوا؛ لأنهم طلبوا ذلك دليلًا على صدقه، وقد أتاهم من القرآن بما يدل على صدقه، فليس لهم أن يطلبوا دليلًا آخر إلا بعد القدح في الدليل الأول بما يبين أنه شبهة لا يدل على صحة المعنى، فأما طلبهم الدليل على جهة الإنكار الأول فهو سفه وجهل لا يستحقون أن يجابوا إليه.

٩١- قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ هذا أيضًا كان فيما اقترحوا عليه، وقوله: ﴿فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾ عطف على قوله: ﴿أَوْ تَكُونَ﴾.

٩٢- ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾، هذا كان فيما اقترح عليه المشركون، قالوا له: فأسقط السماء علينا، قال ابن عباس: يعنون العذاب، وهو كما زعمت[(٣)]. قال عكرمة: كما زعمت يا محمد أنك نبي، فأسقط السماء علينا[(٤)]. وقال آخرون: كما زعمت أن ربك إن شاء فعل[(٥)]، وكذا ذكر المفسرون بالقصة[(٦)].

وقوله تعالى: ﴿كِسَفًا﴾ فيه وجهان من القراءة؛ جزم السين[(٧)]

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣١، بنحوه.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (نبع) ٤/ ٣٤٩٧، بنصه تقريبًا.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» ٢/ ٥٤٨ بنصه تقريبًا؛ بدون ضمير الفصل وهو.

(٤) انظر: «تفسير الرازي» ٢١/ ٥٧.

(٥) انظر: «تفسير الرازي» ٢١/ ٥٧، و«أبي حيان» ٦/ ٧٩.

(٦) عند آية [٩٠].

(٧) قرأ بها: ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي، انظر: «السبعة» ص٣٨٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٨٢، و«علل القراءات» ١/ ٣٢٩، و«الحجة للقراء» ٥/ ١١٩، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣١، و«التيسير» ص١٤١، و«النشر» ٢/ ٣٠٩.

وفتحها[١].

قال أبو زيد: يقال: كَسَفْتُ الثوبَ أكْسِفُه كَسْفًا، إذا قَطَّعته قِطَعًا[٢].

وقال الليث: الكَسْفُ: قَطْعُ العُرْقُوب[٣]، والكِسْفَة: القطعة.

قال الفراء: وسمعت أعرابيًّا يقول لبزاز: أعطني كِسْفة، يريد قطعة كقولك: خِرْقَة[٤].

روى عمرو عن أبيه: يقال لخِرَق القميص قبل أن يُؤَلَّفَ: الكِسَف، واحدها كِسْفَة[٥]، فمن قرأ بسكون السين احتمل قوله وجوهًا؛ أحدها: أن يكون جمع كِسْفة، على حد دِمْنَةٍ ودِمَن[٦]، وسِدْرة، وسِدَر هذا قول الفراء[٧]، وقال الكسائي: من وَحَّد خفف[٨].

---

(١) قرأ بها: ابن عامر ونافع وعاصم. انظر المصادر السابقة.

(٢) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١١٩، بنصه، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٥١٨، بنصه.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (كسف) ٤/ ٣١٤٣ بنصه. (العُرْقُوب): هو العصبُ الغليظُ المُوَتَّر فوق عقبِ الإنسان، أو خلف الكعبين. انظر: «اللسان» (عرقب) ٥/ ٢٩٠٩، «متن اللغة» ٤/ ٨٣.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣١ بتصرف يسير، وورد في «تهذيب اللغة» (كسف) ٤/ ٣١٤٣، بنصه.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (كسف) ٤/ ٣١٤٣، بتصرف يسير.

(٦) الدِّمنة: آثار الناس وما سَوَّدوا، وقيل: ما سوَّدوا من آثار البعر، والجمع: دمن، وهو البعر، ودمَّنت الماشيةُ المكانَ: بعَرت فيه وبالت. انظر: «اللسان» (دمن) ٣/ ١٤٢٨.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣١، بنحوه، ورد في «تهذيب اللغة» (كسف) ٤/ ٣١٤٣، بنحوه، وما في التهذيب أقرب.

(٨) لم أقف عليه. قال القرطبي: قال الأخفش: من قرأ: كِسْفًا من السماء، جعله واحدًا، ومن قرأ: كِسَفًا، جعله جمعًا. «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٣٠.

قال أبو علي: إذا كان المصدرُ الكسْفَ، فالكسْفُ[١]: الشيء المقطوع؛ كما يقال في الطَّحْن والطِّحْن، والسَّقي والسِّقي[٢]، ويؤكد هذا قوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾ [الطور: ٤٤]، وذكر الزجاج وجهًا ثالثًا، فقال: من قرأ كِسْفًا فكأنه قال: أو تسقطها طبقًا علينا، واشتقاقه من كَسَفْتُ الشيء إذا غَطَّيته[٣]، ومن فتح السين فهو جمع كِسْفَةٍ مثل قِطْعَةٍ وقِطَعٍ، وسِدْرَةٍ وسِدَرٍ، وهو نصب على الحال في القراءتين جميعًا، كأنه قال: أو تسقط السماء علينا مقطعة[٤].

قال ابن عباس في قوله: ﴿كِسَفًا﴾: قطعًا[٥].

وقال مجاهد: السماء جميعًا[٦]، وهذا على قراءة من سَكَّن السين، ومعناه كما قال الزجاج: طبقًا، أو كما قال أبو علي: قطعة واحدة.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ ذكروا في هذا ثلاثة أقوال: قال ابن عباس في رواية الضحاك: عيانًا[٧]، وهو قول قتادة وابن

---

(١) في جميع النسخ: (والكسف) بالواو عطفًا، والصواب ما أثبته من المصدر بالفاء؛ لأنه جواب شرط قرن بالفاء.

(٢) «الحجة للقراء» ٥/ ١١٩، بنصه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٩، بنصه.

(٤) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١٢٠، بنحوه.

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٦١ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، ومن طريق العوفي (ضعيفة)، وورد بلفظه في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٧٣، و«الطوسي» ٦/ ٥١٩.

(٦) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧٠، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٦١ بنصه من طريقين، انظر: «تفسير ابن عطية» ٩/ ١٩٦.

(٧) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٨٧، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٧ وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

جريج[١]، والمعنى: تأتي بهم حتى نراهم مقابلة، والعرب تُجري القبيل في هذا المعنى مجرى المصدر، فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وذكرنا هذا عند قوله: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١]، وهذا القول منهم يدل على جهلهم بصفة الله؛ حيث لم يعلموا أنه لا يجوز على الله المقابلة.

القول الثاني: ما قاله ابن عباس في رواية عطاء: يريد فوجًا بعد فوج[٢].

قال الليث: وكل جيل من الجن والناس قبيل[٣]، ذكرنا ذلك في قوله: ﴿إِنَّهُ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وهذا قول مجاهد[٤].

القول الثالث: أن قبيلًا معناه ها هنا ضامنًا وكفيلًا، روي ذلك عن ابن عباس[٥]، وذكره الزجاج وابن قتيبة[٦].

قال الزجاج: يقال: قَبُلْتُ به أَقْبُل، كقولك: كَفُلت أكفُل[٧]، وهو

---

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٨٩ بلفظه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ١٦٢، بنحوه عنهما، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٤ بلفظه عن قتادة، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢١أ بلفظه، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٣، بنحوه عنهما، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٠، بنحوه عنهما.

(٢) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٥٨.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (قبل) ٣/ ٢٨٧٦، بنصه.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧٠ بمعناه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٦٢ بمعناه من طريقين، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢١أ بمعناه، انظر: «زاد المسير» ٥/ ٨٨.

(٥) ورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢١أ بلفظه، انظر: «زاد المسير» ٥/ ٨٨، و«القرطبي» ١٠/ ٣٣١.

(٦) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦٢، بنحوه.

(٧) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٥٩، بنصه تقريبًا.

على هذا واحدٌ أريد به الجمع، وقد جاء [فعيل مفردًا][(١)] يُراد به الكثرة، كقول رؤبة:

دَعْها فما النَّحْوِيُّ من صديقِها[(٢)]

وكقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾[(٣)] [النساء: ٦٩]، واختار أبو علي أن يكون معناه المعاينة، قال: وإذا حملته على المعاينة كان القبيل مصدرًا كالنذير والنكير، قال: ولو أريد به الكفيل لكان خليقًا أن يجمع على فعلاء كما قالوا: كفلاء؛ لأنه في الأصل صفة وإن كان قد استعمل استعمال الأسماء، قال: ويدل على أن المراد بالقبيل المعاينة لا الكفيل قوله: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ [الفرقان: ٢١]، وكما اقترح ذلك غيرهم في قوله: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣]، وقد مرّ[(٤)].

٩٣- قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ قال المفسرون: كان فيما اقترحوا من الآيات أن يكون له جنان وكنوز وقصور من ذهب، فذلك قوله: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة

---

(١) ما بين المعقوفين من (ش)، (ع) وفي (أ)، (د): (فصل مفرد).

(٢) «ديوانه» ص١٨٢، وورد في «جمهرة اللغة» ٢/ ٦٥٦، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري ١/ ٢٩٠، و«الأغاني» ٢٠/ ٣٦٧، و«أساس البلاغة» ٢/ ١١، و«شرح شواهد الإيضاح» ص٥٧٣، و«اللسان» (ذبح) ٣/ ١٤٨٦، (صدق) ٤/ ٢٤١٨، و«تخليص الشواهد» ص١٨٤.

والشاهد: أنه قال من صديقها: أي من أصدقائها، فهو مفرد وقع موقع الجمع.

(٣) قال الواحدي -رحمه الله-: قال الفراء: وإنما وحّد الرفيق وهو حقه الجمع؛ لأن الرفيق والبريد والرسول تذهب به العرب إلى الواحد وإلى الجمع.

(٤) «الحجة للقراء» ٣/ ٣٨٦، بنصه تقريبًا.

والسدي: من ذهب[١].

قال مجاهد: كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيت في قراءة عبد الله: (أو يكون لك بيت من ذهب)[٢].

قال أبو إسحاق: وأصل الزُّخْرُف والزَّخْرَفة في اللغة: الزينة[٣]، يدل على ذلك قوله: ﴿إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤]، أي: أخذت كمال زينتها، ولا شيء في تحسين بيت وتزيينه كالذهب، فليس يخرج قول المفسرين عن الحق في هذا[٤]. وقال الحسن: الزخرف: النقوش[٥]. وفَسَّرنا الزخرف في سورة الأنعام [١١٢] وسورة يونس [٢٤].

وقوله تعالى: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ قال المفسرون: قال عبد الله بن

---

(١) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧٠ بلفظه، وأخرجه بلفظه: «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩٠، عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ١٦٣، عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة) وعن مجاهد وقتادة من طرق، وورد بلفظه في: «تفسير هود» ٢/ ٤٤٢، عن ابن عباس، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٣، عن ابن عباس وقتادة، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٠، عنهم عدا السدي، وأورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٣٦٧ وعزاه إلى عبد بن حميد عن قتادة.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٦٣ بنصه، وورد بنصه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٥، و«الثعلبي» ٧/ ١٢١ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٣، أورده السيوطي في «الدر» ٤/ ٣٦٧ وزاد نسبته إلى أبي عبيد في فضائله وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن الأنباري في «المصاحف» وأبي نعيم في الحلية-لم أقف عليه. وهذه قراءة شاذة، تعد من قبيل التفسير، لمخالفتها سواد المصحف. انظر: «تفسير أبي حيان» ٦/ ٨٠.

(٣) انظر (زخرف) في «تهذيب اللغة» ٢/ ١٥٢٠، و«المحيط في اللغة» ٤/ ٤٦٥، و«اللسان» ٣/ ١٨٢١.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٠، بتصرف.

(٥) لم أقف عليه.

أُمَيَّة: لا أؤمن بك يا محمد أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّمًا، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، فذلك قوله: ﴿أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، قال الفراء: يقال: رَقِيتُ، وأنا أرقى، رَقْيًا ورُقْيًّا ورُقِيًّا، وأنشد(١):

أنتِ التي(٢) كَلَّفتِني رَقْيَ الدَّرْج   على الكِلالِ والمَشِيبِ والعَرْج(٣)

قال: [والمعنى إلى السماء، غير أنهم قالوا: أو تضع سُلَّمًا فترقى عليه إلى السماء فذهبت (في) إلى السُلَّم](٤).

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ وقال ابن عباس ومجاهد: كتابًا نقرأه منشورًا من رب العالمين إلى فلان وفلان، عند كل رَجُل منا صحيفة يصبح عند رأسه يقرأها(٥)، (قَالَ سُبْحَانَ رَبِّي)(٦)، أي:

(١) نسب في «اللسان» لابن بري.

(٢) في جميع النسخ: (أنت)، وفي جميع المصادر: (الذي).

(٣) ورد في: «اللسان» (رقا) ٣/ ١٧١١، وورد بلا نسبة في «الطبري» ١٥/ ١٦٣، و«الرازي» ٢١/ ٥٨، (الكلال): الضعف والإعياء. و«متن اللغة» ٥/ ٩٥.

(٤) ورد ما بين المعقوفين - فقط- في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣١، بنصه، وورد قوله بنحوه وبلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٦٣

(٥) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧٠، بنحوه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٦٤، بنحوه عن مجاهد من طريقين، وورد في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٤٣، بنحوه عن مجاهد، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٨٨، عن ابن عباس، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٧ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد.

(٦) قرأ بها: ابن كثير وابن عامر. انظر: «السبعة» ص٣٨٥، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٨٣، و«علل القراءات» ١/ ٣٣٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ١٢١، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣١، و«النشر» ٢/ ٣٠٩.

قال النبيّ ﷺ ذلك، وقرئ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾[(١)]، على الأمر له بأن يقول ذلك.

قال ابن عباس: يقول: عَظُمَ ربي وكَرُمَ، ﴿هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾، كقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ [الكهف:١١٠]، أي: إن هذه الأشياء ليس في قوى البشر أن يأتوا بها، فلا وجه لطلبكم هذه الآيات مني مع صفتي أني بشر.

٩٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ﴾ قال ابن عباس: يريد أهل مكة[(٢)]، ﴿أَن يُؤْمِنُوٓاْ﴾، أي: الإيمان والتصديق، ﴿إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾: أي البينات والرشاد من الله تعالى على لسان محمد ﷺ، وهو القرآن، ﴿إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾، أي: إلا قولهم في التعجب والإنكار، ﴿أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ قال أهل المعاني: ووجه تعجبهم من بعث الله بشرًا رسولًا، جهلهم في التعظيم؛ وهو قولهم: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرًا، كما توهموا أن عبادة الأصنام تجوز من طريق التعظيم لله[(٣)]، و﴿رَّسُولًا﴾ منصوب على أنه مفعول ثان للبعث، كقولك: بعثت زيدًا رسولًا إلى فلان، وفي إنكارهم كون البشر رسولًا اقتضاءُ أن يُبْعَثَ إليهم مَلَكٌ، وكأنه قيل: أبعث الله بشرًا رسولًا ؟! هلا بعث مَلَكًا[(٤)] رسولًا!

٩٥- فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ

---

(١) قرأ بها: نافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي. انظر: المصادر السابقة.
(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٨٩، و«تنوير المقباس» ص٣٠٥، وورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٩ب، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٤.
(٣) ورد نحوه في «تفسير الطوسي» ٦/ ٥٢١.
(٤) في (د): (ما كان)، وفي (أ): (ما كا)، ويبدو أنها تصحفت عن (ملكًا).

﴿مُطْمَئِنِّينَ﴾ قال الحسن: قاطنين[١]، وقال الكلبي: مقيمين[٢]، وقال الزجاج: مستوطنين الأرض[٣]، وأصل الطمأنينة السكون، وجُعل ها هنا عبارة عن المقام والاستيطان؛ لأنه يقال: سكن فلان بلدة كذا، وسكن دار فلان، وإن كان فيها ماشيًا منقلبًا في حاجاته، وليس يراد السكون الذي هو ضد الحركة، كذلك ها هنا ليس المراد بالاطمئنان الذي هو ضد المشي، إنما المراد به الإقامة، كما ذكرنا عن أهل التفسير.

وقوله تعالى: ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا﴾ قال أبو إسحاق: أعلمهم الله أن الأعدل والأبلغ في الأداء إليهم بشرٌ[٤]؛ لأنه لا يُرْسِل إلى خلق إلا ما كان من جنسهم، فلو كان في الأرض بدل الآدميين ملائكة، لنزلنا عليهم ملكًا رسولًا[٥].

فإن قيل: لم جاز أن يرسل إلى النبيّ وهو بشر ملكٌ ليس من جنسه، ولم يجز أن يرسل غير النبيّ من البشر؟

الجواب: أن النبيّ قد اختير للهداية والمصلحة، وهو صاحب معجزة، فصارت حاله بذلك مقاربة لحال الملك، مع أن الجماعة الكثيرة ينبغي أن يُتَخيّر لها ما يجتمع عليه هَمُّها، إذا أريد الصلاح لجميعها بما لا يُحتاج إليها في الواحد منها.

---

(١) ورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٥٢٢، بلفظه.

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٥، ورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢١٩ب، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٤، و«هود الهواري» ٢/ ٤٤٣.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦١، بنصه.

(٤) في (أ)، (د): (بشرًا)، وهو خطأ نحوي ظاهر.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦١، بتصرف.

٩٦- قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ فسرنا هذا في آخر سورة الرعد [آية: ٤٣].

٩٧- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ قال ابن عباس: من يرد الله هُدَاه[١]، ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾، ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ قال: ومن يخذل، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾: يهدونهم من دون الله، ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، في حديث أبي هريرة، قيل: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم، قال: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم، إنهم يتقون**[٢] **بوجوههم كل حَدَبٍ وشَوْك**»[٣].

وقوله تعالى: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، ثم قال: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ﴾ [الكهف: ٥٣]، وقال: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا﴾ [الفرقان: ١٢]، وقال: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]، فكيف قال في هذه الآية: ﴿عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾، ثم أجاب

---

(١) ورد في «الوسيط» ٢/ ٥٥٢، انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٩٠.

(٢) في (ش): (يتقوه).

(٣) جزء من حديث طرفه: «**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف..**» أخرجه الترمذي (٣١٤٢) كتاب: التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل بنصه عن أبي هريرة وحسنه، و«الطبري» بنصه دون الزيادة بين التنصيص، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢١ب، بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٨ وزاد نسبته إلى ابن مردويه وأبي داود والبيهقي في البعث-لم أجده فيهما، وللحديث شاهد من طريق أنس بن مالك ﷺ -دون الزيادة بين التنصيص- أخرجه: أحمد ٣/ ١٦٧، والبخاري (٤٧٦٠) كتاب: التفسير، سورة الفرقان ٤/ ١٧٨٤، ومسلم (٢٨٠٦) كتاب: الجنة والنار، باب: صفات المنافقين، يحشر الكافر على وجهه ٤/ ٢١٦١، والحاكم: التفسير، الفرقان ٢/ ٤٠٢.

ابن عباس: فقال عميًا لا يرون شيئًا يسرهم، صُمًّا لا يسمعون شيئًا يسرهم، بكمًا لا ينطقون بحجة(١).

وقال في رواية عطاء: يريد عُميًا عن النظر إلى ما جعله الله لأوليائه، وبكمًا عن مخاطبة الله تعالى، وصُمًّا عما مدح الله به أولياءه(٢).

وقال مقاتل: هذا حين يقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، فيصيرون عميًا بكمًا صمًا لا يرون ولا يسمعون ولا ينطقون بعد ذلك(٣).

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ﴾ الخبو: سكون النار، يقال: خبت النار تخبو إذا سكن لهيبها، ومعنى خبت سَكَنت وطَفِئت، ويقال في مصدره: الخبؤ، وأخبأها المخبئ، أي أخمدها(٤).

قال الكميت:

مـؤجِّـج نـيـرانِ الـمـكـارم لا الـمُـخْـبـي(٥)

---

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٦٨ بنصه (صحيحة)، وورد بنحوه مختصرًا في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٧، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢١ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٥، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٤، بنحوه، انظر: «تفسير الفخرالرازي» ٢١/ ٦١، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٨ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٢) انظر: «تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٩٠، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٦١، و«أبي حيان» ٦/ ٨٢ بلا نسبة.

(٣) «تفسير مقاتل» ١/ ٢٢٠أ، بنحوه.

(٤) انظر: «الأضداد» لابن الأنباري ص١٧٧، و«تهذيب اللغة» (خبأ) ١/ ٩٧، و«المحيط في اللغة» (خبو) ٤/ ٤٢٧، و«اللسان» (خبا) ٢/ ١٠٩٨.

(٥) صدره:

ومـنّـا ضـرارٌ وابْـنَـمـاهُ وحـاجـبٌ

قوله تعالى: ﴿زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ قال ابن عباس: سُعِّر العذابُ عليهم بأشد مما كان[١]، وقال ابن قتيبة: زدناهم نارًا تَتَسَعَّر، أي تَتَلَهَّب[٢]، ومضى الكلام في السعير في سورة النساء [آية: ١٠].

٩٨- قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ هذه الآية مفسرة في هذه السورة[٣].

٩٩- ثم أجابهم الله عن إنكارهم البعث بقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآية. ومعنى ﴿أَوَلَمْ﴾ ها هنا: أولم يعلموا، وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، والمعنى: ألم يعلموا أن من قدر على خلق السموات في عظمها، ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾، أي: على أن يخلقهم ثانيًا، وأراد بمثلهم إيّاهم، وذلك أن مثل الشيء مساوٍ له في حالته، فجاز أن يُعَبَّر به عن الشيء نفسه، وخَلْقُ مِثْلِهم كخلقهم، والمعنى: قادر على أن يخلق مثلهم في ضعفهم وصغرهم، هذا

ومنا لقيط .. .. مؤرث نيران .. ..

وورد في «مجاز القرآن» ١/ ٣٩١، و«الأضداد» لابن الأنباري ص١٧٥، و«الأزهية» ص٢٤، و«اللسان» (خبا) ٢/ ١٠٩٨، وبلا نسبة في «جمهرة اللغة» ٣/ ١٣٠٨، (ابنماه): تثنية ابن، حيث زادوا في (ابن) ميمًا للتوكيد وألحقوها الإعراب، وحركوا النون بحركتها، فقالوا: جاءني ابنُمٌ، ورأيت ابنَمًا، ومررتُ بابنِمٍ، وقالوا في الجمع: هؤلاء ابنُمونَ، (المخبي): الذي يطفئ النار؛ يقال: خبتِ النار والحرب، تخبو خَبوًا وخُبُوًّا: سكنت وطفئت وخمد لهبها، وهي خابية، وأخْبيتها أنا: أخمدتها.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٦٨ بمعناه من طريق العوفي(ضعيفة)، وابن الأنباري في «الأضداد» ص١٧٦- بمعناه من طريق ابن جريج (صحيحة)، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) «الغريب» لابن قتيبة ١/ ٢٦٢، بنصه.

(٣) عند آية [٩٨].

معنى قول أكثر المفسرين[١].

وقال عطاء عن ابن عباس: ﴿قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ يريد عبيدًا يوحدونني ويعظمونني ولا يعدلون بي شيئًا[٢]، فالمعنى على هذا يخلق مثلهم في الخلقة والشبه، ويكون المعنى كقوله: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، والقول هو الأول[٣]؛ لأنه أشبه بما قبله، ولأنه لا دليل على توحيد المخلوقين مثلهم في الآية، وتَمَّ الكلام، أي لا دليل في الآية على أن الذين يخلقهم أمثالهم يوحدونه ويعظمونه كما ذكرتم.

قال: ﴿وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ قال ابن عباس: يريد أجل الموت وأجل القيامة[٤]، وهذا جواب لاستدعائهم العذاب في قولهم: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾، ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي المشركون، ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾: جحودًا بذلك الأجل، وهو البعث والقيامة.

١٠٠- وقوله تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ﴾ قال أبو إسحاق: ﴿أَنتُمْ﴾ مرفوعة بفعل مضمر، المعنى: قل: لو تملكون أنتم؛ لأن (لو) يقع بها

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ١٦٩، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٥، و«هود الهواري» ٢/ ٤٤٤، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٢أ.

(٢) ذكره الفخر الرازي ٢١/ ٦٢ بلا نسبة، وورد في «تفسير الألوسي» ١٥/ ١٧٧ بلا نسبة بصيغة التمريض وردَّه.

(٣) وهو الصحيح والذي عليه الجمهور -كما ذكر- ولم يكن بحاجة إلى إيراد القول الثاني المرجوح جدًا خاصة أن طريقه مقطوعة.

(٤) ورد في «الوسيط» ٢/ ٥٥٤ بنصه، وورد بلا نسبة في «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٧٦، و«ابن عطية» ٩/ ٢٠٤، و«القرطبي» ١٠/ ٣٣٤، و«الخازن» ٣/ ١٨٢ .

الشيء لوقوع غيره، فلا يليها إلا الفعل، فإذا وليها الاسم عمل فيه الفعل المضمر(١)، وأنشد قول المُتَلَمِّس(٢):

فلو غيرُ أخوالي أرادوا نَقِيصَتِي نَصَبْتُ لهم فَوقَ العَرانِينِ مِيسَمَا(٣)

المعنى: لو أراد غير أخوالي(٤).

وأنشد غيره لجرير(٥):

لو غَيْرُكم عَلِقَ الزُّبَير بحبله أدّى الجوارَ إلى بني العَوّامِ(٦)

---

(١) انظر: «المقتضب» ٣/ ٧٧، و«الكامل» ١/ ٢٧٩، و«مغني اللبيب» ص٣٥٣، و«الدرر اللوامع» ٥/ ٩٩.

(٢) المتلمس؛ هو جرير بن عبدالمسيح، من بني ضُبَيعة، وأخواله بنو يَشْكُر، وهو خال طرفة بن العبد، شاعر جاهلي مُفْلقٌ مُقلّ، عدّه الجمحي في الطبقة السابعة من شعراء الجاهلية، دبّر عمرو بن هند ملك الحيرة قتله هو وطرفة بعد أن هَجَوَاه، فنجا المتلمس وهرب إلى بني جفنة ملوك الشام وقتل ابن أخته، قتله عامل البحرين، توفي نحو سنة (٥٦٩م).

انظر: «طبقات فحول الشعراء» ١/ ١٥٥، و«الشعر والشعراء» ص٩٩، و«الأغاني» ٢٤/ ٢١٦، و«الخزانة» ٦/ ٣٤٥.

(٣) «ديوانه» ص٢٩، وورد في «الأصمعيات» ص٢٤٥، و«مختارات ابن الشجري» ص١٢٢، و«تفسير ابن الجوزي» ٥/ ٩١، و«الخزانة» ١٠/ ٥٩، وورد بلا نسبة في: «الكامل» ١/ ٢٧٩، و«المقتضب» ٣/ ٧٧، و«تذكرة النحاة» ص٤٩٠، و«اللسان» (نقص) ٨/ ٤٥٢٣، وفي الديوان وجميع المصادر -عدا ابن الجوزي-: (جعلت) بدل (نصبت). (نقيصتي): تنقصي، (العرانين): جمع عِرْنين؛ وهو أعلى قصبة الأنف، (ميسما): الميسم: هو الآلة التي يوسم بها، ومقصوده: أَسِمُهم على العرانين؛ أي أهجوهم هجاءً يبقى أثرُه في وجوهم ويلزمهم لزوم الميسم للأنف.

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٢، بنصه.

(٥) ساقطة من (ش).

(٦) «ديوانه» ص٤٥٣ وفيه: (ورَحْلَهُ) بدل (بحبله)، وورد في: «الكامل» ١/ ٢٧٩، =

أي لو عَلِقَ غيْرَكُمْ، والخطاب في هذه الآية للمشركين، قال ابن عباس: ﴿قُلْ﴾: يا محمد[١]، ﴿لَّوْ أَنتُمْ﴾: يا معشر المشركين، ﴿تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّيٓ﴾ يريد خزائن الرزق، ﴿إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ﴾ يريد إذا لبخلتم.

قال أبو إسحاق: أعلمهم الله أنهم لو ملكوا خزائن الأرزاق لأمسكوا شُحًّا وبُخْلًا، قال: وهذا جواب لقولهم: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[٢] يريد أنهم طلبوا عين ما في بلدهم ليكثر مالهم ويتسع عيشهم، فأعلمهم الله أنهم لو ملكوا الكثير لبخلوا؛ لأنهم جُبِلوا على الإمساك، والبخيل لا ينفعه كثرة المال.

وقوله تعالى: ﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِۚ﴾ خشية منصوب على أنه مفعول له.

قال ابن عباس: خشية الفقر[٣]، وقال قتادة: خشية الفاقة[٤].

قال أبو عبيدة: يقال: قد أملق الرجل إملاقًا، وأنفق إنفاقًا، إذا قَلّ ماله[٥].

= و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٦٥٧، و«الخزانة» ٥/ ٤٣٢، و«الدرر اللوامع» ٥/ ٩٨، وورد بلا نسبة في «المقتضب» ٣/ ٧٨، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٥٢٥، و«مغني اللبيب» ص٣٥٣.

(١) ورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٧٠، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٥.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦١، بنصه مع تقديم وتأخير.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٠ بلفظه من طريق الحجاج عن ابن جريج (صحيحة)، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٨.

(٤) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩٠- بلفظه، و«الطبري» ١٥/ ١٧٠ بلفظه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٨- بمعناه، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٧٦- بمعناه، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٥- بمعناه، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٩- ٣٧٠، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٥) «مجاز القرآن» ١/ ٢٠٨ وعبارته: ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾: من ذهاب ما في أيديكم؛ يقال: أملق فلان؛ أي ذهب ماله.

قال المبرد: المعروف في الإنفاق أنه إخراج المال عن اليد، فإن كان قد روي في اللغة معنى الإعدام فهو كما قال أبو عبيدة، وإلا فمعنى الكلام في الآية: خشية أن يستفرغكم الإنفاق ويُجْحِفَ بكم، فيكون الكلام من باب حذف المضاف على تقدير: خشية ضرر الإنفاق وما أشبهه(١)، وهذا معنى قول السدي: خشية أن ينفقوا فيفتقروا(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: بخيلًا(٣)، يقال: قَتَرَ يَقْتِرُ ويَقْتُر قَتْرًا، وأقْتَرَ إقتارًا، وقَتَّر تَقْتيرًا، إذا قَصَّر في الإنفاق(٤).

قال الليث: القَتْرُ: الرُّمْقة في النَّفقة؛ وهو أن ينفق ما(٥) يُمْسِك الرّمَق(٦).

فإن قيل في الناس: الجواد المُبَذِّر، فلم قيل: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾؟ الجواب: أن الأغلب عليهم البخل والاقتصار، ولا اعتبار بالنادر، على أن

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٥٤، بنصه.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٠ بلفظه عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، ومن طريق ابن جريج (صحيحة)، وعن قتادة، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٩، عن ابن عباس، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٧٦، عنهما، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٦٩ وزاد نسبته إلى ابن المنذر عن ابن عباس، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم عن قتادة.

(٤) انظر: (قتر) في «جمهرة اللغة» ١/ ٣٩٣، و«المحيط في اللغة» ٥/ ٣٦٠، و«مجمل اللغة» ٢/ ٧٤٢، و«اللسان» ٦/ ٣٥٢٥.

(٥) في (أ)، (د)، (ش): (ماله)، والمثبت من: (ع)، وبه يستقيم المعنى، وهو أقرب لما في المصدر.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (قتر) ٣/ ٢٨٨٢، بتصرف.

كل أحد بخيل بالإضافة إلى جُود الله؛ إذ لو ملك خزائن ربه لادّخر معظمها لنفسه، والله ﷻ يفيضها على عباده لا يمنعه عن ذلك الإبقاء لنفسه؛ لأنه يجلّ عن لحَاق النفع والضر.

وقال أبو إسحاق: يعني بالإنسان ها هنا الكافر خاصة، كما قال: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ﴾ [العاديات: ٦، ٨]، أي: المال(١)، ﴿لَشَدِيدٌ﴾: لبخيل(٢)، وهذا قول الحسن(٣).

١٠١- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ﴾ الآية. وجه اتصال معنى هذه الآية بما قبلها أنه ذكر في هذه الآية إنكارَ فرعونَ آياتِ موسى مع وضوحها، فيكون في ذلك تشبيها لحال هؤلاء المشركين بحاله وتسلية للنبيّ ﷺ. واختلفوا في الآيات التسع مع اتفاقهم أن منها: الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، فهذه خمس، وأما الأربعة الباقية، فروى قتادة عن ابن عباس قال: هي يده البيضاء عن غير سوء، وعصاه إذا ألقاها، وما ذكر في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠] قال: ﴿ٱلسِّنِينَ﴾ لأهل البوادي حتى هلكت مواشيهم، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ لأهل القرى، وهاتان آيتان(٤)، ونحو هذا

---

(١) ساقطة من (ع).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦١، بتصرف يسير.

(٣) ورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٧٦، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٣٥، وورد بلا نسبة في: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٢٠أ، و«هود الهواري» ٢/ ٤٤٥، والجمهور -كما في «تفسير الماوردي»- على أنها عامة، وهو الصحيح.

(٤) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩٠، بنحوه، و«الطبري» ١٥/ ١٧١، بنحوه من طريقين، وورد في: «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٥، بنحوه، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٢أ، =

روى أبو صالح وعكرمة[١]، وهذا قول مجاهد[٢]. وقال محمد بن كعب القرظي بدل السنين ونقص من الثمرات فَلْق البحر والطمسة؛ وهي أن الله تعالى مسخ أموالهم حجارة من النخل والدقيق والأطعمة والدراهم والدنانير[٣]، وهذا الذي ذكرنا أجود ما قيل في تفسير الآيات[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ قال ابن عباس: فاسأل يا محمد بني إسرائيل[٥]، يريد المؤمنين من قريظة والنضير، ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾ يريد موسى، ونظم الآية على غير ما هو عليه في الظاهر؛ لأن (إذ) تتعلق بالإتيان لا بالسؤال، وتقدير الآية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾، ﴿إِذْ جَآءَهُمْ﴾:

= و«الماوردي» ٣/ ٢٧٧، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٧ وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: العقدة بلسانه [وفيه نظر؛ لأن وجه الآية فيه غير ظاهر]، وفَلْق البحر بدل السنين ونقص الثمرات، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٠، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق.

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧١، بنحوه عن عكرمة، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٢أ، بنحوه عن عكرمة، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٧، بنحوه عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) ورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٠، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٢أ، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٧.

(٣) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧١، بنحوه، لكنه ذكر الحجر بدل فلق البحر، وعرف الطمسة بقوله: دعا موسى وأمَّن هارون، فقال: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٩]، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٢أ مع زيادات، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٧، كرواية الطبري، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٧، بنحوه.

(٤) قال ابن كثير ٣/ ٧٥: وهذا القول ظاهر جلي، حسن قوي، يقصد قول ابن عباس ومجاهد وعكرمة.

(٥) ورد بلا نسبة في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٧٣، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٢ب، و«هود الهواري» ٢/ ٤٤٥، و«البغوي» ٥/ ١٣٤، و«الخازن» ٣/ ١٨٣.

بني إسرائيل فسألهم، إلا أنه لمّا عُلِّق السؤال ببني إسرائيل كُنِّى عنهم [في قوله: ﴿جَآءَهُمْ﴾، والمراد: إذ جاء آباءهم الذين كانوا في ذلك الوقت، ولكنهم لمَّا كانوا من بني إسرائيل كنى عنهم][(١)]؛ لتقدم ذكر بني إسرائيل في الجملة، وقوله: ﴿فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ اعتراض دخل في كلام متصل.

وقال أهل المعاني في معنى هذا السؤال: إن النبيّ ﷺ أُمر بأن يسألهم لا ليعرف ذلك من جهتهم، ولكن لينكشف لعامة اليهود بقول علمائهم صِدقُ ما أتى به وأَخْبَر عنه، فيكون هذا السؤال سؤال استشهاد.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾، قيل في المسحور هاهنا: إنه بمعنى الساحر؛ كالمشؤوم والميمون، وذكرنا هذا في قوله: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] وهذا قول الفراء وأبي عبيدة[(٢)]، وقيل: إنه مفعول من السحر؛ أي أنك قد سُحِرت فأنت تحمل نفسك على هذا الذي تقوله للسحر الذي بك[(٣)].

وقال محمد بن جرير: أي مُعْطَى عِلْم السحر، فهذه العجائب التي تأتي بها من سحرك[(٤)]، فأجابه موسى:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (د).

(٢) ليس في المعاني ولا المجاز، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٢ب، بنحوه عنهما، وهو مصدره، وانظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٣٥، و«القرطبي» ١٠/ ٣٣٦، عنهما، و«ابن الجوزي» ٥/ ٩٤، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٦٥، كلاهما عن الفراء.

(٣) ورد نحوه في «تفسير الطبري» ١٥/ ١٧٣- ١٧٤، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٨، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٨.

(٤) «تفسير الطبري» ١٥/ ١٧٣- ١٧٤، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٢ب بنصه، والظاهر أنه اقتبسه منه لا من الطبري.

١٠٢- بقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني الآيات، ﴿إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ أي عِبرٌ أو دلالات، وذكرنا معنى البصائر في آخر سورة الأعراف [: ٢٠٣].

وقراءة العامة بفتح التاء[١]، [وقرأ الكسائي: علمتُ بضم التاء[٢]، والاختيار عند الجميع فتح التاء، وهو قراءة ابن عباس، وضم التاء][٣] قراءة علي ﷺ، وكان يقول: والله ما عَلِمَ عدو الله، ولكن موسى هو الذي عَلِم، فبلغ ذلك ابن عباس فاحتج بقوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، على أن فرعون وقومه كانوا قد عرفوا صحة أمر موسى[٤].

وقال الزجاج: (الأجود في القراءة فتح التاء؛ لأن عِلم فرعونَ)[٥] بأنها آيات من عند الله أوكد في الحجة[٦]؛ فموسى يحتج عليه بما علم

---

(١) انظر: «السبعة» ص٣٨٦، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٨٣، و«علل القراءات» ١/ ٣٣٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ١٢٢، و«المبسوط في القراءات» ص٢٣١، و«التبصرة» ص١٤١، و«النشر» ٢/ ٣٠٩.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (أ)، (د).

(٤) ورد بنحوه في «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٢، و«معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠١، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٨٤، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٢ب، وانظر: «تفسير الرازي» ٢١/ ٦٥، بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٠-٣٧١ وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم، دون رد ابن عباس ﷺ. قال أبو حيان ٦/ ٨٦: وهذا القول عن علي ﷺ لا يصح؛ لأنه رواه كلثوم المرادي، وهو مجهول.

(٥) ما بين التنصيص ساقط من (أ)، (د)

(٦) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٣ بنصه. وعبارته الأجود غير جيدة؛ لأنها تقتضي انتقاص القراءة الأخرى السبعية.

هؤلاء بما علم موسى، وأما من ضم التاء فحجته ما ذكرنا عن علي.

فإن قيل: كيف يصح الاحتجاج عليه بعلمه، وعلمه لا يكون حجة على فرعون؟

فالجواب: أنه لما قيل له: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [الشعراء: ٢٧] قال موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾، فكأنه نفى ذلك وقال: لقد علمتُ صحةَ ما أَتَيْتُ به علمًا صحيحًا؛ علم العقلاء[1]، وفي قوله: ﴿مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ دليل على قول من يقول: إن الآيات التسع كانت آيات من التوراة، وهو ما رُوي عن صفوان بن عسال[2] عن يهوديين سألا رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ فقال رسول الله ﷺ: **«لا تشركوا بالله، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، ولا تسحروا، ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان فيقتله، ولا تأكلوا الربا، ولا تقذفوا محصنة، ولا تفروا من الزحف، وعليكم خاصة ألا تعدوا في السبت، قال: فقبَّلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبيّ»**[3].

---

(١) ورد في «الحجة للقراء» ٥/ ١٢٣، بنحوه، و«تفسير الطوسي» ٦/ ٥٢٦، بنحوه.

(٢) صفوان بن عسال ﷺ صحابي من بني الرَّبَض بن زاهر المرادي، سكن الكوفة، غزا مع النبي ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وروى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، روى عنه عبد الله ابن مسعود، وزِر بن حُبَيْش، وعبد الله بن سَلِمَة.

انظر: «الاستيعاب» ٢/ ٢٧٩، و«أسد الغابة» ٣/ ٢٨، و«الإصابة» ٢/ ١٨٩.

(٣) أخرجه بنحوه: ابن أبي شيبة ٧/ ٣٢٩، وأحمد ٤/ ٢٣٩، والترمذي (٣١٤٤) كتاب التفسير، باب: ومن سورة بني إسرائيل، وقال: حسن صحيح، والنسائي: تحريم الدم والسحر ٧/ ١١١، و«الطبري» ١٥/ ١٧٢ بنصه وبنحوه من طرق، والطبراني ٨/ ٨٣، والحاكم ١/ ٩ وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» ٥/ ٩٧، والبيهقي في «الدلائل» ٦/ ٢٦٨، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ١٩٩ بنصه مع زيادة في=

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ قال الكلبي: وإني لأعْلَمُك يا فرعون[١]، ﴿مَثْبُورًا﴾ قال ابن عباس: ملعونًا[٢].

وقال قتادة: مهْلَكًا[٣]، وقال مجاهد: هالِكًا[٤].

قال الفراء: المثبور: الملعون المحبوس عن الخير، والعرب تقول: ما ثَبَرك عن هذا؟ أي ما منعك منه وما صرفك[٥].

وروى أبو عبيد عن أبي زيد: ثَبَرْتُ فلانًا عن الشيء: رَدَدْتُه عنه[٦].

= آخره، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٧، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٧، بنحوه.

قال ابن كثير ٣/ ٧٥: وهو حديث مشكل، وعبد الله بن سَلِمَة في حفظه شيء، وقد تكلموا فيه، ولعله اشتبه عليه التسع الآيات بالعشر الكلمات، فإنها وصايا في التوراة لا تعلق لها بقيام الحجة على فرعون. وعليه فالحديث لا دلالة فيه، فضلًا عن كونه ضعيفًا.

(١) ورد بلا نسبة في «تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٦، وهو قول أكثر المفسرين، كما قال ابن الجوزي ٥/ ٩٤.

(٢) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٥ بلفظه من طريق سعيد بن جبير، ومن طريق ابن أبي طلحة (كلاهما صحيحة)، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٣، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٢٨٦، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٢ب، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧١ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم من طرق.

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩١ بلفظه، و«الطبري» ١٥/ ١٧٦، بنحوه من طريقين، وورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٣ بلفظه، و«تهذيب اللغة» (ثبر) ١/ ٤٧١، بنحوه، و«تفسير السمرقندي» ٢/ ٣٨٦ بلفظه، والماوردي ٣/ ٢٧٨، بنحوه.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧١، بنحوه، أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٦ بلفظه من طريقين، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٣، و«تهذيب اللغة» (ثبر) ١/ ٤٧١، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٢ب، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٨ .

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٢، بنصه تقريبًا.

(٦) ورد في «تهذيب اللغة» (ثبر) ١/ ٤٧١، بنصه.

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي: المثْبُور: الملْعُون المطْرود المُعَذَّب[(١)]، هذا وجه قول ابن عباس.

وأما وجه قول مجاهد وقتادة، فقال الزجاج: ثُبِرَ الرجل فهو مثبور إذا أهلك[(٢)]، والثبور الهلاك، قال شمر: ومَثَلٌ للعرب: إلى أُمّه يأوي من ثُبِر؛ أي مَن أُهلِك[(٣)].

قال أبو عبيد: والمعروف في الثبور الهلاك، والملعون هالك[(٤)].

١٠٣- قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ﴾ قال ابن عباس: يريد فرعون[(٥)] ﴿أَن يَسْتَفِزَّهُم﴾، أي: يخرجهم، يعني: موسى وقومه بني إسرائيل، ومضى تفسير الاستفزاز في هذه السورة [آية: ٦٤]، ﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ يعني: أرض مصر[(٦)].

قال أبو إسحاق: جائز أن يكون استفزازهم إخراجهم منها بالقتل وبالتنحية، وهذه الآية وما بعدها تسلية للنبيّ ﷺ إذ قص عليه -في إِثْر ما ذكر من تكذيب قومه وهمهم بإخراجه- قصة فرعون، وما همّ به من استفزاز موسى وبني إسرائيل من أرض مصر، حتى أهلكه الله تعالى وأورثهم

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (ثبر) ١/ ٤٧١، بنصه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٣، بنصه.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (ثبر) ١/ ٤٧١ بنصه، انظر: «اللسان» (ثبر) ١/ ٤٦٩، و«موسوعة أمثال العرب» ٢/ ٦٥٠.

(٤) لم أقف على مصدره.

(٥) ورد بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٩، و«البغوي» ٥/ ١٣٥، و«ابن الجوزي» ٥/ ٩٥.

(٦) ورد بلفظه في «تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٤٦، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٩، و«البغوي» ٥/ ١٣٥.

أرضهم وديارهم وأموالهم، لذلك أظهر نبيه محمدًا[١] ﷺ على المشركين، ورده إلى مكة ظاهرًا عليهم، فأنجز وعْدَه، ونصر عبده.

١٠٤- وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ قال ابن عباس: يريد القيامة[٢]، ﴿جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفًا﴾، أي: جميعًا، في قول مجاهد وقتادة[٣].

وقال ابن عباس: يريد من كل موضع[٤].

وروى منصور عن أبي رَزين[٥]: من كل قوم[٦].

قال الفراء: من ها هنا وها هنا[٧].

وقال الزجاج: من كل قبيلة[٨].

وروى عمرو عن أبيه: اللفيف: الجمع العظيم من أخلاط شتى،

---

(١) ساقطة من (أ)، (د).

(٢) انظر: «تنوير المقباس» ص٣٠٦، وورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٢٠ب، و«الطبري» ١٥/ ١٧٦، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٦، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ، وهذا هو قول الجمهور.

(٣) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧١ بلفظه، أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩١- بلفظه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ١٧٧ بلفظه عنهما من طرق، وورد بلفظه: في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٤، عنهما، و«تفسير هود» ٢/ ٤٤٦، عن مجاهد، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٨، عن قتادة.

(٤) ورد في «تفسير الماوردي» ٣/ ٢٧٨ بمعناه، وفي «تفسير الطبري» ١٥/ ١٧٧، عنه من طريق العوفي (ضعيفة): جميعًا.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٧ بنصه، وورد بنصه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٤.

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٢، بنصه.

(٨) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٣، بنحوه.

(٩) ورد في «تهذيب اللغة» (لفف) ٤/ ٣٢٨١، بنصه.

فمنهم الشريف والدني، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف[١].

وقال المبرد: الأكثر عند العرب أن اللفيف إنما يقال للمختلطين من كل شكل، وكل شيء خلطته بشيء فقد لففته، ومنه قيل: لَفَفْتَ الجيوشَ إذا ضربت بعضها ببعض، والتفت الزحوف[٢].

والمعنى: جئنا بكم من قبوركم إلى المحشر أخلاطًا، يعني جميع الخلق؛ المسلم والكافر والبر والفاجر.

١٠٥- قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾ الحق نقيض الباطل، وهو الثابت الذي لا يزول، كما أن الباطل: الزائل الذاهب، وأراد بالحق ها هنا: الدين الحق والأمر الحق، وهو ما كان عليه محمد ﷺ والكناية في: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ للقرآن، ومعناه: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين القائم، قال أبو علي الفارسي: (الباء) في: ﴿وَبِٱلْحَقِّ﴾ في موضع الحال من الضمير في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، يعني أنه بمعنى: مع، كما تقول: نزل بِعُدّته وخرج بسلاحه، والمعنى: أنزلنا القرآن مع الحق.

وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ قال: يحتمل الجار فيه ضربين؛ أحدهما: أن يكون التقدير نزل بالحق كما تقول: نزلت بزيد، والثاني: أن يكون حالًا من الضمير الذي في نزل، هذا كلامه[٣]، وعلى القول الأول: الحق محمد ﷺ ؛ لأن القرآن نزل به عليه، وعلى القول الثاني: معناه نزل مع الحق، كما قلنا في قوله: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ﴾.

---

(١) لم أقف عليه، وورد نحوه بلا نسبة في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ، و«الطوسي» ٦/ ٥٢٩، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٦٦.

١٠٦- قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَهُ﴾ يَنْتَصِبُ قرآنًا بإضمار فعل، مثل الذي ظهر[(١)]، قال أبو علي: (وَقُرْءَانًا) يحتمل أمرين؛ أحدهما: أن يكون محمولًا على ﴿أَنزَلْنَهُ﴾ كأنه قال: بالحق أنزلناه وأنزلنا قرآنًا، فانتصابه على أنه مفعول به، والوجه الآخر: أن تعطفه على ما يتصل به كأنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وذا قرآن وصاحبَ قرآن[(٢)]، فحذف المضاف[(٣)]، وعلى ما ذكر أبو علي - في القول الثاني- يجب أن يكون القرآن نكرة لوصفه له بالجملة من غير الذي، وقد ذكر في قوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الزمر: ٢٨] أنه يجوز أن يكون نكرة[(٤)]، وذلك غير جيد لتنكير[(٥)] الاسم العلم[(٦)]، و﴿فَرَقْنَهُ﴾: فَصَّلناه، قاله علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[(٧)].

«تفسير ابن عطية» ٩/ ٢١٥.

(١) في (أ)، (د)، (ش): (قرآنًا). وهو خطأ نحوي ظاهر، والمثبت من (ع) وموافق لما في المصدر.

(٢) «المسائل الحلبيات» ص٢٩٨، بنصه. وهذا القول فيه تكلف وبعد عن ظاهر القرآن الواضح، وظاهر الآيتين أن الله تعالى وصف القرآن الكريم بثلاث صفات، أنه كله حق لأنه نزل من عنده، والثاني: أن جميع ما فيه حق لا مرية فيه، والثالث: أنه جاء محكمًا مفصلًا وواضحًا بيِّنًا، أو أراد وصفه بأنه نزل منجمًا مفرقًا بحسب الوقائع والأحداث. أملاه عليّ أ.د. فضل عباس، أحد علماء الأردن المعاصرين.

(٣) المصدر السابق ص٢٩٧، بنحوه.

(٤) في (أ)، (د)، (ش): (لنكير)، والمثبت من (ع).

(٥) وهذه إشارة إلى أنه من القائلين بأن القرآن علم مرتجل، وهي مسألة خلافية بين العلماء في أصل القرآن، هل هو مشتق أو علم مرتجل؟ انظر: «مناهل العرفان» ١/ ١٤، و«المدخل لدراسة القرآن الكريم» ص١٧، و«مباحث في علوم القرآن» ص١٦.

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٨ بلفظه من هذه الطريق (صحيحة)، وورد بلفظه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ .

(٧) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٨، بنحوه من طريق عكرمة (حسنة)، وورد في «تفسير

وقال سعيد بن جبير عنه: نزل القرآن كله ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء السفلى في السنين التي نزل فيها[(١)].

وقال قتادة: كان بين أوله وآخره عشرون سنة[(٢)]، وهو معنى قوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، وقال السدي: قطعناه آية آية وسورة سورة، ولم ننزله جملة[(٣)]، والاختيار عند الأئمة: فرقناه مخففًا[(٤)]، وفسّره أبو عمرو: بيَّناه[(٥)].

وقال الفراء: أحكمناه[(٦)] وفصَّلناه؛ كما قال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] أي يُفَصّل[(٧)].

قال أبو عبيد: والتخفيف أعجب إليّ لأن تفسيره: بيّناه، ومن قرأ بالتشديد[(٨)] لم يكن له معنى إلا أنه أُنزل متفرقًا، والتأويل الأول أعجب إليّ

الطوسي» ٦/ ٥٣٠، بنحوه. انظر: «تفسير الرازي» ٢١/ ٦٨، عن ابن جبير.

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩١ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ١٧٨ بنصه، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٥٣٠ بنصه.

(٢) ورد في تفسيره «الوسيط» ٢/ ٥٥٩، بنصه، وهو في معنى قول ابن عباس وقتادة السابقين.

(٣) قرأ بها السبعة وعامة قراء الأمصار، انظر: «تفسير الطبري» ١٥/ ١٧٨، و«إعراب القراءات السبع وعللها» ١/ ٣٨٤.

(٤) ورد في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٥ بلفظه.

(٥) في جميع النسخ: (حكيناه)، والصواب ما أثبته؛ لأنه هو المناسب للمعنى والمقابل لقوله: فصلناه، وقد ورد في المصدر والتهذيب: أحكمناه.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٣ بنصه تقريبًا، انظر: «تهذيب اللغة» (فرق) ٣/ ٢٧٧٨.

(٧) أخرجها الطبري عن ابن عباس ١٥/ ١٧٨، ونسبت في «القراءات الشاذة» لابن خالويه ص٨١ إلى أُبيّ وابن عباس ومجاهد، وأوردها ابن جني في «المحتسب» = ٢/ ٢٣، ونسبها إلى علي وابن عباس وابن مسعود وأُبيّ والشعبي والحسن

وأشرق، هذا كلامه(١)، وحصل من هذا أن معنى الفَرْق تفصيل يتضمن التبيين، والتفريق لا يتضمن التبيين، ولهذا فسروا ها هنا وفي قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ [الدخان: ٤] بالتبيين.

ومما يرجح التخفيف ما روى ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال: فرقتُ أفْرُقُ بين الكلام، وفَرَّقتُ بين الأجسام(٢)، ويدل على هذا قوله ﷺ: **«البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرقا»**(٣)، ولم يقل: يفترقا، والتفرق مطاوع التفريق، والافتراق مطاوع الفرق، ومعنى: ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ على تؤدة وتَرَسُّل، قاله مجاهد(٤).

قال الفراء: يقال: مَكُث ومَكَث ومَكِث، ويقال في الفعل: مَكُث

وقتادة وغيرهم. وفي «الإتحاف» ص ٢٨٧ قرأ بها ابن محيصن. وزاد ابن عطية ٩/ ٢١٦ أن في قراءة ابن مسعود وأبي زيادة كلمة (عليك)، أي: فَرَّقْنَاه عليك لتقرأه، وكلتا الروايتين قراءة شاذة كما هو ظاهر.

(١) لم أقف عليه.

(٢) ورد في «تهذيب اللغة» (فرق) ٣/ ٢٧٧٨ بنصه.

(٣) أخرجه بلفظه: أحمد ٢/ ٩، عن ابن عمر، والبخاري (٢٠٧٩) كتاب: البيوع، باب: إذا بيَّن البيّعان عن حكيم بن حزام، والدارمي: البيوع، في البيعان بالخيار ٢/ ٣٢٥، عن حكيم، والطبراني في «الكبير» ٣/ ١٩٩، عن حكيم، والحاكم: البيوع، البيعان بالخيار ٢/ ١٦، عن سمرة بن جندب، والبيهقي: البيوع، المتبايعان بالخيار ٥/ ٢٦٩، عن ابن عمر.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧١ بمعناه؛ قال: على ترتيل، وأخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩١، بلفظه، و«الطبري» ١٥/ ١٧٩ بلفظه وبمعناه، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٥، و«تفسير هود الهواري» ٢/ ٤٤٦، و«الماوردي» ٣/ ٢٧٩، و«الطوسي» ٦/ ٥٣١.

(٥) ورد في «تهذيب اللغة» (مكث) ٤/ ٣٤٣٣ مختصرا، وورد في «تفسير الفخر

ويَمْكُث ومَكَث يَمْكُث[١]، والفتح قراءة عاصم في قوله: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[٢] [النمل: ٢٢]، قال: فَرَّقَه الله في التنزيل ليفهمه الناس، فقال: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا﴾ قال ابن عباس: [نجوما بعد نجوم، وشيئًا بعد شيء[٣].

١٠٧- قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ قال ابن عباس][٤]: ﴿قُلْ﴾: لأهل مكة، ﴿ءَامِنُوا۟﴾: بالقرآن[٥]، ﴿أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟﴾ وهذا تهديد؛ أي فقد أنذر الله ووعد[٦] وبَلّغَ الرسول، فاختاروا ما تريدون، كما قال: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ﴾ أي من قبل نزول القرآن، قال مجاهد: هم ناس من أهل الكتاب حين سمعوا ما أُنزل على محمد ﷺ خروا سجدًا[٧].

الرازي» ٢١/ ٦٨ مختصرا، ومكث مثلثة الأول بمعنى اللَّبْث والإقامة، انظر: «إكمال الإعلام بتثليث الكلام» ١/ ١٥، و«الدرر المبثّة في الغرر المثلثة» ص١٩٠.

(١) انظر: «السبعة» ص٤٨٠، و«الحجة للقراء» ٥/ ٣٨٠، و«المبسوط في القراءات» ص٢٧٨، و«التيسير» ص١٦٧.

(٢) لم أقف عليه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٧٩- ١٨٠ بمعناه عن الحسن وقتادة، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٥٣١، وورد في «الوسيط» ٢/ ٥٥٩ بنصه غير منسوب.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من (ش).

(٤) ورد بلا نسبة في «تفسير مقاتل» ١/ ٢٢١أ، و«الطبري» ١٥/ ١٨٠، و«الوسيط» للواحدي ٢/ ٥٥٩.

(٥) في (أ)، (د): (ووعده)، والمثبت من (ش)، (ع).

(٦) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٨١، بنحوه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ، بنحوه، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٢، بنحوه.

(٧) لم أقف عليه، وورد بلا نسبة في: «تفسير البغوي» ٥/ ١٣٦، و«ابن عطية» ٩/ ٢١٧،

وقال ابن عباس: منهم زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل[١]، وعلى هذا ليس المراد بقوله: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ أهل الكتاب، وإنما هم طلاب الدين.

وقوله تعالى: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ قال ابن عباس في رواية الوالبي: يخرون للوجوه[٢]، وهو قول قتادة[٣].

وقال في رواية عطاء: يريد: يسجدون بوجوههم وجباههم وأذقانهم[٤].

قال أبو إسحاق: والذَّقَنُ مجمع اللَّحْيَيْنِ[٥]، وهو عضو من أعضاء الوجه، وكما يبتدئ المبتدئ يَخِرُّ فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض الذَّقَنُ[٦]، وعلى هذا إنما خص الذقن بالذكر؛ لأنه أقرب أبعاض الوجه إلى الأرض، وهو ها هنا عبارة عن الوجه.

و«الفخر الرازي» ٢١/ ٦٩ .

(١) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٨٠ بلفظه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، وورد بلفظه في «تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٩، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٣أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٨٠، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٢، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٢ وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩٢ بلفظه، و«الطبري» ١٥/ ١٨٠ بلفظه من طريقين، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٨/ ٢٠٥، و«تفسير الجصاص» ٣/ ٢٠٩، و«الماوردي» ٣/ ٢٨٠، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٢.

(٣) ورد في تفسيره «الوسيط» تحقيق سيسي ٢/ ٥٦٠ بنصه بلا نسبة.

(٤) في (أ)، (د): (للجبين)، والمثبت من (ش)، (ع)، وهو الصحيح والموافق للمصدر. انظر: «المحيط في اللغة» (ذقن) ٥/ ٣٧٥.

(٥) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٤، بنصه.

(٦) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩٢ بلفظه، و«الطبري» ١٥/ ١٨٠ بلفظه، وورد بلفظه في

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: قال الحسن: لِلّحى[1]، وعلى هذا القول: الأذقان عبارة عن اللِّحى، وخصت بالذكر لأن المعنى أنهم يضعونها على الأرض للسجود تواضعًا لله تعالى، واللِّحْية تُلْقى بالإكرام والتنظيف، فإذا أذلوها في التراب فهو غاية التواضع، واللام ها هنا بمعنى على، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾ [الحجرات: ٢] أي عليه، والعرب تقول: سقط فلان لفيه، أي على فيه، قال الشاعر:

فخر صريعًا لليدين وللفم[2]

«تفسير الجصاص» ٣/ ٣٠٩، و«الماوردي» ٣/ ٢٨٠، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٢.

(١) صدره:

تناولهُ بالرُّمح ثُمَّ اتَّنَى لَهُ

نسب لجابر بن حُنَيّ التَّغْلِبي في «المفُضَّليات» ص٢١٢، و«شرح شواهد المغني» ٢/ ٥٦٢.

ونسب لربيعة بن مُكدَّم في «الأغاني» ١٦/ ٧٥ برواية:

وهتكت بالرمح الطويل إهابه فهوى

ونسب لعصام بن مقشعر البصري في «معجم الشعراء» ص١٠١ برواية:

دلفته بالرمح من تحت بزه

ونسب للأشعث الكندي في «الأزهية» ص٢٨٨ برواية:

تناولْت بالرُّمْحِ الطَّويلِ ثِيَابَهُ

وورد بلا نسبة في: «أدب الكاتب» ص٥١١، و«تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٧٨، و«القرطبي» ١٠/ ٣٤١، و«رصف المباني» ص٢٩٧، و«الجنى الداني» ص١٠١، و«مغني اللبيب» ص٢٨٠، و«شرح الأشموني» ٢/ ٣٨٨ .

(تناوله بالرمح): طعنه، (اتَّنى): أراد اثتنى فأدغم الثاء في التاء، فأبدلهما تاءً، ويروى اثنى، (خرّ): سقط. «شرح اختيار المفضل» ٢/ ٩٥٥.

(٢) هكذا في جميع النسخ، والعبارة قلقة، ولعلها (يصيبوا) من الإصابة، وهي

والمعنى أنهم يبادرون إلى السجود فيسقطون على الأذقان أولًا إذا وقعوا بالأرض إلى أن نصبوا[١] جباههم على الأرض للسجود ؛ لأن الذقن ليس من أعضاء السجود، ويدل على هذا[٢] قوله: ﴿يَخِرُّونَ﴾ ولم يقل: يسجدون؛ لأنه أراد مسارعتهم إلى ذلك حتى إنهم ليسقطون ويقولون في سجودهم: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾، أي: ينزهونه ويعظمونه، ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾: أي وعده بإنزال[٣] القرآن وبعث محمد ﷺ، وهذا يدل على أن هؤلاء كانوا من أهل الكتاب؛ لأن الوعد ببعث محمد ﷺ سبق في كتابهم، فهم كانوا ينتظرون ذلك الوعد.

وذكر الليث وجهًا آخر في قوله: ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ فقال: العرب تقول إذا خَرّ الرجل فوقع على وجهه: خَرّ للذقن، وكذلك الشجر والحجر إذا قلبه السيل يقال: كبه السيل للذقن[٤]، ويدل على ما ذكره قول امرئ القيس يصف سيلًا شديدًا[٥]:

يَكُبُّ على الأذْقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ[٦]

الأنسب للسياق.

(١) في (أ)، (د)، (ش): (أن هذا) والمثبت من (ع).

(٢) في (أ)، (د): (بأنزل)، والمثبت من (ش)، (ع).

(٣) ورد بنحوه غير منسوب في «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٦٩.

(٤) في (أ)، (د): (سبيلًا شديد)، والصحيح المثبت من (ش)، (ع) لغويًا ونحويًا.

(٥) وصدره:

وأضْحى يَسُحُّ الماءَ عن كلِّ فيقةٍ

«ديوانه» ص١٢١، وورد في: «أساس البلاغة» ص ٢٩٩ مادة: (ذقن)، و«اللسان» (كهبل) ٧/ ٣٩٤٥، (ذقن) ٣/ ١٥٠٦ (فيقة): الفيقة: الفترة ما بين الحلبتين، =

= (كنهبل): أصله كَهْبَل والنون فيه زائدة، وهو شجر عظام من العِضاه، وقيل: صنف

فلما استعمل ذلك في الشجر إذا سقط واستعير له الذقن، كان ذكره في الإنسان الذي له الذقن أولى.

وقوله تعالى: ﴿سُجَّدًا﴾ حال[1] مقدرة، المعنى: يَخِرّون مقدرين للسجود؛ لأن الإنسان في حال خُرُورِه لا يكون ساجدًا، قاله أبو إسحاق في قوله: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[2] [مريم: ٥٨]، ومثله: ﴿هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقد مرّ.

قال أبو إسحاق: و(إن) و(اللام) في: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾ دخلتا للتوكيد[3]، ومضى الكلام في مثل هذا في مواضع.

١٠٩- قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ أعاد هذا لأن الأول للسجود، والثاني لغير السجود، ولكن للذّلة والخشوع عند استماع القرآن، يدل عليه قوله: ﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، ويجوز أن يكون تكرير القول دلالة تكرر الفعل منهم.

وقوله تعالى: ﴿يَبْكُونَ﴾ معناه الحال، ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾، أي: القرآن، ﴿خُشُوعًا﴾: تواضعًا، وذكرنا معنى الخشوع في أوائل سورة البقرة[4].

من الطَّلح قصار الشوك، والمعنى: كأنه يقول: إن المطر يسح ويسكن أخرى، يكب على الأذقان دوح الكنهبل، يقتلع شجر الكنهبل من أصوله ويلقيه على أم رأسه لشدة سحه وهيجه.

(١) في (أ)، (د)، (ش): (قال)، والمثبت من (ع).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٣٣٥، بنصه.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٤، بنصه.

(٤) آية [٤٥].

(٥) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٨٢، بنحوه من طريق أبي الجوزاء (ضعيفة). وورد بنحوه

١١٠- قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الآية. قال ابن عباس: إن رسول الله ﷺ قال وهو ساجد ذات ليلة: يا رحمن، فسمعه أبوجهل -وهم لا يعرفون الرحمن-، فقال: إن محمدًا ينهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهًا آخر مع الله يقال له: الرحمن، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ﴾[١]، أي: قل يا محمد: ادعوا الله يا معشر المشركين[٢]، ﴿أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ أي إن شئتم قولوا: يا الله، وإن شئتم قولوا: يا رحمن.

﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال أبو إسحاق: أعلمهم الله أن دعاءهم الله ودعاءهم الرحمن يرجعان إلى واحدٍ، فقال: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟﴾ المعنى أي أسماء الله تدعوا ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٣].

وقال المبرد: يقول إذا دعوتم الله الرحمن فإنما تدعون واحدًا، يعني أن تَخْيِيره[٤] بين أن يُدْعى الله وبين أن يدعى الرحمن إنّما هو لأنهما واحد، يَدلّ على هذا: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[٥] قال النحويون: (أي) في الكلام تقع في ثلاثة مواضع؛ أحدها: الاستفهام، والآخر: الجزاء، والثالث: الخبر[٦]، فإذا كان استفهامًا أو جزاءً لم تَحْتَج إلى صلة، وعمل

في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٣ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٨١، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٣، وأورده المؤلف في «أسباب النزول» ص ٣٠٢، بنحوه بلا سند، وأورده السيوطي في «الدر» و«اللباب» ٥/ ٣٤٨، ص١٤٢ وعزاه إلى ابن مردويه.

(١) في جميع النسخ: (يا معشر المؤمنين)، والصواب ما أثبته، كما في «الطبري» ١٥/ ١٨٢، و«ابن كثير» ٣/ ٧٧، وسياق الكلام يدل عليه.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٤، بنصه.

(٣) في (أ)، (د)، (ش): (يختبره)، والمثبت من (ع).

(٤) لم أقف عليه.

(٥) ذكر في «الأزهية» أنها تأتي على ستة أوجه: تكون جزاءً، واستفهامًا، وخبرًا، = وتعجبًا، ونداءً، ونعتًا فيه معنى المدح، انظر: «حروف المعاني» للزجاجي

فيها ما بعدها، ولم يجز أن يعمل فيها ما قبلها إلا ما يَجُرّ، وسنذكر ذلك عند قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ﴾ [الكهف: ١٢] إن شاء الله، وإذا كانت خبرًا احتاجت إلى صلة نحو صلة الذي، ويعمل فيها ما قبلها وما بعدها سوى صلتها؛ كقولك: لأضربن أيهم في الدار.

قال الفراء: العرب تقول: أيّ وأيّان وأيّون، إذا أفردوا (أيًّا) أنَّثُوها وجمعوها، وأنَّثُوها فقالوا: أيّة وأيّتان وأيّات، وإذا أضافوها إلى ظاهر أفردوها، وذكّروا فقالوا: أيّ الرجلين ؟ وأيّ المرأتين؟ وأيّ الرجال؟ وأيّ النساء؟ وإذا أضافوا إلى مُكَنّى المؤنث أنثوا وإلى مُكَنّى المذكر ذَكّروا، فقالوا: أيّهما وأيّتهما للمرأتين، قال الله ﷻ: ﴿أَيًّا مَّا تَدْعُواْ﴾، وقال زهير في لُغة من أنّث:

وزوَّدُوكَ[1] اشـتـيـاقًـا أَيَّـةً سَـلَـكُـوا[2]

يُرادُ أَيّةُ وجْهة، فأنَّثها حين لم يُضِفْها، ولو قال: أيًّا سلكوا، بمعنى: أيّ وجهة، كان جائزًا، ويقول لك قائل: رأيتُ رجلا، فتجيبه: أيًّا؟ ويقول: رجلين، فتقول: أَيَّيْن؟ وفي الرجال: أَيّون؟ وفي المرأة: أيّة؟ وفي النساء: أيّات؟[3] و(ما) في قوله: ﴿أَيًّا مَّا﴾ صلة، كقوله: ﴿جُندٌ مَّا

ص٦٢، و«الأزهية» ص١٠٦، و«مغني اللبيب» ص١٠٧.

(١) في (أ)، (د)، (ش): (زودك)، والمثبت من (ع) وهو موافق للديوان.

(٢) وصدره:

بانَ الخليطُ ولم يأْوُوا لمَن تركوا

«شرح ديوان زهير» ص١٦٤، وورد في «الخزانة» ٥/ ٤٥٣، (الخليط): المجاور لك في الدار، (ولم يأْوُوا): لم يرحموا، (وأيّةً سلكوا): أيّ جهةٍ سلكوا فأنت مشتاق.

(٣) ورد في «تهذيب اللغة» (أي) ١/ ٢٤١ نقل طويل مع تصرف يسير.

(٤) أخرجه بنحوه من طريق سعيد: أحمد ١/ ٢٣، والبخاري (٤٧٢٢) كتاب التفسير،

﴿هُنَالِكَ﴾ [ص: ١١]، و﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ﴾ [نوح: ٢٥]، و﴿تَدْعُواْ﴾ في موضع جزم بأي؛ لأنه من حروف الشرط والجزاء، يقول: أيّهم يعط أعط، وعلامة الجزم في تدعوا سقوط النون التي تثبت للرفع في يفعلون، وجواب الشرط (الفاء) في قوله: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه الآية قال: (كان رسول الله ﷺ يرفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سَبُّوه وسَبُّوا من جاء به، فأوحى الله إليه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ فيسمعه المشركون فيسبوه، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ فلا يسمع أصحابك، ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، أي: أسمعهم القرآن أحيانًا يأخذوا عنك)[١]، وهذا قول قتادة والسدي[٢]، واختيار أبي إسحاق، قال: المخافتة: الإخفاء، والجهر: رفع الصوت.

وكان النبيّ ﷺ إذا جهر بالقرآن سبّ المشركون القرآن، فأمر الله أن لا يعرّض القرآن لسبهم، وأن لا يخافت مخافتةً لا يسمعها من يصلي خلفه من أصحابه فقال: ﴿وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾، أي اسلك طريقًا بين الجهر

باب ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾، ومسلم (٤٤٦) في الصلاة، باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية، و«الطبري» ١٥/ ١٨٤ من طرق، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٥٥، وورد بنحوه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٧، و«تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٣ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٨١، وأخرجه المؤلف في «أسباب النزول» ص٣٠٣، بنحوه.

(١) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩٢، بنحوه عن قتادة، و«الطبري» ١٥/ ١٨٦، بنحوه من طريقين عن قتادة.

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٥، بنصه تقريبًا.

والمخافتة[(١)]، يقال: خَفَتَ صوته يَخْفِتُ خُفُوتًا وخُفَاتًا، إذا ضَعُفَ وسكن، وصوتٌ خَفِيتٌ، أي: خَفِيضٌ، ومن هذا يقال للرجل إذا مات قد خَفَتَ، أي انقطع كلامه، وخفت الزرع إذا ذَبُلَ ولَانَ، وزرع خَافِت، والرجل يخافت بقراءته: إذا لم يبين قراءته برفع الصوت، وقد تخافت القومُ إذا تشاوَرُوا بينهم[(٢)]، وقال الجعدي:

وَلَسْتُ وإنْ عَزُّوا عليّ بِهَالِكٍ ... خُفاتًا ولا مُسْتَهْزِمٍ ذاهبِ العَقْلِ[(٣)]

يقول: لست أهلك خفاتًا أي ضعفًا لمصاب من أُصبت به منهم، وإن كانوا أعزة، ولكني أتصبَّر وأتجلَّد، هذا الذي ذكرنا في الجهر والمخافتة بالصلاة مذهب أكثر المفسرين[(٤)]، ومعنى الصلاة في هذا القول: القراءة، وذلك أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة، فسميت القراءة صلاة، كما سميت الصلاة قراءة في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ [آية: ٧٨]، وقد مرّ. وفي الآية قول ثان ؛ وهو أن المراد بالصلاة الدعاء، وهذا قول أبي هريرة وعائشة ومجاهد[(٥)].

---

(١) ورد في «تهذيب اللغة» (خفت) ١/ ١٠٦٤، بنحوه، انظر: (خفت) في «المحيط في اللغة» ٤/ ٣١٣، و«الصحاح» ١/ ٢٤٨، و«اللسان» ٢/ ١٢٠٨.

(٢) «شعر النابغة الجعدي» ص٢٢٥، وورد في «تهذيب اللغة» (خفت) ١/ ١٠٦٤، و«اللسان» (خفت) ٢/ ١٢٠٨، (خفاتًا): ضعفًا وتذَلُّلًا، (مستهزم): جزوع.

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» ١/ ٢٢١أ، و«الطبري» ١٥/ ١٨٤، و«السمرقندي» ٢/ ٢٨٧، و«الثعلبي» ٧/ ١٢٣ب، و«الماوردي» ٣/ ٢٨١، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٤، وقد رجحه الطبري لصحة الإسناد الذي روي به عن صحابي وهو ابن عباس من طريق سعيد، ولأنه أشبه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل.

(٤) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٧٢ بلفظه، أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ بلفظه، و«الطبري»= = ١٥/ ١٨٤ بلفظه من طرق عن مجاهد، وورد بلفظه في تفسير الثعلبي ٧/ ١٢٤أ،

قال أبو هريرة في الآية: يعني بذلك الدعاء والمسألة[١].

وقالت عائشة: هي في الدعاء[٢]، وروي هذا مرفوعًا: أن النبيّ ﷺ قال في هذه الآية: «**إنما ذلك في الدعاء لا ترفع صوتك، فتكثر ذنوبك، فيُسمع منك، فتُعيَّر به**»[٣]، وهذا قول إبراهيم وابن عباس في رواية عطاء[٤]، كل هؤلاء قالوا: في الدعاء، وعلى هذا: الصلاة الدعاء، والجهر به منهي عنه، وكذلك الإسرار الذي هو إخفاء، والمستحب منه ما بين ذلك، وحدّه أن يُسْمِع نفسه[٥]؛ كما روي عن ابن مسعود أنه قال: لم

و«الطوسي» ٦/ ٥٣٤.

(١) انظر: «تفسير الفخر الرازي» ٢١/ ٧١، و«ابن الجوزي» ٥/ ١٠١.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ بلفظه، و«الطبري» ١٥/ ١٨٣ بلفظه من طرق، وورد بلفظه في «معاني القرآن» للنحاس ٤/ ٢٠٧، و«تفسير الماوردي» ٣/ ٢٨١، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٤، وأخرجه المؤلف في «أسباب النزول» ص٣٠٤ بلفظه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٥ وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) لم أقف عليه مسندًا، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٤، بنحوه، و«الفخر الرازي» ٢١/ ٧١ بنصه.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ بلفظه عن ابن عباس من طريق عكرمة (حسنة)، وعن عطاء ٦/ ٩٧، و«الطبري» ١٥/ ١٨٤ بلفظه عن ابن عباس من طريق العوفي (ضعيفة)، وعن عطاء، وورد في «تفسير الطوسي» ٦/ ٥٣٤ بلفظه عن ابن عباس وعطاء، انظر: «تفسير البغوي» ٥/ ١٣٧، و«الخازن» ٣/ ١٨٤ فيهما عن إبراهيم.

(٥) يؤيّده ما رواه الشيخان عن أبي موسى ﷺ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «**أيها الناس اربعوا** [أي: ارفقوا] **على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصمّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم**» أخرجه البخاري (٢٩٩٢) كتاب الجهاد، باب: ما يكره من رفع الصوت في = التكبير، ومسلم (٢٧٠٤) كتاب الذكر والدعاء، باب: استحباب خفض الصوت =

يخافت من أسمع أذنيه[(١)]، وفي الآية قول ثالث؛ وهو ما روى منصور عن الحسن ومعمر[(٢)] عنه قال: لا تُراء بعلانيتها ولا تسئ سريرتها[(٣)]، وهذا قول ابن عباس في رواية الوالبي، قال: يقول لا تصل مراءاة للناس، ولا تدعها مخافة للناس[(٤)]؛ وعلى هذا القول: الجهر بالصلاة هو إعلانها مراءاة، والمخافتة بها تركها مخافة أو إساءتها سرًّا؛ على ما قال الحسن.

١١١- قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ الآية. قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: «إنها آية العزة»، وكان يعلمها الصغير من أهله والكبير[(٥)].

وقال قتادة: كذّب الله بهذه الآية اليهودَ والنصارى وأهلَ الفِرَاء

بالذكر واللفظ له.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/ ٢٠٠ بنصه، و«الطبري» ١٥/ ١٨٨ بنصه، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٦.

(٢) في جميع النسخ (مغيرة)، والصواب ما أثبته من تفسير عبد الرزاق والطبري.

(٣) أخرجه «عبد الرزاق» ٢/ ٣٩٣، بنحوه من طريق معمر، و«الطبري» ١٥/ ١٨٧ بنصه من طريق منصور ومعمر وعوف، وورد بلفظه في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٤أ، و«الماوردي» ٣/ ٢٨١، و«الطوسي» ٦/ ٥٣٤.

(٤) أخرجه «الطبري» ١٥/ ١٨٧ بنصه من طريق ابن أبي طلحة (صحيحة)، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٢٥٦، بنصه، وورد في «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٤أ، بنصه، أورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٥ وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٥) لم أقف عليه مسندًا، وأخرج «الطبري» ١٥/ ١٨٩، عن قتادة قال: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يعلِّم أهله هذه الآية؛ الصغير من أهله والكبير، وفي «تفسير الثعلبي» ٧/ ١٢٤أ قال معاذ ﷺ: قال النبي ﷺ: آية العز: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الآية. انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٤٥، و«ابن كثير» ٣/ ٧٨.

(٦) في (أ)، (د)، (ش): (عنه)، والمثبت من (ع) و«الوسيط»، وقد ورد قولُ قتادة في

عليه[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ قال ابن عباس: لم يكن له ولي ينصره ممن استذله[٢].

وقال مجاهد: لم يحالف أحدًا ولم يبتغ نصر أحد[٣]، فليس له حليف من خلقه ولا ناصر، يعني: أنه لا يحتاج إلى ولاء النصرة والمحالفة، وإنما يحتاج إلى ذلك من يُستذلُ ويُقْهر، وهو العزيز القهار، وهو معنى قول أبي إسحاق: لم يحتج أن ينتصر بغيره، ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾، أي: عَظِّمه تعظيمًا عظمةً تامةً[٤].

«تفسير الوسيط» ٢/ ٥٦٤، بنصه، انظر: «تفسير القرطبي» ١٠/ ٣٤٥ بلا نسبة.

(١) ورد بمعناه في «تفسير الزمخشري» ٢/ ٣٧٩ بلا نسبة، و«القرطبي» ١٠/ ٣٤٥، عن الحسن بن الفضل، و«الخازن» ٣/ ١٨٥ بلا نسبة.

(٢) «تفسير مجاهد» ١/ ٣٠٤ بنصه، وأخرجه «الطبري» ١٥/ ١٨٩ بنصه من طريقين، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٧٦ وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم، وفيه: لم يخف أحدًا.

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» ٣/ ٢٦٥، بنصه.

التَّفْسِيرُ البَسِيطُ

لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي

(ت ٤٦٨ هـ)

من أول سورة الكهف إلى آية (٣١)

تحقيق

د. عبد العزيز بن محمد اليحيى

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ① قَيِّمًا﴾.

ذكرنا معنى العَوج والفرق بينه وبين العِوج في قوله: ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩](١). روى الوالبي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ﴾ قال: (ملتبسًا)(٢). ومعناه: التباس، أي: لم يجعل ملتبسًا لا يُفهم، ومعوجًا لا يستقيم.

وقال أبو إسحاق: (لم يجعل فيه اختلافًا)(٣). كما قال: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. يدل على هذا قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ قال ابن عباس: (يريد مستقيمًا عدلاً)(٤). وذكرنا الكلام في القيِّم

---

(١) العَوج بالفتح: ما كان منصوبًا كالحائط والعود. والعِوج بالكسر: ما كان في بساط أو أمر نحو: دين، ومعاش. انظر: «تهذيب اللغة» (عاج) ٣/ ٢٢٦٤، و«معجم مقاييس اللغة» (عوج) ٤/ ١٨٠، و«لسان العرب» (عوج) ٥/ ٣١٥٤، و«القاموس المحيط» (عوج) ص٢٠٠، و«المفردات في غريب القرآن» (عوج) ٣٥١.

(٢) «جامع البيان» ١٦٩/ ١٢٧، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٥/ أ، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨١ وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه من طريق علي عن ابن عباس.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٧.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٠، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٥ أ، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٣، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٨٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٠، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨١.

عند قوله: ﴿دِينًا قِيَمًا﴾ [الأنعام: ١٦١]، وجميع أهل اللغة والتفسير قالوا: (هذا من التقديم والتأخير، وتقديره: أنزل على عبده الكتاب قيمًا ولم يجعل له عوجًا)(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ قال ابن عباس: (يريد: لينذر عذابًا شديدًا)(٢). [قال الفراء: (مع البأس أسماء مضمرة يقع عليها الفعل قبل أن يقع على البأس)(٣).

يعني أن](٤) المفعول الأول للإنذار محذوف على تقدير: لينذر الكافرين بأسًا، كما قال في ضده: ﴿وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، فأظهر(٥). وفسر الزجاج فقال: (أي لينذرهم بالعذاب البئيس)(٦).

وقوله تعالى: ﴿مِن لَّدُنْهُ﴾ قال ابن عباس: (يريد من عنده)(٧).

وقال الزجاج: - (من قِبَلِهِ)(٨). قال: (وفي لدن لغات يقال: لدُ،

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ١٩١، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٣، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٢٨، و«معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٦.

(٢) ذكرته كتب التفسير بدون نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ١٩٢، و«تفسير كتاب الله العزيز» ٣/ ٨٠، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٢٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٥٢.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٣.

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٥) انظر: «الكشاف» ٢/ ٣٧٩، و«الدر المصون» ٧/ ٤٣٧، و«البحر المحيط» ٦/ ٩٦.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٧.

(٧) ذكرته كتب التفسير بدون نسبة «معالم التنزيل» ٥/ ١٤٣، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٢٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٣.

(٨) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٧.

ولَدُنْ، ولَدَى، والمعنى[١] واحد. قال: وهي لا تتمكَّن تمكُّن عند؛ لأنك تقول: هذا القول عندي صواب، ولا تقول: هو لدني صواب[٢]، وتقول[٣]: عندي مال عظيم، والمال غائب عنك، ولدن لما يليك لا غير)[٤].

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: (من لَدُنِهِ)، بشم الدال الضمة وبكسر النون والهاء[٥]. وهي لغة الكلابيين[٦].

روى أبو زيد عنهم أجمعين: (هذا من لَدُنِه، فتحوا اللام وضموا الدال وكسروا النون)[٧].

قال أبو علي الفارسي: (في لَدُنْ لغات: لدن مثل سبعٍ، وتخفف

---

(١) قوله: (المعنى) ساقط من نسخة: (س).

(٢) قوله: (ولا تقول: هو لدني صواب)، مكرر في نسخة (س).

(٣) (ويقول) في نسخة (س).

(٤) ذكره الزجاج مختصرًا في «معاني القرآن» ٣/ ٣٠٣، وأورده الأزهري في «تهذيب اللغة» (لدن) ٤/ ٣٢٥٦، والفارسي في «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٢٥.

(٥) انظر: «السبعة» ٣٨٨، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٢٤، و«المبسوط» ٢٣٣، و«التبصرة» ٢٤٧، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٥٤، و«العنوان في القراءات» ١٢٢.

(٦) الكلابيون: بطن عظيم من عامر بن صعصعة من العدنانية، وهو بنو كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن قيس بن عيلان، كانت ديارهم حمى ضرية، وهو حمى كليب، وحمى الربذة في جهات المدينة المنورة، وفدك والعوالي، ثم انتقلوا إلى الشام. انظر: «نهاية الأرب» ص٣٦٥، و«معجم قبائل العرب» ٣/ ٩٨٩، و«التعريف في الأنساب» ص٧٧.

(٧) «تهذيب اللغة» (لدن) ٤/ ٣٢٥٦، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٢٥ .

الدال، فإذا خففت على ضربين أحدهما: أن تحذف[1] الضمَّة من الدال فيقال: لدن. والآخر: أن تحذف الضمة من الدال وتنقل إلى اللام، فيقال: لدن، مثل: عضد، وفي كلا الوجهين يجتمع في الكلمة ساكنان: الدال المنقول عنها الحركة، والمحذوفة منها مع النون. فأما قراءة عاصم: (من لَدْنِهِ)[2] فالكسرة في النون ليست بجر، إنما هي كسرة للتقاء الساكنين، وذلك أن الدال أسكنت كما أسكنت في سبُعٍ، والنون ساكنة، فلما التقى ساكنان كسر الثاني منهما وأشمت[3] الدال الضمة، لتدل على أنها كانت متحركة بها، كما قالوا: أنت تَغْزُين. وقولهم: قُيل، أشمت الكسرةُ فيهما الضمة، لتدل على أن الأصل فيهما التحريك بالضم، وإن كان إشمام عاصم ليس بحركة خرجت إلى اللفظ، وإنما هو تهيئة العضو لإخراج الضمة، ولو كانت حركة لم يلتق ساكنان ولم تكسر النون لاجتماعهما)[4].

وليس يحتمل هذا الموضع من الكلام في لدن أكثر مما ذكرنا، وما بقي نذكره عند قوله: ﴿قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا﴾ [الكهف: ٧٦]، إن شاء الله.

---

(١) في نسخة (س): (أن تخفف)، وهو تصحيف.

(٢) من طريق شعبة عن عاصم.
انظر: «السبعة» (٣٨٨)، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٢٤، و«التبصرة» (٢٤٧)، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٥٤.

(٣) الإشمام: إطباقك الشفتين بعد الإسكان وتدع بينهما انفراجًا ليخرج النفس بغير صوت، وذلك إشارة للحركة التي ختمت بها الكلمة، ويكون في المرفوع والمضموم، ولا يعرف ذلك الأعمى؛ لأنه لرؤية العين. انظر: «التحديد في الإتقان والتجويد» ص ٩٨، و«البرهان في تجويد القرآن» ص٦٦.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٢٤، و«البحر المحيط» ٦/ ٩٦، و«الدر المصون» ٧/ ٤٣٨.

والجار في قوله: «من لدنه» يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون صفة النكرة التي هي قوله: «بأسًا»، وفيها ذكر الموصوف. والآخر: يكون متعلقًا بشديد[١].

وقوله تعالى: ﴿أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ قال الزجاج: (المعنى بأن لهم أجرًا حسنًا)[٢].

قال ابن عباس: (يريد ثوابًا عظيمًا)[٣].

وقال السدي: (هو الجنة)[٤].

٣- قوله تعالى: ﴿مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ بمعنى: خالدين[٥]. وهو حال للمؤمنين من قوله: (أن لهم أجرًا)[٦].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ قال ابن عباس: (يريد بعذاب الله ونقمته)[٧].

قال الكلبي، والسدي: (يعني اليهود والنصارى)[٨].

---

(١) «الدر المصون» ٧/ ٤٣٩، و«الجدول في إعراب القرآن الكريم» ١٥/ ١١٢.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٢/ ٢٦٨.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٠ بمعناه بدون نسبة.

(٤) «معالم التنزيل» ٥/ ١٤٣ بدون نسبة، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٢٩ بدون نسبة، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٢ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٢، و«القرطبي» ١٠/ ٣٤٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٠.

(٦) «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٢٩، و«البحر المحيط» ٦/ ٩٦، و«الدر المصون» ٧/ ٤٣٩، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٨.

(٧) ذكره ابن جرير الطبري في «تفسيره» ١٥/ ١٩٣ بدون نسبة، وكذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٥/ ١٠٤.

(٨) «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٠٣ بدون نسبة، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٤ بدون نسبة، و«الدر المنثور» ٧/ ٣٨٢ ونسبه لابن أبي حاتم.

٥- قوله تعالى: ﴿مَا لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بذلك القول ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ يعني: قالوه جهلاً، وافتراء على الله تعالى ﴿وَلَا لِآبَآئِهِمْ﴾ اختار الفراء ﴿كَلِمَةً﴾ بالنصب.

قال الفراء: (من نصب أضمر الفاعل؛ كأنه قيل: كبرت تلك الكلمة كلمة، ومن رفع لم يضمر شيئًا، كما تقول: عظم قولك)[١].

وقال الزجاج: (المعنى: كبرت مقالتهم كلمة، و﴿كَلِمَةً﴾ منصوب على التميز)؛ هذا كلامه[٢].

ومعنى التميز في هذا: أنك إذا قلت: كبرت المقالة، أو الكلمة، جاز أن يتوهم أنها كبرت كذبًا، أو جهلاً، أو افتراء، فلما قلت: كلمة، ميزتها من محتمل فانتصب، كما تقول في باب التمييز.

قال أبو عبيد: (والنصب وجه القراءة؛ لأن الكلمة قد ذكرت قبل، وهي قوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، فصارت مضمرة في (كبرت)[٣].

قال الأخفش: (هذه في النصب كقول الشاعر:

ولقد علمت إذا العشار تروّحت　　هدج الرئال تكبهن شمالاً[٤]

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٤.
قراءة النصب هي القراءة الصحيحة الثابتة، وقراءة الرفع قراءة شاذة قرأ بها: الحسن وابن محيصن. انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٨، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٦٥، و«مشكل إعراب القرآن» ص ٤٣٧، و«القراءات الشاذة» ص ٨١.
(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٨.
(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «البحر المحيط» ٦/ ٩٧، و«الدر المصون» ٧/ ٤٤٠، و«التفسير الكبير» ٢١/ ٧٨، و«روح المعاني» ١٨/ ٢٠٤.
(٤) البيت للأخطل. انظر: «ديوانه» ص٣٨٧، و«معاني القرآن» للأخفش ١/ ٦١٦، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ص٥٨١.

أي: تكبُّهنَّ الرياح شمالاً، وهاهنا كأنه قيل: كبرت تلك الكلمة)[١].

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

٦- قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد: **(قاتل نفسك)**[٢]. وهو قول المفسرين، وأهل المعاني[٣]. قال الفراء في **المصادر: (بَخَعَها، يبخَعُهَا، بخعًا، وبخوعًا)**[٤]. وقال الليث: **(بَخَعَ الرجل نفسه إذا قتلها غيظًا من شدة وجده بالشيء)**[٥].

وأنشد قول ذي الرمة[٦]:

ألا أيُّهذا الباخعُ الوجد نفسه لشيءٍ نحته عن يديه المقادر

قال أبو عبيدة: (كان ذو الرمة ينشد الوجد رفعًا)[٧].

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٦١٦.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٢ وعزاه لابن المنذر.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٤، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٨٩، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٠، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٤، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٨، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٣.

(٤) لم أقف عليه. وذكره ابن منظور بلا نسبة في «لسان العرب» (بخع) ١/ ٢٢٢.

(٥) ذكرت نحوه كتب اللغة. انظر: «تهذيب اللغة» (بخع) ١/ ٢٨٥، و«مقاييس اللغة» (بخع) ١/ ٢٠٦، و«لسان العرب» (بخع) ١/ ٢٢٢، و«القاموس المحيط» (بخع) ص ٧٠٢.

(٦) البيت لذي الرمة. انظر: «ديوانه» (٢٥١)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٣، و«تهذيب اللغة» (نجع) ١/ ٢٨٦، و«مقاييس اللغة» (نجع) ١/ ٢٠٦، و«الصحاح» (نجع) ص ١٧. و«اللسان» (نجع) ١/ ٢٢٢، و«الدر المصون» ٧/ ٤٤٢.

(٧) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٣.

وقال الأصمعي: (يقول: إنما هو الوجد بالفتح)[١].

وأصل معنى البَخْع: الجهد، يقال: بَخَعْت لك نفسي، أي جهدتها، ذكره الفراء، والأخفش[٢]. وفي حديث عائشة: (أنها ذكرت عمر فقالت: بَخَعَ الأرض)[٣]. أي: جهدها حتى أخرج ما فيها من أموال الملوك.

وقال الكسائي: (بَخَعْتُ الأرض بالزراعة، إذا أنهكتها وتابعت[٤] حراثتها، ولم تجمَّها عامًا، وبَخَعَ الوجدُ نفسه إذا أنهكها، وأنشد بيت ذي الرمة)[٥]. وعلى هذا معنى: ﴿بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: ناهكها، وجاهدها حتى تهلكها، ولكن أهل التأويل كلهم قالوا: قاتل نفسك ومهلكها؛ والأصل هو ما ذكرنا[٦].

وقوله تعالى: ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ قال الزجاج: (أي من بعدهم)[٧]. وهذا كلام العرب يقولون: مات فلان واحدًا على أثر فلان، أي: بعده، وأصل هذا من التأثير، والأثر الذي هو العلامة، وذلك أنهم يقولون: خرجت في أثر فلان، وجئت على أثره، يعنون بعده، كأنهم يريدون أثر سلوكه

---

(١) «الدر المصون» ٧/ ٤٤٢.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٤، و«تهذيب اللغة» (بخع) ١/ ٢٨٥.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» ١/ ١٠٢، و«التفسير الكبير» ٢١/ ٧٩، و«تهذيب اللغة» (بخع) ١/ ٢٨٥.

(٤) في نسخة (ص): (بايعت)، وهو تصحيف.

(٥) «تهذيب اللغة» (بخع) ١/ ٢٨٥، و«الدر المصون» ٧/ ٤٤٢.

(٦) انظر: «تهذيب اللغة» (بخع) ١/ ٢٨٥، و«مقاييس اللغة» (بخع) ١/ ٢٠٦، و«لسان العرب» (بخع) ١/ ٢٢٢، و«القاموس المحيط» (بخع) ص ٧٠٢، و«الصحاح» (بخع) ٣/ ١١٨٣، و«المفردات في غريب القرآن» (بخع) ص٣٨.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٨.

الطريق، ثم كثر هذا حتى استعمل بمعنى بعد حيث لا يتحقق الأثر، كقوله: مات فلان على أثر فلان أي: بعده، وأثر كذا بكذا أتبعه إياه[1]، ومنه قول متمم[2]:

فـأثـر سـيـل الـواديـيـن بـديـمـةٍ

أي: أتبعه بمطر.

ومعنى ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ هاهنا: من بعدهم، وتحقيقه ما بينّا، وليس يريد من بعد موتهم، وإنما التأويل: من بعد توليهم وإعراضهم عنك[3].

قوله تعالى: ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾ قال ابن عباس وغيره: (يعني القرآن)[4].

﴿أَسَفًا﴾ قال مجاهد: (جزعًا)[5].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (أثر) ١/ ١١٩، و«مقاييس اللغة» (أثر) ١/ ٥٣، و«الصحاح» (أثر) ٢/ ٥٧٤، و«اللسان» (أثر) ١/ ٢٥، و«المفردات» (أثر) ص٩.

(٢) هذا صدر بيت لمتمم يصف الغيث، وعجزه:

تـرشّـح وسـمـيًّا مـن الـنـبـت خـروعـا

والمعنى: أتبع مطرًا تقدم بديمة بعده. انظر: «الشعر والشعراء» ص ٢١٩، و«الأغاني» ١٥/ ٢٩٨، و«المفضليات» ص٢٦٨، و«خزانة الأدب» ١/ ٢٣٦، و«تهذيب اللغة» (أثر) ١/ ١١٩، و«لسان العرب» (أثر) ١/ ٢٥.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٤، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٢- ٢٣٣، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٥.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٤، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤، و«الكشاف» ٢/ ٢٨٠، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٢. ويشهد لهذا قوله سبحانه في سورة الزمر الآية رقم (٢٣): ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ الآية.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٥، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٣، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٥.

وقال السدي: (حزنًا)[١]. وقال سفيان: (غضبًا)[٢].

وجمع ابن عباس بينهما فقال: (يريد: غضبًا وحزنًا)[٣]. قال الزجاج: (والأسف: المبالغة في الحزن والغضب)[٤]. وذكرنا الكلام في هذا عند قوله: (غضبان أسفًا) في سورة الأعراف. وانتصابه يجوز أن يكون على المصدر، ودل ما قبله من الكلام على أنه تأسف، ويجوز أن يكون مفعولاً له أي: للأسف، كقولهم: جئتك ابتغاء الخير[٥].

وقال الزجاج: (﴿أَسِفًا﴾ منصوب؛ لأنه مصدر في موضع الحال)[٦]. وفي هذه الآية إشارة إلى نهي النبي ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان قومه حتى يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف، والفاء في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ جواب الشرط، وهو قوله: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟﴾ قدّم عليه، ومعناه التأخير.

٧- قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ قال مجاهد: (ما عليها من شيء من البحار، والجبال، والأشجار، والنبات)[٧]. والمعنى:

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٥، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٣ عن قتادة، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٥ عن ابن عباس وابن قتيبة، و«تفسير القرآن العظيم» عن قتادة ٣/ ٨١.

(٢) «معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٢، وعزاه لابن أبي حاتم، و«فتح القدير» ٣/ ٣٨٥ بدون نسبة.

(٣) ذكرته كتب التفسير بدون نسبة. انظر: «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٥ ب، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٣، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٥، و«الكشاف» ٢/ ٤٧٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨١.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٩.

(٥) انظر: «الكشاف» ٣/ ٣٨٠، و«البحر المحيط» ٦/ ٩٨، و«الدر المصون» ٧/ ٤٤٣، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٦٦، و«إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٣٩٤.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٨.

(٧) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٥- ١٠٦، و«الدر المنثور» =

إنا زينّا الأرض بما خلقنا فيها من الماء، والمعادن، وأنواع المخلوقات، ويدخل في هذا كل ما على الأرض من ذي الروح والجماد.

وقوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد الاختبار في خلقه بما يفهمون)(١). ومضى الكلام في مثل هذا في مواضع(٢).

وقوله تعالى: ﴿أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال الحسن: (أيّهم أزهد في الدنيا زهدًا، وأترك لها تركًا)(٣). وهذا قول أبي إسحاق قال: (فالحسن العمل من زهد فيما زيِّن له من الدنيا)(٤).

وقال مقاتل: (أيهم أصلح فيما أوتي من المال)(٥).

وذكر قتادة في تفسير هذه الآية قول النبي ﷺ: «إن الدنيا خضرة حلوة،

= ٤/ ٣٨٣ وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم. وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ٢/ ٢٨٩ بلا نسبة.

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه بدون نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ١٩٥، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٨٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٦، و«التسهيل لعلوم التنزيل» ص٣٧٦، و«لباب التأويل» ٤/ ١٩٢.

(٢) نحو قوله تعالى في سورة هود الآية رقم (٧): ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، وقال سبحانه في سورة الملك الآية رقم (٢) ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه بدون نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ١٩٥- ١٩٦، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٨٩، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٨٥، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٥٥.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٩.

(٥) ذكر نحوه البغوي في «تفسيره» ٥/ ١٤٤ بدون نسبة. وكذلك ابن الجوزي في «زاد المسير» ٥/ ١٠٦.

وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، فاتقوا فتنة الدنيا»[١]. قال الزجاج: (و﴿أَيُّهُمْ﴾ رفع بالابتداء؛ لأن لفظه لفظ الاستفهام)[٢]. والمعنى: ليختبر أهذا أحسن أم هذا، والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله إلا ما يخبر، وإنما يعمل فيه ما بعده. ثم أعلم جل وعز أنه [مبيد][٣] ومُفْنٍ ذلك كله.

٨- بقوله: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

قال أبو عبيد: (الصعيد: المستوي من الأرض)[٤]. وقال الزجاج: (الصعيد: الطريق الذي لا نبات فيه)[٥]. ومثله قال المفضل. وقد ذكرنا تفسير الصعيد في آية التيمم[٦].

وأما الجرز فقال الفراء: (الجُرُز: الأرض لا نبات فيها، يقال: جُرِزَت الأرض فهي مجروزة، وجَرَزَها الجرادُ أو الشاء أو الإبل أكلت ما عليها)[٧].

وقال الزجاج: (الجرز: الأرض التي لا تنبت، كأنها تأكل النَّبْت

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» كتاب: الرقائق باب: أكثر أهل الجنة الفقراء ٤/ ٢٠٩٨، والترمذي في «جامعه» كتاب: الفتن باب: ما جاء في ما أخبر النبي ﷺ أصحابه ٤/ ٤٨٣، وابن ماجه في «سننه» كتاب: الفتن، باب: فتنة النساء ٢/ ١٣٢٥، والإمام أحمد في «مسنده» ٣/ ١٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٩.

(٣) في الأصل وجميع النسخ التي اطلعت عليها: (مبتدأ)، وما أثبته في الأصل هو الصواب عندي، وهو الذي يدل عليه السياق، وهو المثبت في تفسيره الوسيط.

(٤) «غريب الحديث» لأبي عبيد ١/ ٢٧٥، و«تهذيب اللغة» (صعد) ٢/ ٢٠١٤.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٩.

(٦) عند قوله سبحانه في سورة النساء الآية رقم (٤٣)، وفي سورة المائدة الآية رقم (٦): ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣].

(٧) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٤.

أكلاً، يقال: أرض جُرُز، وأرَضُون أَجْرازٌ[١].

وامرأة جَرُوز إذا كانت أكولا، وسيف جرَّاز إذا كان مستأصلاً[٢]، ونذكر شيئًا من هذا عند قوله: ﴿نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧] إن شاء الله.

قال مجاهد في هذه الآية: (بلاقع ليس فيه نبات)[٣]. وقال عطاء عن ابن عباس في هذه الآية: (يريد يوم القيامة يجعل الله الأرض جرزًا ليس فيها ماء ولا نبات)[٤].

٩- قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ الآية. ذكرنا سبب نزول قصة أصحاب الكهف عند قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه القصة مشروحًا، فقال: (كان النضر ابن الحارث من شياطين قريش، كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينصب له العداوة، وكان قدم الحيرة[٥] وتعلم بها أحاديث رستم[٦]،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٩.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (جرز) ١/ ٥٨٠، و«مقاييس اللغة» (جرز) ١/ ٤٤١، و«الصحاح» (جرز) ٣/ ٨٦٦، و«المفردات في غريب القرآن» (جرز) (٩١).

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٦، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨١، و«تفسير مجاهد» ١/ ٣٧٣.

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه بدون نسبة. انظر: «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٦، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٦- ١٠٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٥٦.

(٥) الحِيرة -بكسر الحاء وسكون الياء-: مدينة مشهورة على ثلاثة أميال من الكوفة، تقع على نهر يربطها بالفرات، وكانت مسكنًا لملوك العرب في الجاهلية التابعين لمملكة الفرس، وهي قريبة من النجف. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٣٢٨، و«معجم المعالم الجغرافية» ص١٠٧.

(٦) رستم الشديد بن دستان بن بريمان، من ملوك الفرس. انظر: «تاريخ الطبري» =

واسفنديار[(١)]، وكان رسول الله ﷺ إذا جلس مجلسًا ذكر فيه الله تعالى، وحذر قومه ما أصاب من كان قبلهم من الأمم، خلفه في مجلسه إذا قام، ثم قال: وإنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه فهلمّوا أحدثكم بأحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، فبعثته قريش، وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط[(٢)] إلى أحبار يهود [بالمدينة، وقالوا لهما: سلوا عن محمد، وعن صفته، وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم من العلم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى قدما المدينة فسألوا أحبار يهود][(٣)] عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم صفته، وأخبروهم بأمره وببعض قوله، فقالت لهم أحبار يهود: سلوه عن ثلاث: عن فتية ذهبوا في الدهر الأول، ما كان من أمرهم؟ فإنه كان لهم حديث عجب، وعن رجل طوّاف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فهو متقوّل. فأقبل النضر بن الحارث وصاحبه حتى قدما مكة وقالا: قد جئناكم بفصل ما بيننا وبين محمد، وأخبراهم بما قالت اليهود. فجاؤوا رسول الله ﷺ وسألوه عن هذه الأشياء، فقال رسول الله ﷺ: «**أخبركم بما سألتم عنه غدًا**». ولم يستثن،

= ١/ ٥٠٤، و«الروض الأنف» ٢/ ٥٢، و«الكامل في التاريخ» ١/ ١٣٧.

(١) اسفنديار بن بشتاسب، من ملوك الفرس. انظر: «تاريخ الطبري» ١/ ٥٦٢، و«الروض الأنف» ٢/ ٥٢، و«الكامل في التاريخ» ١/ ١٥٤.

(٢) عقبة بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس بن أبي معيط، من مقدمي قريش في الجاهلية، كنيته أبو الوليد، وكنية أبيه أبو معيط، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة، أسر يوم بدر وقتل وصلب. انظر: «الروض الأنف» ٢/ ٧٦، و«ابن الأثير» ٢/ ٢٧، و«الأعلام» ٤/ ٢٤٠.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

فانصرفوا عنه، فمكث رسول الله ﷺ فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا، ولا يأتيه خبر، حتى أرجف أهل مكة به، وقالوا: وعدنا محمد غدًا واليوم خمس عشرة ليلة، وشقّ عليه ذلك، ثم جاءه جبريل من الله ﷻ بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبة الله إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوا عنه من أمر الفتية، والرجل الطوّاف)[1].

وافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكروه عليه من ذلك وهو قول: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١]، فذكر أنه أنزل عليه القرآن للإنذار والتبشير إلى قوله: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾، يعني قريشًا في قولهم: الملائكة بنات الله[2].

ثم عاتبه على حزنه عليهم حين فاته ما كان يرجو منهم من الإسلام بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ الآية. ثم قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أيهم أتبعُ لأمري وأعمل بطاعتي، ﴿وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾، يعني أنَّ ما على الأرض فانٍ زائل، وأن المرجع إلي فأجزي كلا بعمله، فلا يحزنك ما ترى وتسمع.

ثم أخبر عن ما سألوه عنه من شأن الفتية فقال: ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ فقال أبو إسحاق: (معناه: بل حسبت)[3]. والكلام في ﴿أَمْ﴾ في مثل هذا

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٧، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٠، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٢٩-٢٣٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٣، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٠، و«أسباب النزول» للواحدي ص ٣٠٦، و«لباب النقول في أسباب النزول» ص١٤٣، و«جامع النقول في أسباب النزول» ص٢٠٨، و«الفتح السماوي» ٢/ ٤٩٤.

(٢) نحو قوله تعالى في سورة النحل الآية رقم (٥٧): ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾، وقوله سبحانه في سورة الصافات الآية رقم: (١٤٩): ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾.

(٣) «معاني القرآن» ١/ ٢٨٥.

الموضع قد ذكرناه في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وفي غيره من مواضع[(١)].

وقوله: ﴿أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ﴾ يعني أولئك الفتية الذين سئل عن قصتهم[(٢)].

و﴿ٱلْكَهْفِ﴾ قال الليث: (كالمغارة في الجبل)[(٣)]. روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال: (كل القرآن أعلمه إلا أربعة: غسلين[(٤)]، وحنان[(٥)]، والأواه[(٦)]، والرقيم)[(٧)].

وروى عكرمة أيضًا عن ابن عباس أنه سئل عن الرقيم فقال: (زعم كعب أنها القرية التي خرجوا منها)[(٨)]؛ ونحو هذا قال السدي[(٩)].

---

(١) نحو قوله سبحانه في البقرة الآية رقم (١٠٨). ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ [البقرة: ١٠٨] الآية. وقوله سبحانه في سورة السجدة الآية رقم (٣): ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ الآية.

(٢) في نسخة: (س): (بعضهم)، وهو تصحيف.

(٣) «تهذيب اللغة» (كهف) ٤/ ٣١٩٩.

(٤) الواردة في قوله سبحانه: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦].

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ١٣].

(٦) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾. ومثلها قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥].

(٧) «تفسير القرآن» للصنعاني ٢/ ٣٩٧، و«جامع البيان» ١٥/ ١٩٨، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٧- ٢٣٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٤.

(٨) «تفسير القرآن» للصنعاني ٢/ ٣٩٧، و«جامع البيان» ١٥/ ١٩٨، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٣.

(٩) «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٧، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٤ وعزاه لابن أبي حاتم، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٢.

وروي عن ابن أبي طلحة عنه قال: («الرَّقِيم»: الكتاب)(١).

وهو قول مجاهد(٢). وسعيد بن جبير قال: («الرَّقِيم»: لوح من حجارة)(٣).

وقيل: (من رصاص كتب فيه أسماؤهم وقصتهم، وجعل في البناء على باب الكهف)(٤)، ونحو هذا قال عطاء عن ابن عباس(٥)، وهو قول جميع أهل المعاني والعربية قالوا: (الرقيم: الكتاب)(٦).

والأصل فيه المرقوم ثم حُول إلى فعيل، والرَّقْم: الكتابة، ومنه قوله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩] أي: مكتوب، وأنشدوا(٧):

(١) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٣، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٨- ١٩٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢ عن ابن عباس، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٤ عزاه لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٩، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٥، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٨٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٤.

(٤) «بحر العلوم» ٢/ ٢٩٠، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤- ١٤٥، و«الكشاف» ٢/ ٣٨١، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٨٣، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠١.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٩، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤- ١٤٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٤.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٦٩، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٤، و«إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٣٩٥، و«تهذيب اللغة» رقم ٢/ ١٤٥٤، و«مقاييس اللغة» رقم ٢/ ٤٢٥، و«المفردات في غريب القرآن» رقم (٢٠١).

(٧) لم أهتد إلى قائله، وذكرته كتب اللغة بدون نسبة. القَرَاح: الماء الذي لا يخالطه شيء يطيب به كالعسل والتمر والزبيب. انظر: «تهذيب اللغة» رقم ٢/ ١٤٥٤، و«مقاييس اللغة» رقم ٢/ ٤٢٥، و«لسان العرب» رقم ٣/ ١٧٠٩.

سأرقم في الماء القراح إليكم على بعدكم إن كان في الماء راقمُ

وقال الفراء: (الرقيم: لوح كان فيه أسماؤهم)[(١)]، ونرى أنه إنما سُمي رقيما؛ لأن أسماءهم كانت مرقومة[(٢)] فيه[(٣)].

وقوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾ قال مجاهد، وسفيان: (لم يكونوا بأعجب آياتنا)[(٤)]. قال المفضل: (أم حسبت أنهم كانوا عجبًا من آياتنا فقط، فلا يحسن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب)[(٥)]. وقال أبو إسحاق: (أعلم الله أن قصة أصحاب الكهف ليست بعجيبة من آيات الله؛ لأن خلق السموات والأرض وما بينهما مما يشاهد أعجب من قصة أصحاب الكهف)[(٦)]. والعجب هاهنا مصدر سمي المفعول به.

والتقدير: كانوا معجوبًا منهم، فسموا بالمصدر، والمفعول من هذا يستعمل باسم المصدر[(٧)].

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٤.

(٢) في (ص): (من قومه)، وهو تصحيف.

(٣) وهذا القول هو الراجح، وهو الذي تعضده اللغة، ورجحه أكثر المفسرين. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ١٩٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢، و«تهذيب اللغة» ٢/ ١٤٥٤، و«لسان العرب» رقم ٣/ ١٧١٠.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ١٩٧، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤ بدون نسبة، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٤.

(٥) ذكرته كتب التفسير بدون نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ١٩٧، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٥ ب، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٧، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٤٤، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٠.

(٧) «الكشاف» ٢/ ٣٨١، و«الدر المصون» ٧/ ٤٤٦، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠١، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٣.

١٠- قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ﴾ الآية، «إِذْ» هنا لا يجوز أن يكون متعلقًا بما قبله على تقدير: أم حسبت إذ أوى الفتية؛ لأنه كان بين النبي ﷺ وبينهم مدة طويلة، فلم يتعلق الحسبان بذلك الوقت الذي أووا فيه إلى الكهف، وإذ يتعلق بمحذوف كأنه قيل: اذكر إذا أوى[١]. كما قلنا في مواضع كثيرة. ومعنى ﴿أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾: صاروا إليه وجعلوه مأواهم[٢].

قال ابن عباس: (يريد هربوا إلى الكهف)[٣]. وذكرنا الكلام في الفتية عند قوله: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ﴾ [يوسف: ٦٢] في سورة يوسف.

وقوله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أخبر الله تعالى أنهم لما هربوا عمن يطلبهم اشتغلوا بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ أي: أعطنا من عندك مغفرة ورزقًا[٤].

قال ابن عباس: (يريدون تغنينا بها عن جميع من سواك)[٥]، يعني أن قولهم: من ﴿مِن لَّدُنكَ﴾ تتضمن هذا المعنى.

---

(١) «الدر المصون» ٧/ ٤٤٦، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٢، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٣، و«إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٣٩٥.

(٢) «زاد المسير» ٥/ ١٠٨، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٣، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٠.

(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «النكت والعيون» ٣/ ٢٨٧، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٣٩، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٨.

(٤) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٥ بمعناه، و«الكشاف» ٢/ ٣٨١، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٤٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٩.

(٥) ذكر نحوه ابن الجوزي بلا نسبة في «زاد المسير» ٥/ ١٠٩، والرازي في «التفسير الكبير» ٢١/ ٨٣، والألوسي في «روح المعاني» ١٥/ ٢١١ .

وقوله تعالى: ﴿وَهَيِّئْ لَنَا﴾ أي: أصلح، من قولك: هيأت الأمر فتهيأ ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الرَّشَد، والرُّشْد، والرَّشَاد، والرّشَاد: نقيض الضلال[١].

قال أبو إسحاق: (أي أرشدنا إلى ما يقرب منك ويزلف عندك)[٢]. وهذا معنى قول ابن عباس: (أرشد أفعالنا إلى محبتك)[٣]. وقال أهل المعاني: (تقدير الآية: هيئ لنا من أمرنا ذا رشد)[٤]. أي: أمر ذا رشد. فحذف الموصوف، ثم حذف المضاف أيضًا، كأنهم قالوا: هيئ لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد.

١١- قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ قال المفسرون: (معناه: أنمناهم)[٥].

قال أبو إسحاق: (أي منعناهم أن يسمعوا؛ لأن النائم إذا سمع انتبه)[٦]. فالمعنى: أنمناهم ومنعناهم السمع. وهذا معنى قول ابن عباس: (فضربنا على آذانهم بالنوم)[٧]. والمعنى: سددنا آذانهم بالنوم الغالب عن

---

(١) «زاد المسير» ٥/ ١٠٩، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٣، و«تهذيب اللغة» (رشد) ٢/ ١٤١١، و«مقاييس اللغة» (رشد) ٢/ ٣١٨، و«لسان العرب» ٣/ ١٦٤٩.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٠.

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه بدون نسبة.
انظر: «زاد المسير» ٥/ ١٠٩، و«التفسير الكبير» ٢١/ ٨٣، و«روح المعاني» ١٥/ ٢١١، و«أنوار التنزيل» ٣/ ٢١٧.

(٤) «التفسير الكبير» ١١/ ٨٣.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٤، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٠، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٥، و«الكشاف» ٢/ ٣٨١، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٤٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٠٩.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧١.

(٧) ذكرته كتب التفسير بدون نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٦، و«المحرر =

نفوذ الأصوات إليها، ومن هذا النظم قال الأسود بن يَعْفُر[١]:

ومن الحَوادِثِ لا أَبالَكِ أَنَّني ضُرِبَتْ عليَّ الأرضُ بالأَسْدَادِ

وذلك أنه كان ضريرًا لا يتمكن من المشي في الأرض، فكأن الأرض قد ضربت بالأسداد عليه، حيث منع من التصرف.

وقوله تعالى: ﴿فِي ٱلْكَهْفِ﴾ بيان أن محل الضرب على آذانهم بالنوم كان في الكهف، فهو ظرف له بمنزلة المكان. ثم ذكر ظرف الزمان فقال: ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾، وذكر العدد هاهنا يفيد كثرة السنين[٢]، وكذلك كل شيء مما يعد إذا كثر فيه العدد ووصف به أريد كثرته؛ لأنه إذا قلَّ فُهِم مقداره فلم يحتج أن يعد، وإذا كثر احتيج إلى أن يُعد، فإذا قلت: أقمت أيامًا عددًا. أردت به الكثرة[٣]. وفي انتصابه وجهان أحدهما: أنه نعت للسنين. المعنى: سنين ذات عدد، أي معدودة، هذا قول الفراء، والزجاج[٤].

وعلى هذا يجوز في الآية ضربان من التقدير أحدهما: حذف المضاف. والثاني: تسمية المفعول باسم المصدر. قال الزجاج: (ويجوز أن

= الوجيز» ٩/ ٢٤٥، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٥، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٣.

(١) البيت للأسود بن يعفر النهشلي. الأَسْدَاد: جمع سد، وهو الحاجز بين الشيئين، يشير هنا إلى ضعفه فقد عمي. انظر: «ديوانه» ص٢٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٣، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٣، و«الدر المصون» ٧/ ٤٤٧، و«المفضليات» ص٢١٦، و«اللامات» ص١٠٣، و«لسان العرب» (سدد) ٤/ ١٩٦٩.

(٢) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٥، و«الكشاف» ٢/ ٢٨١، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٤٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٣، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٣ .

(٣) «معاني القرآن» ٣/ ٢٧١، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٣.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٥، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧١ .

ينتصب على المصدر، المعنى: نعد عددًا)(١).

١٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد من بعد نومهم)(٢)، يعني: أيقظناهم بعد نومهم، وقوله تعالى: ﴿لِنَعْلَمَ﴾ المفسرون يقولون في هذا: (لنرى)(٣).

وقد تكلمنا في مثل هذا عند قوله: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ [البقرة: ١٤٣] في سورة البقرة، وقوله: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٢] في سورة آل عمران.

وقوله تعالى: ﴿أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ﴾ الآية، ﴿أَيُّ﴾ رفع بأحصى على الابتداء والخبر، ولم يوقع العلم على شيء منهما في الظاهر، وهو في الباطن واقع على ما يتضمنان من القصة، كما تقول: اذهب فاعلم أيهم قام(٤). قال الله تعالى: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ [القلم: ٤٠]. و﴿أَيُّ﴾ من حروف الاستفهام فلا يعمل فيه ما قبله، سوى ما يجر، وذكرنا هذا.

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧١.

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٢٦٤، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٣.

(٣) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٥ بمعناه، و«زاد المسير» ٥/ ١١٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٤ وعلمه ﷻ كامل محيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، فالله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن أن لو كان كيف يكون، والعلم صفة من صفاته سبحانه نثبتها له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.
قال الشنقيطي في «أضواء البيان» ٤/ ٢٤: (لنعلم أي الحزبين)، أي: لنعلم ذلك علمًا يظهر الحقيقة للناس، فلا ينافي أنه كان عالمًا به قبل ذلك دون خلقه. وانظر: «شرح العقيدة الطحاوية» ١/ ١٣٢، و«العقيدة الواسطية».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧١، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٥، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٦٧، و«مشكل إعراب القرآن» ٢/ ٤٣٧.

وسنذكر استقصاء المسألة عند قوله: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ﴾ [مريم: ٦٩] إن شاء الله.

واختلفوا في الحزبين، فقال عطاء عن ابن عباس: (الحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة مَلِكًا بعد مَلِك، وأصحاب الكهف حزب والملوك حزب)[١]. وقال مجاهد: (الحزبين من قوم الفتية)[٢]. وقال الكلبي: (يعني المؤمنين والكافرين)[٣].

وحكى الفراء: (أن طائفتين من المسلمين في دهر أصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم)[٤]. قال من اختار هذا القول: (تنازع المسلمون الأولون أصحاب الملك الذي أطلقه الله تعالى على أصحاب الكهف، والمسلمون الذين أسلموا حين رأوا أصحاب الكهف في قدر مدة لبثهم في الكهف)[٥]. فهذا ما وجدته للمفسرين في هذه الآية، وهو غير مقنع، ولا كاف، إذ لم يفتح غلقا.

وقال صاحب النظم: [(هذا ما قصه ربنا][٦] فيما بعد هذا الفصل في

---

(١) «البحر المحيط» ٦/ ١٠٣، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٤، و«روح المعاني» ١٥/ ٢١٢.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٦، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٨٩، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٣، و«التفسير الكبير» ١١/ ٨٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٩ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) «النكت والعيون» ٣/ ٢٨٩، و«زاد المسير» ٥/ ١١٤ ذكره بدون نسبة، و«روح المعاني» ١٥/ ٢١٢، وذكره السمرقندي في «بحر العلوم» ٢/ ٢٩٢ بلا نسبة.

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٦.

(٥) «المحرر الوجيز» ١٠/ ٣٧١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٤، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٤، و«روح المعاني» ١٥/ ٢١٢.

(٦) ما بين المعقوفين ورد في جميع النسخ بلفظ: (هذه مقتصة من بناجا)، وما أثبته هو الصواب إن شاء الله، والموافق للسياق.

قوله: ﴿بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، وهذا يدل على تنازع كان فيما بينهم فيما لبثوا، وكان ذلك سبب بعث الله إياهم، كما أعلمنا ﷻ وهو عالم بما كان منهم، وبما يكون قبل أن يكون، ويتعالى عن أن يكون شيء سببًا لعلمه، والتأويل- إن شاء الله-: ثم بعثناهم ليكون ذلك منهم، أي: تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم)[١]. فجعل صاحب النظم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ هاهنا بمعنى ليكون ذلك لنعلم كائنًا قال الله تعالى: ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ٣٣]، أي: بما ليس ولا يعلمه كائنا.

قال: (والحزبان جميعًا من أصحاب الكهف، أنهم قالوا هذا القول منكرين على من قال: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، فدل هذا على أن أصحاب الكهف كانوا حزبين)[٢]؛ هذا كلامه، وهو بعيد؛ لأنه يجعل معنى قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢] بمعنى: ليكون بينهم تساؤل وتنازع، وهذه العبارة التي في نظم الآية لا ينسى عن هذا المعنى الذي[٣] ذكره، وقد ارتكب في كتابه أشياء بعيدة لم أحكها لبعدها. ومعنى الآية على ما ذكره المفسرون: قتادة، ومجاهد، وغيرهما: (ليعلم أي الحزبين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عدّ أمد لبثهم وعلم ذلك، وكأنه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف، وخروجهم من بيتهم، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر)[٤].

---

(١) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» ٢١/ ٨٣.

(٢) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» ٢١/ ٨٤.

(٣) قوله: (الذي)، ساقط من نسخة (ص).

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٦، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٢، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٨٩، و«معالم التنزيل» ٣/ ١٥٢، و«زاد المسير» ٥/ ١١٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٩.

وأما وجه نصب قوله: ﴿أَمَدًا﴾ فقال الفراء: (ويكون نصبه على وجهين: إن شئت جعلته خرج من أحصى مفسرًا، كما تقول: أي الحزبين أصوب قولاً، وإن شئت أوقعت عليه اللُّباث للباثهم أمدا)[1].

وقال أبو إسحاق نحو هذا سواء فقال: (﴿أَمَدًا﴾ منصوب على نوعين: وهو على التمييز إن شئت كان على أحصى أمدا، فيكون العامل فيه أحصى، كأنه قيل: لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء؟. والوجه الثاني: أن يكون منصوبًا بلبثوا، ويكون أحصى متعلقًا بلما، فيكون المعنى: أيّ الحزبين أحصى للبثهم في الأمد)[2].

قال أبو علي الفارسي: (إن انتصاب الأمد بالتمييز عندي ممتنع غير مستقيم؛ وذلك أنه لا يخلو من أن يحمل أحصى على أن يكون فعلاً ماضيًا، أو أفعل نحو: أحسن وأعلم، فلا يجوز أن يكون أحصى أفعل، وغير مثال الماضي لأمرين أحدهما: أنه يقال: أحصى يحصى في التنزيل: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] وأفعل يفعل لا يقال منه: هو أفعل من كذا، فأما قولهم: ما أولاه للخير، وما أعطاه للدرهم، فمن الشاذ النادر الذي حكمه أن يحفظ لقلته، وسبيل ما كان كذلك أن لا يقاس عليه، ولا يجوز أن يكون أحصى أفعل من كذا لهذا. والأمر الآخر: هو أن ما ينتصب على التميز في نحو: هو أكثر منك مالاً، وأحسن وجهًا، وأغزر علمًا، هو في المعنى فاعل، وإن كان في اللفظ منتصبًا، ألا ترى أن الأمد ليس هو الذي أحصى، فهو خارج عن ما عليه[3] الأسماء المنتصبة على التميز،

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٦.
(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧١.
(٣) في نسخة (ص): (عن حد ما عليه).

وإذا كان كذلك لم يجز أن يكون منها كان أحصى مثالاً ماضيًا، ويكون المعنى: لنعلم أي الحزبين أحصى أمدًا للبثهم، فيكون الأمد على هذا منتصبًا بأنه مفعول به، والعامل فيه أحصى الذي هو فعل، ومن قدّر أن أحصى أفعل من كذا فمخطئ لما ذكرنا)[١].

وهذا الذي ذكره أبو علي قول ثالث؛ لأن ﴿أَمَدًا﴾ عند الفراء وأبي إسحاق: ينتصب إما على التميز، أو على الظرف، وعند أبي علي أنه مفعول به[٢]. قال[٣]: (ويجوز مع تأويل أحصى أفعل من كذا أن ينتصب الأمد بلبثوا، ويكون المعنى: للبثهم أمدا أي في الأمد، ويتصل أحصى باللام، قال: وهذا القول مستكره؛ لأنك جعلت أحصى أفعل من كذا. قال: ومن قدّر أحصى فعلا وقدّر انتصاب الأمد بلبثوا دون أحصى فقد أساء، وعدل بالكلام عن وجهه، ألا ترى أن الكلام: أحصيت كذا، وفي التنزيل ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ٦]، و﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨]، فأوصل الفعل بلا حرف، وإذا كان تأويله انتصاب الأمد بلبثوا يؤدي إلى أن الفعل الذي هو أحصى المتعدي بلا حرف يتعدى بحرف استقبحنا هذا التأويل، وكرهناه، واستبعدناه)[٤].

١٤- قوله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال المفسرون: (ألهمناها

---

(١) «الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني» ص٩٣٢.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧١، و«الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني» ص٩٣٢.

(٣) لفظ: (قال)، ساقط من نسخة (س).

(٤) «الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني» ص٩٣٨.

الصبر وثبتناها)[١].

وذكرنا معنى الربط على القلب في سورة الأنفال[٢].

وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُواْ﴾ قال عطاء ومقاتل: (يعني من النوم)[٣]. وهذا يتعدّى من وجوه، أحدها: أن الله تعالى استأنف قصتهم بقوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [الكهف: ١٢] الآية، فلأنه قال: ﴿إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وكانوا قد قالوا هذا قبل نومهم في الكهف، ولكن الوجه تفسير ﴿قَامُواْ﴾: (أنهم قاموا بين يدي ملكهم دقيانوس الجبار الذي كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم، فربط الله على قلوبهم بالصبر واليقين حتى قالوا بين يديه: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية، وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، والذبح للطواغيت، فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم، حتى عصوا ذلك الجبار وأقروا بربوبية الله ﷻ ووحدانيته، وأنهم إن دعوا غيره وعبدوه كان ذلك شططا)[٤].

وفي تفسير شبل عن مجاهد قال: (إنهم أبناء عظماء مدينتهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسن القوم: إني لأجد في نفسي شيئًا ما أظن أن أحدًا يجده. قالوا: ما تجد؟

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٧، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٨٩، و«زاد المسير» ٥/ ١١٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٥.

(٢) عند قوله سبحانه: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

(٣) «البحر المحيط» ٦/ ١٠٦، و«روح المعاني» ١٥/ ٢١٨، و«التفسير الكبير» ١١/ ٩٨ وقال: وهذا بعيد؛ لأن الله استأنف قصتهم بقوله: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [آية ١٣].

(٤) هذا قول جمهور المفسرين. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٧، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٦، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٣، و«زاد المسير» ٥/ ١١٥، و«ابن كثير» ٣/ ٨٣-٨٤.

قال: أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض. فقالوا: نحن كذلك نجده في أنفسنا، فقاموا جميعًا فقالوا: ربنا رب السموات والأرض)[١].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ أي: كذبًا وجورًا، قاله المفسرون[٢].

ومعنى الشطط في اللغة: مجاوزة القدر[٣]. قال الفراء: (يقال: قد أشطّ في السَّوم، إذا جاوز القدر، ولم أسمع إلا أَشطَّ، يُشِطُّ، إشطَاطًا، شَطَطًا)[٤]. وحكى الزجاج وغيره: (شَطَّ الرجل وأَشَطَّ إذا جار)[٥]. ومنه قوله: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ [ص: ٢٢]، ومثله أَشَطَّ، وأصل هذا من قولهم: بما شَطَّت الدار، إذا بعدت، فالشَّطَطُ في القول بعد عن الحق؛ وهو هاهنا منصوب على المصدر، والمعنى: لقد قلنا إذا قول شَطَط، قاله الزجاج[٦].

١٥- وقوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ هذا من قول أصحاب الكهف، ويعنون الذين كانوا في زمان دقيانوس عبدوا الأصنام، ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ﴾ بحجة بينة.

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٧، و«زاد المسير» ٥/ ١١٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٨ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٨، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٦، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٥١، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٤.

(٣) «مقاييس اللغة» (شط) ٣/ ١٦٥، و«القاموس المحيط» (شط) ص ٦٧٤، و«لسان العرب» (شطط) ٤/ ٢٢٦٣، و«المفردات في غريب القرآن» (شطط) (٢٦٠).

(٤) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٤٠٣.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٢.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ١٧٢.

قال الزجاج: (ومعنى ﴿عَلَيْهِم﴾ أي على عبادة الآلهة)[١]. وهذا قول يوجب تقدير حذف المضاف، أي: هلا يأتون على عبادتهم، أو على اتخاذهم بسلطان بين، ثم حذف المضاف[٢].

وقال صاحب النظم: (ظاهر قوله: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾، حث وسؤال، وتأويله نفي وإبطال، على معنى: اتخذوا من دونه آلهة لا يأتون عليهم بسلطان؛ لأن في قولك: لولا فعلت كذا، دليل على أنه لم يفعله، وكان من حقه أن يفعل، وهذا من باب الإيماء إلى الشيء بالشيء)؛ انتهى كلامه[٣]. وعلى قوله أيضًا يرجع حقيقة التأويل إلى تقدير حذف المضاف؛ لأن معنى ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم﴾ لا يأتون على عبادتهم، أي: على عبادة الآلهة، على هذا يحسن الكلام؛ لأن الحجة على الآلهة ضد الحجة لهم، فلابد من تقدير حذف المضاف، وإذا كان كذلك فالقول الأول أولى؛ لأنه لا يحتاج فيه إلى العدول عن ظاهر قوله: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ﴾، والكناية في قوله: ﴿عَلَيْهِم﴾ يجوز أن تكون عن القوم في قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا﴾ وهو الظاهر، ويجوز أن تكون عن الآلهة.

١٦- وقوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ قال ابن عباس: (هذا من قول تمليخا، وهو رئيس أصحاب الكهف، قال لهم: وإذا اعتزلتموهم، أي: فارقتموهم وتنحيتم عنهم جانبًا، يعني عبدة الأصنام)[٤].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٢.

(٢) «الكشاف» ٢/ ٣٨٢، و«الدر المصون» ٧/ ٤٥٤، و«روح المعاني» ١٥/ ٢١٩.

(٣) ذكر نحوه الرازي في «التفسير الكبير» ٢١/ ٩٨، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٦، و«روح المعاني» ١٥/ ٢١٩.

(٤) «زاد المسير» ٥/ ١١٦، و«البحر المحيط» ١٥/ ١٠٧.

﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ﴾ قال أبو إسحاق: (﴿مَآ﴾ نصب، المعنى: واعتزلتم ما يعبدون إلا الله، فإنكم لن تتركوا عبادته)[١]، وذلك أنهم كانوا يشركون بالله فقال: اعتزلتم الأصنام ولم تعتزلوا الله ولا عبادته، وهذا قول الفراء وهو: (أن ﴿مَآ﴾ اسم وليس بنفي)[٢].

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال: (يريد لم يعبد أصحاب الكهف إلا الله)[٣]. وهذا يحمل على أن الله أخبر عنهم أنهم لم يعبدوا غيره، وعلى هذا لا يكون هذا حكاية قولهم؛ والقول ما قاله الفراء، والزجاج، وأهل التفسير[٤]، يدل على صحته ما روي أنه في مصحف عبد الله: (وما يعبدون من دون الله)[٥]. وهذا يقطع بكون «ما» اسماً.

وقوله تعالى: ﴿فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ﴾ قال الفراء: (هذا جواب «إذ» كما تقول: إذ فعلت كذا فافعل كذا)[٦]، ومعناه: صيروا إليه واجعلوه مأواكم.

﴿يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ أي: يبسطها عليكم، ﴿وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا﴾ قال ابن عباس: (يسهل عليكم ما خوفكم من الملك وظلمه،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٢.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٦.

(٣) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٥٣، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٦، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٢٠، و«فتح القدير» ٣/ ٢٧٣.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٩، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٢، و«زاد المسير» ٥/ ١١٦، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٦، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٢.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٩، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٦، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٥٣، و«زاد المسير» ٥/ ٨١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٧.

(٦) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٦.

ويأتيكم من الله اليسر والرفق واللطف)[١].

وقال الكلبي: (يعني غداء يأكلونه)[٢]. ويقال: (مخرجا)[٣]. وكل ما ارتفقت به فهو مِرْفَق، ويقال فيه أيضًا: مَرْفَق، ويقال فيه أيضًا: مَرْفِق بفتح الميم وكسر الفاء، كقراءة أهل المدينة[٤]؛ وهما لغتان في مِرْفَق اليد، والأمر، والمتكأ، قال أبو عبيدة: (المَرْفَق: ما ارتفقت به، وبعضهم يقول: المَرْفِق، فأما ما في اليدين فهو مِرْفَق)[٥].

وقال الأخفش: (﴿مِّرْفَقًا﴾ أي: شيئًا يَرْتَفِقُون به، مثل المِقْطَع)[٦].

ومن قرأ: مَرْفِقًا، جعله اسما مثل المسجد، ويكون لغة. قال أبو علي: (قوله: جعله اسما، أي: جعل المِرْفَقَ اسمًا ولم يجعله اسم المكان ولا المصدر من رَفَقَ يَرْفُقُ، كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سَجَدَ يَسْجُدُ، وقوله: أو يكون لغة أي: لغة في اسم المصدر، كما جاء المَطْلِعُ ونحوه، ولو كان على القياس لفتحت اللام)[٧].

---

(١) «زاد المسير» ٥/ ١١٦، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٧.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٠٩، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٣.

(٤) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: (مِرْفَقًا) بكسر الميم وفتح الفاء. وقرأ نافع، وابن عامر، والكسائي عن أبي بكر عن عاصم: (مَرْفِقًا) بفتح الميم وكسر الفاء. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٠، و«السبعة» ص٣٨٨، و«الغاية» ص٣٠٥، و«التبصرة» ص ٢٤٨، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٥٦، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣١٠.

(٥) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٥.

(٦) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٧.

(٧) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣١.

قال الفراء: (وأكثر العرب على كسر الميم، من الأمر ومن مِرْفَق الإنسان، والعرب أيضًا تفتح الميم فيهما، فهما لغتان في هذا وفي هذا)[١]. وكأن الذين فتحوا الميم أرادوا أن يفرقوا بين المَرْفَق من الإنسان، وقال يونس: (الذي أختار المَرْفَق في الأمر، والمِرْفَق في اليد)[٢].

وقال الأصمعي: (لا أعرف إلا الكسر فيهما)[٣]؛ يعني كسر الميم في الأمر واليد، وذكر قطرب اللغتين جميعًا فيهما[٤].

١٧- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ الآية، التاء في قوله: ﴿وَتَرَى﴾ لمخاطب، أي: ترى أنت أيها المخاطب الشمس عند طلوعها تميل عن كهفهم، وليس أن من خوطب بهذا يرى ذلك، ولكن العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو، ومعناه: أنك لو رأيته على هذه الصورة[٥].

ومعنى ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ قال ابن عباس: تتنحى[٦]. وقال في رواية الوالبي: (تميل عنهم)[٧]. ومعنى التَّزَاور: التمايل من الزَّوْر والأزور، فإن قيل: التَّزاور إنما يستعمل في زيارة بعض الناس بعضا، فكيف يحسن استعمال

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٦.

(٢) «تهذيب اللغة» (رفق) ٢/ ١٤٤٤.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٢، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٦٨.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٣.

(٥) «زاد المسير» ٥/ ١١٧، و«القرطبي» ١٠/ ٣٦٨، و«التفسير الكبير» ١١/ ٩٩.

(٦) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «القرطبي» ١٠/ ٣٦٨، و«إرشاد العقل السليم» ٥/ ٢١١، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٢٢.

(٧) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٠، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩١ وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

بمعنى الميل، كما قالوا: تمايل، أجروا تَزَاور مجرى تمايل، قال الشاعر(١):

كَلَون الحِصَان الأنبطِ البطن قائمًا تمايل عنه الجلُّ واللونُ أشقرُ

وكذلك قالوا: تجانف، بهذا المعنى(٢)، وقراءة أهل الكوفة: بحذف تاء التفاعل، وقرأ ابن عامر: تَزْوَرُّ(٣). قال أبو الحسن: (لا يوضع في هذا المعنى إنما يقال: هو مزْورٌّ عني، أي: منقبض)(٤). ويدل على أن معنى ازورَّ انقبض قول عنترة(٥):

---

(١) البيت لذي الرمة. والنبط: بياض الجنبين، فإذا كان الفرس أبيض البطن فهو أنبط. قال الليث: النبط والنبطة: بياض تحت أبط الفرس، وربما عرض حتى يغشى البطن والصدر. انظر: «ديوانه» (٢٢٧)، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٣، و«تهذيب اللغة» (نبط) ٤/ ٣٤٩٧، و«لسان العرب» (نبط) ٧/ ٤٣٢٦.

(٢) الزَّوْرُ: الميل في وسط الصدر، ويقال للقوس: زَوْرَاء لميلها. والازورار عن الشيء: العدول عنه. انظر: «تهذيب اللغة» (زار) ٢/ ١٤٩٩، و«اللسان» (زور) ٣/ ١٨٨٧.

(٣) قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: (تَزَّاور) بتشديد الزاي. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: (تَزَاور) خفيفة. وقرأ ابن عامر: (تَزْور) بغير ألف، على وزن: تحمر. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣١، و«السبعة» ص٣٨٨، و«الغاية» ص٣٠٥، و«التبصرة» ص ٢٤٨، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٥٦.

(٤) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٢، و«الدر المصون» ٧/ ٤٥٧، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٢٢.

(٥) هذا صدر بيت لعنترة، وعجزه:

وشكا إلي بعبرة وتحمحم

ازور من وقع القنا، أي: أعرض الفرس لما رأى الرماح تقع بنحره. واللبان: الصدر، وقيل: ما بين الثديين ويكون للإنسان وغيره. والتحمحم: الصوت الخفي، فإن اشتد فهو الصهيل. انظر: «ديوانه» ص ١٨، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٦.

ازورَّ من وقع القنا بلبانهِ

أي: انقبض. والذي حسَّن القراءة به قول جرير[١]:

وفي الأظعان عن طلح ازورار

فظاهر استعمال هذا في الأظعان مثل استعماله في الشمس[٢].

وقوله تعالى: ﴿ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾، أي: ناحية اليمين، فذات هاهنا صفة قامت مقام الموصوف، كأنه قيل: ناحية ذات اليمين. قال الأخفش: (وهو نصب على الظرف)[٣].

وقوله تعالى: ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾ قال الوالبي عن ابن عباس: (تذرهم)[٤].

وقال قتادة: (تدعهم)[٥]. وقال مقاتل: (تجاوزهم)[٦].

وقال الأخفش، والزجاج، وأبو عبيدة: (تعدل عنهم وتتركهم)[٧].

وقال الكسائي: (قرضت المكان، أي: عدلت عنه)[٨].

---

(١) هذا عجز بيت لجرير. وصدره:

عسفن على الأماعز من حبي

عسفن: عدلن. والأماعز: الواحد أمعز: وهو المكان الصلب الكثير الحجارة والحصى. وطلح: مكان. انظر: «ديوانه» ص١٨٢، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٣.

(٢) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٣.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٧.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٢، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٨ أ.

(٥) «تفسير القرآن» للصنعاني ١/ ٣٣٦، و«جامع البيان» ١٥/ ٢١٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٩.

(٦) «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٨ أ، و«تفسير المشكل» لمكي بن أبي طالب ص ١٤٢.

(٧) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٧، و«زاد المسير» ٥/ ١١٧ بدون نسبة، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٣، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٦.

(٨) «تهذيب اللغة» (قرض) ٣/ ٢٩٣٢، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٢٢.

وأنشد قول ذي الرمة[1]:

إلى ظُعُنٍ يَقْرِضْن أقواز مشرفٍ　　شمالا عن أيمانهن الفوارسُ

وقال أبو عبيد: (القرض في أشياء) فمنها: القطع، وكذلك السير في البلاد إذا قطعتها، وأنشد البيت[2].

قال أبو عبيدة: (تقول لصاحبك: هل وردت مكان كذا؟ فيقول المجيب: إنما قرضته ذات الشمال، إذا مرَّ به وتجاوز عنه وهو على شماله)[3].

قال الكلبي: (يقول إذا طلعت الشمس مالت عن كهفهم ذات اليمين، يعني: يمين الكهف، وإذا غربت تمر بهم ذات الشمال، يعني: شمال الكهف لا تصيبه، وكان كهفهم نحو بنات نعش[4] في أرض الروم)[5].

---

(١) البيت لذي الرمة.
القَوَز: كثيب الرمل المستدير. ومشرف، والفوارس: موضعان. انظر: «ديوانه» (٣١٣)، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٥٧، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٨، و«البحر المحيط» ٦/ ٩٣، و«تهذيب اللغة» (قرض) ٣/ ٢٩٣٢، و«الدر المصون» ٧/ ٤٥٨، و«لسان العرب» (قرض) ٦/ ٣٥٩٠.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (قرض) ٣/ ٢٩٣٢.

(٣) ذكره في «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٦.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب، فأربعة منها نعش؛ لأنها مربعة، وثلاثة منها بنات، يقال للواحد منها: ابن نعش، لأن الكوكب مذكر. انظر: «تهذيب اللغة» (نعش) ٤/ ٣٦١١، و«مقاييس اللغة» (نعش) ٥/ ٤٥٠، و«لسان العرب» (نعش) ٧/ ٤٤٧٤، و«القاموس المحيط» (نعش) ص ٦٠٧.

(٥) «زاد المسير» ٥/ ١٥٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٦٩، وذكره «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٨ أ بلا نسبة.

وقال المفسرون: (أعلم الله تعالى أنه ثواهم في مَقْنَاة[١] من الكهف مستقبلاً بنات نعش، تميل عنهم الشمس طالعة وغاربة، لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرها، وتغير أوانهم، وتبلي ثيابهم)[٢].

وقال أبو علي الفارسي: (إذا مالت الشمس عنهم إذا طلعت، وتجاوزتهم إذا غربت، دلَّ أن الشمس لا تصيبهم ألبتة، أو في أكثر الأمر، فتكون صورهم محفوظة)[٣].

هذا الذي ذكرنا قول المفسرين قالوا في سبب ميل الشمس عنهم: (إنهم كانوا في مَقْنَاة)[٤]. وقال أبو إسحاق: (هذا التفسير ليس ببين، إنما جعل الله فيهم هذه الآية أن الشمس لا تقربهم في مطلعها ولا عند غروبها)[٥]، ودل عليه قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: أن الله تعالى بقدرته[٦] حبس عنهم ضوء الشمس وحرها عند طلوعها وغروبها، فلا تنالهم طالعة ولا غاربة، لا بكونهم في مكان لا تصيبه الشمس، ولكن

---

(١) المَقْنُوَةُ، خفيفة، من الظل: حيث لا تصيبه الشمس في الشتاء. قال أبو عمر: مَقْنَاةٌ ومَقْنُوة بغير همز. وقال ابن السكيت: المَقْنَأَة: المكان الذي لا تصيبه الشمس. انظر: «تهذيب اللغة» (قنا) ٣/ ٣٠٥٠، و«لسان العرب» (قنأ) ٦/ ٣٧٤٦.

(٢) «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٨ أ، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٣، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٠، و«معالم التنزيل» ٥/ ١١٧، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٥٥ .

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٤.

(٤) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٧، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٥٥، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٨، و«أضواء البيان» ٤/ ٤٣٥.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٣.

(٦) قوله: (بقدرته)، ساقط من نسخة (س).

بقدرة الله تعالى جعل ذلك آية من آياته، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[١].

ثم أخبر أنهم كانوا في متسع من الكهف، ينالهم فيه برد الريح، ونسيم الهوى فقال: «**وهم في فجوة منه**»، أي: من الكهف، والفجوة: متسع في مكان[٢].

قال أبو عبيدة: (وجمعها فَجَوات)[٣] وفِجَا، نحو: زَكوات وزِكَاء. ومنه الحديث: (فإذا وجد فجوة نصّ)[٤][٥].

---

(١) «الكشاف» ٢/ ٣٨٢، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٩٥. وهذا القول هو الراجح -والله أعلم- للقرينة القرآنية وهي قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، قال الشنقيطي في «أضواء البيان» ٤/ ٣٤: وأما القول الذي تدل القرينة في هذه الآية على صحته فهو أن أصحاب الكهف كانوا في فجوة من الكهف على سمت تصيبه الشمس وتقابله، إلا أن الله منع ضوء الشمس من الوقوع عليهم على وجه خرق العادة، كرامة لهؤلاء القوم الصالحين الذين فروا بدينهم طاعة لربهم جل وعلا.
وقال الشوكاني في «تفسيره» ٣/ ٣٩٢: فإن صرف الشمس عنهم مع توجه الفجوة إلى مكان تصل إليه عادة أنسب بمعنى كونها آية، ويؤيده أيضًا إطلاق الفجوة وعدم تقيدها بكونها إلى جهة كذا. وانظر: «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٣، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٠.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (فج) ١٠/ ٥٠٧، و«مقاييس اللغة» (فجَّ) ٣/ ٢٧٤٢، و«القاموس المحيط» (فج) ص ٢٠٠، و«الصحاح» (فجَّ) ص ٢٠٦، و«المفردات في غريب القرآن» (فجج) ص٣٧٣.

(٣) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٦.

(٤) النص: نصَّ الدابة ينصها نصًا: رفعها في السير، قال أبو عبيد: النص التحريك حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها. وأصل النص أقصى الشيء وغايته، ثم سمي به ضرب من السير سريع. انظر: «تهذيب اللغة» (نصَّ) ٤/ ٣٥٨٥، و«لسان العرب» (نصص) ٧/ ٤٤٤١.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب: الجهاد، باب: السرعة في السير ٣/ ١٠٩٣، =

وقال مجاهد: (الفجوة: المكان الذاهب)[(١)]. يعني: الذاهب في السعة والعرض. قال ابن عباس في قوله: «**وهم في فجوة**» (يريد في سعة)[(٢)]، ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾، أي: ذلك التزاور والقرض من دلائل قدرة الله ولطفه بأصحاب الكهف .﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ أشار إلى أن الله تعالى هو الذي تولى هداية أصحاب الكهف][(٣)]، ولولا ذلك لم يهتدوا، فالمهتدي من هداه الله كهؤلاء، ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾، كدقيانوس الكافر وأصحابه.

١٨- قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ﴾ معنى هذا الخطاب على ما ذكرنا في قوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ﴾، أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظًا، هو جمع: أيقاظ، ويقظ، ويقظان، قاله الأخفش، وأبو عبيدة، والزجاج[(٤)]. وأنشدوا لرؤبة[(٥)]:

= ومسلم في «صحيحه» كتاب الحج، باب الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة ٢/ ٩٣٦، وأبو داود في «سننه» كتاب الحج، باب الدفعة من عرفة ٢/ ٤٧٢، والنسائي في «سننه» كتاب الحج، باب كيف يسير من عرفة ٥/ ١٨٣، ومالك في «الموطأ» كتاب الحج، باب السير إلى عرفة ١/ ٣٩٢.

(١) «جامع البيان» ١٥/ ١٤٠، و«تفسير مجاهد» ٤٤٦.

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢١٢- ٢١٣ بمعناه، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٨ ب، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٧، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٩٥.

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٤، و«معاني القرآن» للأخفش ١/ ٦١٧، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٦.

(٥) هذا صدر بيت لرؤبة، وعجزه:

وسيف غيَّاظٍ لهم غِيَاظا

انظر: «ديوانه» ص٨١، و«مجاز القرآن» ١/ ٣٩٧، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٤، و«جامع البيان» ١٥/ ٢١٣.

ووجـدوا إخـوانـهـم أيـقـاظـا

ومثله: نَجْدٌ، نُجد، وأَنْجاد.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ أي: نائمون، وهو مصدر سمِّي به، كما يقال: قوم ركوع، وقعود، وسجود، يوصف الجميع بالمصدر(١)، ومن قال: إنه جمع راقد، فقد أبعد؛ لأنه لم يجمع فاعل على فعول(٢).

(وإنما يحسبون أيقاظًا؛ لأن أعينهم مفتحة وهم نيام)(٣)؛ قاله الكلبي. وحكى أبو إسحاق: (لكثرة تقلبهم، يظن أنهم غير نيام. قال: ويدل على هذا قوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾)(٤)، وعلى هذا يجب أن يكثر تقلبهم.

قال قتادة: (ذكر لنا أن أبا عياض(٥) قال: كان لهم في كل عام

---

(١) «القرطبي» ١٠/ ٣٧٠، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٢٤ .

(٢) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٧، و«الدر المصون» ٧/ ٤٦٠، وقال القاسمي في «تفسيره» ١٠/ ٤٠٣٢: وما قيل أنه مصدر أطلق على الفاعل واستوى فيه القليل والكثير كركوع وقعود؛ لأن فاعلا لا يجمع على فعول، مردود بما نص عليه النحاة كما صرح به في المفصل والتسهيل.

(٣) «النكت والعيون» ٣/ ٢٩١، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٨، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٣، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٥٩، وقال الألوسي في «تفسيره» ١٥/ ٢٢٤: ولو صح فتح أعينهم بسند يقطع العذر كان أبين في هذا الحسبان.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٤.

(٥) عمرو بن الأسود العنسي، الهمداني، الدمشقي، الداراني، أبو عياض، مخضرم، من كبار التابعين، أخرج له الستة، وكان من زهاد الشام الكبار، روى عن عمر وجماعة من الصحابة ﷺ، وروى عنه عدد من التابعين، توفي -رحمه الله- في خلافة معاوية ﷺ. انظر: «طبقات ابن سعد» ٧/ ١٥٣، و«الجرح والتعديل» ٣/ ٢٢٠، و«الحلية» لأبي نعيم ٥/ ١٥٥، و«تهذيب التهذيب» ٨/ ٤.

تقليبتان)[١].

وهو قول أبي هريرة[٢]. قال ابن عباس في رواية عطاء: (لئلا تأكل الأرض لحومهم، ولا تبليهم)[٣].

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: (يمكثون رقودًا على أيمانهم تسع سنين، ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودًا تسع سنين)[٤]. و﴿ذَاتَ﴾ منصوبة على الظرف؛ لأن المعنى: نقلبهم في ناحية اليمين، كما قلنا في قوله: ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ﴾ قال ابن عباس وأكثر المفسرين: (هربوا ليلاً من ملكهم، فمروا براع معه كلب، فتبعهم على دينهم ومعه كلبه)[٥]. وقال كعب: (مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه، فعاد ففعلوا ذلك مرارًا، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي، أنا أحب أحباء الله، فناموا حتى أحرسكم)[٦].

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٣، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٦٠ ذكره بدون نسبة، و«الدر المنثور» ٤/ ٢٩١، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١.

(٢) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٠، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٤، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٨، و«زاد المسير» ٥/ ١١٨، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٥.

(٤) «روح المعاني» ١٥/ ٢٢٥، وذكره الرازي في «التفسير الكبير» ١١/ ١٠١ وقال: هذه التقديرات لا سبيل للعقل إليها، ولفظ القرآن لا يدل عليها، وما لم يأت فيه خبر صحيح فكيف يعرف؟

(٥) «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٦١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٠، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٨.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٠، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٢٥.

وقال عبيد بن عمير: (كان ذلك كلب صيدهم)[١].

ومعنى: ﴿بَسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ أي: يلقيهما على الأرض مبسوطتين غير مقبوضتين، ومنه الحديث في الصلاة: أنه نهى عن افتراش السبع، وقال: «**لا تفترش ذراعيك افتراش السبع**»[٢]، هو أن يضعهما على الأرض، والذراع: اسم جامع في كل ما يسمى يدًا من ذوي الأيدان.

قال الليث: (الذراع: من طرف المرفق إلى أطراف الأصبع الوسطى)[٣]. قال ابن السكيت: (الذراع مؤنثة، تقول: هذه ذراع)[٤].

قال أبو علي: (لولا حكاية الحال لم يعمل اسم الفاعل في ذراعيه؛ لأنه إذا مضى اختص وصار معهودًا، فخرج بذلك من شبه الفعل، ألا ترى أن الفعل لا يكون معهودًا، فكما أن اسم الفاعل إذا وصف وحقر لم يعمل عمل الفعل لزوال شبهه عنه، كذلك إذا كان ماضيًا، ولكن المعنى على

---

(١) «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٦١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٥، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١، و«محاسن التأويل» ١١/ ٤٠٣٢.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه» كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب الاعتدال في السجود ٢/ ٢٨٨، وأبو داود في «سننه» كتاب الصلاة، باب صلاة من لا يقيم صلبه في الركوع والسجود ١/ ٥٣٩، والنسائي في «سننه» كتاب التطبيق، باب النهي عن بسط الذراعين في السجود، وأحمد في «مسنده» ٥/ ٤٤٧، وأخرج نحوه الترمذي في «جامعه» كتاب الصلاة، باب ما جاء في الاعتدال في السجود حديث رقم (٢٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأورده ابن الأثير في «جامع الأصول» كتاب الصلة، باب هيئة الركوع والسجود ٥/ ٣٧٤.

(٣) «تهذيب اللغة» (ذرع) ٢/ ١٢٧٧، و«القاموس المحيط» (الذراع) ص ٧١٦، و«لسان العرب» (ذرع) ٣/ ١٤٩٥.

(٤) «تهذيب اللغة» (ذرع) ٢/ ١٢٧٧، و«القاموس المحيط» (الذراع) ص ٧١٦، و«الصحاح» (ذرع) ٣/ ١٢٠٩.

حكاية الحال الماضية)[١]. وهذا الفصل نذكره بأشرح من هذا عند قوله: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ قال ابن عباس في رواية علي وعطاء: (بالفناء)[٢]، وهو قول أكثر المفسرين؛ قال مجاهد والضحاك: (يعني فناء الكهف)[٣]، وبه قال أكثر أهل اللغة.

روى أبو عبيد عن الأحمر[٤]: (الوصيد: الفناء)[٥].

وقال الزجاج: (الوصيد: فناء البيت، وفناء الدار)[٦].

وقال أبو عبيدة: (الوصيد: الفناء، والجميع وصائد ووصدٌ)[٧].

وقال يونس والأخفش والفراء: (الوَصِيد والأَصِيد لغتان، مثل:

---

(١) «الكشاف» ٢/ ٣٨٣، و«البحر المحيط» ٦/ ١٠٩، و«الدر المصون» ٧/ ٤٦٠، و«شرح الكافية الشافية» ٢/ ١٠٤٣.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٤، و«تفسير المشكل من غريب القرآن» ص١٤٢، و«اللغات في القرآن» ص٣٣، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٧، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٢٤٣.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٤، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٧، و«تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٤٥٣، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٨.

(٤) أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا اللؤلؤي البجلي بالولاء، أبو عبد الله المعروف بالأحمر، عالم بالأخبار والأنساب، أصله من الكوفة، وكان يسكنها تارة، ويسكن البصرة تارة أخرى، أخذ عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد الله بن سلام وغيرهما، وله مصنفات وكتب. انظر: «بغية الوعاة» (١٧٧)، و«إنباه الرواة» ١/ ١٧٠، و«الأعلام» ١/ ٢٧.

(٥) «تهذيب اللغة» (وصد) ١/ ١٦٥.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٤.

(٧) «مجاز القرآن» ٣/ ٢٧٤.

الوِكَاف[١] والإكاف)[٢] .

وقال الكسائي: (أهل تهامة[٣] يقولون: الوصيد، وهو الفناء، وأهل نجد[٤] يقولون: الأصيد، والقرآن بلغة تهامة نزل)[٥] .

وقال السدي: (الوصيد: الباب، وهو رواية عكرمة عن ابن عباس)[٦]. واختيار المبرد قال: (﴿بِٱلْوَصِيدِۚ﴾ عند أهل اللغة: بالباب، أي: بحضرة الباب، يقال: فلان بالباب، وإنما يراد بحضرة الباب) .

وقال عطاء: (الوصيد: عتبة الباب)[٧]. وهو اختيار ابن قتيبة قال: (لأنهم يقولون: أوصد بابك، أي: أغلقه، قال: وأصله أن تلصق الباب

---

(١) يقال: استوكف: استقطر، والوِكَاف لغة في الإِكَاف. والوكفُ: الإثم والعيب، والوكف: النطع، والوِكَاف والإكَاف: يكون للبعير والحمار والبغل، والجمع وكف. انظر: «تهذيب اللغة» (وكف) ٤/ ٣٩٤٦، و«مقاييس اللغة» (وكف) ٦/ ١٣٩، و«الصحاح» (وكف) ٤/ ١٤٤١، و«لسان العرب» (وكف) ٨/ ٤٩٠٨.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٧، و«تهذيب اللغة» (وصد) ١/ ١٦٥، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١.

(٣) تِهَامة -بكسر التاء-: اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز ومكة من تهامة، وقي: تهامة إلى عرق اليمن إلى أسياف البحر إلى الجحفة وذات عرق .
انظر: «معجم البلدان» ٢/ ٦٣، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ٤٤.

(٤) نَجْد -بفتح أوله وسكون ثانيه-: اسم للأرض العريضة التي أعلاها تهامة واليمن، وأسفلها العراق والشام، فما ارتفع من بطن الرمة فهو نجد إلى ثنايا ذات عرق.
انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٢٦١، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ١٧٥.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٥، و«زاد المسير» ٥/ ١١٩، و«تهذيب اللغة» (وصد) ١/ ١٦٥.

(٦) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٨، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٣، و«زاد المسير» ٥/ ١١٩.

(٧) «تفسير المشكل من غريب القرآن» ص ١٤٢، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٢، و«معالم التنزيل» ٣/ ١٥٤، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٣.

بالعتبة [إذا أغلقته، والكهف لم يكن له باب ولا عتبة، وإنما أراد أن الكلب منه بموضع العتبة من البيت](١)، قال: وقد يكون الوصيد الباب نفسه(٢)، وأنشد(٣):

بأرض فضاءٍ لا يسدُّ وصيدها   عليَّ ومعروفي بها غير منكرِ

ويقال: أصدت الباب، وأوصدته إذا أطبقته، وباللغتين قرئ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨](٤). فمن قال: أَصَدت بالهمزة، قال: الأصيد، ومن قال: أوصدت، قال: الوصيد، ويقال للمطبق: الأصاد والوصاد، وهذا الاشتقاق يوجب أن يكون معنى الوصيد: الباب المطبق المجافى، فالذين قالوا: إنه الباب، وافق قولهم أصل اللفظ في اللغة، ويكون معنى الوصيد في الكهف: بأنه المسدود، كما روي في القصة: أن باب الكهف سدَّ عليهم، والذين قالوا: إنه الفناء؛ فلأن الكلب إذا كان داخل الكهف وراء بابه المسدود كان بالفناء؛ لأن ما جاوز فم الكهف كان من جملة الفناء، والكلب كان في آخر الفناء عند الباب. والقولان صحيحان على ما

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من نسخة (س).

(٢) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦٥، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٢.

(٣) البيت ينسب إلى عبيد بن وهب العبسي. انظر: «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦٥، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٢، و«البحر المحيط» ٦/ ٩٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٥١، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٢٦، و«الدر المصون» ٧/ ٤٦١.

(٤) قرأ ابن كثير، وابن عامر، وعاصم في رواية أبي بكر، والكسائي: (موصدة) بغير همز، وقرأ أبو عمرو، وحمزة، وحفص عن عاصم: (مؤصدة) بالهمز. انظر: «السبعة» ص٦٨٦، و«التبصرة» ص٣٨١، و«المبسوط في القراءات» ص٤١٠، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٣٧٧.

بينا[(١)]؛ وأما ما روي عن سعيد بن جبير أنه فسر الوصيد: (الصعيد، والتراب)[(٢)]؛ فإنه أراد الفناء، ولكنه عبر بالصعيد.

وقوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: أشرفت عليهم، يقال: أطلعت فلانًا على الشيء فاطلع هو، قال الله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ﴾ [الصافات: ٥٥].

﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾، أي: لأدبرت وانقلبت منهم فرارًا. قال الزجاج: (منصوب على المصدر؛ لأن معنى وليت منهم: فررت منهم)[(٣)].

﴿وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي: فزعًا وخوفًا، قال المفسرون: (هو أن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد)[(٤)].

وقال أبو إسحاق: (قيل في التفسير: إنهم طالت شعورهم جدًا، وأظفارهم، فلذلك كان الرائي لو رآهم لهرب مرعوبًا)[(٥)].

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» ١٥/ ٢١٥: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال الوصيد: الباب أو فناء الباب، حيث يغلق الباب، وذلك أن الباب يوصد، وإيصاده إطباقه وإغلاقه من قول الله ﷻ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]. وانظر: «أضواء البيان» ٤/ ٤١.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٤، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٦٣، و«زاد المسير» ٥/ ١١٩، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٢.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٥.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢١٥، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٣، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٩، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٦٤.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٥. وهذا قول بعيد، ولو كانت حالهم هكذا لم يقولوا ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف: ١٩]، وإنما الصحيح -والله أعلم- في أمرهم أن الله ﷻ حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم آية. قال الشوكاني في «تفسيره» ٣/ ٣٩٣: ويدفعه قوله تعالى: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ =

وفي قوله: ﴿وَلَمُلِئْتَ﴾ قراءتان: التخفيف، والتشديد[١]، والاختيار التخفيف. قال أبو الحسن: (الخفيفة أجود في كلام العرب، يقولون: ملأتني رعبًا، ولا يكادون يعرفون[٢] ملأتني)[٣]. ويدل على هذا كثرة استعمالهم الملء كقوله[٤]:

فيملأ بيتنا أقطًا وسمنًا

وقول الآخر[٥]:

ومن مالئ من شيء غيره إذا راح نحو الحمرة البيض بالدُّمى

وقول الآخر[٦]:

= فإن ذلك يدل على أنهم لم ينكروا من حالهم شيئًا ولا وجدوا من أظافرهم وشعورهم ما يدل على طول المدة. وانظر: «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٦٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٣.

(١) قرأ ابن كثير، ونافع: (ولَمُلِّئْت) بالتشديد والهمز. وقرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: (ولملئت) بالتخفيف والهمز. انظر: «السبعة» (٣٨٩)، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٤، و«الغاية» ص٣٠٥، و«التبصرة» ٢٤٨، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣١٠

(٢) من هنا ساقط حتى قوله: (.. المختلفون في عدد) من نسخة (ص).

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٤، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠١.

(٤) هذا صدر بيت لامرئ القيس. وعجزه:

وحسبك من غنى شبع وريُّ

والأقطُ: شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك ثم يمصل.
والسَّمنُ: سلاء الزبد. انظر: «ديوانه» ص ١٧١، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٤، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٢، و«لسان العرب» (سمن) ٤/ ٢١٠٤ .

(٥) لم أهتد إلى قائله، وأورد أبو علي الفارسي الشطر الأول منه في كتابه «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٥ بدون نسبة، وكذلك الرازي في «التفسير الكبير» ١١/ ١٠٢.

(٦) هذا شطر بيت من الرجز. وبعده: =

لا تـمـلأ الـدَّلـو وعـرِّق فـيـهـا

وقول الآخر[١]:

امـتـلأ الـحـوض وقـال قـطـنـي

وامتلأ يدل على ملأ؛ لأنه مطاوعه، وقد جاء التثقيل أيضًا، أنشدوا للمُخبَّل السعدي[٢]:

وإذا فتك النعمان بالنَّاس محرمًا فمليءٌ من كعب بن عوفٍ سلاسله

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أشار إلى ما تقدم من قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ [الكهف: ١١]، وقوله: ﴿وزدناهم هدى﴾ [الكهف: ١٣]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ﴾ أي: كما فعلنا بهم هذه الأشياء بعثناهم، قال ابن قتيبة: (أجسامهم من تلك النومة التي تشبه الموت)[٣].

١٩- وقوله تعالى: ﴿لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ﴾ قال أبو علي الجرجاني: (ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم)[٤].

ألا تـرى حـبـار مـن يـسـقـيـهـا

عرِّق: عرِّق الدلو جعل فيها ماء قليلاً. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٥، و«تهذيب اللغة» (عرق) ٣/ ٢٤٠٩، و«لسان العرب» (عرق) ٥/ ٢٩٠٥، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٢، و«مجالس ثعلب» ص ٢٣٨.

(١) هذا شطر بيت من الرجز. وبعده:

مـهـلاً رويـدًا قـد مـلأت بـطـنـي

قطني: بمعنى حسبي. وقد تقدم.

(٢) هذا البيت ضمن قصيدة قالها حينما بعث النعمان إلى كعب بن عوف جيشًا في الشهر الحرام وهم آمنون فقتل فيهم وسبى. انظر: «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٥، و«تهذيب اللغة» (فتك) ٣/ ٢٧٣٧، و«لسان العرب» (فتك) ٦/ ٣٣٤٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٤.

(٣) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦٥.

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة الرازي في «التفسير الكبير» ٢١/ ١٠٢، والطبرسي في «مجمع =

﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد كم لنا منذ دخلنا الكهف)[١].

﴿قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ قال المفسرون: (إنهم دخلوا الكهف غدوة، وبعثهم الله في آخر النهار، لذلك قالوا: ﴿يَوْمًا﴾، فلما رأوا الشمس قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وكان قد بقيت من النهار بقية)[٢].

﴿قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ قال ابن عباس: (يرد تمليخا رئيسهم رد علم ذلك إلى الله)[٣]، ﴿فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ﴾، الورق: اسم للدراهم.

وقال أبو عبيدة: (الفضة كانت مضروبة دراهم أو لا)[٤]؛ يدل على هذا ما روي: (أن عرفجة[٥] اتخذ أنفًا من ورق)[٦]. وفيه لغات: وَرِق،

= البيان» ٦/ ٧٠٥، وقال الشوكاني في «فتح القدير» ٣/ ٢٩٣: ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث لما يترتب على ذلك من انكشاف الحال وظهور القدرة الباهرة، والاقتصار على علة التساؤل لا ينفي غيرها، وإنما أفرده لاستتباعه لسائر الآثار.

(١) ذكره «زاد المسير» ٥/ ١٢٠، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٣ بدون نسبة.

(٢) «النكت والعيون» ٣/ ٢٩٣، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٥٩، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٥.

(٣) «معالم التنزيل» ٥/ ١٥٩، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٠، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٣.

(٤) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (ورق) ٤/ ٣٨٧٤.

(٥) عرفجة بن أسعد بن كريب، وقيل: ابن صفوان التيمي، العطاردي، أحد أصحاب النبي ﷺ، أصيب أنفه يوم الكلاب بالجاهلية، وكان من أهل البصرة، روى عنه ابنه طرفة، وابن ابنه عبد الرحمن. انظر: «أسد الغابة» ٣/ ٥١٨، و«الاستيعاب» ٣/ ١٠٦٢، و«الإصابة» ٢/ ٤٦٧، و«تهذيب التهذيب» ٧/ ١٧٦.

(٦) أخرجه أبو داود في «سننه» كتاب: الخاتم، باب: ما جاء في ربط الأسنان =

وَرْق، وَوِرْق، مثل كَبِد، وكَبْد، وكِبْد، ذكر ذلك الفراء والزجاج[١]. وكسر الواو أردؤها .

ويقال أيضًا: للورق: الرِّقَة، قال الأزهري: (أصله: وِرْقَة، مثل: صِلَة وعِدَة)[٢]. وإنما قال هذه؛ لأنه عنى بالورق الدراهم أو الفضة .

قال ابن عباس: (وكانت معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم، فهربوا منه)[٣]. ويعني بالمدينة: دقسوس، وهي مدينتهم، ويقال: هي اليوم طرسوس[٤].

وقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (يريد: أحل الذبائح)[٥].

= بالذهب ٤/ ٤٣٤، والترمذي في «جامعه» كتاب: اللباس، باب: ما جاء في شد الأسنان بالذهب ٤/ ٢١١ وقال: هذا حديث حسن غريب. والنسائي في «سننه» كتاب: الزينة، باب: من أصيب أنفه هل يتخذ أنفًا من ذهب ٨/ ١٦٣، والإمام أحمد في «مسنده» ٤/ ٣٤٢، وابن الأثير في «جامع الأصول» كتاب: الزينة، فصل: في أنواع من الحلي متفرقة ٤/ ٧٣١، وابن حجر في «الكافي الشاف» ص١٠٣.

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٧، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٥ .

(٢) «تهذيب اللغة» (ورق) ٤/ ٣٨٧٦، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٧٠ .

(٣) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢١٦، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٥، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٣.

(٤) طَرَسوس: بفتح أوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة: عجمية رومية، وهي في الإقليم الرابع، وقالوا: سميت بـ(طرسوس بن الروم بن اليفز بن سام بن نوح)، وقيل: إن مدينة طرسوس أحدثها سليمان كان خادمًا للرشيد في سنة نيف وتسعين ومائة، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم. انظر: «معجم البلدان» ٤/ ٢٨، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ١٥٢.

(٥) «زاد المسير» ٥/ ١٢١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٢، و«البحر المحيط» ٦/ ١١١.

وهو قول سعيد بن جبير[١]، واختيار الفراء[٢]. قالوا: لأن عامة بلدهم كانوا مجوسًا، وفيهم قوم يخفون إيمانهم.

وقال مجاهد: (أيها أحل، وكان لهم ملك غشوم يظلم الناس في طعامهم وأسواقهم، فقالوا لصاحبهم: لا تبتع طعامًا فيه ظلم ولا غصبًا)[٣].

وذكر أبو إسحاق القولين جميعًا وقال: (الآية من باب حذف المضاف؛ لأن المعنى: أي أهلها أزكى طعامًا، أي: أحل، إما من جهة أنه ذبيحة مؤمن، وإما من جهة أنه لا غصب فيه، هذا معنى قوله. قال: و﴿أَيُّهَا﴾ رفع بالابتداء، و﴿أَزْكَىٰ﴾ خبره، و﴿طَعَامًا﴾ منصوب على التمييز)[٤].

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ قال ابن عباس: (يريد يكون ذلك في ستر وكتمان)[٥]، يعني دخول المدينة وشراؤه الطعام، ومعنى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾: وليدقق النظر وليحتل حتى لا يطلع عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ قال ابن عباس: (يريد لا يخبرن بكم، ولا بمكانكم أحدًا من أهل المدينة)[٦].

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٣، و«تفسير القرآن» للصنعاني ٤/ ٤٠٠، و«زاد المسير» ٥/ ١٨٥.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٧.

(٣) «زاد المسير» ٥/ ١٢٢، و«البحر المحيط» ٦/ ١١، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٣.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٦.

(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٠ بدون نسبة.

(٦) ذكره «جامع البيان» بدون نسبة ١٥/ ٢٢٤، وكذلك «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٥، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٣.

وقال أبو إسحاق: (أي إن ظهر عليه فلا يوقعن إخوانه فيما يقع فيه)[١]. وهذا خلاف ما ورد في التفسير، فقد ذكر السدي وغيره: (أن الرسول خرج من عندهم وقد أخذ عليه المواثيق، لئن أخذت لتدلن علينا ولا تستأثر بالشهادة)[٢]؛ وهذا أليق بحالهم مما ذكره أبو إسحاق. والمعنى ما قاله ابن عباس، أنه لا يتولى إعلام أحد، ثم إن عرف واحد دل على أصحابه ليشاركوه في الشهادة.

٢٠- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ﴾، أي: يطلعوا ويشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم، من قولهم: ظهرت على فلان إذا علوته، وظهرت على السطح إذا صرت فوقه، ومنه قوله: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤]، أي: عالين[٣] غالبين، وكذلك قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، أي: ليعليه، وقد مر.

وقوله تعالى: ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ قال ابن عباس: (يقتلوكم)[٤]. والرجم بمعنى القتل قد ورد كثيرًا في التنزيل كقوله: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ﴾ [هود: ٩١] وقوله: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦] وقوله: ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠]، وأصله: الرمي.

قال أبو إسحاق: (أي يقتلوكم بالرجم، والرجم من أخبث القتل)[٥].

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٦.

(٢) ذكر نحوه الثعلبي في «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ أ.

(٣) قوله: (عالين) ساقطة من نسخة (س).

(٤) ذكره «النكت والعيون» بدون نسبة ٣/ ٢٩٥، وكذلك «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٠ بدون نسبة، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٢، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٣.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٦.

ولما كانوا بالرجم سمي القتل: رجما، وقد يسمى السب والشتم: رجما، وهو قول ابن جريج في هذه الآية[١]؛ وذلك لأنه رمي بالقبيح من القول.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ قال ابن عباس: (يردوكم إلى دينهم)[٢]، ﴿وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾ أي: إن رجعتم إلى دينهم لن تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة.

قال الزجاج: («إذ» يدل على الشرط، أي: ولن تفلحوا إن رجتم إلى ملتهم أبدًا)[٣].

٢١- وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ الآية. قال العلماء بأخبار القدماء: (إن الفتية لما هربوا من ملكهم دقيانوس ودخلوا الكهف، أمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم، ويدعوهم كما هم في الكهف يموتوا عطشًا وجوعًا، وليكن كهفهم الذي اختاروا قبرًا لهم، وهو يظن أنهم أيقاظ، وقد توفى الله تعالى أرواحهم وفاة النوم، ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوح من رصاص، وجعلاه في تابوت من نحاس، وجعلا التابوت في البنيان الذي بنوا على باب الكهف، وقالا: لعل الله يظهر على هؤلاء قومًا مؤمنين قبل يوم القيامة، فيعلم خبرهم حين يقرأ هذا الكتاب. ثم انقرض أهل ذلك الزمان وخلفت بعدهم قرون وملوك كثيرة، وملك أهل تلك

---

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٤ بدون نسبة، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٢.

(٢) ذكره «زاد المسير» بدون نسبة ٥/ ١٢٢، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٣.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٦.

البلاد رجل صالح يقال له: تندوسيس، وتحزب الناس في ملكه أحزابًا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق، ومنهم من يكذب، فكبر ذلك على الملك الصالح وبكى إلى الله وتضرع إليه، وقال: أي رب، قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم أن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها. فألقى الله تعالى في نفس رجل(١) من أهل ذلك البلد الذي هو به الكهف أن يهدم البنيان الذي على فم الكهف فيبني(٢) به حظيرة لغنمه ففعل ذلك، وحجب الله الفتية عن الناس بالرعب، فلم يتجاسر أن يدخل عليهم أحد، وبعث الله الفتية من نومهم فجلسوا فرحين، وأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعامًا، فاطلع الناس على أمرهم كما ذكر في القصة، وبعثوا إلى الملك الصالح تندوسيس ليعلمونه الخبر، ليعجل القدوم عليهم وينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكه آية للعالمين، فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاثمائة سنة، فلما بلغه الخبر حمد الله تعالى، وركب معه أهل مدينته حتى أتوا مدينة أصحاب الكهف، ثم صعدوا نحو الكهف حتى أتوه. فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أي: أطلعنا وأظهرنا عليهم)، كذا قال المفسرون(٣). وذكرنا هذا عند قوله: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾ [المائدة: ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ قال ابن عباس: (يريد الملك

---

(١) قوله: (رجل)، ساقط من نسخة (س).

(٢) في (س): (فيجنى)، وهو تصحيف.

(٣) انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٥، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٧٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٨٨.

ورعيته)[١]، أن البعث والثواب والعقاب حق، والقيامة لا شك فيها.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ اختلفوا في هذا التنازع، فالأشبه ما قال عكرمة: (أن أهل ذلك الزمان تنازعوا بالبعث)[٢]. كما ذكرنا في القصة.

والمراد بقوله: ﴿أَمْرَهُمْ﴾ ما تنازعوا فيه من أمر البعث. و﴿إِذْ﴾ منصوب بقوله: ﴿أَعْثَرْنَا﴾، والمعنى: أطلعنا عليهم إذ وقعت المنازعة في أمرهم[٣]. قال أبو إسحاق: (ويجوز أن يكون منصوبًا بقوله: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ أي: ليعلموا في وقت منازعتهم)[٤].

وقال ابن عباس في رواية عطاء في قوله: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾ (وذلك أن الرجل إذ خرج ليشتري لهم الطعام لما وقف يتنازع، نظروا إلى درهمه، فإذا عليه صورة دقيانوس)، وذكر القصة[٥]. فعلى هذا التنازع: هو تنازع القوم مع هذا الواحد الذي كان يطلب لهم الطعام وتكذيبهم إياه فيما كان يخبر به .

وقال قوم: (يعني تنازعوا في قدر مكثهم ولبثهم)[٦]. وقيل: (تنازعوا

---

(١) ذكره «النكت والعيون» بدون نسبة ٣/ ٢٩٥، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦١ بدون نسبة، و«الجامع لأحكام القرآن» ٥/ ١٢٣.

(٢) «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٢١، و«معالم التنزيل» ٣/ ١٥٦، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٣.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٦، و«إملاء ما من به الرحمن» ص ٢٩٦.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٦.

(٥) «النكت والعيون» ٣/ ٢٩٥، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٤، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٧.

(٦) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦١، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٤.

في عددهم)[١]، وهذا لا يتجه؛ لأن قوله: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ﴾ إما أن يتعلق بقوله: ﴿أَعْثَرْنَا﴾، أو بقوله: ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ﴾ على ما بينا. وإذا جعلنا التنازع في قدر المكث أو في العدد لم يصح المعنى، إلا أن يجعل تمام الكلام عند قوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، ثم يقول: ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ﴾، أي: اذكر يا محمد ﴿إِذْ يَتَنَـٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾: مدة مكثهم، أو في عددهم فلا يتعلق بما قبله. ومنهم من قال: (هذا التنازع يعود إلى التنازع في البنيان، والمسجد)، يروى هذا عن ابن عباس[٢]. يدل على هذا سياق الآية، وهو قوله: ﴿فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا﴾، يعني استروهم من الناس، قال ذلك المفسرون[٣].

وقوله تعالى: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ يدل على أنه وقع تنازع في عدتهم، فمعنى: ﴿رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾، أي: بعددهم كما قال: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢]، ويحتمل أن هذا من قول الله ابتداء، ويحتمل أنه من قول بعض الناس الذين تكلموا في عددهم[٤].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ﴾ قال ابن عباس: (يريد المؤمنين الذين لم يشكوا في البعث). قال المفسرون: (هم تندوسيس الملك وأصحابه)[٥].

---

(١) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦١، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٣، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٤.

(٢) ذكرته كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «النكت والعيون» ٣/ ٢٩٦، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦١، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٣، و«البحر المحيط» ٦/ ١١٣.

(٣) «الكشاف» ٢/ ٣٨٤، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٧، أي: سدوا عليهم باب كهفهم، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٥.

(٤) «البحر المحيط» ٦/ ١١٣، و«التفسير الكبير» ١١/ ١٠٥.

(٥) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦١، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٤، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٤، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٣٦.

﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ قال أبو إسحاق: (هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور؛ لأن المساجد للمؤمنين)[١]. ومعنى: ﴿عَلَيْهِم﴾ هاهنا وفي قوله: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ أنهم يجعلون وراء ذلك، كما يقال: بنى عليه جدارًا، إذا حوطه وجعله وراء الجدار، وقد ذكر في قصتهم: (أن الملك جعل على باب الكهف مسجدًا يصلى فيه، وجعل عنده عيدًا عظيمًا، وأمر أن يؤتى كل سنة)[٢]. وقد نسقت شرح هذه الآية على ما أمكن، والآية مشكلة الظاهر والنظم، والله أعلم بما أراد.

٢٢- قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ الآية. قال المفسرون: (إن نصارى نجران[٣] كانوا عند النبي ﷺ، فجرى ذكر أصحاب الكهف، فقالت اليعقوبية[٤] منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقالت النسطورية[٥]: كانوا خمسة

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٧.

(٢) ذكر نحوه البغوي في «معالم التنزيل» بلا نسبة ٥/ ١٦١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٩٢ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٣) نَجْرَان: بفتح النون وإسكان الجيم: بين مكة واليمن، قيل: أول من عمرها نجران بن زيدان بن سبأ بن قحطان، وكان أهلها يدينون بالنصرانية، حتى فتحت سنة عشر صلحًا، وهي الآن مدينة من مدن المملكة العربية السعودية. انظر: «معجم البلدان» ٥/ ٢٦٦، و«معجم ما استعجم» (١٢٩٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ١٧٦.

(٤) اليعقوبية: فرقة من النصارى، منسوبون إلى يعقوب البرذعاني وكان راهبًا بالقسطنطينية، قالوا: إن المسيح هو الله نفسه- تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا- وإنه تعالى مات، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان، وإنه عاد محدثًا وأن المحدث عاد قديمًا. انظر: «الملل والنحل» ص ٢٢٦- ٢٢٧، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» ١/ ٤٩.

(٥) النسطورية: فرقة من فرق النصارى، منسوبون إلى نسطور، وكان بالقسطنطينية، قالوا: إن مريم لم تلد الإله، وإنما ولدت الإنسان، وإن الله تعالى لم يلد الإنسان=

سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم)، هذا حكاية ما ذكره المفسرون[١].

ونظم الآية يوجب أن يكون هذا التنازع بعد نزول الآية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿سَيَقُولُونَ﴾، وهذه السين للتأخير، فالآية تكون نازلة قبل هذا التنازع، أخبر الله فيها أنه سيقع نزاع في عددهم، ثم وقع ذلك على ما في الآية، يدل على هذا أن السورة مكية ووفد نجران إنما أتوا النبي ﷺ بعد الهجرة.

واختلف النحويون في نظم هذه الآية وسقوط الواو من قولهم: رابعهم وسادسهم، ودخولها في ثامنهم، بعد اجتماعهم على أن قوله: ﴿ثلاثةٌ﴾ مرفوع بالابتداء محذوف على تقدير: هم ثلاثة[٢].

فقال صاحب النظم: (﴿رَّابِعُهُمْ﴾ ابتداء و﴿كَلْبُهُمْ﴾ خبره، وهو جملة في موضع الحال لقوله: ﴿ثلاثةٌ﴾[٣]. وتأويله: سيقولون ثلاثة بهذه

= وإنما ولد الإله- تعالى الله عما يقولون- انظر: «الملل والنحل» ص ٢٢٥، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» ١/ ٤٩.

(١) «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ ب، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٥، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦١، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٢.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٧، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٧١.

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة «البحر المحيط» ٦/ ١١٤، و«الدر المصون» ٧/ ٤٦٦، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٤٠.

وقال العكبري في «إملاء ما من به الرحمن» ص ٣٩٦: رابعهم مبتدأ وكلبهم خبره، ولا يعمل اسم الفاعل هنا لأنه ماض والجملة صفة لثلاثة وليس حالاً، إذ لا عامل لها؛ لأن التقدير: هم ثلاثة، وهم لا يعمل ولا يصح أن يقدر هؤلاء لأنها إشارة إلى حاضر ولم يشيروا إلى الحاضر.

الحال فيكون قوله: ﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ توقيتًا للآية وحالاً لهم، وكذلك قوله: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ﴾، قال أبو الفتح الموصلي: (لا يجوز أن تكون الجملة حالاً لثلاثة؛ لأنك لو فعلت ذلك لم يجد الحال ما ينصبها، ألا ترى أن التقدير: سيقولون: هم ثلاثة، وليس في قولك: هم ثلاثة ما يجوز أن ينصب الحال)[١].

وقال آخرون: (﴿رَّابِعُهُمْ﴾ وصف لثلاثة، على أن يكون ﴿كَلْبُهُمْ﴾ رفع برابع، كما تقول: عندي غُلامٌ ضاربه زيد، فيرفع ضاربه؛ لأنه وصف لغلام، وترفع زيد بفعله، وهو الضرب)[٢].

قال أبو الفتح: (وهذا الوجه أيضًا غير جائز، من قبل أن رابعهم في هذا الموضع، وإن كان اسم فاعل، فإنه أراد به الماضي، وإذا كان اسم الفاعل ماضيًا في المعنى لم يجز أن يعمل عمل الأفعال، لا رفعًا ولا نصبًا؛ ألا ترى أنك لا تقول: هذا رجل غلام أخوه، فترفع الأخ بفعل، وتجعل الغلام فعلا له؛ لأن اسم الفاعل إذا أريد به الماضي جرى مجرى غلام ورجل وفرس وما لا معنى فعل فيه، فقد بطل إذن أن يرتفع ﴿كَلْبُهُمْ﴾ بما في ﴿رَّابِعُهُمْ﴾ من معنى الفعل)[٣]. وقد ذكرنا هذا الفصل عند قوله: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ﴾ [الكهف: ١٨]، من كلام أبي علي.

وقال بعضهم: (﴿رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ مبتدأ وخبر، والجملة وصف لثلاثة، كما تقول: هؤلاء ثلاثة غُلامهم رابعهم)[٤].

قال أبو الفتح: (وهذا الوجه غير سائغ ولا مختار، وإن كان في غير هذا الموضع جائزًا. والذي منع من إجازته هاهنا وضعفها أن الجملة التي

---

(١) و(٢) و(٣) و(٤) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٣.

في آخر الكلام [فيها واو العطف، وهو قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، فكما ظهرت الواو في آخر الكلام][(١)] فكذلك هي- والله أعلم- مرادة في أوله؛ لتتجنّس الجمل في أحوالها والمراد بها، فكأنه قيل: سيقولون: ثلاثة ورابعهم كلبهم، ويقولون: خمسة وسادسهم كلبهم رجمًا بالغيب، ويقولون: سبعة وثامنهم كلبهم، إلا أن الواو حذفت من الجملتين المتقدمتين؛ لأن الذي فيهما من الضمير يعقدهما بما قبلهما لا عقد الحال ولا عقد الوصف لما ذكرنا، ولكن عقد الإتباع، لاسيما وقد ظهرت الواو في الجملة الثالثة، فدل ذلك على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين)، انتهى كلامه[(٢)].

ونحو هذا قال أبو علي في هذه الآية فقال: (قوله: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ و﴿سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾، جملتان استغني عن حرف العطف فيهما بما تضمنتا من ذكر الجملة الأولى، وهي قوله: ﴿ثلاثةٌ﴾، والتقدير: هم ثلاثة)[(٣)]. وهذا الذي ذكره أبو علي وأبو الفتح في وجه نظم هذه الآية معنى قول أبي إسحاق: (دخول الواو في ﴿وَثَامِنُهُمْ﴾ وإخراجها من الأول واحد)[(٤)]. وعلى ما قالوا قوله: ﴿رَابِعُهُمْ﴾ عطف على خبر الابتداء الذي هو ثلاثة، كما تقول: هو حلو وحامض. و﴿كَلْبُهُمْ﴾ مرفوع على أنه نعت لقوله: ﴿رَابِعُهُمْ﴾.

---

(١) ما بين المعقوفين مكرر في نسخة (س).

(٢) «سر صناعة الإعراب» ٢/ ٦٤٤.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ١/ ٢٨.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٢٧.

وقوله تعالى: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ الرجم: القول بالظن والحَدْس[١].

ومنه قول زهير[٢]:

وما هو عنها بالحديث المرجَّم

وذلك أنه رمى الظن إلى ذلك الشيء. قال أبو إسحاق: (أي تقولون ذلك رجما، أي ظنًّا وتخرصًا)[٣]. ومعنى قول المفسرين: ظنًّا من غير يقين.

وقوله تعالى: ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ الباء هاهنا ظرف للرجم، والتأويل: يرجمون القول فيهم بالغيبة عنهم، وتلخيصه: بالمكان الغائب عنهم، كما تقول: هو يحسن القول فيك بالغيب، ويظهر الغيب، والمعنى: أنهم يقولون هذا القول من غير مشاهدة.

وقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ قال ابن عباس: (حين وقعت الواو وانقطعت العدة)[٤]؛ يريد أنهم سبعة وثامنهم كلبهم، وإلى هذا المعنى أشار أبو إسحاق فقال: (وقد يجوز أن يكون الواو

---

(١) الحَدَس: التوهم في معاني الكلام والأمور. انظر: «تهذيب اللغة» (حدس) ١/ ٧٦٤، و«مقاييس اللغة» (حدس) ٢/ ٣٣، و«القاموس المحيط» (الحدس) ص ٥٣٧، و«الصحاح» (حدس) ٣/ ٩١٥، و«لسان العرب» (حدس) ٢/ ٨٠٥.

(٢) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى. وصدره:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

انظر: «ديوانه» ص٨١، و«تهذيب اللغة» (رجم) ٢/ ١٣٧٥، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي ص١٤٠، و«خزانة الأدب» ٣/ ١٠، و«لسان العرب» (رجم) ٣/ ١٦٠٢، و«همع الهوامع» ٢/ ٩٢، و«الدر المصون» ٧/ ٤٦٧.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٧.

(٤) «الكشاف» ٢/ ٣٨٥. و«روح المعاني» ١٥/ ٢٤٢.

يدخل ليدل على انقطاع القصة وأن الشيء قد تمَّ)[١]. إلى هاهنا إخبار عما يقوله المختلفون في عدد[٢] أصحاب الكهف، ثم قال: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌۗ﴾، أي: ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس. قال ابن عباس: (أنا من ذلك القليل)[٣]. فقال في رواية الضحاك: (أنا من أولئك القليل، ثم ذكرهم بأسمائهم، فذكر سبعة)[٤]. وقال في رواية عكرمة: (كانوا سبعة)[٥]. وقال في رواية سعيد بن جبير: (كانوا سبعة أو ثمانية)[٦]. وقال في رواية عطاء الخراساني: (﴿مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٌۗ﴾، يعني أهل الكتاب)[٧].

وروى السدي عن ابن عباس قال: (أرجو أن أكون من القليل، أظن القوم كانوا ثلاثة، يقول واحد منهم: كم لبثتم؟ فقال الثاني: لبثنا يومًا أو بعض يوم، قال الثالث: ربكم أعلم بما لبثتم)[٨].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ قال السدي: (يقول بما

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٧.

(٢) من قوله: (يعرفون ملأتني..) إلى هنا ساقط من نسخة (ص).

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٦، و«تفسير القرآن» للصنعاني ١/ ٣٣٧، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٢، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٣ .

(٤) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٢، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٤، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٣.

(٥) «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٤٥٦، و«جامع البيان» ١٥/ ٢٢٦، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٧، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٥.

(٦) ذكره الشنقيطي في «أضواء البيان» ٤/ ٧٥ ونسبه لابن جريج.

(٧) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٦، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٥.

(٨) «بحر العلوم» ٢/ ٣٩٥، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٥، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٢.

أوحى إليك من القرآن)[١] .

وقال سفيان: (إلا بما قصصنا عليك في القرآن)[٢] .

وروي عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك في قوله: ﴿إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾ (حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم)[٣]. وقال ابن زيد: (المراء الظاهر: أن تقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون عدتهم)[٤]؛ يعني إنما يعلمهم القليل. ومعنى المراء في اللغة: الجدال، يقال: مَارَى يُماري، مُمارَاة ومِراء، أي: جادل[٥] .

قال أبو إسحاق: (أي لا تأت في أمرهم بغير ما أوحي إليك، أي: أفت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل عليك)[٦]. فعلى ما قالوا المراء الظاهر هو: أن يجادلهم بما أنزل إليه من أنه لا يعلم عددهم إلا القليل، كما قال ابن زيد.

---

(١) ذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» بلا نسبة ٩/ ٢٧٥، والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٤.

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه بلا نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٧، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٣٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٧، و«لباب التأويل» ٤/ ٢٠٧.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٧، و«تفسير القرآن» للصنعاني ١/ ٣٣٧، و«النكت والعيون» ٣/ ٢٩٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٣.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٧، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٧.

(٥) المِرَاء: المماراة والجدل، وأصله في اللغة: الجدال وأن يستخرج الرجل من مناظرة كلامًا ومعاني الخصومة وغيرها. انظر: «تهذيب اللغة» (مرى) ٤/ ٣٣٨٣، و«مقاييس اللغة» (مرى) ٥/ ٣١٤، و«مختار الصحاح» (مرا) (٢٦٠)، و«المصباح المنير» (المرئ) ص ٢١٧.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٧.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم﴾، أي: في أصحاب الكهف ﴿مِّنْهُمْ﴾، أي: من اليهود وأهل الكتاب. قال الفراء: (هم فريقان أتوه من أهل نجران: يعقوبي ونسطوري، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم فَنُهي)[١]. قال أصحابنا: (وهذا دليل على منع المسلمين من استفتاء اليهود والنصارى)[٢].

٢٣- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ ذكرنا قبل هذا سبب نزول هذه الآية[٣]. قال المفسرون: (هذا تأديب من الله تعالى لنبيه ﷺ، وأمر له بالاستثناء فيما يعزم بمشيئة الله، إذا قلت لشيء: إني فاعله غدًا، فقل: إن شاء الله)[٤]. قال الفراء في قوله: (﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾: إلا أن يريد الله)[٥].

قال أبو إسحاق: (موضع ﴿أَن﴾ نصب، المعنى: لا تقولن إني أفعل إلا بمشيئة الله)[٦]. جعل أبو إسحاق ﴿أَن﴾ مع الفعل مصدرًا وأضمر الباء.

وقال الأخفش: (أي: إلا أن يقول: إن شاء الله. فأجزأ من ذلك

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٨.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٤.

(٣) عند قوله سبحانه في سورة الإسراء (٨٥) ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ الآية. وعند قوله سبحانه في سورة الكهف (٩) ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا﴾.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٨، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٢، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٧، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٨.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٨.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٨.

هذا، وكذلك إذا طال الكلام أجزأ فيه، شبيه بالإيماء؛ لأن بعضه يدل على بعض)[١]. ونحو هذا روي عن المبرد عن الكسائي والفراء قالا: (المعنى إني فاعل ذلك غدًا إلا أن يقول: إن شاء الله)[٢]؛ فأضمر القول، ومثله كثير في القرآن، وهذا على ما ذكروا، ولما حذف يقول نقل شاء إلى لفظ الاستقبال.

٢٤- وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ أكثر الناس على أن معناه: إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله تعالى فاذكره، وقله إذا ذكرت .

قال ابن عباس رواية عطاء: (يريد الاستثناء ولو بعد شهر)[٣]. يعني أن من قال: أفعل غدًا كذا وكذا، ونسي أن يقول: إن شاء الله، فقد واقع ما نهى الله عنه، فإذا ذكر أنه كان قد نسي الاستثناء فقاله وضع عنه الحرج .

وقال سعيد بن جبير: (إذا قلت لشيء إنك فاعله غدًا، فنسيت أن تقول: إن شاء الله، ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، وإن كان بعد يوم أو شهر أو سنة)[٤].

وقال أبو العالية: (إذا ذكرت فاستثن)[٥] .

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٦١٨.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٨، و«إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٣٩٧.

(٣) «زاد المسير» ٥/ ١٢٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٦، و«التفسير الكبير» ١١/ ١١٠.

(٤) «الكشاف» ٢/ ٣٨٦، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٤، و«التفسير الكبير» ١١/ ١١٠.

(٥) انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٩، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٩، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٩، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٤.

وقال عمرو بن دينار: (له الاستثناء متى ما ذكر)[1]. هذا كله فيما يعد من نفسه أن يفعله من غير يمين، فإن حلف ثم استثنى بمشيئة الله متصلاً بيمينه فلا حنث عليه، كذلك روى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «**مَنْ حلف فقال: إن شاء الله، لم يحنث**»[2].

وروى ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حلف على يمين فقال: إن شاء الله، فهو بالخيار**»[3].

ولا خلاف في هذا بين الناس، وإنما الخلاف فيه إذا انقطع الاستثناء عن اليمين، روى قتادة عن الحسن في الرجل يحلف فيستثني في يمينه قال: (له ثنياه إذا اتصل كلامه، ولم يكن بين ذلك كلام)[4].

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٣١، وذكرته كتب الفقه بلا نسبة. انظر: «أحكام القرآن» لابن العربي ٣/ ١٢٣٥، و«أحكام القرآن» للجصاص ٥/ ٤١، و«الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٢٧٣، و«المغني» لابن قدامة ١٣/ ٤٨٥.

(٢) أخرجه ابن ماجة في «سننه» كتاب: الكفارات، باب: الاستثناء في اليمين ١/ ٦٨٠، النسائي في «سننه كتاب الأيمان والنذر باب: الاستثناء ٧/ ٢٣، والترمذي في «جامعه» كتاب: النذور والأيمان باب: ما جاء في الاستثناء في اليمين ٤/ ٩١ وقال: حديث حسن. والإمام أحمد في «مسنده» ٢/ ٢٧٥، والدارمي في «سننه» كتاب: النذور والأيمان باب: في الاستثناء في اليمين ٢/ ١٠٦، وابن الأثير في «جامع الأصول» كتاب: الأيمان، باب: في الاستثناء في اليمين ١١/ ٦٦٤.

(٣) أخرج نحوه الترمذي في «جامعه» كتاب: النذور والأيمان، باب: الاستثناء في اليمين ٤/ ٩١، والنسائي في «سننه» كتاب: الكفارات، باب: الاستثناء ٧/ ٢٣، وابن ماجة في «سننه» كتاب: الكفارات، باب: الاستثناء في اليمين ١/ ٦٨٠، والإمام أحمد في «مسنده» ٢/ ٦، ومالك في «الموطأ» كتاب: الأيمان، باب: ما لا تجب فيه الكفارة من اليمين ٢/ ٤٧٧، والدارمي في «سننه»، كتاب: النذور والأيمان، باب: في الاستثناء في اليمين ٢/ ١٠٦، والسيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٩٥.

(٤) «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٩، و«تفسير القرآن العظيم» =

وقال طاووس: (له ثنياه ما كان في مجلسه)[١]. وعن حماد[٢] قال: (إن استثنى في نفسه فليس بشيء حتى يسمع نفسه)[٣].

وقال الحسن: (إذا حرك لسانه أجزأ عنه)[٤]. ومذهب الشافعي -رحمه الله-: أن الحالف إذا نسي الاستثناء موصولاً بكلامه، فات وقته في الطلاق والعتاق وسائر الأيمان[٥]. حتى قال بعض أصحابنا: (إنما ينفعه الاستثناء إذا أنشأ أول يمينه مع نية الاستثناء ثم وصله باليمين، فإن أنشأ اليمين ثم بدا له أن يستثني فوصل الاستثناء لم ينفعه)[٦].

والصحيح: أنه إذا اتصل نفع، ووقع موقعه[٧].

= ٣/ ٨٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٦، و«المغني» لابن قدامة ١٣/ ٢٧٣.

(١) «الكشاف» ٢/ ٣٨٦، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٨، و«التفسير الكبير» ١١/ ١١٠، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٤٩، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٤.

(٢) حماد بن زيد بن درهم الأزدي، تقدمت ترجمته.

(٣) ذكرته كتب الفقه بلا نسبة. انظر: «أحكام القرآن» للجصاص ٥/ ٤١، و«المحلى» ٨/ ٤٠٦، و«بلغة السالك» ١/ ٧٠٠، و«المغني» لابن قدامة ٣/ ٤٨٥، كتاب: «الأيمان والنذور» لأبي فارس ص٣٧.

(٤) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٢٨٣ بلا نسبة، وابن قدامة في «المغني» ١٣/ ٤٨٥.

(٥) انظر: «الأم» للشافعي ٧/ ٦٥، و«روضة الطالبين» ١١/ ٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٢٧٤.

(٦) انظر: «الأم» للشافعي ٧/ ٦٥، و«روضة الطالبين» ١١/ ٤، و«أحكام القرآن» للجصاص ٥/ ٤١، و«الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٢٨٣، و«المغني» لابن قدامة ١٣/ ٤٨٤.

(٧) وهذا ما عليه جمهور العلماء. قال الإمام الطبري -رحمه الله- في «تفسيره» ١٥/ ٢٢٩: فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بيمينه. وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» ٤/ ٧٩: والتحقيق الذي لا شك فيه أن

وروي عن ابن عباس أنه قال: (يستثني الرجل في يمينه متى ما ذكر، وإن تطاول الزمان، وقرأ هذه الآية)[١]. وهذا لا يصح؛ لأن سبيل الاستثناء أن لا يكون منفردًا بنفسه، هو مضمر كلام غيره، والآية وردت في غير اليمين، وليس في الآية: ولا تحلفن على شيء إني فاعل ذلك غدًا، يدل على هذا سبب نزول الآية، والنبي ﷺ لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف قال: غدًا أخبركم، ولم يحلف على ذلك، ويؤكد هذا ما روي أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حلف على يمين ورأى غيرها خيرًا منه، فليأتِ الذي هو خير ويُكَفِّر عن يمينه**»[٢].

ولو كان يخرج بقوله: إن شاء الله عن الحنث، لقال: وليقل: إن شاء الله، وأيضًا فإن الإنسان إذا حلف من غير نية [فقد تمت يمينه واستقرت،

= الاستثناء لا يصح إلا مقترنًا بالمستثنى منه، وأن الاستثناء المتأخر لا أثر له ولا تحل به اليمين، ولو كان الاستثناء المتأخر يصح لما علم في الدنيا أنه تقرر عقد ولا يمين ولا غير ذلك، لاحتمال طرو الاستثناء بعد ذلك. وانظر: «روضة الطالبين» ١١/ ٤، و«بداية المجتهد» ٨/ ٤٠٦، و«أحكام القرآن» للكيا الهراس ٤/ ٢٠٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ٦/ ٢٧٣، و«المغني» لابن قدامة ١٣/ ٤٨٤.

(١) ذكرت نحوه كتب التفسير. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٩، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ أ، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٨، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٢، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٩، و«ابن كثير» ٣/ ٨٩.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: الأيمان والنذور، باب: قول الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ٨/ ٢٢٩، ومسلم، كتاب: الأيمان، باب: ندب من حلف يمينًا فرأى غيرها خيرًا منها ٣/ ١٢٦٨، والنسائي كتاب: الأيمان والنذور، باب: الكفارة قبل الحنث ٧/ ٩، وابن ماجة كتاب: الكفارات، باب: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها ١/ ٦٨١، ومالك في «الموطأ» كتاب: الأيمان، باب: ما جاء فيه الكفارة من الأيمان ٢/ ٤٧٨.

فلم يجز أن ينقض حكمها شيء يحدثه بعد ذلك، بخلاف ما يقارنه الاستثناء][1]؛ لأنه لا يستقر، على أن كثيرًا من المفسرين حملوا قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ على غير الاستثناء؛ لأن قوله: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ﴾ ابتداء كلام آخر وقصة أخرى، والاستثناء الذي ذكر وقع في موضعه متصلاً.

قال عكرمة: (﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ قال: إذا غضبت)[2].

ومعناه أنه إنما يغضب لما يطرأ عليه من نسيان ذكر الله، فأمر بذكر الله ليزول غضبه. وروي عن السدي والضحاك أنهما قالا: (هذا فيمن نسي صلاة فعليه أن يصليها إذا ذكرها)[3].

وقال المبرد: (إن ابن عباس أعلم من أن يسقط حكم الحنث بالاستثناء الذي لا يصله الحالف بيمينه، ولعله قال هذا في الاستثناء من غير يمين كما قال المفسرون، قال: إذا نسي أن يقول: إن شاء الله، ثم ذكر فليقله. فظن بعض الناس أنه يقول ذلك في اليمين، فروي عنه ذلك في اليمين)[4].

قوله تعالى: ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ﴾ إلى آخرها، قال أبو إسحاق:

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل، والمثبت في بقية النسخ.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٩، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٣، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٧٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٩، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٥.

(٣) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٣، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٦.

(٤) انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٢٩. وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» ٤/ ٧٩: والتحقيق الذي لا شك فيه أن الاستثناء لا يصح إلا مقترنًا بالمستثنى منه وأن المستثناء المتأخر لا أثر له ولا تحل به اليمين، ولو كان الاستثناء المتأخر يصح لما علم في الدنيا أنه تقرر عقد ولا يمين ولا غير ذلك لاحتمال طرو الاستثناء بعد ذلك، وهذا في غاية البطلان كما ترى.

(أي قل عسى أن يعطيني ربي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد، وأدل من قصة أصحاب الكهف)[١] .

قال المفسرون: (إن الله ﷻ فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب المرسلين، وخبرهم ما كان أوضح في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف)[٢] .

وقال بعضهم: (هذا نبأ أمر أن يقوله مع الاستثناء إذا ذكر، وهو كفارة نسيان الاستثناء أن يقول: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ﴾ إلى آخرها)[٣]. والمعنى: عسى أن يهدين حتى لا أنسى الاستثناء بمشيئته، وهو أقرب رشدًا من أن ينسى ذلك .

وقال بعضهم: (هذا فيما ينساه النبي ﷺ أمر أن يذكر الله تعالى فسأله، أو يذكره ما نسي، أو يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه)[٤].

٢٥- قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ﴾ الآية، اختلفوا في معنى هذه الآية على قولين أحدهما: أن هذا إخبار عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك[٥]. وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك قال: (إن الرجل ليفسر الآية يرى أنها كذلك فيهوي أبعد مما بين السماء والأرض ثم تلا: ﴿وَلَبِثُواْ

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٨.

(٢) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٣، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٧، و«زاد المسير» ٥/ ١٢٩، و«التفسير الكبير» ١١/ ١١١.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٠، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٤، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٨١، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٥.

(٤) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٤، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٧.

(٥) «تفسير كتاب الله العزيز» ٢/ ٤٥٨، و«جامع البيان» ١٥/ ٢٣٠، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٠.

فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية، ثم قال: كم لبث القوم؟ قالوا: ثلاثمائة سنة وتسع سنين، قال: فلو كانوا لبثوا ذلك لم يقل الله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾، ولكنه حكى مقالة القوم، فقال: سيقولون: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ﴾ الآية[(١)].

وقال قتادة: (هذا قول أهل الكتاب، فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ قال: ويدل على صحة هذا قراءة ابن مسعود: قالوا لبثوا في كهفهم)[(٢)]. ونحو هذا قال مطر الورّاق[(٣)(٤)].

القول الثاني: أن هذه الآية إخبار عن الله تعالى، أخبر عن قدر لبثهم في الكهف من يوم دخلوا إلى أن بعثهم الله وأطلع عليهم الخلق[(٥)]؛ وهذا قول مجاهد قال في هذه الآية: (هو عدد ما لبثوا)[(٦)]، ونحوه قال عبد الله بن عبيد بن عمير[(٧)]،

---

(١) «زاد المسير» ٥/ ١٣٠، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٥ وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٠، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٤، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٠، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٨٢، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٥.

(٣) مطر بن طهمان الوراق، أبو رجاء الخراساني السلمي، مولى علي، من أهل البصرة، روى عن: أنس، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وروى عنه: إبراهيم بن طهمان، ومعمر بن هشام، وشعبة، وغيرهم كثير، وكان من أكبر أصحاب قتادة، وثقه بعض العلماء، توفي سنة ١٢٥هـ، وقيل غير ذلك. انظر: «الجرح والتعديل» ٨/ ٢٨٧، و«الكاشف» ٣/ ١٤٩، و«ميزان الاعتدال» ٤/ ١٢٦، و«تهذيب التهذيب» ١٠/ ١٥٢.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣١، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٨٢.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣١، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٩، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٦.

(٦) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣١، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ أ.

(٧) عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي، المكي، أبو هاشم، إمام تابعي مشهور، عرف بالصلاح والتقوى، وثقه العلماء، وروى له الأربعة، ومسلم في «صحيحه».

والضحاك[١].

واختاره الزجاج وقال: (هو الأجود عندي)[٢]؛ وهو اختيار ابن قتيبة[٣]. وعلى هذا القول معنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ ما قاله القتبي: (وهو أنهم اختلفوا في لبثهم فقال الله: ﴿وَلَبِثُواْ فِى كَهۡفِهِمۡ﴾ الآية، ثم قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ أي: وأنا أعلم بما لبثوا من المختلفين)[٤]. وهذا معنى قول الزجاج، والكلبي: (قالت نصارى نجران: أما الثلاثمائة فقد عرفناها، وأما التسع فلا علم لنا بها، فنزلت: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾)[٥].

وقال كثير من أهل التفسير: (معنى قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ أن أهل الكتاب قالوا على رسول الله ﷺ: أن الفتية من لدن دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين، فرد الله ﷻ عليهم وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ﴾ بعد أن قبض أرواحهم المرة الثانية إلى يومنا هذا لا يعلم ذلك غير الله تعالى)[٦].

= روى عن أبيه وغيره، عنه الأوزاعي وطائفة من التابعين، توفي -رحمه الله- سنة ١١٣هـ. انظر: «طبقات ابن سعد» ٥/ ٢٤٩، و«الجرح والتعديل» ٢/ ١٠١، و«الحلية» ٣/ ٣٥٤، و«تهذيب التهذيب» ٥/ ٣٠٨، و«شذرات الذهب» ١/ ١٩٤.

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣١، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٠.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٨.

(٣) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦٦.

(٤) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦٧.

(٥) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٥، و«زاد المسير» ٥/ ٩٢، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٩.

(٦) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣١، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٥، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٠.

هذا الذي ذكرنا تفسير الآية[١]، فأما إعرابها فقال ابن عباس في رواية عطاء: (نزل قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ﴾ فلم يدرِ رسول الله ﷺ أسنين، أم أشهر، أم أيام، أم ساعات، حتى نزل جبريل فقال: ﴿سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾)[٢]؛ ونحو هذا قال الضحاك، ومقاتل[٣]. وعلى هذا أجاز ابن مجاهد الوقف على ثلاثمائة، لفصل ما بينهما في النزول[٤]. والاختيار ترك الوقف؛ لأن سنين وإن نزل بعد ثلاثمائة فقد التحق به في قول جميع النحويين، وصار التقدير: سنين ثلاثمائة. قاله الفراء، والزجاج، وأبو عبيدة، والكسائي. وعلى هذا ﴿سِنِينَ﴾ في موضع نصب بالفعل[٥]. قال أبو إسحاق: (ويجوز في تقدير العربية أن يكون سنين معطوفًا على ثلاث، عطف البيان والتوكيد)[٦]. وقال أبو علي: (﴿سِنِينَ﴾ بدل من قوله: ﴿ثَلَاثَ

---

(١) قال الطبري -رحمه الله- في «تفسيره» ١٥/ ٢٣١: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله عز ذكره، ولبث أصحاب الكهف في كهفهم رقودًا إلى أن بعثهم الله ليتساءلوا بينهم وإلى أن أعثر عليهم من أعثر ثلاثمائة سنين، وذلك لأن الله بذلك أخبر في كتابه. وقال ابن كثير -رحمه الله- في «تفسيره» ٣/ ٨٩: والظاهر من الآية إنما هو أخبار من الله لا حكاية عنهم، ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة، ثم هي شاذة بالنسبة إلى قراءة الجمهور فلا يحتج بها، والله أعلم. وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية ٩/ ٢٨٣.

(٢) ذكرت كتب التفسير نحوه. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٣١، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ أ، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٥، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٠، و«لباب النقول في أسباب النزول» ١٤٤، و«جامع النقول في أسباب النزول» ٢/ ٢٠٩.

(٣) «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ أ.

(٤) ذكر نحوه بلا نسبة «المكتفى في الوقف والابتداء» ٣٦٨.

(٥) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٨، و«إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٧٢، و«معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٨.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٨.

﴿مِائَةٍ﴾ وموضعه نصب، كما أن موضع المبدل منه كذلك وهذا كما تقول: أعطيته ألفا درهما ومائة أثوابا)[١]. قال الفراء: (ويجوز أن يكون ﴿سِنِينَ﴾ نصبا بالتفسير للعدد، كما قال عنترة[٢]:

فيها اثنتان وأربعون حلوبةً سودًا كخافية الغراب الأسحم

[وهي جمع مفسرة كما يفسر الواحد)[٣].

وقال أبو إسحاق: (وجائز أن يكون ﴿سِنِينَ﴾ من نعت المائة، وهو راجع في المعنى إلى ثلاث، كما قال الشاعر، وأنشد البيت)][٤][٥]. فجعل سودا نعتا للحلوبة، وهي في المعنى نعت لجملة العدد. وهذا القول أحسن من قول الفراء؛ لأنه جعل سودًا تفسيرًا للعدد، وليس كذلك تفسير العدد حلوبة، وسودًا نعت للحلوبة راجع إلى جملة العدد، كذلك قوله: ﴿سِنِينَ﴾ نعت المائة راجع إلى جملة العدد، وعلى هذا يكون ﴿سِنِينَ﴾ في محل الجر، غير أنه يفتح النعت بالسنين؛ لأنها اسم جامد فلا يحسن النعت بها.

---

(١) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٤١.

(٢) البيت لعنترة. كَخَافِيَة الغُرَاب: أواخر الريش من الجناح مما يلي الظهر، وسميت بذلك لخفائها.
والأسْحم: الأسود. والشاهد فيه قوله: (سودا) وهو حال من النكرة (حلوبة) في بعض التخريجات، وفيه دليل على مجيء صاحب الحال نكرة. واستشهد به أبو حيان على نعت التمييز المفرد بالجمع مراعاة للمعنى. انظر: «ديوانه» ص ١٣، و«الحيوان» ٣/ ٤٢٥، و«خزانة الأدب» ٧/ ٣٩٠، و«شرح شذور الذهب» ص ٣١١، و«شرح القصائد السبع» لابن الأنباري ٣٠٥، و«شرح القصائد العشر» ٢١٧، و«المقاصد النحوية» ٤/ ٤٨٧.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٨.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٨.

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت في بقية النسخ.

وقد حصل في قوله: ﴿سِنِينَ﴾ خمسة أوجه من الإعراب: الظرف، وعطف البيان، والبدل، والتفسير، والنعت. هذا الذي ذكرنا وجه قراءة العامة وهو تنوين (مِائَةٍ)، وقراءة حمزة، والكسائي: «ثلاثمائةِ سنين» مضافة غير منونة[1]، وهذه قراءة غير جيدة[2].

قال أبو الحسن: (لا يحسن إضافة المائة إلى السنين، لا تكاد العرب تقول: مائة سنين)[3].

وقال صاحب النظم: (من أضاف وأظهر العدد اعتسف)[4]. إلا أن أبا الحسن قال: (هو جائز، وقد يقوله بعض العرب)[5].

---

(١) قرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: (ثلاث مائةٍ سنين) منونًا. وقرأ حمزة، والكسائي: (ثلاث مائةِ سنين) مضافًا غير منون. انظر: «السبعة» لابن مجاهد (٣٩٠)، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٦، و«المبسوط» (٢٣٤)، و«التبصرة» (٢٤٨)، و«الكشف عن وجوه القراءات» ٢/ ٥٨، و«النشر» ٢/ ٣١٠.

(٢) قول المؤلف -غفر الله له- هذه قراءة غير جيدة. غير جيد؛ لأنها قراءة سبعية صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ فلا يجوز الطعن فيها.
قال ابن عطية في «تفسيره» ٩/ ٢٨٥: وهي قراءتنا معشر المغاربة ولا يقوم فيها مخالفة قانون النحاة المشار إليه بقول الخلاصة: ومائة والألف للفرد أضف. لأن القرآن برواية أهل السبع عن رسول ﷺ حجة على النحاة لا العكس، لاسيما وأبو علي الفارسي يرى أن قاعدة إضافة المائة إلى الفرد، أغلبية لا كلية مطردة، وبهذا يرد على من أنكر هذه القراءة.
وقال أبو حيان في «البحر المحيط» ٦/ ١١٧: وقرأ حمزة والكسائي مائة بغير تنوين مضافًا إلى سنين أوقع الجمع موقع المفرد، وأنحى أبو حاتم على هذه القراءة ولا يجوز له ذلك.

(٣) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٧، و«مجمع البيان» ٦/ ٧١٣.

(٤) ذكر نحوه الفارسي في «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٧ بلا نسبة.

(٥) «الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٣٧.

قال الفراء: (مِنَ العرب من يضع السنين في موضع سنة، وهي حينئذٍ[١] في موضع خفض لمن أضاف)[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا﴾ قال أبو إسحاق: (لا يكون على معنى تسع ليال، ولا تسع ساعات؛ لأن العدد يعرف تفسيره، فإذا تقدم تفسيره استغنى بما تقدم عن إعادة ذكر التفسير، تقول: عندي مائة درهم وخمسة، فتكون الخمسة قد دل عليها ذكر الدراهم)[٣] .

وقال أبو علي: (﴿وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعًا﴾ أي: ازدادوا لُبث تسع، فحذف المصدر وأقيم المضاف إليه مقامه، وانتصاب تسع انتصاب المفعول به لا انتصاب الظرف، كما أن المضاف لو ظهر وأضيف إلى التسع كان كذلك)[٤].

٢٦- قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ﴾ ذكرنا تفسيره في الآية المتقدمة .

وقوله تعالى: ﴿لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ ذكرنا تفسيره في آخر سورة هود[٥] .

﴿أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ﴾ قال الأخفش: (أي ما أبصره وأسمعه! كما تقول: أكرم به! أي ما أكرمه! قال: ويدلك على ذلك أن العرب تقول: يا

---

(١) في (ص): (مسد)، وهو تصحيف.
(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٨.
(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٧٩.
(٤) «الحجة للقراء السبعة» ١/ ٣٢٣.

أمة الله أكرم بزيد! فهذا معناه ما أكرمه! ولو كان يأمرها أن تفعل شيئًا لقال: أكرمي زيدًا)[١].

وقال الفراء: (﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ يريد الله، كقولك: أكرم بعبد الله! ومعناه: ما أكرم عبد الله! وكذلك قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] ما أسمعهم وما أبصرهم!)[٢].

وقال أبو إسحاق: قوله: (﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ أجمع العلماء أن معناه: ما أسمعه وأبصره! أي: هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم)[٣].

وقال أبو علي: (العرب تتسع فتقيم المثال الذي يختص بالأمر مقام الخبر، والمثل المختص بالخبر موقع الدعاء والأمر. مما أقيم من أمثلة الأمر موقع الخبر قولهم: أكرم بزيد! وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨]، ومعنى هذا ما أكرم زيدًا، واسمعوا وأبصروا، أي: صار زيد ذا كرم، وصار هؤلاء ذوي أسماع وأبصار. قال: وموضع الباء مع ما بعده من المنجر رفع، كما أن الباء في: ﴿كَفَىٰ بِٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ٥٢] كذلك فوقع مثال الأمر هاهنا موقع الخبر، كما وقع مثال الخبر موقع الأمر في الدعاء في مثل: غفر الله لزيد، وقطع الله يد فلان، وجاء في التنزيل: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم: ٧٥] فهذا لفظه كلفظ أمثلة الأمر، ومعناه الخبر، ألا ترى أنه لا وجه للأمر هاهنا وأن المعنى مده الرحمن مدا، ويدلك على أن المراد بقوله: أكرم بزيد! أن معناه أنه قد

---

(١) «معاني القرآن» للأخفش ٢/ ٦١٨.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٣٩.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٠.

كرم، وأن الكرم وما أشبهه من الأحداث لا يخاطب ولا يؤمر ولا ينهى، وأنه ليس للأمر هاهنا معنى ولا متوجه، وأيضًا فإنك إذا قلت: يا زيد أكرم بعمرو، فليس يخلو هذا الفعل من أن يكون له فاعل، وفاعله لا يخلو من أن يكون المخاطب أو المتعجب منه، فلو كان المخاطب لوجب أن يجمع الضمير في الفعل ويلحق علامة التأنيث، فلما لم يفعل من ذلك شيء، بل أجروا هذا الفعل بعد المذكر والمؤنث والجمع والتثنية مجرى واحد أعلم أن فاعله المتعجب منه دون المخاطب، وثبت أن الجار مع المجرور في موضع رفع)[1].

هذا الذي ذكره أبو علي أصل هذا الكلام، وشرح وضعه، ثم صار من ألفاظ التعجب حتى لا فصل بين قولك: ما أحسن زيدًا! وقولك: أحسن بزيد، وإذا كان كذلك فقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ قال المفسرون: (ما أبصر الله بكل موجود، وأسمعه بكل مسموع)[2].

وقال ابن زيد: (معناه أنه يرى أعمال أهل السموات والأرض، ويسمع منهم)[3]. هذا الذي ذكرنا إجماع من أهل العلم أن قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ معناه ما أبصره وأسمعه!.

وروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: (معناه أبصر أوليائي بعجائب القرآن، وأسمع به أوليائي)[4]. وعلى هذا ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ المراد به

---

(١) ذكر نحوه في «الحجة للقراء السبعة» ٢/ ٢٠٥.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٢، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٥، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٠.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٢، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٩.

(٤) ذكرت كتب التفسير نحوه بدون نسبة. انظر: «زاد المسير» ٥/ ١٣١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٨، و«روح المعاني» ١٥/ ١٥٥.

الأمر، والمفعول محذوف على تقدير: أبصرهم وأسمعهم، وقوله: ﴿بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، كأنه قيل: اجعلهم يبصرون بالقرآن غيري، وولايتي ويسمعون ذلك[1]. والقول الذي عليه الناس هو الأول.

وقوله تعالى: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ قال المفسرون: (أي ليس لأهل السموات والأرض من دون الله)[2]. والكناية تعود إلى أهل السموات والأرض، وقد سبق ذكرهم في قوله: ﴿غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وهم من غيبها، أي: مما غابوا فيها. وقال عطاء عن ابن عباس: (﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾ يريد قد عرفوا عظمتي وربوبيتي فلم يتخذوا من دوني وليًّا)[3]. وعلى هذا الكناية في قوله تعود إلى المؤمنين خاصة من أهل السموات والأرض[4].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ قال أبو إسحاق: (هذا على معنيين أحدهما: أنه جرى ذكر علمه وقدرته، فأعلم أنه لا يشرك في حكمه بما يخبر به من الغيب أحدًا كما قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الجن: ٢٦]. ويكون على معنى: أنه لا يجوز أن يحكم حاكم

---

(١) «النكت والعيون» ٣/ ٣٠٠، و«زاد المسير» ٥/ ١٣١، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٨٨. والحق أن يقال في تفسير هذه الآية: ما أبصره وما أسمعه ﷻ وذكر في كتاب الله ﷻ آيات كثيرة تدل على اتصافه سبحانه بالسمع والبصر الذي يليق بجلاله. وقال ابن سعدي في «تفسيره» ٥/ ٢٧: تعجب من كمال سمعه وبصره، وإحاطتهما بالمسموعات والمبصرات، بعدما أخبر بإحاطة علمه بالمعلومات.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٢، و«معالم التنزيل» ٥٣/ ١٦٥، و«الكشاف» ٢/ ٣٨٧، و«زاد المسير» ٥/ ١٣١.

(٣) ذكره الطبري في «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٢ بدون نسبة.

(٤) «البحر المحيط» ٦/ ١١٧، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٥٦.

إلا بما حكم الله، وبما دل عليه حكم الله، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكًا في حكمه يأمر بحكم كما أمر الله)[١]. وقرأ ابن عامر: ولا تشرك[٢]، على معنى: ولا تشرك أنت أيها الإنسان في حكمه أحدًا، على النهي عن الإشراك في حكمه، أي: لا يكن كمن قيل فيه: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]. وعلى هذه القراءة في الآية رجوع من الغيبة إلى الخطاب، والقراءة الأولى التي عليها العامة أشبه لتقدم اسم الغيبة، وهو قوله: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ﴾، والهاء للغيبة فكذلك قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكُ﴾ أي: ولا يشرك الله في حكمه أحدًا[٣].

٢٧- قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ قال المفسرون: (معناه: اتبع القرآن)[٤].

وقوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ قال ابن عباس: (يريد لمواعيده)[٥].

وإلى هذا أشار الزجاج فقال: (أي ما أخبر الله به، وما أخبر به فلا مبدل له)[٦]. وعلى هذا المعنى: لا مبدل لحكم كلماته مما وعد به وأمر،

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٠.

(٢) قرأ ابن عامر الشامي: (ولا تشرك) بالتاء جزمًا. وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن كثير، وحمزة، وعاصم، والكسائي: (ولا يشرك) بالياء والرفع. انظر: «السبعة» (٣٩٠)، و«الحجة للقراء السبعة» ٥/ ١٤١، و«الغاية في القراءات العشر» (٣٠٦)، و«العنوان في القراءات السبع» ص١٢٢، و«النشر في القراءات العشر» ٢/ ٣١٠.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٣، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٠، و«زاد المسير» ٥/ ١٣١.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٣، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٥، و«المحرر الوجيز» ١٠/ ٣٩٢، و«زاد المسير» ٥/ ٩٣.

(٥) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٥، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٥٧.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٠. ويشهد لهذا قوله سبحانه في سورة الأنعام: =

وقال الكلبي: (لا مغير للقرآن)[١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ قال مجاهد: (ملجأ)[٢]. وقال الفراء: (الملتحد: الملجأ)[٣]. وقال أبو عبيدة: (معدلا)[٤].

وقال الزجاج: (أي لن تجد معدلا عن أمره ونهيه)[٥]. وأصل هذا الحرف: من الميل، ومن قال: ملجأ، فهو يؤول إلى هذا المعنى أيضًا؛ لأنك إذا لجأت إلى شيء فليس يكون إلا بالميل منك إليه، وذكرنا هذا الحرف عند قوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقال ابن زيد في هذه الآية: (لا تجدون من دونه ملجأ ولا أحدا يمنعكم)[٦].

٢٨- قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ مفسرا بما فيه من النزول، واختلاف القراءة في سورة الأنعام[٧].

= ١١٥: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

(١) «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩/ ب، و«معالم التنزيل» ٣/ ١٥٨.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٣، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٦، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠١، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٩٠.

(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ٣٩٨.

(٤) «مجاز القرآن» ١/ ٣٩٨.

(٥) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٠.

(٦) «جامع البيان» ١٥/ ١٥٤.

(٧) عند قوله سبحانه في سورة الأنعام: ٥٢: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ قال علي عن ابن عباس: (يقول لا تتعداهم إلى غيرهم)[١]. وقال عطاء عنه: (يريد يصدهم بالنظر والمحبة لهم)[٢].

وقال الفراء: (لا تصرف عيناك عنهم)[٣].

وقال الزجاج: (لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة)[٤]. والنهي في الظاهر واقع على العينين، والمراد منه صاحب العينين، وهو النبي ﷺ.

قوله تعالى: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال المفسرون: (يعني مجالسة أهل الشرف والغنى)[٥].

وقال أهل المعاني: (قوله: ﴿تُرِيدُ﴾ هاهنا في موضع الحال)[٦]، أي: مريدًا، نهي أن يرفع بصره عن ضعفاء المؤمنين مريدًا مجالسة الأشراف. وكان ﷺ حريصًا على إيمان الرؤساء طمعًا في إيمان أتباعهم، ولم ينسب إلى إرادة زينة الحياة الدنيا؛ لأنه لم يمل إلى الدنيا قط ولا إلى أهلها، وإنما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء طمعًا في إيمانهم،

(١) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٤.
(٢) ذكرت نحوه كتب التفسير بلا نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٤، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٧، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٢، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٩٣، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٢.
(٣) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٤٠.
(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨١.
(٥) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٥، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٦، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٢، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٣.
(٦) «الكشاف» ٢/ ٣٨٨، و«البحر المحيط» ٦/ ١١٩، و«الدر المصون» ٧/ ٤٧٤.

فعوتب بهذه الآية، وأمر بأن يجعل إقباله على المؤمنين، وأن لا يلتفت إلى غيرهم، ونهي أن يكون له حال يميل فيها إلى الأشراف دون الضعفاء، ومثل هذه الآية قوله: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ [عبس: ٥، ٦].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ قال ابن عباس: (يريد عيينة وأباهه)[١]، أي: لا تطعهم في تنحية الفقراء عنك ليجلسوا إليك.

وسئل أبو العباس عن قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ فقال: (من جعلناه غافلاً. قال: ويكون في الكلام أغفلته سميته غافلاً، ووجدته غافلاً)[٢]، وتأويل ﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ تركناه غُفْلا عن الذكر، كالأرض الغُفْل التي لا علامة بها، والكتاب الغُفْل الذي لا شكل عليه.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ قال مجاهد: (ضياعا)[٣]. وقال قتادة: (ضاع أكبر الضيعة)[٤]. وقال السدي: (هلاكا)[٥].

وقال أبو الهيثم: (أمر فرط، أي: متهاون به)[٦]. وشبه أن يكون أصل هذا من التفريط، وهو تقديم العجز، وهذا بمعنى قول أبي إسحاق[٧]. ومن قدم العجز في أمره أضاعه وأهلكه، ومعنى هذا أنه ترك الإيمان

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٦ بدون نسبة، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٢.

(٢) «تهذيب اللغة» (غفل) ٣/ ٢٦٨١.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٦، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٧، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٣، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٩.

(٤) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٧.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٦، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٧.

(٦) «تهذيب اللغة» (فرط) ٣/ ٢٧٧٣.

(٧) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨١.

والاستدلال بآيات الله واتبع هواه .

الليث: (الفَرَطُ: الأمر الذي يُفَرَّط فيه، تقول: كل أمر فلان فَرَط)[١]، ونحو هذا قال الفراء: (فُرُطا: متروكًا قد ترك فيه الطاعة)[٢] .

وقال ابن عباس في رواية عطاء: (يريد أنه أفرط في مسألته، وأحب أن يرتفع عند الله بغير تقوى)[٣]، يعني حين أراد مجالسة النبي ﷺ والقرب منه، والتقدم على أهل الإيمان من غير طاعة وتقى. وعلى هذا الفَرَط اسم من الإفراط وهو مجاوزة الحد، ونحو هذا روي عن مقاتل أنه قال في قوله: ﴿فُرُطًا﴾ قال: (سرفا)[٤]. فيحتمل أنه يريد بالمسرف ما ذكرنا عن ابن عباس، ويحتمل أن يريد ما ذكره الكلبي والفراء .

قال الكلبي: (قال عيينة: إنا رؤوس مضر[٥] وأشرافها، فإن نسلم يسلم الناس بعدنا)[٦] .

وقال الفراء: (إنه أفرط في القول فقال: نحن رؤوس مضر وأشرافها،

---

(١) «التفسير الكبير» ١٦/ ١١٨، و«تهذيب اللغة» (فرط) ٣/ ٢٧٧٣.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٤٠.

(٣) ذكر نحوه بلا نسبة الألوسي في «روح المعاني» ١٥/ ٢٦٥.

(٤) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٧، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٢، و«البحر المحيط» ٦/ ١٢٠، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٦٥.

(٥) مضر: نسبة إلى مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهو جد جاهلي تنتسب إليه كثير من القبائل العدنانية، وهو أخو ربيعة بن نزار. انظر: «سير ابن هشام» ١/ ٧٣، و«الأنساب» ٥/ ٣١٨، و«الإيناس بعلم الأنساب» ص٢٩، و«المنتخب في ذكر أنساب قبائل العرب» ص٤٠٣.

(٦) ذكر نحوه البغوي في «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٧، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٢.

وليس كذلك)[١]. وعلى هذا كان أمره فُرُطا لإفراطه في القول والبذخ حيث قال: إنه رأس العرب وهم أتباعه على دينه. ويقال: أمر فُرُط، أي مجاوز فيه الحدود. روي عن أبي زيد البلخي أنه قال: (معناه: قدما في الشر)[٢]. وعلى هذا أصله من قوله: فَرَطَ منه أمر، أي: سبق وبدر[٣].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ﴾ [طه: ٤٥]، ومنه يقال: فرس فُرُط، أي: سريعة، قال لبيد[٤]:

فُرُط وشاحي إذ غدوتُ لجامها

٢٩- قوله تعالى: ﴿وَقُلِ﴾ قال عطاء عن ابن عباس: (وقل يا محمد

---

(١) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٤٠.

(٢) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» بلا نسبة (فرط) ٣/ ٢٧٧٣، و«لسان العرب» (فرط) ٦/ ٣٣٩١.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (فرط) ٣/ ٢٧٧٣، و«مقاييس اللغة» (فرط) ٤/ ٤٩٠، و«القاموس المحيط» (فرط) ص (٦٨١)، و«لسان العرب» ٦/ ٣٣٩١، و«الصحاح» (فرط) ٣/ ١١٤٨. وقال الطبري -رحمه الله- في «تفسيره» ١٥/ ٢٣٦: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معناه ضياعًا وهلاكًا من قولهم: أفرط فلان في هذا الأمر إفراطًا، إذا أسرف فيه وتجاوز قدره. وكذلك قوله ﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] معناه وكان أمر هذا الذي أغفلنا قلبه عن ذكرنا في الرياء والكبر واحتقار أهل الإيمان سرفًا قد تجاوز حده فضيع بذلك الحق وهلك.

(٤) هذا عجز بيت لبيد، وصدره:

ولقد حميتُ الخيل تحمل سكّتي

والفرَطُ: الفرس السريعة التي تتفرط الخيل أي تتقدمها. وشاحي، لجامها: أن الفرسان كان أحدهم يتوشح اللجام، وتوشحه إياه أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه. انظر: «ديوانه» ٣١٥، و«تهذيب اللغة» (فرط) ٣/ ٢٧٧٣، و«لسان العرب» (فرط) ٦/ ٣٣٩١، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي ١٩٥.

لمن جاءك من أهل الدنيا شريفًا أو وضيعًا)[١]. قال المفسرون: قل لهؤلاء الذين أمروك بتنحية الفقراء عنك، وإدناء مجلسهم ليؤمنوا بك.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ قال الكسائي: (يعني هو الحق من ربكم، وهو الإسلام)[٢].

وقال الأخفش: (أي قل: هو الحق)[٣].

قال أبو إسحاق: (أي الذي أتيتكم به الحق من ربكم)[٤]. وهذا معنى قول قتادة: (﴿ٱلْحَقُّ﴾ هذا القرآن)[٥].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ قال السدي: (هذا على وجه الوعيد)[٦]. وقال قتادة: (إن ربكم بين ثم خير)[٧]؛ يعني التخيير

---

(١) ذكرت كتب التفسير نحوه. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٧، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٧، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٩٤، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٩١.

(٢) ذكره الألوسي في «روح المعاني» ١٥/ ٢٦٦ ونسبه للكرماني.

(٣) «معاني القرآن» للأخفش ١/ ٦١٨.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨١.

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ ب بلا نسبة، والسمرقندي في «بحر العلوم» ٢/ ٢٩٧، والسيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٩٩ وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٢٥ بدون نسبة.

(٧) لم أقف على القول. وقال الشنقيطي -رحمه الله- عند هذه الآية ٤/ ٩٢: المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير وإنما المراد بها التهديد والتخويف، والتهديد بمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية، والدليل من القرآن العظيم على أن المراد في الآية التهديد والتخويف أنه أتبع ذلك بقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] الآية، وهذا أصرح دليل على أن المراد التهديد والتخويف، إذ لو كان التخيير على بابه لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم، وهذا أوضح كما ترى. وقال ابن =

الذي هو للتهديد، كما قال الزجاج: (هذا الكلام ليس بأمر لهم ما فعلوا منه فهم فيه مطيعون، ولكنه كلام وعيد وإنذار، قد بين بعده ما لكل فريق من مؤمن وكافر)[١]. هذا الذي ذكرنا قول أكثر أهل التفسير[٢].

وروى الوالبي عن ابن عباس والضحاك في هذه الآية يقول: (من شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء الله له الكفر كفر)[٣]. وهو كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، فعلى هذا القول قوله: ﴿فَمَن شَآءَ﴾، أي: من شاء الله، فالمشيئة مسندة إلى الله.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا وأعددنا. ومضى الكلام في معنى الإعتاد[٤]. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ هم الذين عبدوا غير الله تعالى[٥].

﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ معنى السرادق في اللغة: كل ما أحاط

= تيمية في «العقيدة الواسطية» ٤٥: وأهل السنة وسط بين الجبرية والقدرية لأن الجبرية يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: إنه مجبر لا قدرة له ولا اختيار، والقدرية ينكرون قضاء الله في أفعال العباد ويقولون: إن العبد قادر مختار لا يتعلق فعله بقضاء الله. وأهل السنة يثبتون قضاء الله في أفعال العبد ويقولون: إن له قدرة واختيارًا أودعهما الله فيه متعلقتين بقضاء الله، فيثبتون للعبد مشيئة واستطاعة وهي القدرة إلا أنهما تابعان لمشيئة الله تعالى.

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨١.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٧، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٧، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٩٤.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٨، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٧، و«الدر المنثور» ٤/ ٣٩٩.

(٤) عند قوله سبحانه في سورة النساء: ١٨: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

(٥) ويشهد لهذا قوله تعالى في سورة لقمان (١٣): ﴿يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

بشيء واشتمل عليه من ثوب أو حائط. وأكثر ما يستعمل في الفسطاط .

قال الليث: (السرادق: كالحجرة المحوطة من غزل غليظ منسوج مضرب الأسفار للملوك، والجمع: سرادقات)[١] .

قال رؤبة[٢]:

سرادق المجد عليك ممدود

قال الأزهري: (ويقال للغبار الساطع، والدخان الشاخص المحيط بالشيء: سرادق)[٣] .

قال لبيد يذكر الإبل[٤]:

رفعن سرادقًا في يوم ريح يصفق بين ميل واعتدال

هذا معنى السرادق في اللغة[٥]. فأما التفسير فروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **«سرادق النار أربع جدر، كثف كل جدار منها مسيرة**

---

(١) «تهذيب اللغة» (سردق) ٢/ ١٦٦٩.

(٢) هذا عجز بيت لرؤبة، وصدره:

يا حكم بن المنذر بن الجارود

انظر: «ديوانه» ص١٧٢، و«الكتاب» ١/ ٣١٣، و«المفصل» ٢/ ٥، و«الدر المصون» ٧/ ٤٧٨، و«لسان العرب» (سردق) ٤/ ١٩٨٨.

(٣) «تهذيب اللغة» (سردق) ٢/ ١٦٦٩.

(٤) البيت للبيد بن ربيعة العامري. السرادق هنا: الغبار الساطع، والدخان الشاخص المحيط بالشيء. انظر: «ديوانه» ص١٠٨، و«تهذيب اللغة» (سردق) ٢/ ١٦٦٩-١٦٧٠، و«المخصص» ١٠/ ٦٦، و«لسان العرب» (سردق) ٤/ ١٩٨٩ .

(٥) السرادق هو: كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب، أو الحائط المشتمل على الشيء.

انظر: «تهذيب اللغة» (سردق) ٢/ ١٦٦٩، و«الصحاح» (سردق) ٤/ ١٤٩٦، و«القاموس المحيط» (السرادق) ص ٨٩٣.

أربعين سنة»[١].

وقال الكلبي: (هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة)[٢]. وبهذا فسِّر قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٣]، وقوله: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠] الآية؛ وهذا اختيار أبي عبيدة، وابن قتيبة[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ﴾ قال المفسرون: أي مما هم فيه من العذاب وشدة العطش.

﴿يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ﴾ قال أبو عبيد: (المهل: كل فِلِزٍّ[٤] أذيب)[٥].

وروي في حديث أبي بكر ﷺ أنه أوصى في موضعه فقال: **«ادفنوني**

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» كتاب: جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤/ ٦٠٩، والإمام أحمد في «مسنده» ٣/ ٢٩، وابن المبارك في «الزهد» ٢/ ٩٠، وأبو نعيم في «الحلية» ١٠/ ٢٩٠، وابن الأثير في «جامع الأصول، كتاب: القيامة، باب: في ذكر الجنة والنار ١٠/ ٥١٤، والطبري في «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٩، والبغوي في «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٨، وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٩٢، والسيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٣٩٩.

(٢) «جامع البيان» ١٥/ ٢٣٩، و«تفسير القرآن» للصنعاني ١/ ٣٣٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٤.

(٣) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦٧، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة ١/ ٣٩٨.

(٤) الفِلِزّ: بكسر الفاء واللام وتشديد الزاي: نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة، أو خبث الحديد، أو الحجارة، أو جواهر الأرض كلها، أو ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها. انظر: «تهذيب اللغة» (فلز) ٣/ ٢٨٢٨، و«مقاييس اللغة» (فلز) ٤/ ٤٥١، و«القاموس المحيط» (الفلز) ص (٥٢٠)، و«لسان العرب» (فلز) ٦/ ٣٤٦٠.

(٥) «غريب الحديث» لأبي عبيد ٣/ ٢١٧، و«تهذيب اللغة» (مهل) ٤/ ٣٤٦٤.

في ثوبي هذين، فإنما هما للمهل والتراب»[١] .

قال أبو عبيدة: (المهل في هذا الحديث: الصديد والقيح)[٢] .

وقال أبو عمرو: (المهل في شيئين: هو في حديث أبي بكر: القيح والصديد، وفي غيره: دردي الزيت)[٣] .

وقال اليث: (المهل: ضرب من القطران، يقال: مَهَلْتُ البعير فهو مَمْهُول)[٤].

وروى شمر عن ابن شميل: (المهل عندهم الملَّة إذا حميت جدًّا رأيتها تموج)[٥].

وقالت العامرية: (المهل عندنا السُّمّ)[٦]. هذا معنى المهل في اللغة، وهو على ستة معان. روى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله: «بماء كالمهل» قال: «**كعكر الزيت**»[٧] .

---

(١) «المحرر الوجيز» ٩/ ٢٩٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٥، و«تهذيب اللغة» (مهل) ٤/ ٣٤٦٤، و«غريب الحديث» لأبي عبيد ٣/ ٢١٧، و«الفائق في غريب الحديث» للزمخشري ٣/ ٣٩٥.

(٢) «تهذيب اللغة» (مهل) ٤/ ٣٤٦٤.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٥، و«تهذيب اللغة» (مهل) ٤/ ٣٤٦٤ .

(٤) «تهذيب اللغة» (مهل) ٤/ ٣٤٦٥.

(٥) «تهذيب اللغة» (مهل) ٤/ ٣٤٦٥.

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٤ بلا نسبة، و«أضواء البيان» ٤/ ٩٥، و«تهذيب اللغة» مهل ٤/ ٣٤٦٥.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ١/ ٢٢٢، والترمذي في «جامعه» كتاب: جهنم، باب: في صفة شراب أهل النار ٤/ ٦٠٨ وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه. وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، باب: صفة النار وأهلها ٩/ ٢٧٩، والطبري في «جامع =

وهو قول ابن عباس في رواية سعيد بن جبير قال: (كدردي الزيت)[١]. ونحو هذا روى عنه الوالبي والعوفي[٢]. وقال مجاهد: «كالمهل» (القيح والدم)[٣].

وقال عطاء عن ابن عباس: (هو عكر القطران)[٤].

وروى قتادة والحسن عن ابن مسعود: (أنه سئل عن المهل، فدعا بذهب وفضة فخلطهما، فأذيبا حتى إذا أزبدا وانماعا قال: هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل الذي هو شراب أهل النار)[٥]. وإلى هذا القول ذهب من قال في تفسير المهل: هو الذي قد انتهى حره؛ لأنه لا شيء أشد حرارة من هذه الجواهر إذا أذيبت. وهذا القول هو اختيار الزجاج فقال: (يعني أنهم

= البيان» ٢٥/ ١٣٢، والبغوي في «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٨، وابن كثير في «تفسيره» ٣/ ٩٢، والسيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٤٠٠، وابن حجر في «الكافي الشاف» (١٠٣) وقال: أخرجه الترمذي من طريق رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، وتعقب قوله: بأن أحمد وأبا يعلى أخرجاه من طريق ابن لهيعة من دراج، وبأن ابن حبان والحاكم أخرجاه من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث.

(١) «جامع البيان» ١٥/ ١٥٨، و«بحر العلوم» ٣/ ٢٩٧، و«معالم التنزيل» ٣/ ١٦٠، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٤، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٤.

(٢) «النكت والعيون» ٣/ ٣٠٣، و«زاد المسير» ٥/ ٩٥.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ١٥٨، و«معالم التنزيل» ٣/ ١٦٠، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٣، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٨٤.

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٤، و«البحر المحيط» ٦/ ١٢١.

(٥) «جامع البيان» ١٥/ ١٥٨، و«الكشف والبيان» ٣/ ٣٨٩ ب، و«معالم التنزيل» ٣/ ١٦٠، و«المحرر الوجيز» ١٠/ ٣٩٦، و«زاد المسير» ٥/ ٩٥، و«الدر المنثور» ٤/ ٤٠٠.

يغاثون بماء كالرصاص المذاب والصُّفْر أو الفضة)[١].

وقوله تعالى: ﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ يقال: شويتُ اللحم أشويه شيًّا، فإذا شويته لنفسك خاصة قلت: أشويت. قال لبيد[٢]:

فاشتوى ليلة ريحٍ واجتمل

وانشوى اللحم انشواء، ويقال: اشتوى أيضًا بهذا المعنى[٣].

روى الخدري عن النبي ﷺ في هذه الآية قال: «**فإذا قربه إليه سقط فروة وجهه فيه**»[٤].

وقال ابن عباس: (يشويه حتى يسقط لحم وجهه)[٥]. ثم ذمه فقال:

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٢.

(٢) هذا عجز بيت للبيد، وصدره:

أو نهته فأتاه رزقه

اجتمل: انتفع بالشحم، والشحم يسمى الجميل. انظر: «ديوان لبيد» ص ١٤٠، و«مقاييس اللغة» (شوى) ٣/ ٢٢٥، و«لسان العرب» (شوا) ٤/ ٢٣٦٧.

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (شوى) ٢/ ١٩٥٠، و«مقاييس اللغة» (شوى) ٣/ ٢٢٤، و«لسان العرب» (شوا) ٤/ ٢٣٦٧، و«مختار الصحاح» (شوى) ص (١٤٨).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» ١/ ٢٢٢، والترمذي في «جامعه» كتاب: جهنم، باب: ما جاء في صفة شراب أهل النار ٤/ ٦٠٨، وقال: هذا حديث إنما نعرفه من حديث رشدين بن سعد، وفي رشدين مقال، وقد تكلم فيه من قبل حفظه. وأخرجه ابن حبان في «صحيحه»، باب: صفة النار وأهلها ٩/ ٢٧٩، وأخرج نحوه الحاكم في «مستدركه» كتاب: التفسير، سورة الكهف ٢/ ٣٦٨، والطبري في «جامع البيان» ١٥/ ٢٤١، وابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٩٢، والسيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ٤٠٠.

(٥) ذكرته كتب التفسير بدون نسبة.

﴿بِئْسَ ٱلشَّرَابُ﴾ هذا الماء الذي وصفنا .﴿وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ أي: ساءت النار مرتفقا، وهو نصب على التمييز[١]. ومعنى المرتفق في اللغة: ما يرتفق به[٢].

قال ابن عباس: (يريد وبئس ما ارتفقوا به)[٣]. واختلفت العبارات عن المفسرين في هذا، فقال مجاهد: (مجتمعا)[٤].

وقال عطاء: (مقرًّا)[٥]. وقال الزجاج: (منزلا)[٦].

وقال ابن قتيبة: (مجلسا)[٧]. ومعنى هذه الألفاظ واحد، وهي كلها ترجع إلى أصل واحد، فيجوز أن ترجع إلى ما ذكرنا، وذلك أن المنزل والدار مما يرتفق به، ويجوز أن يكون أصلها من الارتفاق وهو الاتكاء على المرفق، ومنه قول الهذلي[٨]:

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٢.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (الرفق) ص ٨٨٧، و«الصحاح» (رفق) ٤/ ١٤٨٢، و«لسان العرب» (رفق) ٣/ ١٦٩٦.

(٣) ذكرت كتب التفسير نحوه بدون نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٤١، و«بحر العلوم» ٢/ ٢٩٨، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٦، و«تفسير القرآن العظيم» ٣/ ٩٢.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ١٥٨، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٨، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٢٩٩، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٣.

(٥) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٨، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٥، و«البحر المحيط» ٦/ ١٢١، و«روح المعاني» ١٥/ ٢٦٩.

(٦) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٢.

(٧) «تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة ١/ ٢٦٧.

(٨) هذا صدر بيت لأبي ذؤيب الهذلي، ورد برواية:

نام الخلي وبت مشتجرا   كأن عيني فيها الصاب مذبوح

الخليّ: الذي ليس به هم. والصَّابُ. شجر بتهامة إذا قطع منه عود خرج منه لبن =

نام الخلي وبتُّ مرتفقا

وهذا قول ابن السكيت في قوله: ﴿مُرۡتَفَقًا﴾ قال: (متكأ)[(١)]. وكل موضع نزلته وقعدت فيه فهو مرتفق لك ومتكأ.

٣٠- ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ الآية. واختلف النحويون في جواب ﴿إِنَّ﴾ الأولى، فذكر أبو إسحاق وأبو علي فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أن خبره قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾ على إضمار منهم، فحذف الراجع من الخبر؛ لأنه معلوم أن الله إنما لا يضيع أجر من أحسن عملاً من المؤمنين، فأما من أحسن عملاً من غير المؤمنين فإن الله يحبط عمله.

الوجه الثاني: أن المعنى إنا لا نضيع أجرهم، إلا أنه وقع المظهر موقع المضمر؛ لأن من أحسن عملاً في المعنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

الوجه الثالث: أن الخبر قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾ ويكون قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ اعتراضًا بين الاسم والخبر، وجاز ذلك؛ لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا[(٢)]. وذكر الفراء وجهين آخرين أحدهما: (أن قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ﴾ من عمل صالحًا، فترك الكلام الأول واعتمد على

= إذا أصاب العين أحرقها. انظر: «ديوان الهذليين» ١/ ١٠٤، و«شرح أشعار الهذليين» ١/ ١٢٠، و«الدر المصون» ٧/ ٤٨٠، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٥، و«لسان العرب» (صوب) ٤/ ٢٥٢٠.

(١) «تهذيب اللغة» (رفق) ٢/ ١٤٤٤.

(٢) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٣، و«الحجة» للقراء السبعة ٣/ ٦٣ .

الثاني كقول الشاعر(١):

إنَّ الخليفة إنَّ الله سربله سربال ملك به تزجى الخواتيم

الثاني: أن يجعل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في مذهب جزاء ويضمر، فيصير كأنك قلت: إن من عمل صالحًا فإنا لا نضيع أجره)(٢). والقول ما ذكره أبو إسحاق وأبو علي(٣).

٣١- قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ قال أبو إسحاق: (أساور جمع أسورة، وأسورة جمع سوار، يقال: سوار في اليد بالكسر، وقد حُكي: سوار، وحكى قطرب: إسوار، وذكر أن أساور جمع إسوار)؛ انتهى كلامه(٤). وقال أبو زيد: (هو سوار المرأة، وسوار المرأة، وأسورة لجماعتها، وهما قلبان يكونان في يدها)(٥).

قال أبو علي: (قول من قال: سوار صحيح، يدل عليه قوله(٦):

---

(١) البيت لجرير، وصدره:

يكفي الخليفة أن الله سربله

انظر: «ديوان جرير» ص٤٣١، و«معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٤٠، و«خزانة الأدب» ٤/ ٣٤٤، و«البحر المحيط» ٦/ ١٢١، و«الدر المصون» ٧/ ٤٨١، و«معجم الشواهد النحوية» ص٥٩٥، و«المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية» ٢/ ٨٨٣، و«أبيات النحو في تفسير البحر المحيط» ص٣١٣.

(٢) «معاني القرآن» للفراء ٢/ ١٤٠.

(٣) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس ٢/ ٢٧٣، و«إملاء ما من به الرحمن» ١/ ٣٩٨، و«البحر المحيط» ٦/ ١٢١، و«الدر المصون» ٧/ ٤٨١.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٣.

(٥) ذكر نحوه «تهذيب اللغة» (سار) ٢/ ١٥٩٤ بلا نسبة، وكذلك الصحاح (سور) ٢/ ٦٩٠.

(٦) البيت لعدى بن زيد العبادي، وصدره:

عن مبرقات بالبرين وتبدو

وفـي الأكـفّ الـلامـعـات سـور

ففعل يجمع به هذا النحو، فأما من حكى أسوار فهذا الضرب من الأسماء قليل جدًّا، إلا أن الثقة إذا حكى شيئًا لزم قبوله، ونظيره قولهم: الإعصار، والإسكان، ولا يجوز عندي أن يكون الجمع الذي جاء في التنزيل مكسرا على هذا الواحد؛ ألا ترى أنه لو كان كذلك لوجب ثبات الياء في التكسير ليكون على زنة: دنانير؛ لأن حرف اللين إذا كان رابعًا في الواحد، ثبت أنه الآخر الذي هو سوار جمع على أسورة، ثم جمع أسورة على أساور، كما حكى سيبويه من جمعهم أسقية على: أساق[1]. ولو كان أساور التي في التنزيل جمع: أسوار، لكان يجب أن يكون أساوير، فلما كانت بغير الياء كانت جمع: سِوَار، كما أن أسقية جمع: سقاء، ثم جمع على: (أساق)[2].

قال سعيد بن جبير: (على كل واحد منهم ثلاثة من الأساور، واحد من فضة، وواحد من ذهب، وواحد من لؤلؤ ويواقيت)[3]. وقال أهل المعاني: (السوار: زينة تلبس في الزند من اليد، وهو من زينة الملوك تسور

= المبرقات: النساء المتزينات. والبرين: جمع برة، وهو الحلي. وسور: جمع سوار. انظر: «ديوان عدي» ص١٢٧، و«الكتاب» لسيبويه ٤/ ٣٥٩، و«المخصص» ٤/ ٤٦، و«المنصف» ١/ ٣٣٨، و«الحجة للقراء السبعة» ٢/ ١٥٠، و«شرح المفصل» ٥/ ٤٤، و«شرح الكافية» لابن مالك ٤/ ١٨٣٧، و«اللسان» (لمع) ٧/ ٤٠٧٤.

(١) «الكتاب» لسيبويه ٣/ ٢٣٠.

(٢) «الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني» لأبي علي الفارسي ص٩٤٠.

(٣) «معالم التنزيل» ٥/ ١٦٩، و«زاد المسير» ٥/ ١٣٧، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٦.

في اليد وتتوج على الرأس)(١).

ويروى: (أن كسرى كان له تاج وسواران، فأتي بها عمر ﷺ)(٢).

وقوله تعالى: ﴿مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ قال الزجاج: (هما نوعان من الحرير)(٣).

وقال المفسرون: (السندس: ما رقَّ من الديباج، والإستبرق: ما غلظ منه)(٤) قال المرقش(٥)(٦):

تراهنَّ يلبسن المشاعر مرَّةً وإستبرق الديباج طورًا لباسها

وهو اسم أعجمي أصله بالفارسية: [استبر، ونقل من العجمية إلى العربية، كما سمي الديباج، وهو منقول من الفارسية](٧).

قال أبو علي: (الإستبرق لا تخلو حروفه من أن تكون أصولًا كلها أو

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (سار) ٢/ ١٥٩٤، و«الصحاح» (سور) ٢/ ٦٩٠، و«لسان العرب» (سور) ٤/ ٢١٤٨.

(٢) ذكره ابن حجر في الإصابة في «تمييز الصحابة» ٣/ ٦٩ عند ترجمة سراقة بن مالك ﷺ، و«أسد الغابة» ٢/ ١٨٠ ترجمة سراقة بن مالك.

(٣) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٤.

(٤) «جامع البيان» ١٥/ ٢٤٣، و«معالم التنزيل» ٥/ ١٦٩، و«المحرر الوجيز» ٩/ ٣٠٢.

(٥) ربيعة بن سعد بن مالك، ويقال هو: عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، أحد المتيمين، كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن مالك، وهو شاعر جاهلي، عرف بالشجاعة والقوة، والمرقش لقب غلب عليه، بسبب قوله بيت من الشعر فلقب به. انظر: «الشعر والشعراء» ص١١٩، و«خزانة الأدب» ٨/ ٣١٣.

(٦) البيت للمرقش ذكرته كتب التفسير بدون نسبة. انظر: «جامع البيان» ١٥/ ٢٤٣، و«النكت والعيون» ٣/ ٣٠٥، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٧، و«الدر المصون» ٧/ ٤٨٤، و«فتح القدير» ٣/ ٤٠٤.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل.

بعضها أصولًا وبعضها زائدًا، ولا يجوز أن تكون أصولا؛ لأنه ليس من كلامهم في الأسماء والأفعال ما هو على ستة أحرف أصول، ولا يجوز أن تكون الهمزة وحدها زائدة؛ لأنها لم تلحق زائدة أول بنات الأربعة، فإن لا تلحق أوائل بنات الخمسة أجدر، فإذا لم يجز هذا فلابد من أن ينضم إليها في الزيادة غيرها، فلا يجوز أن تكون السين؛ لأنها لم تزد مع الهمزة أولاً، ولا يجوز أيضًا أن تكون التاء مع الهمزة، كما لم يجز أن تكون السين، فإذا لم يجز هذا علمت أن الزيادة، وهي التاء والسين مع الهمزة، وأن الكلمة من الثلث، ولما نقلت فأعربت وافق التعريب وزن استفعل الذي هو مثال من أمثلة الماضي، إلا أن الهمزة منه قطعت لينقل من مثال الفعل إلى الاسم، وكان قطع الهمزة أحد ما نقل به الفعل إلى أحكام الاسم، وجعل النحويون هذا الحرف ومجيء الهمزة مقطوعة فيه أصلاً لجميع ما أوله همزة موصولة إذا نُقل سمي به، فقطعوا الهمزة في جميع ذلك، يقال: لو سميت رجلاً بأضرب وأشرب أو أقتل قطعت الهمزة في جميع ذلك؛ لأنه ليس من حكم الاسم أن يلحق همزة الوصل أولها، والحروف التي لحقت همزة الوصل أولها كما لابن والاسم أشبهت الأفعال عند النحويين لما لحق أواخرها الحذف الذي يلحق الأفعال في الجزم، فلحق أولها همزة الوصل أيضًا لهذه المشابهة التي بينها)[1].

وروي عن ابن محيصن[2] أنه كان يقرأ: واستبرق، موصولة الألف

---

(١) ذكر نحوه مختصرًا في «الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني» (٩٤٤).

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي، إمام فاضل، علم بالقراءات، ثقة محدث، قرأ القرآن على عدد من أصحاب النبي ﷺ، وقرأ عليه عدد من التابعين، توفي -رحمه الله- في مكة سنة ١٢٣هـ. انظر: «الوافي بالوفيات» ٣/ ٢٢٣، =

مفتوحة الآخر على مثال الماضي[١]، نحو: استفعل، وذلك لا يجوز؛ لأنه ليس هذا الحرف استفعل من برق، وإنما وافق اللفظ، واللفظ في التقريب [كما أن سراويل في التقريب][٢] وافق هذا اللفظ وإن لم يكن في كلامهم، وإذا كان كذلك لم يتبع أن يجعل مثال الماضي، ولكنه اسم جنس، يدلك على ذلك دخول لام المعرفة عليه، والجار في نحو قوله: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]. وإذا كان كذلك ففتحه لا يجوز إذ ليس بفعل، وإذا لم يكن فعلاً كان اسمًا أعجميًّا [معربًا واقعًا على الجنس، كما أن السندس والخَزّ[٣] كذلك][٤] كان بمنزلة الديباج والفِرِنْد[٥]، والبَرِيم[٦]، ونحو ذلك من الأسماء المنقولة نكرة، وليس من باب إبراهيم وإسماعيل، وإذا كان من

= و«غاية النهاية» ٢/ ١٦٧، و«معرفة الكبار» ١/ ٩٨، و«تهذيب التهذيب» ٧/ ٤٧٤، و«شذرات الذهب» ١/ ١٦٢.

(١) «المحتسب» لابن جني ٢/ ٢٩، و«القراءات الشاذة» للقاضي ص٦٣، و«إتحاف فضلاء البشر» ٢/ ٢١٣.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت في بقية النسخ.

(٣) الخَزُّ: نوع منه الثياب معروف مشتق منه، عربي صحيح، وهو من الجواهر المصوف بها. انظر: «القاموس المحيط» (الخز) ص ٥١٠، و«الصحاح» (خزز) ٣/ ٨٧٧، و«لسان العرب» (خزز) ٢/ ١١٤٩، و«مختار الصحاح» (خزز) ص (٧٣).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل ومثبت في بقية النسخ.

(٥) الفِرِنْدُ: دخيل معرب وهو اسم للثوب. ويطلق على السيف. انظر: «تهذيب اللغة» (فرند) ٣/ ٢٧٨٣، و«القاموس المحيط» (الفرند) ص ٣٠٦، و«الصحاح» (فرند) ٢/ ٥١٩، و«لسان العرب» (فرند) ٦/ ٣٤٠٥.

(٦) البَرِيْمُ: ثوب فيه قز وكتان. وقيل: خيط ينظم فيه خرز فتشده المرأة على حقويها. انظر: «تهذيب اللغة» (برم) ١/ ٣٢١، و«معجم مقاييس اللغة» (برم) ١/ ٢٣١، و«الصحاح» (برم) ٥/ ١٨٦٩.

هذا الضرب لم يكن فيه إلا الصرف إلا أن يُسمَّى به شيء فينضم إلى مثال الفعل التعريف، فإذا لم يكن كذلك فترك الصرف فيه لا يستقيم.

وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ يقال: اتكأ الرجل، وأصله: اوتكا، مثل: اتزن من الوزن، والتُّكأة أصلها: وُكأة، ومنه التَّوكؤ، وهو: التحامل على الشيء، قال الله تعالى: ﴿هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٨]؛ ورجل تُكأة إذا كان كثير الاتِّكاءِ، وهو في الأصل وكأة، فقلبت الواو تاء كما قالوا: تكلة في موضع وكلة ويقال: تكأ الرجل يتكئ مثل اتكأ، وأوكأت فلانًا إذا نصبت له متكأ(١).

وقوله: ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جمع أريكة. قال الليث: (وهي سرير حجلة، فالحجلة والسرير أريكة، وجمعها: أرائك)(٢). وهو قول المفسرين؛ قال ابن عباس ومجاهد: (﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: السُّرر في الحجال)(٣). ولا يكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة.

وقال أبو إسحاق: (﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: الفرش في الحجال)(٤).

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (تكئ) ١/ ٤٤٥، و«الصحاح» (وكأ) ١/ ٨٢، و«لسان العرب» (وكأ) ٨/ ٤٩٠٤.

(٢) ذكرته كتب اللغة بدون نسبة. انظر: «تهذيب اللغة» (أرك) ١/ ١٤٩، و«تاج العروس» (أرك) ١٣/ ٥٠٤، و«القاموس المحيط» (الأراك) ص ٩٣١، و«لسان العرب» (أرك) ١/ ٦٤ وقال: هي الأسرة، وهي في الحقيقة الفرش، كانت في الحجال أو في غير الحجال، وقيل: الأريكة سرير منجد مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة.

(٣) «جامع البيان» ١٥/ ٢٤٣، و«تفسير القرآن» ٣/ ٩٣، و«الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٨، و«الدر المنثور» ٤/ ٤٠٣.

(٤) «معاني القرآن» للزجاج ٣/ ٢٨٤.

قال ابن عباس[١]: (يريد الأَسِرَّة من ذهب مكللة بالدر والياقوت عليها الحجال، الأريكة ما بين صنعاء[٢] إلى أيلة[٣]، وما بين عدن[٤] إلى الجابية[٥]). وما نزلت من الصفة أعظم.

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» ١٠/ ٣٩٨

(٢) صنعاء: موضعان أحدهما: باليمن وهي العظمى، وأخرى: قرية بالغوطة من دمشق، وصنعاء اليمن: اسمها قديمًا أزال، وبينها وبين عدن ثمانية وستون ميلاً، وهي قصبة اليمن، وأحسن بلادها، وقيل: سميت بصنعاء بن أزال بن يقطن بن عابر وهو الذي بناها، وأثنى عليها العلماء ومدحوها ونسب إليها خلق كثير.
وصنعاء دمشق: قرية كانت في جانبها الغربي على باب دمشق دون المزة، مقابل مسجد خاتون خريت، وهي اليوم مزرعة وبساتين وقد خربت من العمران، وينسب إليها جماعة من المحدثين والعلماء. انظر: «معجم البلدان» ٣/ ٤٢٥، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ١٨٢، و«معجم ما استعجم» ص٨٤٣.

(٣) أيلة: بالفتح مدينة على ساحل بحر القلزم، مما يلي الشام، وقيل: هي مدينة عامرة في بلاد الشام بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم، وقيل: سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام. انظر: «معجم البلدان» ١/ ٢٩٢، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ١٩.

(٤) عدن بالتحريك وآخره نون، وهو من قولهم: عدن بالمكان إذا أقام به، وبذلك سميت عدن، وهي مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن، وهذا الموضع هو مرفأ مراكب الهند والتجار يجتمعون إليه، لأجل ذلك فإنها بلدة تجارة وعدن جنوبية تهامة. وهو أقدم أسواق العرب، وقيل: سميت عدن: بعدن بن سينان بن نفيشان بن إبراهيم. وقيل غير ذلك. انظر: «معجم البلدان» ٤/ ٨٩، و«معجم ما استعجم» ٣/ ٩٢٤، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ٥٥.

(٥) الجابية: قرية من أعمال دمشق، ثم من أعمال الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران، وهي قرية معروفة بجنب نوى على ثلاثة أميال منها من جانب الشمال، وإلى هذه القرية ينسب باب الجابية أحد أبواب دمشق، وسميت الجابية تشبيهًا بما يجبى فيه الماء، فإن الجابية اسم للحوض، فسميت =

وقوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ﴾ قال: يريد طاب ثوابهم وعظم، ﴿وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يعني حسنت الأرائك مرتفقا، أي: موضع ارتفاق، بمعنى اتكأ؛ قاله الفراء في المصادر[1]. ومر معنا تفسير المرتفق آنفًا.

= جابية لكثرة مياهها، وقيل: سميت بذلك لاجتماع الناس بها وكثرتهم فيها لكونها أرضًا خصبة. انظر: «معجم البلدان» ٢/ ١٩، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٣/ ٦٠.

(١) ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» بلا نسبة (رفق) ٢/ ١٤٤٤، وابن منظور في «لسان العرب» (رفق) ٣/ ١٦٩٥.